عيون الأخبار وفنون الآثار

للداعي عماد الدين إدريس بن الحسن الأنف

المتوفى سنة ٨٧٢ هـ

المَعْهَدُ الفَرَنسِيُّ لِلشَّرْقِ الأَدْنَى

السبع الأول

من

عيون الأخبار وفنون الآثار

للداعي عماد الدين إدريس بن الحسن الأنف

المتوفى سنة ٨٧٢ هـ

حققه و وضع فهارسه

أحمد شليلات

راجعه مأمون الصاغرجي

مَعْهَدُ الدِّراسَاتِ الإِسْماعِيلِيّة – لَنْدَن

بالتعاون مع

المَعْهَدُ الفَرَنسِي لِلشَّرْق الأَدْنَى

بيروت – دمشق – عمّان

ifpo

المعهد الفرنسي للشرق الأدنى
المديرية العامة للتعاون الدولي والتنمية في وزارة الخارجية الفرنسية
المركز الوطني للبحث العلمي
UMIFRE 6, CNRS-MAE, USR 3135

فرع الدراسات العربية

ص ب ٣٤٤ دمشق، سورية
هاتف : ٣٣٣٠٢١٤ (١١ ٩٦٣) – فاكس: ٣٣٢٧٨٨٧ (١١ ٩٦٣)
www.ifporient.org
diffusion@ifporient.org

PIFD 247
ISBN 978-2-35159-056-0

تمهيد

في عام ٢٠٠٣ عرض عليّ الأستاذ فرهاد دفتري، المدير المساعد لمعهد الدراسات الإسماعيلي، مشروع تعاون بين مؤسستينا، أي معهد الدراسات الإسماعيلية (لندن) والمعهد الفرنسي للشرق الأدنى (دمشق)، يهدف إلى نشر أو إعادة نشر النصوص الهامّة للتراث الإسماعيلي من القرن الوسيط. فقبلت بكل ترحاب هذا العرض، وذلك لأسباب عديدة؛ الأول هو اهتمامي الشخصي بالفلسفة الإسماعيلية، ولا سيما أنني تقدّمتُ في عام ١٩٧٥ بعمل جامعي للحصول على إجازة حول راحة العقل للداعية حميد الدين الكرماني (ت نحو عام ٤١١ / ١٠٢٠) وكان مناسبة اكتشفت فيها ثراء هذا التراث الذي خفي على الكثيرين، والذي يتمتع بصلة وثيقة بالمذاهب القائمة على العقلانية.

والثاني أن المعهد الفرنسي بدمشق قد كرّس جهدًا كبيرًا منذ نشأته، لنشر أمّهات النصوص العربية مثل الفلاحة النبطية (تحقيق توفيق فهد)، تاريخ ابن قاضي شُهبة (تحقيق عدنان درويش)، ديوان أبي فراس الحمداني (تحقيق سامي الدهّان)، سيرة بيبرس (تحقيق جورج بوهاس، كاتيا زخريا)، إلخ ... ويسرّنا أن تستمر هذه الجهود في نشر هذا التراث، لنتمكّن من وضع هذه المخطوطات القيّمة بين أيدي الباحثين.

أما عيون الأخبار من تاليف اليمني إدريس عماد الدين (القرن الرابع/الخامس عشر)، ويقع في سبعة أجزاء، فهو يغطّي تاريخ الأئمة الإسماعيليين منذ البدء وحتى نهاية العصر الفاطمي، وينتمي إلى النصوص المؤسسة للحضارة العربية الإسلامية، والتي أُنتجت بكثرة في العصر الكلاسيكي.

وعليه فقد اتخذ قرار في المعهد الفرنسي بإصدار كتاب عيون الأخبار بأجزائه السبعة في طبعة علمية جديدة، وبإشراف السيدة سراب الأتاسي الأمينة العلمية في المعهد، والسيد مأمون الصاغرجي الباحث في مجمع اللغة العربية بدمشق، على أن ينهض أساتذة مختصون بتحقيق هذه النصوص، وهم السادة أحمد شليلات (الأجزاء ١و٢و٣)، مأمون الصاغرجي (الجزء ٤)، يوسف فطوم (الجزء ٥)، محمود فاخوري (الجزء ٦)، أيمن فؤاد السيد (الجزء ٧).

والكتاب الذي ننشره اليوم بالتعاون مع المعهد الإسماعيلي ما هو إلا صورة صادقة عن خبرة المعهد الفرنسي بدمشق، وسعيه إلى إصدار أعمال تراثية بنوعية وعناية فائقتين، سواء كانت هذه الأعمال تحقيقًا أم تأليفًا.

ويسعدني اليوم وأنا أقدّم لهذا الجزء من عيون الأخبار، الذي هو ثمرة هذا التعاون بين المؤسستين المعهد الإسماعيلي للدراسات، والمعهد الفرنسي للشرق الأدنى، أن أعبّر عن أمنيتي الصادقة في مواصلة الجهود لاستمرار هذا التعاون بين المعهدين، لإغناء المكتبة العربية الإسلامية بمزيد من الكتب التراثية القيّمة.

دمشق، كانون الثاني ٢٠٠٧ **فلوريال ساناغستان**

المدير العلمي للدراسات العربية الوسيطة والحديثة

مقدمة

حتى منتصف القرن العشرين، كان الإسماعيليون يُدرسون ويقيَّمون بشكل كامل تقريباً على أساس الأدلة التي يجمعها، وفي أحيان كثيرة يلفقها، أعداؤهم. ونتيجة لذلك، انتشرت عنهم مختلف الأساطير والحكايات على نطاق واسع، سواء في المجتمعات الإسلامية أو في الغرب، فيما يتصل بتعاليم وممارسات هذه الطائفة المسلمة الشيعية، وحدث الفتح في الدراسات الإسماعيلية مع استعادة ودراسة نصوص إسماعيلية أصلية على نطاق واسع - مصادر على شكل مخطوطات كانت محفوظة في عدد كبير من المجموعات الخاصة في اليمن، وسورية، وفارس، وآسيا الوسطى، وجنوب آسيا ومناطق أخرى. كانت مجموعة صغيرة من المخطوطات التي عثر عليها في سورية قد ظهرت في باريس خلال القرن العشرين. وكان هناك مجموعة أخرى من المخطوطات المحفوظة في اليمن وآسيا الوسطى تمت استعادتها في العقود الأولى من القرن العشرين. غير أنه في عام ١٩٩٩، عندما تم وضع دراسة ببلوغرافية للكتابات الإسماعيلية من قبل لويس ماسينيون ١٨٨٣ - ١٩٦٢)، كانت المعلومات الموجودة في المكتبات الأوروبية والمعارف المتوفرة لدوائر الباحثين حول الكتابات الإسماعيلية محدودة جداً[1].

أُطلقت الأبحاث الجديدة في الدراسات الإسماعيلية في الواقع في ثلاثينات القرن العشرين في الهند، حيث كانت مجموعات هامة من المخطوطات الإسماعيلية محفوظة لدى طائفة البوهرة الإسماعيلية. وكان الفضل في هذا الاختراق يعود في

(١) L. Massignon, "Esquisse d'une bibliographic Qaramte," in T.W Arnold and RA Nicholson, *Ed., A Volume of Oriental Studies Presented to Edward G. Browne on his 60th Birthday Cambridge, 1992) pp. 329-338.*

المقام الأول إلى الجهود الطليعية التي بذلها فلاديمير إيفانوف (١٨٨٦—١٩٧٠) وعدد قليل من باحثي البوهرة، وعلى وجه الخصوص آصف علي أصغر فيضي. وحسين بن فيض الله الحمداني (١٩٠١-١٩٦٢) وزاهد علي (١٨٨٨-١٩٥٨)، الذين أسسوا دراساتهم الأصيلة على مجموعات المخطوطات التي كانت تحتفظ بها عائلاتهم. وفي وقت لاحق أتيحت هذه المجموعات للباحثين في كل مكان. أهدى البروفيسور فايزي مخطوطاته لمكتبة جامعة بومباي[٢]؛ وكذلك أهدى حسين الحمداني جزءاً من المجموعة التي تمتلكها عائلته إلى مكتبة جامعة بومباي، في حين أهدى ابنه، البروفيسور، عباس حمداني، جزءاً آخر لمكتبة معهد الدراسات الإسماعيلية في لندن عام ٢٠٠٦. في عام ١٩٧٧، قُدمت مجموعة زاهد علي، التي تحتوي على ٢٢٦ مخطوطة إسماعيلية باللغة العربية إلى معهد الدراسات الإسماعيلية[٣] ويمكن تتبع بداية الأبحاث الحديثة في الدراسات الإسماعيلية إلى نشر دراسة ببلوغرافية وضعها إيفانو عام ١٩٣٣ ذكرت نحو ٧٠٠ عنوان إسماعيلي منفصل تثبت ما لم يكن معروفاً من غنى وتنوع الأدب الإسماعيلي وتراثه الفكري[٤]. وتلقت الدراسات الإسماعيلية زخماً كبيراً لدى تأسيس الجمعية الإسماعيلية في بومباي عام ١٩٤٦. ولعب إيفانو دوراً أساسياً في تأسيس الجمعية الإسماعيلية التي زودت بمجموعة كبيرة من المخطوطات العربية والفارسية. وتم نقل هذه المخطوطات إلى معهد الدراسات الإسماعيلية في مطلع ثمانينات القرن العشرين.

---

(٢) M Goriawala, *A Descriotuve Catalogue of the Fyzee Collection of Ismaili Manuscripts* (Bombay, 1965).

(٣) D. Cortese, *Arabic Ismaili Manuscripts: The Zahid Ali Collection in the Library of the Institute of Ismaili Studies* (London, 2003)

(٤) . Ivanow, *A Guide to Ismaili Literature* (London, 1933)

بحلول عام ١٩٦٣، عندما نشر إيفانو نسخة منقحة من دراسته البيليوغرافية[٥] كان العديد من المصادر الجديدة قد أصبح معروفاً وتسارع التقدم في تحرير دراسة النصوص الإسماعيلية. وينعكس التقدم الذي أحرز لاحقاً في استعادة ودراسة الأدب الإسماعيلي بشكل كامل في دراسة البروفيسور بونادالا، الذي يذكر نحو ١,٣٠٠ عنواناً كتبت من قبل أكثر من مئتي مؤلف[٦]، في حين أن الدراسة البيليوغرافية التي أعدها كاتب هذه السطور تحتوي نحو ٥,٠٠٠ نص رئيسي ودراسة نشرت في هذا المجال[٧]. ويتوقع أن تزدهر الأبحاث في هذا النوع من الدراسات الإسلامية بسرعة أكبر، حيث يشكل معهد الدراسات الإسماعيلية، الذي أسسه في لندن عام ١٩٧٧ سمو الأمير كريم آغا خان الرابع، الإمام الحالي للإسماعيلية النزارية، مركزاً مرجعياً للدراسات الإسماعيلية فهو يقدم إسهاماته الخاصة من خلال برامجه المختلفة للأبحاث والنشر. ومن بين هذه البرامج لابد من ذكر "سلسلة النصوص والترجمات الإسماعيلية" التي تنشر فيها طبعات نقدية من نصوص عربية وفارسية معاً، مع مختارات مترجمة إلى الإنكليزية.

لقد اصطبغت الكتابات التاريخية الإسماعيلية بصبغة خاصة وكان لها نمط تطور خاص بها، يرتبط إلى حد بعيد بطبيعة الدعوة الإسماعيلية والحظوظ السياسية المتقلبة للإسماعيليين. لقد تعرض الإسماعيليون في كثير من الأحيان للاضطهاد في المناطق الواقعة خارج دولهم العديدة، مما اضطرهم إلى الالتزام الصارم بالمبدأ الشيعي المتمثل بالتقيّة. وفي الوقت نفسه، كان المؤلفون والدعاة الإسماعيليون في معظم الأحيان فقهاء وعلماء دين. ونظراً لطبيعة التعليم الذي تلقوه والضرورة القصوى

---

(٥) W. Ivanow, *Ismaili Literature: a Bibliographical Survey* (Tehan, 1963)

(٦) I.K Poonawala, *Bibliography of Ismaili Literature* (Malibu, CA, 1977)

(٧) F. Daftary, *Ismaili Literature: A Bibliography of Sources and Studies* (London, 2004).

للالتزام بالسرية في نشاطاتهم، لم يرغب الدعاة — المؤلفون الإسماعيليون بكتابة المؤلفات التاريخية. والدليل على ضعف الاهتمام بالكتابة التاريخية هو ظهور عدد قليل جداً من الأعمال التاريخية خلال مراحل الكشف عن عدد كبير من النصوص الإسماعيلية. تعكس هذه النصوص تنوع هذا التراث الأدبي الفني، الذي يحوي الخلاصات القانونية، وأعمال السيرة، والشعر، وأطروحات حول العقيدة الشيعية المركزية المتمثلة في الإمامة إلى أطروحات ميتافيزيقية معقدة تتوجها المنظومة الغنوصية "للحقائق" الإسماعيلية، بتاريخها المكون من دوائر متكررة، ونظامها الكوني الخاص، ومبادئها المتعلقة بالآخرة والخلاص. منذ البداية، كان جزء كبير من الكتابات الإسماعيلية يتعلق بالتأويل، أو التفسير الباطني للنصوص القرآنية والأوامر والنواحي الدينية. قام بعض الدعاة العلماء الذين عاشوا في إيران، مثل أبي يعقوب السجستاني (توفي بعد ٣٦١ للهجرة)، وحميد الدين الكرماني (توفي بعد ٤١١/١٠٢٠) وناصيري خسرو (توفي بعد ٤٦٢/١٠٧٠) بوضع تقاليد شيعية متميزة تستند إلى علم الكلام وعدد من المذاهب الفلسفية.

إلاّ أنه كان هناك فترتان في التاريخ الإسماعيلي اهتم خلالها الإسماعيليون بالكتابات التاريخية، وأنتجوا أعمالاً يمكن أن تعتبر تواريخ رسمية. فخلال العهد الفاطمي (٢٩٧-٥٦٧/٩٠٩-١١٧١) وعهد الاموت (٤٨٣-٦٥٤/١٠٩-١٢٥٦) من تاريخهم، كان لدى الإسماعيلية دولاً وسلالات من الحكام احتاجت فترات حكمهم وانجازاتهم إلى أن تسجل من قبل مؤرخين موثوقين. في العهد الفاطمي، وخصوصاً بعد انتقال مركز الخلافة الفاطمية من أفريقية في شمال أفريقيا (في تونس اليوم) إلى مصر عام ٣٦٢-٩٧٣، كُتب عدد كبير من الكتب التاريخية عن السلالة والدولة الفاطمية من قبل مؤرخين معاصرين إسماعيليين وغير إسماعيليين. غير أن كتب التاريخ الفاطمية لم تبق بعد سقوط السلالة الفاطمية عام

٥٦٧/١١٧١، عندما قام الأيوبيون، الذي حلوا محل الفاطميين، بعملية تدمير منهجي للمكتبات الفاطمية الشهيرة في القاهرة. وحدث الشيء نفسه بالنسبة لكتب التاريخ التي سجلت مجريات أحداث الدولة الإسماعيلية النزارية في فارس خلال عهد الاموت، حيث أتلفت مع غيرها من الكتابات الإسماعيلية من قبل الجحافل المغولية التي احتلت فارس عام ٦٥٤/١٢٥٦. رغم هذه الظروف غير المواتية، تمكن عدد من الدعاة الإسماعيليين من وضع كتب تاريخية لازالت موجودة. ومن بين الأعمال التاريخية القليلة في الكتابات الإسماعيلية، تحتل كتابات إدريس عماد الدين، وخصوصاً كتابه "عيون الأخبار"، مكانة خاصة. في الواقع فإن "عيون الأخبار" المكون من سبعة مجلدات يمثل التاريخ الشامل الوحيد للأئمة الإسماعيليين من القدم وحتى العهد الفاطمي المتأخر يكتبه مؤلف إسماعيلي.

انحدر إدريس عماد الدين بن الحسن بن عبد الله بن علي بن الوليد الأنف من عائلة الوليد التي تعود بنسبها إلى قريش في اليمن، والتي قادت الدعوة الإسماعيلية الطيبية المستعلية لأكثر من ثلاثة قرون منذ بداية القرن السابع/الثالث عشر[٨]. ولد في عام ٧٩٤/١٣٩٢ في قلعة شِبام، على قمة عالية على جبل حراز

(٨) لمعلومات ببليوغرافية عن إدريس عماد الدين أنظر:
Muntaza' al-Akhbar fi akhbar al-dwata al-akhyar, partial ed. S.F Traboulsi (Beirut, 1999), pp. 166-175; Muhamad Ali b. Malla Jiwabhai Rampari, *Mawsim-i baharfi akhbar al-fahirin al-akhyar* (lithographed, Bombay), 1301-1311/1884-1393), Vol. 3, pp. 107-108, 138-146: Ismail b. Abd al Rasul al-Magda, Fahrasdt al-Kutub wal-rasail, ed. Ali N. Munzari (Tehran, 1966), pp. 73-77, 150-151, 239-242, 275-277: Ivanow, Ismaili Literature, pp.77, 150-151, 230-242, 275-277: Ivanow, *Ismaili Literature*, pp 77-82; Ayman F. Sayyid, *Masadir Tarikh al Yaman fil-asr al-Islami* (Cairo, 1974), pp. 130-183: Poonawala, *Bibliography of Ismaili Literature*, pp 169-175: his Idris b, al-Hasan, EI 2, Vol. 12 (Supplement)m P. 407: F. Daftary, *the Ismailis: Their History and Doctrines* (Cambridge, 1990), pp. 258-259, 290-291: his *Ismaili Literature*, pp. 120-121, and his Idris Imad al-Din, in D. Leaman, ed. *The Biographical Encyclopedia of Islamic Philosophy* (London, 2006), Vol. 1, pp. 318-320.

وإحدى معاقل الإسماعيليين في اليمن. خلف إدريس عمه علي بن عبد الله بن علي، بصفة الداعي المطلق التاسع عشر للدعوة الطيبية الإسماعيلية في عام ١٤٢٨/٨٣٢. إضافة إلى كونه باحثاً وكاتباً ألف في فروع شتى، فقد كان إدريس سياسياً ومحارباً أيضاً. وتزامنت قيادته للطيبية اليمنية مع فترة مضطربة من تاريخ اليمن، حيث اضطرمت الحروب بين مختلف التحالفات القبلية. حافظ الداعي إدريس على سياسات من سبقوه فتحالف مع رسوليي زبيد وخاض عدة معارك ضد الزيديين في شمال اليمن. وعندما انضم إليه الملك الظاهر الرسولي (٨٣١-١٤٨٢/٨٤٢-١٤٣٠)، قاتل إدريس ضد الإمام المنصور علي الزيدي. ونتيجة لمواجهاته مع الزيديين، استحوذ الداعي إدريس على عدد من القلاع. كما تمتع أيضاً بدعم وصداقة الأخوين الطاهريين علي وعمير اللذين استوليا عام ١٤٥٤/٨٥٨ على عدن وزبيد وحلا محل الرسوليين كأسياد لليمن الأدنى. أبدى إدريس اهتماماً خاصاً بشؤون الدعوة الإسماعيلية الطيبية في غرب الهند، وخلال قيادته الطويلة التي دامت نحو الأربعين عاماً أسهم في نجاح الدعوة الطيبية وكذلك طائفة البوهرة في كُجرات. وهكذا مهد الطريق لانتقال مركز الدعوة الطيبية في وقت لاحق من اليمن إلى الهند. عندما شعر الداعي إدريس بدنو أجله عيّن، طبقا لقاعدة النص في طائفته، ابنه الحسن خليفة له في قيادة الدعوة والطائفة الطيبية. توفي إدريس في ١٩ ذي القعدة ٨٧٢ الموافق للعاشر من حزيران ١٤٦٨ في شِبام حيث كان قد جعل قيادته في عام ١٤٣٤/٨٣٨.

يعتبر إدريس عماد الدين أهم مؤرخ إسماعيلي، وتعود أهميته كمؤرخ للأئمة الإسماعيليين ودعوتهم إلى حقيقة أنه كداع للإسماعيلية الطيبية كان يتاح له الوصول إلى كامل التراث الأدبي للاسماعيليين والمتوفر في ذلك الوقت في اليمن، والذي فقد

جزء كبير منه. كان الجزء الأكبر من النصوص [illegible] الفاطمي وما قبله قد تم نقله تدريجياً إلى اليمن اع[illegible] الخامس/الحادي عشر نتيجة للعلاقات الوثيقة ال[illegible] [illegible] اليمن الذي اعترفوا بالسيادة الفاطمية وقادوا الدعوة الإسماعيلي[illegible] العربية. وكان هذا التراث الأدبي في عهدة دعاة الطيبية في اليمن.

وضع الداعي إدريس ثلاثة مؤلفات تاريخية رئيسية، يمكن اعتبارها المصادر الرئيسية لتاريخ الإسماعيليين حتى الانشقاق الذي حدث بين المستعلين والنزاريين في الدعوة الإسماعيلية، وهي النصوص المعتمدة حول تاريخ الإسماعيليين المستعلين والطيبيين حتى النصف الثاني من القرن التاسع/الخامس عشر. ويعتبر كتابه التاريخي الأول، "عيون الأخبار وفنون الآثار"، المكون من سبعة مجلدات والذي أجريت له عملية تحرير نقدي للمرة الأولى هنا كمجموعة كاملة، المصدر الشامل لتاريخ الدعوة الإسماعيلية منذ بدايتها، والأئمة الشيعة الذين يعترف بهم الإسماعيليون (بما في ذلك الخلفاء الفاطميون إضافة إلى الأئمة الأوائل حتى جعفر الصادق والمعترف بهم أيضاً من قبل الشيعة الاثنا عشرية)، حتى النصف الثاني من القرن السادس/الثاني عشر. يتمتع المجلد الأول من "العيون" حول حياة النبي محمد (ص) بأهمية خاصة لأنه يعكس المذهب الإسماعيلي حول الموضوع. وكذلك المجلدان الثاني والثالث اللذان يصوران المنظور الإسماعيلي لعلي بن أبي طالب (توفي عام ٦٦١/٤٠) ومعاركه ضد خصومه المختلفين. وتُنشر المجلدات الثلاثة الأول من "العيون" لأول مرة هنا. يغطي المجلد الرابع سيَر الأئمة الأُوَل، من الحسن (توفي عام ٦٨٠/٦١) حتى الحسين بن أحمد، الإمام الغائب الأخير للإسماعيليين الأوائل في دور الستر. يغطي المجلد الخامس انطلاق الدعوة الإسماعيلية في اليمن وشمال أفريقيا، وتأسيس

الدولة الفاطمية في عام ٢٩٧/٩٠٩، وحكم الخلفاء الأئمة الاسماعليين المهدي (٢٩٧-٣٢٢/٩٠٩-٩٣٤) القائم (٣٢٢-٣٣٤/٩٣٤-٩٤٦) والمنصور (٣٣٤-٣٤١/٩٤٦-٩٥٣). ويغطي المجلد السادس فترات حكم الخلفاء الأئمة الأربعة التالين، المعز (٣٤١-٣٦٥/٩٥٣-٩٧٥)، العزيز (٣٦٥-٣٨٦/٩٧٥-٩٩٦)، الحاكم (٣٨٦-٤١١/٩٩٦-١٠٢١)، الظاهر (٤١١-٤٢٧/١٠٢١-١٠٣٦) إضافة إلى السنوات الأولى من حكم المستنصر (٤٢٧-٤٨٧/١٠٣٦-١٠٩٤). قام الباحث الإسماعيلي التراري السوري الراحل مصطفى غالب (١٩٢٣-١٩٨١) بتحرير المجلدات الرابع والخامس والسادس للمرة الأولى في "عيون" (بيروت، ١٩٧٣، ١٩٧٥، ١٩٧٨). قام الباحث التونسي فرحات الدشراوي بتحرير جزء من المجلد الخامس تحت عنوان "تاريخ الدولة الفاطمية بالمغرب (تونس، ١٩٧٩)، في حين قام باحث تونسي آخر هو محمد اليعلاوي بنشر المجلد الخامس وجزء من المجلد السادس تحت عنوان "تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب: القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار (بيروت، ١٩٨٥).

وأخيراً، يغطي المجلد السابع من "العيون" الفترة المتبقية من حكم المستنصر، تأسيس حكم الصليحيين في اليمن، والانشقاق المستعلي التراري الذي أعقب وفاة المستنصر عام ٩٨٧/١٠٩٧، وحكم الخليفتين الفاطميين التالين الذين يعترف بهما الإسماعيليون كإمامين أيضاً وهما المستعلي (٤٨٧-٤٩٥/١٠٩٤-١١٠١) والعامر (٤٩٥-٥٢٤/١١٠١-١١٣٠)، إضافة إلى بداية الدعوة الطيبية في اليمن وانهيار الفاطميين في مصر. ويحتوي أيضاً تفاصيل هامة عن الدعاة المختلفين في اليمن. ويبقى هذا المجلد مصدراً رئيسياً لتاريخ الدعوة الإسماعيلية في اليمن في عهد الصليحيين. المجلد السابع حرره مؤخراً الباحث المصري أيمن فؤاد سيد، مع ملخص

باللغة الانكليزية أعده بول إي بروكر وموريس أ. بوميرانتز، ونشر بعنوان *The Fatimids and Their Successors in Yaman* في معهد الدراسات الإسماعيلية كجزء من "سلسلة النصوص والترجمات الإسماعيلية"، ٤ (لندن، ٢٠٠٢).

يبدو أن إدريس بدأ العمل على "عيون الأخبار" مباشرة بعد انتهائه من "زهر المعاني" عام ٨٣٨/١٤٣٤. إضافة إلى إعادة إنتاج التراث الشفوي للدعوة الطيبية، استعمل إدريس جملة من المصادر غير الإسماعيلية في وضع "العيون"، والعديد منها لم يعد موجوداً. من بين المصادر الإسماعيلية التي استعملها إدريس، يمكن ذكر كتابات القاضي النعمان (توفي عام ٣٦٣/٩٧٤)، وسيرة الداعي المؤيد في الدين الشيرازي (توفي عام ٤٧٠/١٠٧٨)، الذي يعتبر الأب الروحي للدعوة اليمنية، وسيَر إسماعيلية أخرى، بما في ذلك "سيرة الإمام المهدي" وسيرة ابن حوشب منصور اليمن"، اللتين لا يعرف مؤلفهما واللتان لم يتم العثور عليهما. كما اعتمد على مجموعة متنوعة من المصادر غير الإسماعيلية اليمنية وغير اليمنية، مثل تاريخ ابن الزولاق (توفي عام ٣٨٦/٩٩٦)، وتاريخ القاضي محمد بن سلامة القضاعي (توفي عام ٤٥٤/١٠٦٢)، وتاريخ عُمارة اليمني (توفي عام ٥٦٩/١١٧٤) وبعض هذه الأعمال لم يبق بشكل مباشر. وكان من المتاح للإدريسي الوصول إلى عدد كبير من الوثائق، مثل المراسيم، والرسائل، والسجلات أو غير ذلك من المواد الأرشيفية الفاطمية التي لم تعد موجودة بشكل كامل لكنها تلقي الضوء على أوجه هامة للدعوة الإسماعيلية في اليمن والعلاقات بين الفاطميين والصليحيين. كل هذا يجعل من "عيون الأخبار" مرجعاً قيماً حول التاريخ الإسماعيلي خلال العصور الوسطى.

جدير بالملاحظة هنا أن عرض إدريس لأصول الإسماعيلية الطيبية يتعارض مع رواية الاسماعليين الحافظيين، والإسماعيليين المستعليين الآخرين الذين اعترفوا بالخلفاء

الفاطميين المتأخرين كأئمة لهم، بعد الأمير (توفي عام ٥٢٤/١١٣٠)، لكنهم لم يستمروا بعد انهيار الدولة الفاطمية عام (٥٦٧/١١٧١). والشيء ذاته ينطبق على رواية المؤلف للانشقاق بين المستعلين والنزاريين في الإسماعيلية والذي يعكس النظرة الرسمية للإسماعيليين الطيبيين، وهم المجموعة المستعلية الوحيدة التي بقيت في اليمن وفي أماكن أخرى — وهي نظرة ترفضها العقيدة الإسماعيلية النزارية فيما يتعلق بالنزاع على خلافة الخليفة الإمام الفاطمي المستنصر. والنزاريون، كما هو معروف، يؤمنون بحق نزار (توفي عام ٤٨٨/١٠٩٥)، ابن المستنصر الأكبر والذي كان قد عين وريثاً قبل وفاة والده لكنه نُحيّ بالقوة لصالح أخيه الأصغر غير الشقيق المستعلي (توفي عام ٤٩٥/١١٠١) من قبل الوزير الفاطمي القوي الأفضل.

كتاب إدريس التاريخي الثاني، "نزهة الأفكار"، والمكون من مجلدين غير منشورين يعالج التاريخ الإسماعيلي في اليمن، وخصوصاً فترة ما بعد أفول السلالة الصليحية، حتى عام ٨٥٣/١٤٤٩. ويمكن أن يعتبر هذا الكتاب أهم مصدر لتاريخ الدعوة الطيبية في اليمن لفترة ثلاثة قرون بعد الصليحيين، الذين انتهت هيمنتهم فعلياً في عام (٥٣٢/١١٣٨) عند وفاة السيدة المليكة أروى، وهي إضافة إلى أنها كانت ملكة الصليحيين، فقد عينها الإمام المستنصر في أعلى المراتب في منظمة الدعوة الفاطمية وهي مرتبة الحجة. وهنا يهتم المؤلف بشكل خاص بالدعوة الطيبية في الهند والعلاقات بين البوهرة الطيبيين هناك وإخوانهم في الدين في اليمن. كتاب إدريس الثالث، "روضة الأخبار" هو استمرار للعمل السابق الذي يضمنه المؤلف أحداث عصره من عام (٨٥٤/١٤٥٠) إلى عام (٨٧٠/١٤٦٥). يعتبر "الروضة" مصدراً هاماً لتاريخ الطاهريين، الذين حكموا اليمن بعد الرسوليين، لأن إدريس كان متحالفاً معهم. كما أنه مصدر هام حول سيرة إدريس نفسه

كزعيم للدعوة الإسماعيلية الطيبية في اليمن. لقد قام محمد بن علي الأكوع الحوالي الحميري بتحرير "روضة الأخبار (صنعاء، ١٩٩٠). الداعي إدريس كان شاعراً أيضاً ويحتوي ديوانه غير المنشور بعض المعلومات التاريخية إضافة إلى مدائح في الأئمة والدعاة الاسماعيليين. يمثل كتابه الأساسي حول العقيدة الإسماعيلية (حرره م. غالب، بيروت، ١٩٩١)، والمقسم إلى ٢١ باباً، أهم إنجاز "للحقائق"، وهو النظام الفكري الباطني الغنوصي للاسماعيليين، وصلت إليه الدعوة الطيبية في اليمن. كما ألف إدريس عدداً من الأعمال السجالية في دحض العقائد السنية والمستعلية والزيدية. لقد وصلت إلينا معظم كتابات إدريس وهي محفوظة في عدد من المجموعات الخاصة والمؤسسية، بما في ذلك تلك الموجودة في مكتبة معهد الدراسات الإسماعيلية والمجموعات الكبيرة في مكتبات الدعوة الطيبية للبوهرة في سورات وبومباي في عهدة الراعي المطلق للطائفة ومقره بومباي منذ عشرينات القرن العشرين.

يعكس النطاق الواسع للمشاريع البحثية التي يضطلع بها ويشجعها معهد الدراسات الإسماعيلية التعددية في الإسلام وكذلك تنوع التفسيرات داخل المذهب الشيعي، بما في ذلك ليس فقط الإسماعيلية بفروعها المختلفة بل الشيعة الاثنا عشرية والزيدية أيضاً. انطلاقا من هذه الروح الأكاديمية، وبغية تحقيق المزيد من التقدم في الدراسات الشيعية والإسماعيلية، نقدم هنا النص الكامل لكتاب إدريس عماد الدين، "عيون الأخبار" في سلسلة النصوص والترجمات الإسماعيلية. وفي هذا الصدد، أود أن أعبر عن عميق امتناننا للمعهد الفرنسي للشرق الأدنى في دمشق، وخصوصاً لمديره العلمي البروفيسور فلوريال سناغوستان ومنسقته الأكاديمية السيدة سراب أتاسي خطاب، لتعاونهما معنا في هذا المشروع الذي أطلق في عام ٢٠٠٣.

أود أن أشكر المحققين المختلفين لهذا النص الهام، وبشكل خاص أحمد شليلات، محمود فاخوري، يوسف فطوم، مأمون الصاغرجي، وأيمن فؤاد سيد، الذين أعدوا الطبعات النقدية من المجلدات السبعة من "عيون الأخبار" وبعناية فائقة هنا. ولابد لنا من أن نقول أننا مدينون لعدنان درويش وسامر ف. طرابلسي لجهودهما في المراحل الأولى لهذا المشروع التعاوني بين معهد الدراسات الإسماعيلية، من جهة، والمعهد الفرنسي للشرق الأدنى في دمشق وعدد من الباحثين السوريين. من جهة أخرى قام زميلنا في معهد الدراسات الإسماعيلية د. نادر البزري، بدور منسق المشروع، موزعاً المهام بمهارة واقتدار في مشروع معقد كهذا، والذي ما كان ليتحقق لولا جهوده التي لم يعتريها الكلل. وأخيراً، أود أن أشكر ويندي روبينسون وجوليا كولب من موظفي معهدنا لإسهاماتهم المختلفة في إكمال هذا المشروع.

آب ٢٠٠٦

فرهاد دفتري
المدير المشارك
معهد الدراسات الإسماعيلية

مؤلف الكتاب[١]

عمادُ الدين إدريس بن الحسن بن عبد الله بن علي بن الوليد الأَنْف، الداعي المُطْلَق التاسع عشر في سلسلةِ الدُّعاة الطَّيِّبِيِّين في دَوْرِ السَّتْر الثاني الذي أعقب وفاةَ الإمام الآمر بأحكام الله، واستتار ابنه الإمام الطَّيِّب بن الآمر، ويرجع نَسَبُه إلى أُسرةِ الوليد القُرَشي التي قادت الدعوة الطَّيِّبِيَّة في اليمن لأكثرَ من ثلاثة قرون[٢]. لم تردْ له ترجمةٌ في كتب التراجم المعروفة، ولكن الداعي الهندي قُطْب الدين سليمان جي بُرْهانْبوري المتوفّى سنة ١٢٤١ هـ/١٨٢٦ م أوردَ له في كتابه «مُنْتَزَع الأخبار في أخبار الدُّعاة الأخيار» ترجمةً اعتمادًا على مؤلَّفيه «نُزْهة الأفكار» و«رَوْضة الأخبار» . ولم يذكر بُرْهانْبوري تاريخ ميلاد الداعي إدريس، ولكن

---

(١) التعريف بالمؤلف ومصنفاته، مقتبس من مقدمة د. أيمن فؤاد سيد للجزء السابع من عيون الأخبار.

(٢) راجع ترجمته ومؤلفاته عند: قطب الدين برهانبوري: منتزَع الأخبار في أخبار الدعاة الأخيار ١٦٦-١٧٥؛ المجدوع: فهرسة الكتب والرسائل ٧٣-٧٧، ١٥٠-١٥١؛ W. Ivavow, *Ismaili Literature* pp. 77-82; C. Brockelmann, *GAL* SII, 239, 250 مصطفى غالب: أعلام الإسماعيلية، بيروت — دار اليقظة العربية ١٩٦٤، ١٣٧-١٣٩؛ أيمن فؤاد: مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي ١٨٠-١٨٣؛ الزركلي: الأعلام (الطبعة الرابعة) ١/٢٧٩؛ كحالة: معجم المؤلفين ٢/٢١٦؛ علي حسني الخربوطلي: عماد الدين إدريس الداعي والمؤرخ الفاطمي (٧٩٤-٨٧٢ هـ) مع دراسة للدعوة والمكتبة الفاطمية في بلاد اليمن والهند، القاهرة ١٩٧٣؛ I. K. Poonawala, *Biobibliography of Ismaili Literature*, pp. 169-75; id., *EI*[2] art *Idris b. al- Hasan Suppl. p. 407; F. Daftary, The Ismailis: Their History and Doctrines, Cambridge* 1990, pp. 258-59, 290-91.

إسماعيل قُرْبان بوناوالا جعلَه في سنة ٧٩٤ هـ/١٣٩٢ م بقلعة شبام بجبل حَراز باليمن[1]؛ ولا نعرف أيَّ شيءٍ عن حياته قبل أن يتولّى رئاسة الدعوةِ اليمنية خَلَفًا لعمِّه علي بن عبد الله بن علي بن الوليد الداعي المُطْلَق الثامن عشر بوصيةٍ منه عَقِبَ وفاته في الثالث من شهر صفر سنة ٨٣٢ هـ/١٣ نوفمبر سنة ١٤٢٨ م[2].

وتولّىٰ عمادُ الدين إدريس رئاسةَ الدعوةِ الطَّيِّبيَّة في فترةٍ عصيبة شهدَتْ فيها اليمن حروبًا شديدة بين سلاطينها وأئمّتها، كما قاوم فيها عمادُ الدين إدريس – الذي كان يُحالفُ السلاطين الطاهريِّين – أئمّة الزَّيْديَّة في شمال اليمن وافْتَكَّ منهمُ العديدَ من الحصون والقلاع. وفي سنة ٨٤٠ هـ/١٤٣٦ م داهَمَ منطقةَ جبل حَراز وجهاتِها طاعونٌ أَوْدَىٰ بحياةِ العديد من أنصار الدعوةِ منهم عزُّ الدين مَعَدُّ ابن الداعي عبد الله بن علي بن الوليد وعَمُّه محمد بن علي، وكانت وفاةُ معظم هؤلاء في شهر صفر من هذا العام[3]، مما اضْطُرَّ عمادُ الدين إدريس للارتحال إلى شِبَام التي لم يعد منها إلى حَراز – أهمّ معاقل الدعوة الإسماعيلية في اليمن – إلاّ في شعبان سنة ٨٥٣ هـ/نوفمبر سنة ١٤٤٩ م، يقول: «فسُرَّ أهلُ الدعوةِ بوصولي سرورًا، وكانوا كمن غابَ والدُه عنه، ورَجَع بعد السَّفَر البعيد» [4]. وقام عمادُ الدين إدريس بِدَوْرٍ مُهمّ في الاهتمام بدعوةِ الهند، ومَهَّد السبيلَ لتحويلِ مراكز الدعوةِ الإسماعيلية من اليمن إليها[5].

(1) I. K. Poonawala, *EI²* art. *Idris b. al-Hasan* Suppl. p. 407.

(٢) برهانبوري: منتزَع الأخبار ١٦٦.

(٣) برهانبوري: منتزَع الأخبار ١٧٠-١٧٢.

(٤) المصدر نفسه ١٧٢.

(٥) المصدر نفسه ١٧٣-١٧٤.

وعندما أحَسَّ عمادُ الدين إدريس بِدُنوِّ أجَلِه نَصَّ على ولدِه الحسن بن إدريس بدر الدين لِيَخلُفَه في رئاسةِ الدعوة، وعزَّزَه بابنِ عمِّه عبد الله بن عليّ بن الحسن فخرِ الدِّين. وتُوفِّيَ عمادُ الدين إدريس يوم التاسع عشر من ذي القَعدَة سنة ٨٧٢/١٠ يونية سنة ١٤٦٩ م بعد أن تَوَلَّىٰ رئاسة الدعوة اليمنية أكثر من أربعين عامًا[1].

مؤلَّفاته

يُعَدُّ عمادُ الدين إدريس «أكبرَ مؤرِّخٍ للدعوة الإسماعيلية» بالرُّغم من تأخُّرِه الزَّمني، ويرجع السببُ في ذلك إلى وضعِه كداعٍ مُطْلَقٍ للدعوة الطَّيِّبيَّة في اليمن الذي أتاح له الاطِّلاع على التُّراث الإسماعيلي المحفوظ في اليمن، والذي انتقلَ قسمٌ كبيرٌ منه إليها في أواسط القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي أثناء سفارة القاضي لَمَك بن مالك الحَمَّادي، ثم بعد استتار الإمام الطَّيِّب بن الآمر في سنة ٥٢٤ هـ/١١٣٠ م، واحتفظت به مؤسَّسةُ الدعوةِ في اليمن التي تولّى هو رئاستها في عام ٨٣٢ هـ/١٤٢٨م وكَتَب عمادُ الدين إدريس العديد من المؤلفات التاريخية والعقائدية التي اعتمد فيها على هذه المصادر الأصلية التي لم تصِلْ إلينا.

وقد أشار قُطْبُ الدين بُرْهانْبوري إلى مؤلَّفات عماد الدين إدريس التي يمكن أن نقسمَها إلى: مُؤلَّفاتٍ تاريخية تناولَتْ تاريخ الدعوةِ الإسماعيلية عمومًا، وتاريخ اليمن وتاريخ الدعوة الإسماعيلية فيه، حيث يُعَدُّ إدريس خيرَ من يؤرِّخُ له باعتباره من أبناء اليمن؛ ومؤلفاتٍ عقائدية، وفي الردِّ على أهلِ الفِرَقِ الأُخرىٰ.

(١) المصدر نفسه ١٧٥.

كَتَب عمادُ الدين إدريس ثلاثةَ أعمال تاريخية مُركّزة هي:

١- عُيون الأخبار وفنون الآثار في ذكر النبيِّ المصطفى المختار، ووصيِّه عليِّ بن أبي طالب قاتل الكفّار وآلهما الأئمّة الأطهار عليهم صلوات الله العزيز الغفّار.

وهو أهمُّ كتابٍ يُؤرِّخُ للدعوة الإسماعيلية منذُ نشأتها وحتى النصف الثاني من القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي. يقعُ في سبعةِ أجزاء، أطلَقَ المؤلِّفُ على كلِّ جزءٍ منها «سُبع» ، وهو لفظٌ ذو دلالةٍ عند الإسماعيليِّين الذين يُعرَفون أيضًا بـــ «السَّبْعيَّة» نسبةً إلى إمامِهم السابع محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق. وتشتملُ هذه الأسْباع (الأجزاء) على الآتي:

الأول — فضائل الرسول ﷺ وسيرته، وزواج فاطمة وعلي.

الثاني والثالث — سيرة الإمام علي بن أبي طالب ووقائع الجمَل وصِفّين والنَّهْرَوان حتى مقتَله.

الرابع — في ذكر الأئمة من الحسن بن علي بن أبي طالب إلى نِهاية عصر الأئمة المستورين وبداية ظهور المَهْدي عبدِ الله.

الخامس — قيام الدولة الفاطمية في إفريقية وذكر الأئمة الثلاثة الأُوَل: المَهْدي والقائم والمنصور.

السادس — في ذكر الأئمة ابتداءً من المُعزِّ لِدين الله وانتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر، ثم عهود كل من العزيز بالله، والحاكم بأمر الله، والظاهر لإعزاز دين الله، وبداية عهد المستنصِر بالله.

السابع — يتناول بتفاصيلَ غَنيَّة وبالغة القيمة تتمة عَهْد المُستنصِر بالله وقيام الدولة الصُّلَيحيَّة في اليمن، والانشقاق الذي أعقَبَ وفاة المُستنصِر، وعَهْد المُستَعْلي بالله والآمر بأحكام الله، وبداية فترة الدعوة الطَّيِّبيَّة في اليمن، كما يشتمِل على تفاصيلَ مهمةٍ حول مختلف دُعاة اليمن.

ويُظَنُّ أنَّ إدريس بَدَأَ في تأليفه بعد أن انتهى من تأليف كتابه «زَهْر المعاني» سنة ٨٣٨ هـــ/١٤٣٤ م.

ونَظَرًا لأهميَّة هذا الكتاب لتاريخ الدعوةِ الإسماعيلية فإنّ من واجبِ كلِّ طالبٍ في الجامعة السيفيَّة في سُورت بالهند نسْخَ نُسْخَة من هذا الكتاب مطابقة تمامًا للنسخةِ الخطِّيَّة الأصليَّة، يقوم بمراجعتها وتصحيحها أساتذةُ الجامِعة، وتَحتفِظُ مكتبةُ الجامعة بجميع هذه النُّسَخ.

[نَشَرَ منه مصطفى غالب الأجزاء: الرابع والخامس والسادس، صدر الرابع عن دار التراث الفاطمي في بيروت سنة ١٩٧٣، والخامس والسادس عن دار الأندلس في بيروت ١٩٧٥، ١٩٧٨م.

ونَشَرَ فرحات الدَّشْراوي قِسْمًا من الجزء الخامس بعنوان: تاريخ الدولة الفاطمية بالمغرب (المَهْدي — القائم — المنصور — ثورة أبي يزيد)، تونس ١٩٧٩ م.

ثم نَشَرَ محمد اليَعْلاوي الجزأين الخامس والسادس بعنوان: تاريخ الخلفاء الفاطميِّين بالمغرب — القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار، بيروت — دار الغرب الإسلامي ١٩٨٥م].

٢- نُزْهة الأفكار ورَوْضة الأخبار في ذكرِ مَنْ قامَ باليمن من الملوك الكبار والدُّعاة الأخيار.

وهو الكتاب الوحيد الذي يُبيِّنُ بصورةٍ واضحةٍ تاريخ الدعوةِ الإسماعيلية في اليمن مُتَّصِلاً من أيام منصور اليمن ابن حَوْشَب حتى أيّام المؤلف، وعلى الأخصّ منذ سقوط الدولة الصُّلَيحيَّة سنة ٥٣٢ هـ/١١٣٨ م وحتى سنة ٨٥٣ هـ/١٤٤٩ م، ويُعْطي المؤلِّف أهميَّةً خاصةً للدعوة الإسماعيلية في الهند، والعلاقات بين الطائفتين الإسماعيليَّتَيْن في اليمن والهند.

ويَقَعُ الكتابُ في جُزأين: يتناولُ الجزءُ الأولُ الدَّعوةَ في اليمن من وقتِ مَنْصور اليمن وحتى تعيين الذُّؤَيْب بن موسى الوادعي كأوَّل داعٍ مطلق في دَوْر السَّتْر. ويلي ذلك تراجمُ مختصرة أشبه ما تكون بمذكَّرات في شكل تراجم لعدد من الدُّعاة المتعاقِبين مع بعض ملاحظات عن معاصريهم البارزين، وينتهي بذكر الداعي المُطْلَق السابع عشر عبد الله بن علي بن محمد بن حاتم وهو جَدُّ المؤلِّف. أما الجزء الثاني فقد خَصَّصَه كليَّةً لذكرِ بقية سيرة الداعي السابع عشر، وسيرة الداعي الثامن عشر أسلاف المؤلِّف المباشرين.

[نسخة في مجلدَين بالمكتبة المحمدية الهمدانية؛ نسخة في مكتبة الجامع الكبير بصنعاء كُتبت في القرن الثالث عشر الهجري في ١٧٨ ق (مصورة في دار الكتب المصرية رقم ٢٢٥٣ ميكروفلم)؛ ويقوم بتحقيق الكتاب الآن وإعداده للنشر سامر طرابلسي بالجامعة الأمريكية ببيروت].

٣- رَوْضة الأَخْبار ونُزْهة الأسْمار في حَوادث اليمن الكبار والحُصون والأمصار.

وهو كالذيل على كتاب «نُزْهة الأفكار» حيث يبدأ بحوادث سنة ٨٥٤ هـ/ ١٤٥٠ م ويستمر في ذكر الحوادث حتى سنة ٨٧٠ هـ/١٤٦٦ م. وهو مصدرٌ هامٌّ لتاريخ الدولة الظاهريَّة التي خلَفَتِ الدولةَ الرَّسوليَّة في حكم اليمن، لأنّ

إدريسَ كان حليفًا لهم. والكتاب كذلك مصدرٌ هامٌّ لتاريخ حياة إدريس، والدور الذي قام به كرئيس للدَّعوة الطَّيِّبيَّة في بلاد اليمن.

[منه نسخة وحيدة كتبت سنة ٩١٩ هـ/١٥٨٣ م محفوظة في مكتبة جامعة ليدن برقم ١٩٧٢ نشرَها في عام ١٩٩٥ محمد بن علي الأكْوَع الحوالي، وصدرَتْ في صنعاء عن الهيئة العامَّة اليمنية للكتاب].

ولاحظَ حُسين الهَمْداني — أوَّل مَنْ نبَّه إلى أهميَّة مؤلَّفات عماد الدين إدريس التاريخية واعتمدَ عليها — بحَقّ أنَّ كتاباته لا تخلو في بعض الأحيان من المحاباة والتحيُّز، ومن الحُبّ المفرط والكراهية الشديدة، مما يترتَّب عليه أحيانًا طَمْسُ الحقيقة، وتحريف الوقائع، وحَذْف بعض الحوادث، الأمر الذي يبدو من مقارنته بالمصادر التاريخيَّة الأخرى[1]. ورغم ذلك فإن المؤلِّف لا يُمَيِّزُ بوضوح بين المصادر الإسماعيلية والمصادر الأُخرىٰ المعادية لها، ولا يُحدِّدُها.

أمّا بقيَّةُ مؤلَّفاته التي ذكرَها قُطْبُ الدين بُرْهانْبوري فهي:

٤- زَهْرُ المعاني في توحيد المبدع الحق سبحانه، ومعرفة الكمالين الأول والثاني وحصول عالم الجسم وارتقائه إلى العالم الروحاني في الحقائق.

[نشرَهُ مصطفى غالب وصدر في بيروت عن المؤسّسة الجامعية للدراسات والنشر سنة ١٩٩١ م].

٥- رسالةُ البيان لما وجَبَ معرفة الصلاة في نصف شهر رجَب الأَصَبّ.

«بيَّن فيه تأويل الأشهر الثلاثة رجَب وشَعْبان ورَمَضان، ومعنى صلاة أُم داود [فاطمة بنت عبد الله] ومعنى الصِّيام، وكَشَفَ فيها من الحقائق والعلوم الدقائق ما

(١) حسين الهمداني: الصُّلَيْحيُّون والحركة الفاطمية في اليمن ٥.

لم ينكشف من قبله» [١]. وهو يُؤَوِّل في هذه الرسالة صلاةً قامَ الإمام جعفرُ الصادق بتعليمها لفاطمة بنت عبد الله وتتألّف من ثماني ركعات مع مجموعةٍ من آياتٍ وأدعيةٍ تُقرَأُ بعدَ أداء الصلاة.

٦- رسالةٌ في الرَّدّ على الزِّنْديق المُسَمَّىٰ بالجَمَل وتُعرف أيضًا بـ **الرسالة الموسومة بمُوَضِّحَة التَّلْبيس وداحِضَةِ التَّدْليس في الردِّ على بعض المُعَطِّلين المُسمَّى بالجَمَل.**

وهو شخصٌ غيرُ معروف، وَصَفَه بُرْهانْبوري بأنه من جملة المتمرِّدين الذين يَطْعنونَ على الإسلام والمسلمين، أثبت فيها جميع ما جاء من القرآن والشَّرْع الشريف من البيان والحُجَج القاطعة والبراهين اللامعة وبَيَّنَ فيها فَضْلَ الإسلام والمسلمين[٢].

٧- الرِّسالة الموسومة بِمُدْحِضَة البُهْتان ومُوَضِّحةِ الحَقِّ في صَوْم شهرِ رَمضان.

صنَّفها لما خرجَتْ فرقةٌ من المارقين من أهل الهند، ولحقوا بزمرةِ الشياطين، واحتجُّوا في الصِّيام برؤيةِ الهلال، وأمر بها إلى جزيرة الهند.

٨- رسالة في الرَّدِّ على عالم من علماء الزَّيْديَّة وهَدْم ما بناه في كتابه من المحال.

٩- رسالة زُبْدَة السَّرائر وتُعرف أيضًا بـ **ضياء البَصائر وزُبْدَة السَّرائر.**

(٢) برهانبوري: منتَزَع الأخبار ١٦٧-١٦٨.

(١) برهانبوري: مُنتَزَع الأخبار ١٦٧-١٦٨.

١٠- إيضاحُ الإعلام وإبانَةُ الحُجَّةِ في كمالِ عِدَّة الصِّيام في أن الصيام بالحساب لا بالرُّؤية، وأنّ شهرَهُ ثلاثون يومًا لا ينقصُ من عِدَّته أبدًا.

ومصدَرُه الرئيسي فيه هو «المجالس المؤيدية» .

١١- ديوان شِعْر.

وصَفَه بُرْهانْبوري بأنه عظيم الشأن واضح البيان فيه رُموزٌ وإشاراتٌ ولُمَحٌ وتلويحات[١].

أما مؤلَّفاته التي لم يذكرْها بُرْهانْبوري فهي:

١٢- هداية الطالبين وإقامة الحُجَّة في إيضاح الحَقِّ المُبين في جواب المارقين من أهل الهند.

١٣- رسالةٌ في هلال الصَّوْم.

١٤- تأويلُ أمثالِ القرآن.

* * *

(١) برهانبوري: مُنتَزَع الأخبار ١٦٩.

مضمون السبع الأول

يشتملُ هذا السبع الأول على فضائل الرسول ﷺ وسيرته، وغزواته، ودور علي رضي الله عنه في هذه الحقبة إلى حين وفاة الرسول ﷺ.

المخطوطات المعتمدة في السبع الأول

اعتمد الأستاذ أحمد شليلات في تحقيق هذا السبع الأول على المخطوطات التالية:

المخطوطة الأولى: مكتبة معهد الدراسات الإسماعيلية — لندن — ذات الرقم (٥٦١)، وهي تقع في (٢٥٣) ورقة. منسوخة بتاريخ ١٣٣٨ هـ/١٩١٩ م. رمز إليها في الحواشي بحرف (آ).

المخطوطة الثانية: مخطوطة مكتبة معهد الدراسات الإسماعيلية — لندن — ذات الرقم (٢٢٤)، وهي تقع في (٢٢٨) ورقة. وتاريخ نسخها مجهول. ورمز إليها في الحواشي بحرف (ب).

* * *

وجه الورقة الأولى من نسخة (أ)

ظهر الورقة الأخيرة من النسخة (أ)

وبه نستعين في كل حين الحمد لله رب العالمين خالق
الناس اجمعين الذي رفع السما وسطح الارضين بلا ظهير
ولا معين فاهل المعجزات بالماء المعين واصطفى رسوله محمدا
خير المرسلين الدعاة الوساعة من الثواب في الجنات
النعيم والمبشرين والمنذرين واجتبى من ارتضاه من النبيين
واختارهم للارشاد لكافة العباد والثقلين واشهد ان
لا اله الا الله وحده لا شريك له اختار انبيآه واوليآه للارشاد
والهدى وانقذ بهم عباده من الهلاك والردى ثم انتجب
منهم من جعله على جميعهم بما فضله به منفردا معروفا سيما
في التورية والانجيل احمد محمدا بعثه والناس في
ضلالهم سدى وفي شركهم وجهالتهم شعاعا به دا
يعبدون الاوثان من دون الرحمن ويعمهون في معالم
الكفر والطغيان ويدينون لغير خالق الانس والجان
ويعصون الله سبحانه ويطيعون الشيطان فهدى
الله تع

ظهر الورقة الأولى من النسخة (ب)

واقسم الغني دون الناس كلهم ويلذ وده جعار ابيتهم هذا
وقال ايضا يبكيه شعر اليت لي جميع الناس
البتر بغير افناد تالله ما حملت انثى ولا وضعت مثل النبي
نبي الامة الهادي ولا برى الله خلقا من بريته اوفى بذمة
جار او بميعاد من ذا الذي كان فينا يستضاء به مبارك
الامر ذا عدل وارشاد امسى نساوك عطلن البيوت فما
يضربن فوق قفا ستر باوتاد مثل الرواهب يلبسن المباذل
ايقن بالبوس بعد النعمة البادي يا افضل الناس اني كنت في نهر
اصبحت منه كمثل المفرد الصادي تم السبع الاول من كتاب
عيون الاخبار في سيرة النبي المختار ووصيه والائمة
من اهل الاطهار عليهم صلوات العزيز الغفار
بعون الملك الجبار ووليه صاحب
الاثار تمت النسخة المباركة في عصر
داعي ولي الله وخليفته في ارضه سلام
الله عليه سيدنا ومولانا ابي محمد طاهر
سيف الدين دام في اليوم الثالث
من شهر صفر المظفر ١٣٤٩
عليه رضا ...
...

ظهر الورقة الأخيرة من النسخة (ب)

السبع الأول من [١و]

عُيون الأخبار

تأليف سَيّدنا ومولانا إدريس بن حسن

السّاكن في اليمن، قدّس الله رُوحه، وغمر بالبَركات سَوْحه،

بحقِ سيِدنا محمّد وآله ذوي المنَن -صلوات الله عليهم.

بسم الله الرّحمن الرّحيم

وبه أستعين(١)

[طليعة الكتاب]

الحَمْدُ لِلّهِ رَبّ العالَمين، خالق النّاس أجمعين، الّذي رفع السّماء، وسطح الأرضين بلا ظهير ولا معين، وأهمل المعصرات بالماء المعين. واصْطَفى رسوله محمّداً سيّد(٢) الْمُرْسَلين الدُّعاة إلى ما أَعَدَّهُ مِنَ الثّواب في الجنّات <النّعيم،>(٣) والمبشّرين والمنذرين لمن عَصى الله بالعِقاب والمحذّرين. واجتبى مَنْ ارْتَضاهُ مِنَ النّبيِّين، واختارهم للإرشاد لكافّة العباد والتّبيين.

---

(١) "ب" + "نستعين في كلٍ حين".

(٢) "ب": "خير".

(٣) زيادة من "ب".

وأَشْهَدُ أن لا إله إلاَّ الله واحداً أحداً، اختَارَ أَنْبياءَهُ وأولياءَه للإرْشاد والْهُدى، وأنقذ بهم عِباده من الْهلاك والرَّدى، ثُمَّ انْتَجَبَ منهم مَنْ جعله على جميعهم بما فضَّله به مُنفرداً، وسمَّاه في التَّوراة والإنْجيل محمَّداً وأحمداً، بعثه والنَّاس في ضلالهم سُدًى، وفي شِرْكِهم وجاهِليَّتِهم(١) شَعَاعاً بَدَدا، يَعْبُدُونَ الأَوْثان [١/ظ] من دون الرَّحمن، ويَهِيْمُون في مَهامِه الكُفْر والطُّغيان، ويدينون لغير خالق الإنْس والجان، ويعصون الله سبحانه، ويطيعون الشَّيطان. [٢] فهدى الله –تعالى– به إلى خير/ السُّبل، وابْتَعَثَهُ –جل وعلا– على حين فترة من الرُّسل، ودَعا به إلى أفضل الشَّرائع والْمِلَل، وأرْشَدَ به مَنْ مَالَ عن طريق الآخرة وضَلَّ.

وأَشْهَدُ أنَّ محمَّداً رسول الله الَّذي أَقامَ به خير الأَدْيان، وَأَنْزَلَ عليه آيات الفُرْقان، وأرسله ليهتدي به الثَّقلان، وخاطبهم على لِسانه –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آله– بقوله –تعالى–: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ فَانفُذُوا لاَ تَنفُذُونَ إِلاَّ بِسُلْطَانٍ﴾[الرَّحمن: ٣٣].

وأَشْهَدُ أنَّه رسول الله الَّذي أرسله هادِياً ومُبَشِّراً ونَذِيراً، وداعياً إلى الله بإذْنِه، وسِراجاً مُنيراً، –صلَّى الله عليه– من نَبيٍّ دمَّرَ اللهُ به الكفر(٢) تَدْميراً، وآتاه على جميع أنبيائه فضلاً كثيراً،(٣) وأورث مُتَّبعيه جنَّات وحَرِيراً، يفجِّرون فيها أَنْهار الخيرات والنَّعيم تَفْجيراً. وأَصْلَى مُعانِديه وجاحِديه سَعِيراً.

(١) "ب": وجهالتهم".

(٢) "ب": "الكفَّار".

(٣) "ب": "كبيراً".

وجَعَلَ وصيّه عليّ بن أبي طالِب له مُعيناً، ونَصيراً، وشَريكاً، [٢/و] إلاَّ في النُّبوَّة، ووزيراً وأخاً كهارون مِنْ مُوسى، وظَهيراً. وأنزل فيه مع الرَّسُول وفي بعلته وابنيهما: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[الأحزاب: الآية ٣٣]. وأوضح الله فضله على لِسان رسوله، وجعله شهيراً، وأنزل فيه: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾[الإنسان: الآية ٨]. صلَّى الله عليه من وَصِيٍّ جاهد الكُفَّار والْمُنافقين، وأَتَمَّ الله بولايته النِّعْمة، وأكمل الدِّين.

وجَعَلَ ذرِّيته الَّذين فيهم الإمامة إلى يوم القيامة هم الباقين، واختارهم على عِلْمٍ على العالمين، وعلى ولديه الطَّاهرين وفَرْقَدَيْه الزَّاهِرَيْن: أبي محمَّد الحسن وأبي عبد الله الحسين؛ سِبْطَيْ من أوحى الله <تعالى>(١) إليه، فقال –سبحانه–: ﴿لاَ تَتَّخِذُواْ إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ﴾[النحل: الآية ٥١].

وعلى الأئمَّة الأَطْهار من ذرِّيَّة الحسين بن عليّ، الَّذين جَعَلَ الله منهم في كلِّ زمان مَنْ هو صَفِيٌّ ووليٌّ اختاره الله في أوانه لأُمَّة جدّه يَلِي، فجدَّدوا من شريعة جدِّهم ما بَلِي، وأورثوا(٢) / مَوْلُوداً عن والد مقام الإمامة العَلِيّ، [٣] فمنهم من أظهر الله نُور بُرهانه الجليّ، ومنهم من احْتَجَبَ احْتِجاب [٢/ظ] الشَّمس في اللَّيل الدَّيجوريّ، صابراً على ما ابْتُلِي.

وعَلى وارث مقامهم الطَّاهر، وخليفتهم الباقية كلمة الإمامة في عقبه إلى اليوم الآخر، فمن نجله صاحبُ العَصْر والزَّمان، ووليّ أهل الدِّين والإِيْمان،

(١) زيادة من "ب".

(٢) "ب": "وأورثنا".

والنَّجاة لِمُتَّبِعيه من العذاب والأمان، فعليهم <أفضل>(١) الصَّلاة والسَّلام ما أظلم لَيْل داج، وطلع نجم وهَّاج، وَزُيِّنت السَّماء بالنُّجوم والأَبْراج، وأضاءت الشَّمس، وسطعت أنوارها في الأرض ذات الفِجاج.

[في الوصيّة والإمامة]

أَمَّا بَعْدُ؛ فإنَّ الله –تعالى وجلَّ كبرياؤه– لَمَّا بَعَثَ أنبياءَه المرسلين، وأقام بهم دِينه في الأوَّلين، لم يكن في حكمته وعدله ورحمته وفضله أن يجعل لأنبيائه أَوْصياء وخُلَفاء وهُداة من بعدهم؛ من أنبياء وأولياء لهم الله اختار واصطفى، ويُخلِي أُمَّة محمَّد –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– ممَّن يهديهم، ويخلفه بعد أن قبضه الله إليه –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– فيهم، مع كون الله –تعالى– قد ختم بنبوَّته النُّبوَّات، وجعله آخر رُسله الهادين إلى النَّجاة، فإنَّ الأُمَّة، بعد انقطاع النُّبوَّة، إلى الخلفاء الهادين أحوج، وإلى من يُعَرِّفهم سواء الطَّريق، والاستقامة على الشَّريعة <الْمُطَهَّرة>(٢) [٣/و] والمنهج، ولم يكن ذلك إلى الأُمَّة فتختار، ولا جُعِلَ لهم في دِين الله إيراد ولا إصدار.

والإمامة هي أصل الدِّين الَّذي به يقوم، وبأئمَّة الحقِّ تصحّ الطَّاعة لله الحيّ القيُّوم. ولم يكن في الإمكان أن تجتمع الأُمَّة على امرئ واحد، ولا عُرِفَ ذلك في خَبَر، ولا أثر وارد، وأنَّى ومِنْ أَيْنَ؟ وقد وَقَعَ الاخْتِلاف بينها والتَّضاد، وافترقت الصَّحابة بعد نبيِّها، وتَقارَعَتْ بالسُّيوف الْحِداد!

(١) زيادة من "ب".

(٢) زيادة من "ب".

وقد قال النَّبيُّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– وأتى عنه في صحيح الآثار(١):

"اخْتَلَفَتْ أُمَّةُ أخي مُوسى إحدى وسبعين فِرْقَة؛ منها فرقة ناجية، والباقون في النَّار. واختلفت أُمَّة أخي عِيْسَى اثنتين وسبعين فِرْقَة؛ منها فِرْقَة ناجية، والباقون في النَّار. وستختلف أُمَّتي ثلاثًا وسبعين فِرْقَة؛ منها فِرْقَة ناجية، والباقون في النَّار".

/ولو أنَّهم اتَّبعوا نبيّهم –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– ما اختلفوا، ولو أطاعوه في مَنْ نصبه لهم ما عدلوا عن الحقِّ ولا صدفوا. [٤]

وحاشاه –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– أن يقول(٢): "لَيْسَ يَنْبَغِي لمسلم أنْ يَبِيتَ لَيْلَتَيْنِ، إلاَّ وَوَصِيَّتُهُ [مَكْتُوبَةً](٣) عند رأسه".

ويترك الأُمَّة فوضى مُهملين، ولا [٣/ظ] يُوصي إلى من يَقوم بأمرهم، ويُقيمه عِلْماً لأَهْلِ الدِّين! ثُمَّ حاشا وصيّه وأئمَّة الحقّ مِنْ بعده أن يتركوا الأُمَّة سُدى، ويمضوا ولم يُقيموا لِهداية الخلق أحداً!

ولَمَّا كانت الوصاية قد جرت من النَّبيّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آله– إلى أمير المؤمنين عليّ، ومنه إلى وليّ بعد وليّ، بما ظهرت به النُّصوص وعُرِفَ، وإنْ جَحَدَهُ كثير من العموم والخصوص، وكان أكثر الأُمَّة قد أنكروا ذلك بَغْياً

(١) انظر: المقنعة ٦٦٦، النهاية ٦٠٤، المهذب ١٠٣/٢، تذكرة الفقهاء ٤٥٣/٢، السرائر ١٨٢/٣، روضة الواعظين ٤٨٢، مكارم الأخلاق ٣٦٢، غنية النزوع ٣٠٥، العمدة لابن البطريق ٧٤.

(٢) انظر: دعائم الإسلام ٣٤٥/٢.

(٣) زيادة من دعائم الإسلام.

وعُتُوّاً، وكانوا كما قال -تعالى-: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً﴾ [النمل: الآية ١٤].

وقد ورد عن العُلماء الأخْيار والهُداة الأبْرار في ذلك من التّأْليف والتّصْنيف، ما يكثر عدّه، ولا يستطيع إحصاءَهُ من شُهِرَ بالعلم وإن عظم جهده.

[خطة الكتاب]

رأيتُ أنْ أجري في ميدانهم جري الظّالع الحَسِيْر، وأبلغ الجهد، وأنا مُعْترفٌ بالتّقْصير. وأُؤلّف هذا الكتاب، وأبتدئُ فيه بمختصرٍ من سيرة الرّسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ-، وأقفو ذلك بذكر الوصيّ -عليه السّلام-، وما ابْتُلِي به بعد الرّسول، وصبره حتّى فاء الله بالأَمْرِ[1] إليه، وجهاده [٤/و] النّاكثين والقاسِطين والْمَارِقين.

ونأتي على الاقتصار بنُبَذ من أخْبَارِ أئمَّة الهُدى مِنْ آله المُهتدين بهَدْيِهِ، والجارِين على مِنْواله، ومَنْ ظَهَرَ منهم بأَمْرِ الله، ومَنْ اسْتَتَرَ، ومَنْ شَهَرَ سيفه، ومَنْ لزم كَهْفَ التَّقيّة، وعلى ما ابْتُلِي وصبر، ومَنْ نازعهم وعارضهم من الْمُتَشَيِّعين، وفارقهم وخرج عن دعوتهم، بمختصرٍ من القول، لم أسلك فيه سبيل التّطويل، وخير القول ما قَلَّ ودَلَّ.

[٥] /وحسبي الله ونِعْمَ الوكيل، ومِنْهُ سبحانه أستمدُّ المعونة والتّوفيق،

(١) "ب": "بأمره".

والهِداية إلى سواء الطّريق، ومن أنوار بركات أوليائه أقتبس، وبهم أَرُوم الإرشاد إلى سبيل السّداد وألتمس.

ووسمتُ هذا الكتاب: بـ**"عُيون الأَخْبار وصَحيح الآثار" في ذكر سيرة النّبيّ الْمُخْتار ووصيّه عليّ بن أبي طالِب قاتِل الكُفّار، وآلهما الأطهار -عليهم صلوات العزيز الغفّار**.

وإن كانت قد وردت السِّير بأخبار سيِّد البشر، ووصيّه المُرتضى المُكنّى عنه بـ"حَيْدر". فإنِّي أردتُ أن أتبرَّكَ بذكرهم، ولا أُخْلي كتابي هذا أن أفتقه [٤/ظ] بطيب نَشْرهم.

وأذكر في ابتدائه فضل آباء النَّبيّ المختار، وما نزَّههم الله به عن ما رماهم به أهل الجهل من كونهم على نهج الكفّار! -نعوذ بالله من الجهل المُرْدي-، وتناول أهل الفضل بالثّلْبِ والبغي عليهم والتّعدّي.

ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم، ومنه أستمدُّ التّوفيق والتّسديد، بفضل نبيِّه محمَّد وآله الطّاهرين من أبنائه -عليهم الصّلاة والتّسليم-، وأسأله أن يجعل أَجْرِي على ما قصدتهُ مَوْفُوراً، وسَعْيي فيما يرضيه ويزلف إليه وإلى أوليائه مشكوراً، فإنّي جعلتُ ذلك خالصاً لوجهه الكريم، لا أُريد به جزاءً من أحدٍ من خلقه ولا شكوراً.

* * *

ذكر شيء من فضل آباء النّبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ من إسماعيل

وما آتاهم الله من الفضل الجليل، وما خصَّهم الله به من الطَّهارة، وما ورد في ذلك من النَّصِّ والإشارة.

نقول بعون الله -تعالى-: إنّه قد عرف ذلك الخاص والعام، وأجمع جميع فِرَق الإسلام، على صحّة الرِّواية عن النَّبيّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- في قوله[1]:

"نُقِلْتُ أنَا وأنْتَ يا عَلِيّ بن أبي طالب مِنْ كِرَامِ الأَصْلاَبِ إِلَى مُطَهَّرَاتِ الأَرْحَامِ".

وقد قال الله -تعالى-: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[الحجرات: ١٣].

[٥/و] وقال النَّبيُّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ-: "الْكَرَمُ: التَّقْوَى"[2].

وقال الله -تعالى-: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾[التوبة: ٢٨].

[٦] /فصحَّ بشهادة النَّبيّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- لآبائه بالكرم؛ كونهم

(١) انظر: طبقات ابن سعد ٦١/١، تفسير فرات الكوفي ٢٠، فضائل الطّالبيين ١٣٠، لباب الأنساب ٣١٩/١، بشارة المصطفى ٣٦٠.

(٢) انظر: التواضع والخمول ١٥٣، وتمام الحديث: ""الْكَرَمُ التَّقْوَى، والشَّرَفُ التَّواضُع، واليَقِينُ الغِنَى".

على التَّقوى والطَّهارة، ونزاهتهم عن الشِّرْك بما أبانه الرَّسول - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آله- بواضح العِبارة، فمن نسب إليهم الشِّرْك وقد سمع قول النَّبيّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- فقد جاء بإِثْمٍ عظيمٍ وافْتَرَى، واسْتَحَقَّ إنْ لم يُطَهِّرْ نفسه بالتَّوبة العذاب في الدَّار الأُخرى.

وقد قال الله -تعالى- على لسان نبيّه <إبْراهيم -عليه السّلام-:>[1] ﴿رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ﴾[إبراهيم: ٣٧].

فَدَلَّ ذلك على أنَّ دعوة نبيّ الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آله- وخليله غير مردودة، فإنَّ البيت الحرام لم يخل ممَّن يكون فيه من ذرِّيَّة الخليل مُسْتَحِقّاً للفضل الجليل، وإنْ كانوا بين عُبَّاد الأصنام ممَّن يكتم إيمانه كمؤمن آل فِرعون، مع ما ظهر لهم من الخِصال المحمودة، والآثار الصَّالحة الَّتي هي عند غيرهم مفقودة. وكفى لهم فخراً بكونهم ممَّن انتقل فيهم نُور النُّبوَّة، [٥/ظ] وخُصُّوا بولادة خاتم الرُّسُل الطَّاهر الأصل والأُبوَّة - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آبائه الطَّاهرين.

وإنَّ إبْراهيم الخليل لَمَّا أَوْصَى إلى ابنيه إسْماعيل وإسْحاق -عليهما السّلام-، أسكن إسْحاق وذرِّيَّته في البيت المقدَّس، وأَسْكَنَ إسْماعيل وآله في بيت الله الحرام المخصوص بزَمْزَم والمقام، والبيت الحرام هو قِبْلَة إبْراهيم التي صلَّى إليها، وأذن بالحجِّ نحوها، ودَلَّ من اتَّبعه عليها.

(١) زيادة من "ب".

وكفى بهذا إيضاحاً، وبُرْهاناً، ودليلاً، وتبْياناً على ما اختصُّوا به من عظيم المقام، وجعل لهم من فضل الله -تعالى- والإنْعام، وإن كان قد خالطهم أهل الشِّرْك من عُبَّاد الأصنام، واعتزى بالنَّسَبِ إلى إبْراهيم -عليه السّلام.

وكان من الجاهليَّة الجهلاء الذين هم أضلّ من الأنعام، ومن مُشْركي قُرَيْش، ومن غيرهم من العرب، فقد يصحب المؤمن الكافر، والبرّ الفاجر. وقد قال الله -تعالى- في كتابه الكريم في صفة مُؤمن عَنَّف مَنْ كانَ مِنَ الأصحاب، فقال: ﴿أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ﴾[الكهف: ٣٧].

وجعل مُوسى وعِيْسَى وغيرهما من الأنبياء -عليهم السَّلام-، من ورثة [٦/و] إسْحاق، واختَصَّ إسْماعِيل الذَّبيح -عليه السَّلام- بكون النَّبيّ محمَّد - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- من ذرِّيَّته الأكرمين، وصفوته من أبنائه الميامين.

[٧] /وكان إسْماعيل وصيّ إبْراهيم وولده الأكبر. قال الله -تعالى- في كتابه الكريم: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾[مريم: ٥٤-٥٥] هم أولاده الذين استقاموا على ملّة الخليل، وانتقل الفضل منهم في واحد بعد واحد، حتَّى انتهى إلى محمَّد الرَّسول - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ.

وكان أولاد إسْماعيل -عليه السّلام- اثني عشر؛ أفضلهم قَيْذار بن إسْماعيل، وأُمّهم [رَعْلَة][١] بنت مُضاض بن عَمْرو الجُرْهُميّ.

ويُقال: إنَّ إسْماعيل لَمَّا مات دُفِنَ بالحِجْرِ في مكَّة مع أُمّه هاجَر، وقد

(١) زيادة من طبقات ابن سعد ١/٥١.

كبر ابنه قَيْذار، وولد قَيْذار حملاً، وكان الفضل في قَيْذار ظاهراً، ووافق ابن عمّه يَعْقوب بن إسْحاق بن إبْراهيم -عليه السّلام-، فرأى فيه يعقوب نُور النُّبوَّة، وبشَّره يعقوب أنَّ النَّبيّ محمَّداً - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- يكون من عقبه، وأنَّ تباشير نُوره تظهر في أسرَّة وجهه.

[٦/ظ] ولم يزل الفضل ينتقل في أولاد إسْماعِيل الذين ولدوا النَّبيّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- خلاف غيرهم مِمَّن تشعَّب من ولد إسْماعِيل، بل كان محمَّد - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- من ذرِّيَّته، وله الفضل الْمُبين على إخوته، والشَّرف المعروف الْمُسْتَبين.

[ذكر أصول قبائل عرب الْحِجاز إلى عَدْنان]

حتَّى انتهى ذلك إلى عَدْنان، وكان في زمان النَّبيّ مُوسى بن عِمْران - عليه السَّلام-، وقصّته معروفة، وله فضل عظيم. وكان قد وافق شُعَيْبًا ومُوسى والخضر -عليهم السّلام- ومنه كان مَعَدٌّ وعَكّ، وكان مَعَدٌّ الأفضل.

وفي عَكّ يقول العبَّاس بن مِرْداس السُّلَميّ[١]:

وَعَكُّ بْنُ عَدْنَانَ الَّذِيْنَ تَلاعَبُوا ... بِغَسَّانَ حَتَّى طُرِّدُوا كُلَّ مَطْرَدِ

وذلك أن عَكّاً تزوَّج في الأَشْعَرِيِّين وانتسب فيهم، وليس <من>[٢] مُرادنا ذكرهم فنستقصيهم، وإنَّما ذكرنا آباء النَّبيّ المصطفى - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ.

(١) انظر: ديوانه ٦٢.
(٢) زيادة من "ب".

[٨] /فولد مَعَدٌّ أربعة نفر: نِزار بن مَعَدّ وهو سيِّدهم، وقُضَاعة وقُنُص وإيَاد. فتَيامَنَ أولاد قُضاعة، وانتسبوا إلى حِمْيَر ولهم قصَّة ليس هذا موضع ذكرها.

وأولاد نِزار: مُضَر وكان سيِّد أولاده، ورَبِيْعَة، وأنْمار.

[٧/و] وأولاد نِزار يُسَمَّوْن: مُضَر "الحمراء"، ورَبِيْعَة يُسَمَّون: "رَبيعة الفَرَس"، وأنْمَار يُسَمَّون: "أنْمَار الْحِمار". وذلك أنّه يُقال: إنَّ نزارًا أوصى لِمُضَر بالقباب الحمر والإبل، وأوصى لرَبيعة بالفرَس، ولأَنْمار بالحِمار.

ولم يزل الشَّرف مُتَّصِلاً، والخير مُنْتَقِلاً في ولد مُضَر من آباء النَّبيِّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آله–، حتَّى انتهى ذلك إلى نَضْر وهو المُسمَّى: بــ"قُرَيْش"، وإليه تُنْسب قُرَيْش.

وقيل: إنَّ اسمهم اشتقّ من قَرَشَ؛ يَقْرُشُ: وهو الْكَسْب والْجَمْع.

وقيل: القِرْشُ: حيوان في البحر يأكل ما صغر من الحوت ويجمعها إلى جوفه. قال القائل(١):

وَقُرَيْشٌ هِيَ الَّتِي تَسْكُنُ الْبَحْـ ـرَ بِها سُمِّيَتْ قُرَيْشٌ قُرَيْشَا
تَأْكُلُ الْغَثَّ والسَّمِيْنَ، وَلاَ تَتْـ ـرُكُ فِيْهِ لِذِي جَنَاحَيْنِ رِيْشَا

(١) جاء في "أ" و "ب":

وَقُرَيْشٌ فِي الْبَحْرِ قَدْ يأكل الْحُـ ـوت به سُمِّيَتْ قُرَيْشٌ قُرَيْشا
يَقْرُشُ الْغَثَّ والسَّمِيْنَ، وَلاَ يَتْـ ـرُكُ مِنْهُمْ لذي جَنَاحَيْن ريشا

ولعلّه تصحيف من النُّسَّاخ، وأثبت ما جاءت به معظم المصادر، والشَّاعر هو الْمُشَمْرِجُ بن عَمْرو الْحِمْيَرِيّ، انظر: معجم الشعراء ٥٠٤، أخبار الدولة العبَّاسيَّة ٧٣، المعجم الكبير للطبراني ١٠/٢٤٠، ربيع الأبرار ٤/٤٣٨.

وإنَّما اشْتُقَّ اسم قُرَيْش من ذلك لكونهم يغلبون غيرهم من قبائل العرب ويستولون عليهم.

[قريش واللِّسان العربي: رأي للفارابي]

قال أبو نصر الفارابي في أوَّل "كتاب الألفاظ والحروف"(١):

"كانت قُرَيْش أجود العرب انتقاداً للألفاظ، وأسهلها على اللِّسان [٧/ظ] عند النُّطْق، وأحسنها مسموعاً، وأثبتها إبانة عمَّا في النَّفْس، والَّذين عنهم نُقِلَت العربيَّة، وبهم اقْتُدِي، وعنهم أُخِذَ اللِّسان العربي من بين قبائل العرب هم: قَيْس وتَميم وأَسَد. فإنَّ هؤلاء هم الَّذين عنهم أُخِذَ(٢) معظمه، [٩] /وعليهم اتُّكِلَ في العربيَّة والإعْراب والتَّصْريف. ثُمَّ هُذَيْل وبعض كِنَانَة، وبعض الطَّائِيِّين، ولم يُؤْخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم.

وبالجملة فإنَّه لم يُسْتَمْلَ عن حضري، قطّ، ولا مِمَّن سكن البراري والأطراف؛ من بلادهم التي تُجاور سائر الأُمم الَّذين حولهم. فإنَّه لم يُؤْخذ من لَخْم ولا من جُذَام؛ فإنَّ هؤلاء كانوا مُجاورين لأهل مُضَر. ولا من قُضاعة، ولا من غَسَّان، ولا من إيَاد؛ فإنَّ هؤلاء كانوا مُجاورين لأهل الشَّام ومُخالطين لهم، وكان أكثرهم نَصارى يقرؤون في صلواتهم بغير العربيَّة. ولا

(١) انظر: كتاب الحروف ١٤٧، (وقد تبيَّن لي بعد مقارنة ما ورد –هنا– نقلاً عن الفارابي مع المطبوع من "كتاب الحروف" أن هناك نقصاً قد اعترى النص المطبوع والمتداول من "كتاب الحروف". وهذا يؤكد جملة الشكوك حول كمال النَّص الذي بين أيدينا والتي لفت إليها أستاذي محسن مهدي –عافاه الله– في مقدمة تحقيقه لكتاب الحروف).

(٢) "ب"+ "أكثر ما أخذوا".

من تَغْلِب والنَّمِرِ لأنَّهم كانوا مُجاورين لليونانييِّن بالجزيرة، وكانوا نَصارى. ولا من بَكْر لأنَّهم [٨/و] كانوا مُجاورين للفُرْسِ والنَّبَط ومُخالطين لهم. ولا من عَبْد القَيْس لأنَّهم كانوا سُكَّان البَحْرين مُخالطين للفُرْسِ والهند. ولا من أهل اليَمَن أصلاً لُمخالطتهم للهند والحَبَشَة، ولولادة الحَبَشَة فيهم، ثُمَّ لُمخالطتهم للفُرْسِ. ولا من بني حَنِيْفَة وسُكَّان اليَمامَة، ولا من ثَقِيْف و<لا>[1] سُكَّان الطَّائف لُمخالطتهم تُجَّار الأُمم. ولا من حاضرة الْحِجاز لأنَّ الَّذين نقلوا اللُّغة صادفوهم حين ابتدؤوا ينقلون لغة العرب قد خالطوا غيرهم من الأُمم وفسدت ألسنتهم.

والَّذي نقل اللُّغة واللِّسان العربي عن هؤلاء وأثبتها في كتاب، وصيَّرها عِلْماً وصِناعةً هم أهل الكُوفة والبَصْرة، فقط، من بين سائر أمصار العرب. وكانت صنائع هؤلاء الَّتي[2] يتعيَّشون بها: الصَّيْد، والرِّعاية، واللُّصوصيَّة. وكانوا أقواهم نُفوساً، وأقساهم قُلوباً، وأشدّهم خُبْثاً، وأمنعهم جانباً، وأشدّهم جمعاً، وأحبّهم أن لا يُغْلَبوا، وأعسرهم انْقِياداً للملوك، وأجْفاهم أَخْلاقاً، وأقلّهم احْتِمالاً [٨/ظ] للضَّيْم والذِّلَّة". هذا قول الفارابي.

رجع القول: [ذكر قُصَيّ بن كِلاب]

ثُمَّ انتهى من النَّضْرِ نسب <آباء>[3] رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– في واحد من واحد، وماجد عن ماجد إلى قُصَيّ بن كِلاب.

(١) زيادة من "ب".

(٢) "آ": "الَّذين". وما أثبت فهو من "ب".

(٣) زيادة من "ب".

ومات أبوه كِلاب بن مُرَّة وهو طفل صغير وأخوه زُهْرَة أكبر منه، وأُمّهما فاطِمَة بنت سَعْد بن سَيَل.

/فقدم رَبِيعة بن حَرَام بن عُذْرَة بن سَعْد بن زَيْد بن مَناة من قُضاعة إلى مكَّة بعد هلاك[1] كِلاب بن مُرَّة، فتزوَّج فاطِمَة والدة زُهْرَة وقُصَيّ ابني كِلاب، ومضى بها رَبِيْعَة إلى قومه بني عُذْرَة، ومضت معها بِقُصَيٍّ [وكان فَطِيْماً،][2] وخلفت زُهْرَة مع قومه وهو رَجُلٌ. [١٠]

وكان اسْمُ قُصَيٍّ: زَيْداً؛ فَسَمَّتْهُ أُمُّهُ: قُصَيّاً لما أُقْصِيَ عن داره. إلى أن شبَّ قُصَيّ في حِجْرِ رَبِيْعَة، فكره المقام دون مكَّة، وأحبَّ أن يلحق بها، وخرج مع حُجَّاج قُضاعة، فلمَّا صارَ بمكَّة أقام بها، ونشأ على الشَّرف والسُّؤْدُد، ومكارم الأخلاق.

وكان رَجُلاً جميلاً، جَلْداً، نَهْداً، عاقلاً، وَقوراً، عَفيفاً، كريماً، لما قد فضَّله الله به بأُبوَّة رسوله، وجعل النُّبوَّة [٩/و] في ذُرِّيَّته، فأكمل له خِصال الخير والشَّرف.

وفي بني قُصَيّ يقول الْحَارِث بن ظالم[3]:

إِذَا فَارَقْتُ ثَعْلَبَةَ بْـنَ سَـعْدٍ وَإِخْوَتَهُمْ نُسِبْتُ إِلَـى لُـؤَيِّ
إِلَى نَسَبٍ كَرِيْمٍ غَيْـرِ وَغْـلٍ وَحَيٍّ هُمْ أَكَارِمُ كُـلِّ حَـيِّ

(١) "ب": "موت".

(٢) زيادة من المناقب والمثالب [ورقة ٥/ظ].

(٣) الأبيات في: أنساب الأشراف ٤٩/١، العقد الفريد ١٤٩/٥، المناقب والمثالب [ورقة ٥/ظ-٦/و].

فَإِنْ يُعْصَبْ بِهِمْ نَسَبِي فَمِنْهُمْ ... قَرَابِيْنُ الإِلَـــهِ بَنُـــو قُصَـــيٍّ

فـ[ـقِيْلَ:](١) جعلهم قَرَابِيْن يُتَقَرَّبُ إِلَى اللهِ بهم، لأنَّهم قَطِيْنُ البَيْت، وأهل السِّقَايَة، والرِّفادَة، والسِّيادَة، وَالرِّيَاسَة، وَاللِّوَاء.

وكانوا على إِرْثٍ مِنْ دِيْن أَبَوَيْهم إِبْرَاهِيْم وَإِسْمَاعيل -عَلَيْهِمَا السَّلَامُ- مِنْ: قِرَى الضَّيْف، ورفد الحاجِّ والمعتمر، وتعظيم الحَرَمِ ومنعه من الظُّلْمِ والإِلْحَادِ فيه، وَقَمْعِ الظَّالم وَمَنْعِ المظلوم.

[شعر رِزاح في نُصْرته قُصَيّاً]

وَعَظُمَ أَمْرُ قُصَيٍّ بِمَكَّةَ وساد مَنْ بها، وَأَلْقَتْ إليه مَقَاليدها. وحاربَ خُزَاعَة وبني بَكْرٍ، وَثَبَتَتْ معه قُضَاعَة وأعانه أخوه لأُمِّه رِزَاح بن رَبِيْعَة بقومه مِنْ قُضَاعَة. وكان قد دعا قُرَيْشاً لِحَرْب [١١] /خُزَاعَة، فخافتها وتثاقلتْ عليه، فاستنصر بأَخيه رِزَاح وجاءه في قومه وَمَنْ أَطاعه مِنْ قُضَاعَة، وَفي ذلك يَقُولُ رِزَاحٌ(٢):

وَلَمَّا أَتَى مِنْ قُصَـــيٍّ رَسُـــولٌ ... فَقَالَ الرَّسُولُ أَجِيْبُوا الْخَلِـــيْلا
[٩/ظ] نَهَضْنَا إِلَيْهِ / نَقُـــودُ الْجِيَـــادَ ... وَنَطْرَحُ عَنَّـــا العَبَـــاءَ الثَّقِـــيْلا
نَسِيرُ بِها الليلَ حتى الصَّـــباحِ ... وَنَكْمِي النَّهَارَ لَـــئِلاَّ نَـــزُولا
فَهُنَّ سِـــرَاعٌ كَـــوِرْدِ الْقَطَـــا ... يُجِبْنَ بنا مِنْ قُصَـــيٍّ رَسُـــولا
فَلَمَّا مَـــرَرْنَ عَلَـــى عَسْـــجَدٍ ... وَأَسْهَلْنَ مِنْ مُسْتَنَاخٍ سَـــبِيْلا

(١) زيادة من المناقب والمثالب [ورقة ٥/ظ-٦/و].

(٢) انظر: السيرة النبوية ١/١٢٦-١٢٨، الشعراء الجاهليون الأوائل ٢٩٠-٢٩١.

جَمَعْنَا مِنَ السِّرِّ مِنْ أَشْـــمَذَيْنِ ... وَمِنْ كُلِّ حَيٍّ جَمَعْنَـــا قَبِـــيْلا
فَيَالَـــكِ حَلْبَـــةَ مَـــا لَيْلَـــةٍ ... تَزِيدُ عَلَى الأَلْفِ سَيْباً رَسِـــيْلا
وَجاوَزْنَ بِالرُّكْنِ مِنْ وَرِقَـــانٍ ... وَجاوَزْنَ بِالعَرْجِ حَيّاً حُلُـــوْلا
مَرَرْنَ عَلَى الْحِلِّ مَـــا ذُقْنَـــهُ ... وَعالَجْنَ مَنْ مَرَّ لَيْلاً طَـــوِيْلا
نُدَنِّي مِـــنَ الْعُـــوْذِ أَفْلاءَهَـــا ... إِرَادَةَ أَنْ يَسْـــتَرِقْنَ الصَّـــهِيْلا
فَلَمَّـــا انْتَهَيْنَـــا إِلَـــى مَكَّـــةٍ ... أَبَحْنا الرِّجَـــالَ قَبِـــيْلا قَبِـــيْلا
نُعاوِرُهُمْ ثَمَّ حَـــدَّ السُّـــيُوفِ ... وَفِي كُلِّ أَوْبٍ خَلَسْنَا الْعُقُولا
نُخَبِّـــزُهُمْ بِصِـــلابِ النُّسُـــوْ ... رِ خَبْزَ القَوِيِّ الْعَزِيْزِ الـــذَّلِيْلا
قَتَلْنَـــا خُزاعَـــةَ فِـــي دَارِهَـــا ... وَبَكْراً قَتَلْنَا وَجِـــيْلاً فَجِـــيْلا
نَفَيْنَاهُمُ مِـــنْ بِـــلادِ الْمَلِيْـــكِ ... كَمَا لا يَحُلُّونَ أَرْضاً سُـــهُولا
فَأَصْبَحَ سَبْيُهُمُ فِـــي الْحَدِيْـــدِ ... وَمِنْ كُلِّ حَيٍّ شَفَيْنَا الغَلِـــيْلا

فأجابته قُرَيْش حين وافته قُضاعة، وغلب قُصَيٌّ على أمر مكَّة، ونفى خُزاعَة [١٠/و] عن الحرم وكانت قد استخفَّت بحرمته وأحدثت(١) فيه.

[تولّي قُصَيّ أمر مكَّة]

/وولي قُصَيٌّ أَمْرَ مكَّة والحجيج، وكانت له السِّدانَة، والسِّقايَة، ولمَّا [١٢] صار إليه أَمْرُ مكَّة وحضر الحجيج أطعمهم وسقاهم، وأوسعهم نُزُلا وَإِكْراماً.

فقال في ذلك بعضهم:(٢)

(١) "ب": "وأخربت".

(٢) انظر: أنساب الأشراف ١/٥٩، المناقب والمثالب [ورقة ٦/و].

آبَ الْحَجِيْجُ طَاعِمِيْنَ لَحْمَا
أَوْسَعَهُمْ رَفْدُ قُصَيٍّ شَحْمَا
وَلَبَناً مَحْضاً وَخُبْزاً هَشْمَا
يَمْلأُ مِنْ ذَاكَ جِفَاناً رُذْمَا

وكان يُطعم الحجيج الخبز واللّحم.

[ذكر سبب حَرْب قُصَيٍّ لِخُزَاعَة]

وكان سَبب حَرْب قُصَيٍّ لخُزاعَة أَنَّ مفْتاح الكَعْبَة كان بيَد أَبي غُبْشَان الخُزَاعِيِّ، وكان يَلِي البيت، فاجتمع به قُصَيٌّ بالطَّائِف فَاشْتَرَاهُ منه بِزِقِّ خَمْرٍ، وجاء به قومه، فقال: هذا مِفْتاح أبيكم إسْماعيل قد رَدَّهُ اللهُ إليكم من غير ظُلْمٍ ولا غَدْرٍ. وجاءت خُزَاعَة تلوم أخاها. فقال: إنَّمَا رَهَنْتُهُ إِيَّاهُ، وَلَمْ أَبِعْهُ. فجرت بينهم الحرب لذلك.

وفيه يُقال في المَثَل: "أَخْسَرُ صَفْقَةً مِنْ أَبِي غُبْشَانَ".[1] وفي ذلك يقول الشَّاعر:

أَبو غُبْشَانَ أَظْلَمُ مِنْ قُصَيٍّ ... وَأَظْلَمُ مِنْ بَنِي فِهْرٍ خُزَاعَةْ
فَلا تَلْحُوْا قُصَيّاً فِي شِرَاهُ ... وَلُوْمُوْا شَيْخَكُمْ إِذْ كَانَ بَاعَهْ

وكان قُصَيٌّ خطب إلى حُلَيْلِ بن حُبْشِيَّةَ بن سَلُول الخُزَاعِيِّ ابنته حُبَّى بنت حُلَيْل، وكان حُلَيْلُ يَلِي الكعبة وَأَمْرَ مكّة، فعرف حُلَيْل قَدْرَهُ

(١) انظر: أنساب الأشراف ٥٨/١، مجمع الأمثال ٣٨٥/١، سوائر الأمثال ١١٧-١١٨، المستقصى ١٠٠/٢، ثمار القلوب ١٣٥.

وَنَسَبَهُ، فزوَّجه فولدت له: عبد الدَّار، وعبد مَناف، وعبد العُزَّى، وَعَبْداً، بني قُصَيٍّ.

[ذِكْرُ فضل عبد مَناف]

وكان عبد مَناف أفضلهم لما اختَصَّهُ اللهُ به مِنْ أُبُوَّة الرَّسول – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ.

[١٣] /وفي الحَدِيْثِ[1]:

"أَنَّ حَجَراً وُجِدَ في الحِجْرِ مَكْتُوباً عليه: أَنَا المُغِيْرَةُ بن قُصَيٍّ آمُرُ بِتَقْوَى اللهِ وَبِرِّ بالرَّحِمِ".

ولم يكن يَأْمُرُ بِتَقْوَى اللهِ – عَزَّ وَجَلَّ- إلاَّ من يتَّقيه ويُؤمن به. وهذه من الأدلّة على ما ذكرناه لآباء النَّبِيِّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– من الفضل العظيم، والمقام الكريم.

وفي عَبْد مَناف يَقُول ابْنُ الزِّبَعْرَى[2]:

كَانَتْ قُرَيْشٌ بَيْضَةً فَتَفَلَّقَتْ ... فَالْمُحُّ خَالِصُهُ لِعَبْدِ مَنَافِ
الرَّائِشُوْنَ وَلَيْسَ يُوْجَدُ رَائِشٌ ... وَالقَائِلُوْنَ: هَلُمَّ لِلأَضْيَافِ
هَبِلَتْكَ أُمُّكَ لَوْ حَلَلْتَ بِدَارِهِم ... ضَمِنُوكَ مِنْ جُوعٍ وَمِنْ إِقْرَافِ

<وقال مطرود الخُزَاعِي>[3]:

(١) انظر: أنساب الأشراف ٦٠/١.
(٢) انظر: ديوانه ٥٣.
(٣) الأبيات في: أنساب الأشراف ٦٨/١، السيرة النبوية ١٧٨/١، أمالي المرتضى ٢٦٨/٢، وتنسب لعبد الله بن الزِّبَعْرَى، انظر: مجموع شعره ٥٤.

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمُحَوِّلُ رَحْلَـهُ ... هَلاَّ حَلَلْتَ بِآلِ عَبْـدِ مَنَـافِ

الآخِذُونَ الْعَهْدَ فِـي أَفَاقِهَـا ... وَالرَّاحِلُونَ لِرِحْلَةِ الإِيْلافِ>(1)

سُنَّتْ إِلَيْهِ الرِّحْلَتَانِ كِلاهُمَـا ... رِحَلُ الشِّتَاءِ وَرِحْلَةُ الأَصْيَافِ

ومنها <في هاشم بن عبد مَناف، وكان يُدْعَى: عَمْراً>(2):(3)

عَمْرُو الَّذِي هَشَمَ الثَّرِيْدَ لِقَوْمِهِ ... وَرِجَالُ مَكَّةَ مُسْنِتُونَ عِجَـافُ

[١١/و] وبنو عبد مَناف يُسَمَّوْن: "المُتَطَيِّبين". وذلك أنَّها كانت فيهم الرِّئاسة، فأرادوا أن يأخذوا اللِّواء والحِجابة من بني عبد الدَّار، فخالف بنو عَبْد الدَّار بني سَهْم ليمنعوهم من عَبْد مَناف.

وأخذت أُمُّ حَكِيْمٍ البَيْضَاءُ بنت عبد الْمُطَّلب بن هاشم جَفْنَةً فَمَلأَتْها خَلُوْقاً، ووضعتها في الحِجْرِ، وقالت: مَنْ تَطَيَّبَ به فهو منَّا. فَتَطَيَّبَ: بنو عبد مَناف، وبنو أَسَد، وَزُهْرَة، وبنو تَيْم، وبنو الحَارِث، فَسُمُّوا: "المُتَطَيِّبِيْنَ".

[١٤] /فلمَّا رأى ذلك بنو سَهْمٍ نَحَروا جَزُوْراً، فقالوا: مَنْ لَعِقَ مِنْ دَمِهِ فهو منَّا. ففعل ذلك: بنو سَهْمٍ، وبنو عَدِيٍّ، وبنو عبد الدَّار، وبنو جُمَحٍ، وبنو مَخْزُومٍ، فَسُمُّوا: "الأَحْلافَ". ثُمَّ لم يكن بينهم شيء.

وفي ذلك قال الفَضْلُ بْنُ عَبَّاسٍ اللَّهَبِيّ(4):

---

(١) زيادة من "ب".

(٢) زيادة من "ب".

(٣) انظر: ديوانه ٥٣ [البيت الأول]، السيرة النبوية ١/١٣٦.

(٤) انظر: ديوانه ١٦.

وَسَمَّيْنَا الأَطَايِبَ مِنْ قُـرَيْشٍ ... عَلَى كَرَمٍ فَلاطَ بِنَـا وَطَابَـا

وَأَيُّ الْخَيْرِ لَمْ نَسْـبِقْ إِلَيْـهِ ... وَلَمْ نَفْتَحْ بِـهِ لِلنَّـاسِ بَابَـا

وفي عَبْد مَناف يقول الشَّاعرُ(1):

مَا وَلَدَتْ وَالِدَةٌ مِـنْ وَلَـدِ ... أَكْرَمَ مِنْ عَبْدِ مَنَـافٍ حَسَـبَا

[١١/ظ] وأعطى قُصَيّ عبد مَناف السِّقاية والرِّفادة ودار النَّدْوة، وكان قُصَيٌّ قد اتَّخذ دار النَّدْوَة وجعل بابها إلى البيت. وقطَّع مكَّة أرباعاً بين قُرَيْش، وسمي قُصَيٌّ مُجَمِّعاً لما جمَّع <الله به>(2) قُرَيْش، وفيه يقول الشَّاعرُ(3):

أَبُوكُمْ قُصَيٌّ كَانَ يُدْعَى مُجَمِّعاً ... بِهِ جَمَّعَ اللهُ الْقَبَائِلَ مِـنْ فِهْـرِ

قال مُحَمَّدُ بن جُبَيْر بن مُطْعِم بن عَدِيٍّ بن نَوْفَل بن عبد مَناف(4):

"وكان قُصَيُّ بن كِلاب أَوَّل مِنْ أصاب مُلْكاً مِنْ ولد كَعْب بن لُؤَيٍّ". مع ما كان له من الفخر، وانتقل الفضل إلى عَبْد مَناف بن قُصَيّ فصار له، -والله يُؤْتِي فضله من يشاء- ونقل الله النُّبوَّة إلى صلبه، وجعلها في عقبه.

[ذِكْرُ مَنَاقِب هَاشِم بن عَبْد مَنَاف]

[١٥] /وصار أمر عبد مَنَاف وما أتاه الله من الفضل إلى ولده هَاشِم بن عَبْد

---

(١) انظر: العقد الفريد ٥/٤٨٥، الإقناع للصاحب بن عباد ٤٣، القسطاط في علم العروض ٩٩، الوافي للخطيب التبريزي ١٠٧. وهو غير منسوب في المصادر المذكورة.

(٢) زيادة من "ب".

(٣) البيت لحذيفة بن غانم العدوي وهو في: طبقات ابن سعد ١/٧١، أنساب الأشراف ١/٥٨، السيرة النبوية ١/١٢٦، تاريخ الطبري ٢/٢٦٥.

(٤) انظر: طبقات ابن سعد ١/٧٠.

مَناف، واسمه: عَمْرو، وقيل له: "عَمْرُو العُلَى". لشرفه، وَسُمِّيَ هَاشِماً لأَنَّه أوَّل مَنْ هَشَمَ الخُبْزَ وَثَرَده وأطعمه، فَسُمِّيَ لذلك هَاشماً.

وآتاه الله الشَّرف والفضل لقربه من النَّبيّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَعَلَى آلِه–، الذي هو خير العرب والعجم وسيِّد [١٢/و] ولد آدم.

[حديث: "إنَّ الله – عَزَّ وجلَّ– خَلَقَ الخَلْقَ قِسْمَيْن"]

وقد رُوِيَ(١): "أنَّ النَّبيَّ – صَلَّى الله عليه وعلى الأئمّة من ولده– أمر بلال بن حمامة أن يُؤذِّن لصلاة الظُّهر –يوماً– قبل دخول الوقت، وذلك في شهر رجب لثلاث عشرة ليلة مضين منه، ففعل ذلك بلال، فراع النَّاس، وقالوا: قد حدث أمر. واجتمعوا في المسجد، فأقبل رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَعَلَى آلِه– يمشي إلى المسجد حتَّى انتهى إلى باب الشَّاميِّين وهو [باب](٢) من أبواب المسجد، فأخذ بعضَادَتَيْ باب المسجد– وفي المسجد مكانٌ يُسَمَّى السُّدَّة– ثُمَّ قال: "هَلْ تَسْمَعُونَ يَا أَهْلَ السُّدَّة؟" فَقَالُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا يا رسول الله. فقال: "هَلْ تُبَلِّغُونَ؟" قالوا: ضَمِنَّا يا رسول الله. فقال رسول الله – صَلَّى الله عَلَيْه وعَلَى آله–: "إنَّ اللهَ – عَزَّ وَجَلَّ– خَلَقَ الخَلْقَ قِسْمَيْنِ، فجعلني فِي خيرهما قسْماً، وَذلك قَوْلُهُ – عَزَّ وَجَلَّ–:﴿وَأَصْحَابُ اليَمِيْنِ مَا أَصْحَابُ اليَمِيْنِ﴾[الواقعة: ٢٧] ﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ﴾[الواقعة: ٤١]. فأنا مِنْ أصحاب اليمين؛ وأنا خير أَصْحَابِ اليَمِيْنِ(٣).

(١) انظر: المناقب والمثالب [ورقة ٧/ظ–٨/و].

(٢) زيادة من المناقب والمثالب.

(٣) "آ" و "ب": "والباقون من أصحاب الشِّمال". وما أثبت فهو من المناقب والمثالب.

وَجَعَلَ القِسْمَيْنِ أَثْلاثاً، فجعلني مِنْ خيرها [ثُلْثاً،](١) وَذلك قوله – عَزَّ وَجَلَّ–:﴿فَأَصْحَابُ المَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ المَيْمَنَةِ] ۞ وَأَصْحَابُ المَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ المَشْأَمَةِ ۞ [١٢/ظ]وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ۞ أُوْلَئِكَ المُقَرَّبُونَ﴾[الواقعة: ٨–١١]. فأنا مِنَ السَّابِقِيْنَ، وأنا خير السَّابقين. ثُمَّ جعل الأثلاث قبائل، فأنا مِنْ خيرها قَبِيْلَةً، وذلك قوله – عَزَّ وَجَلَّ–: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ / [١٦] ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾[الحجرات: ١٣]. فقبيلتي خير القبائل، وأتقاهم لله –تعالى–، وَأَنَا سَيِّدُ ولد آدَم، ولا فخر. ثُمَّ جعل القبائل بُيوتاً، فجعلني في خيرها بيتاً، وَذلك قوله – عَزَّ وَجَلَّ–: ﴿إِنَّمَا يُرِيْدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيْراً﴾[الأحزاب: ٣٣].

ألا (٢) وإنَّ الله اختارني في ثلاثة مِنْ أهل بيتي وأنا سَيِّدُ الثَّلاثة وأتقاهم لله، ولا فخر؛ اخْتَارَنِي مِنْ بَيْنِ عَلِيٍّ وَحَمْزَة وَجَعْفَرٍ، وَكُنَّا رُقُوداً بالأَبْطح ليس مِنَّا إلا مُسَجَّى بثوبه على وجهه، عَلِيٌّ عَنْ يميني، وَجَعْفَرٌ عَنْ يساري، وَحَمْزَة عند رِجْلَي، فما أَنْبَهَنِي مِنْ رقدتي غير حَفِيْفِ أجنحة الملائكة، وَبَرْدِ ذراع عَلِيٍّ على صدري، فانتبهتُ مِنْ رقدتي وَجِبْرِيْلُ في ثلاثة أَمْلاكٍ يقول أحدهم: يا جِبْرِيْلُ؛ [١٣/و] إلى أيِّ الأَرْبَعَة بُعِثْتَ؟ فَرَفَسَنِي برِجْله، وقال: إلى هذا. فقال: وَمَنْ هذا؟ فقال: هذا مُحَمَّدٌ سَيِّدُ المرسلين. ثُمَّ أَوْمَأَ إلى عَلِيٍّ، فقال: وهذا وَصِيُّهُ عَلِيّ سَيِّدُ الوَصِيِّيْنَ. وَأَوْمَأَ إلى حَمْزَة، وقال: هذا سَيِّدُ الشُّهَدَاء. وَأَوْمَأَ إلى جَعْفَرٍ، وقال: وهذا الطَّيَّارُ في الجَنَّة يكون له فيها جَنَاحَان

(١) زيادة من المناقب والمثالب.

(٢) انظر: تفسير فرات الكوفي ٣٤٠، شرح الأخبار ١/١٢٠–١٢١.

خَضِيْبَانِ يَطِيْرُ بهما".

فهذا دليل على ما ذكرناه من فضل آباء النَّبِيِّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ–، ولا سيَّما مَنْ قرب <منه>[١] منهم. وأوردنا هذا الحديث في ذكرنا لجدِّه هاشِم بن عَبْد مَناف لكون ذلك بيته الذي هو خير البيوت. وهذا الفضل الذي لا يُجْحَد، والقول الْمُصَدَّق.

نرجع إلى ذكر هاشِم بن عَبْد مَناف:

وولي هاشِم بن عَبْد مناف بعد أبيه ما كان له من السِّقاية والرِّفادة والرِّياسة بمكَّة دون بني أبيه. وكان يقوم خَطِيْباً فِي قُرَيْش في أوَّل يوم مِنْ شهر ذي الحِجَّة، مُسْنِداً ظَهْره إلى باب الكَعْبَة، فيأمر قُرَيْشاً بالمعروف، ويحضّهم على مكارم الأَخْلاق، فيقول في خطبته[٢]:

"مَعْشَرَ قُرَيْشٍ؛ أنتم سادة العرب، [١٣/ظ] وأحسنها وجوهاً، وأعظمها أحلاماً، وَأَوْسَطُ العرب أَنْساباً، وأقرب العرب بالعرب أَرْحَاماً. يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ؛ إنَّكم جيران بَيْتِ اللهِ – عَزَّ وَجَلَّ–، أكرمكم/ اللهُ بولايته، [١٧] واختَصَّكم بجواره دون بني إسْماعيل، وحفظ منكم أحسن ما حفظ جارٌ مِنْ جاره، فأكرموا ضيف الله وَزُوَّار بيته، فإنَّهم يأتونكم شُعْثاً غُبْراً من كلِّ بلد، فَوَرَبِّ هذا البيت؛ لو كان مالي يحمل ذلك كلّه لَكَفَيْتُكموه، ولكنِّي مُخْرِج من طَيِّب مالي وحلاله ما لم يُقطع فيه رَحِم، ولم يُؤخذ بِظُلْمٍ، ولم يدخل فيه

(١) زيادة من "ب".

(٢) انظر: المناقب والمثالب [ورقة ٨/و].

حرام، فَمَنْ شاء منكم أَنْ يفعل مِنْ ذلك ما قدر عليه [وأمكنه،][١] فعل. وأسألكم بِحُرْمَة هذا البيت أَنْ لا يُخْرِج رَجُل منكم مِنْ ماله لكرامة زُوَّار البيت وَمُؤنتهم إلاَّ طيباً، لم يُؤخذ ظُلْما، ولم يُقْطَعْ فيه رَحِم".

وكانت بنو كَعْبِ بن لُؤَيٍّ مجتهدين في ذلك، ويخرجون مِنْ أموالهم، ويأتون به هاشِم بن عَبْد مَناف فيضعه في "دار النَدْوَة"، حَتَّى يأتي الحَجِيْج فيطعمهم ذلك. وكان [١٤/و] يَأْمُرُ بِحِيَاضٍ مِنْ أَدَمٍ فَتُخرج إلى مَوْضِعِ زَمْزَم، فيجعل فيها الماء، فيشرب الحاجُّ منها ويسقون. وكان يطعمهم بمكَّة قبل التَّرْوِيَة، ويوم التَّرْوِيَة بِمِنًى وَعَرَفَة وَبِجَمْعٍ، <يَثْرُدُ لهم الخبز،>[٢] ويطعمهم من اللَّحْم، وَالسَّمْن، وَالسَّوِيْق، وَالتَّمْر، ويسقيهم اللَّبَن، ويهشم لهم الخبز ولذلك سُمِّي: "هاشِماً"، وكان يسمَّى: "القَمَر" [لشرفه][٣] وجَماله.

وفي ذلك يقول مَطْرُود الْخُزاعِي[٤]:

عَمْرُو الَّذِي هَشَمَ الثَّرِيْدَ لِقَوْمِـهِ   وَرِجَالُ مَكَّةَ مُسْنِتُونَ عِجَـافُ

وهو أوَّل من أَمَّنَ سُبُلَ مكَّة، وكانت قُرَيْش تُجَّاراً لا تُجَاوِزُ تجارتهم مكَّة، حَتَّى ركب هاشِم بن عبد مَناف إلى الشَّام، فنزل بِقَيْصَر، وكان يذبح كلَّ يوم شاةً، ويصنع طعاماً ويدعو مَنْ حوله فيأكلون، وهو مِنْ أَحْسَنِ النَّاس

(١) زيادة من المناقب والمثالب

(٢) زيادة من "ب".

(٣) زيادة من المناقب والمثالب.

(٤) انظر: شعر عبد الله بن الزِّبَعْرَى ٥٣ (مع ذكر اختلاف المصادر في نسبتها ما بين مطرود بن كعب الخزاعي وعبد الله بن الزِّبَعْرَى)

خَلْقاً وخُلُقاً. فذكروا أمره وجماله لقَيْصَر، فدعا به، وَخَصَّهُ وَأَدْناه وَحَسُنَتْ مَنْزلته عنده، فقال له هاشم: أَيُّها الملك؛ إنَّ قومي تُجَّار العرب، فإنْ رأيتَ أَنْ تكتب [١٤/ظ] لهم كتاباً تؤمنهم فيأتوك بطرف الحِجَازِ، فافعل.

[١٨] /فكتب له كتاباً بالأمان، وأقبل هاشم بذلك الكتاب، وكلَّما مَرَّ بحَيٍّ مِنْ أحياء العرب على طريق الشَّام، أوقفهم على أنَّ قُرَيْشاً تحمل لهم بضائع، فيكفونهم حملها ويردُّون إليهم رُؤوس أموالهم وربحهم، فذلك الإيْلاف.

وأخذ هاشِم الإيْلاف لمن بينه وبين الشَّام، حَتَّى قَدِمَ مكَّة فأتاهم بأعظم شيءٍ ما أُتوا به قَطُّ بركةً، فخرجوا بتجارةٍ عظيمةٍ، وخرج هاشِم معهم يجوز بهم وَيُوفِّيهم الإيْلاف حتَّى ورد الشَّام، ومات في تلك السَّفرة بِغَزَّة مِنْ أرض الشَّام.

وفي ذلك قال مَطْرُودُ الخُزَاعِيُّ(١):

مَاتَ النَّدَى بِالشَّامِ يَوْمَ ثَوَى بِهِ ... مُؤْدٍ بِغَزَّةَ هَاشِمٌ لا يَبْعَدِ
فَجِفَانُهُ رُذُمٌ لِمَنْ بِفِنَائِهِ ... وَالنَّصْرُ مِنْهُ بِاللِّسَانِ وَبِالْيَدِ

[ذكر فضل عبد المُطَّلب بن هاشم]

وورث عَبْد المُطَّلب أباه هاشماً في فضله وكرمه، وما خص به من شيمه. وعبد المُطَّلب جد النَّبيّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه–، واسمه: "شَيْبَة" الحمد. سُمِّي بذلك لشَيْبَة من شَعْر رأسه ولد وهي فيه. وسُمِّي عَبْد المُطَّلب بهذا الاسم لأنَّ أُمَّه سَلْمَى بِنْتُ عَمْرو بن زَيْد بن لَبِيْد [١٥/و] بن خَدَّاش بن

(١) البيتان في: أنساب الأشراف ١/٧٣، المحبر ١٦٣، عيون الأخبار لابن قتيبة ١/٣٣، المنمق ٤٤، المناقب والمثالب ورقة [٩/و].

عامر بن غَنْم بن عَدِيٍّ بن النَّجَّار، واسم النَّجَّار: تَيْم الله بن ثَعْلَبَة بن عَمْرو بن الخَزْرَج. وكان هاشم تزوَّجها ومضى بها إلى مكَّة، وكان أبوها شرط عليه أنَّها متى حَمَلَتْ أتى بها لِتَلِدَ في دار قومها. فحملت بعبد المُطَّلب في مكَّة، فلمَّا أَثْقَلَتْ أتى بها هاشِم بن عَبْد مَناف إلى يَثْرِب في السَّفْرة الَّتي توجَّه فيها إلى الشَّام، فمات هناك.

وَوَلَدَتْ سَلْمَى عَبْدَ المُطَّلب <بيَثْرِب>(١) وَسَمَّته: "شَيْبَة" للذي ذكرناه، فلمَّا ترعرع كان فيه الكمال <والجمال>(٢) والفضل والسُّؤدد، ومَرَّ به رَجُل مِنْ بني [الحَارِث بن](٣) عَبْد مَناف وهو مع صِبْيَانٍ يتناضلون، فرآه أجملهم وجهاً، وأحسنهم إصابةً، وَكُلَّما رمى فأصاب قال: أنا ابن هاشم؛ أنا ابن سَيِّد البَطْحَاء. فأعجب الرَّجُل ما رأى منه. فلمَّا رجع إلى مكَّة أخبر عمَّه المُطَّلب بن عَبْد مَناف خبره. فأتاه إلى يثرب واحتمله معه حتَّى أتى مكَّة مُرْدِفاً له خلفه على قلوصه، فلَمَّا رآه /النَّاس، قالوا: من أين أقبلتَ؟ قال: [١٩] من يَثْرِب. قالوا: فمن هذا معكَ؟ قال: عَبْد اشتريته. فلَمَّا أتى به محلّه اشترى له حُلَّة، فألبسه [١٥/ظ] إيَّاها، وأتى به نادي بني عَبْد مَناف، فقالوا: مَنْ هذا؟ قال: هو ابن أخيكم هاشم. وأخبرهم خبره، وذكر لهم فضله، فقالوا: هذا الذي قلتَ بالأمس إنَّه عبدك.

فغلب عليه اسم عَبْد المُطَّلب، ومات المُطَّلب بعد ذلك بأرض اليَمَن

(١) زيادة من "ب".
(٢) زيادة من "ب".
(٣) زيادة من المناقب والمثالب ورقة [١٠/و].

بموضع يُقال له: رَدْمَان(١) مِنْ أرض اليَمَن قريباً مِنْ حُجْر(٢).

[مرثيّة مَطْرُود الْخُزاعِيّ لعبد الْمُطَّلب]

وقال مَطْرُود الْخُزاعِيّ يرثيه ويرثي إخوته بني عَبْد مَناف(٣):

يَاعَيْنُ جُودي وَأَذْري الدَّمْعَ وانْهَمِري ... وابْكِي عَلَى السِّرِّ مِنْ كَعْبِ الْمُغِيْراتِ
يَا عَيْنُ واسْحَنْفِرِي بِالدَّمْعِ وَاحْتَفِلِي ... وابْكِي خَبِيْئَةَ نَفْسِي فِي الْمُلِمَّاتِ
وَابْكِي عَلَى كُلِّ فَيَّاضٍ أَخِي ثِقَةٍ ... ضَخْمِ الدَّسِيْعَةِ وَهَّابِ الْجَزِيْلاتِ
مَحْضِ الضَّرِيْبَةِ عَالِي الْهَمِّ مُخْتَلَقٍ ... جَلْدِ النَّحِيْزَةِ نَاءٍ بِالْعَظِيْمَاتِ
صَعْبِ الْبَدِيْهَةِ لا نِكْسٍ وَلا وَكِلٍ ... ماضِي الْعَزِيْمَةِ مِتْلافِ الْكَرِيْمَاتِ
صَقْرٍ توسَّطَ مِنْ كَعْبٍ إذا نُسِبُوا ... بُحْبُوحَةَ الْمَجْدِ وَالشُّمِّ الرَّفِيْعَاتِ
ثُمَّ انْدُبِي الْفَيْضَ وَالْفَيَّاضَ مُطَّلِباً ... واسْتَخْرِطِي بَعْدَ فَيْضَاتٍ بِجَمَّاتِ
أَمْسَى بِرَدْمَانَ عَنَّا الْيَوْمَ مُغْتَرِباً ... يَا لَهْفَ نَفْسِي عَلَيْهِ بَيْنَ أَمْوَاتِ

[مديح حُذَيْفَةُ بْنُ غَانِمٍ لبني عبد الْمُطَّلب]

ونشأ على مكارم الأخلاق، والفضل، والكرم، و [١٦/و] السُّؤْدُدِ، فَسُمِّيَ: "شَيْبَةَ الحَمْدِ".

وفي ذلك يقول حُذَيْفَة بن غَانِمِ بن عَوف بن عُبَيْدِ بن <عَوِيْج>(٤) بن

(١) انظر: معجم البلدان ٢/٧٧٣-٧٧٤.
(٢) انظر: معجم البلدان ٢/٢١٢.
(٣) انظر: السيرة النبوية ١/١٣٩-١٤٠.
(٤) زيادة من "ب".

عَدِيِّ بن كَعْب يَمْدَحُ بني عَبْد الْمُطَّلب(١):

عَلَى شَيْبَةِ الْحَمْدِ الَّذي كَانَ وَجْهُهُ ... يُضِيْءُ ظَلَامَ اللَّيْلِ كَالْقَمَرِ الْبَدْرِ
/كُهُولُهُمُ خَيْرُ الْكُهُوْلِ وَنَسْلُهُمْ ... كَنَسْلِ الْمُلُوْكِ لاَ يَبُورُ وَلاَ يَجْرِي [٢٠]
وَسَاقِي الْحَجِيْجِ ثُمَّ لِلْخَيْرِ هَاشِمٍ ... وَعَبْدِ مَنَاف السَّيِّد الْقَمَرِ الْفِهْرِي
مَتَى تَلْقَ مِنْهُمْ خَارِجاً فِي شَبَابِهِ ... تَجِدْهُ عَلَى إِجْرَاءِ وَالِدِهِ يَجْرِي
هُمُ مَلَؤُوا الْبَطْحَاءَ مَجْداً وَسُؤْدُدًا ... وَهُمْ نَكَّلُوا عَنَّا غُوَاةَ بَنِي بَكْرِ
وَهُمْ يَغْفِرُونَ الذَّنْبَ يُنْقَمُ مِثْلُهُ ... وَهُمْ تَرَكُوا رَأْيَ السَّفَاهَةِ وَالْهُجْرِ
أَخَارِجُ إِمَّا أَهْلَكَنَّ فَلاَ تَزَلْ ... لَهُمْ شَاكِراً حَتَّى تُغَيَّبَ فِي الْقَبْرِ

وَرَوَى جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّد بن عليّ بن الحُسَيْن، [عَن أَبِيْه] -عليه السَّلام-(٢): "إنَّ سبب قول حُذَيْفَة هذه الأبيات أَنَّ رَكْباً مِنْ جُذَام خرجوا صادرين عن الحَجِّ مِنْ مكَّة، ففقدوا رَجُلاً منهم غَالَتْهُ بيوت مكَّة، فتلقَّوْا حُذَيْفَة فأخذوه وربطوه، [ثُمَّ انطلقوا به](٣) فتلقَّاهم عَبْد الْمُطَّلب مُقْبلاً مِنَ الطَّائِفِ، وقد كُفَّ بَصَرُهُ ومعه ابنه أبو لَهَب <يقود به،>(٤) فلمَّا رَآهُ حُذَيْفَة هتف به، فأمر عَبْد الْمُطَّلب [١٦/ظ] أبا لهب، فافتكَّه بعشرين أُوْقِيَّةً مِنْ ذَهَبٍ، وَعَشْرٍ مِنَ الإِبِلِ وَفَرَس".

(١) انظر: أنساب الأشراف ٣/٣٥٥.
(٢) انظر: المناقب والمثالب؟[ورقة ١٠/ظ].
(٣) زيادة من المناقب والمثالب
(٤) زيادة من "ب".

[ذكر خبر أَبْرَهَة الأَشْرَم]

ومن حديث عَبْد الْمُطَّلِب وفضله وشرفه الذي خُصَّ به، وثقته بالله ربّه، أنّه لَمَّا كان ما ذكره أهل السِّيَر؛ من غلبة الحَبَشَة على اليمن، وأتى أَبْرَهَة الأَشْرَم ملك الحَبَشَة في اليمن لخراب بيت الله الحرام، وأتى معه بالفيل، وكان اسم فيله: يَكْسُوم.

فخرج[١] له رَجُل من اليَمَن يُقال له: ذو نَفَر. فدعا قومه إلى جهاده عن بيت الله الحرام ومن أجابه من العرب. وكان ذو نَفَر من أشراف اليَمَن وملوكهم، وعرض لأَبْرَهَة فقاتله أَبْرَهَة وهُزم ذو نَفَر وأصحابه، وأخذ أَبْرَهَة ذا نَفَر أسيراً وسار به.

وعرض له أيضاً نُفَيل بن حَبيب الخَثْعَمِيّ في قَبِيْلَيْ خَثْعَم: شَهْران وناهِس، فهزمهم وأسر نُفَيل وأراد أَبْرَهَة قتله، فقال: لا تقتلني واتركني أدلّكَ على حيث أردت. وسار معه.

[٢١] /فلمَّا دنا <أَبْرَهَة>[٢] بجيوشه نحو الْحَرَم، وقرب من مكّة، ورأت [١٧/و] قُرَيْش أن لا طاقة لها بحربه، خرجت فارّةً، ووقف عَبْد الْمُطَّلِب في الْحَرَم وقال: وَاللهِ لا أَبرحُ عن الْحَرَم أَبْغي العِزَّ في غيره. فجلس في البيت، وأَجْلَتْ قُرَيْشٌ [عنه][٣].

(١) انظر: السيرة النبوية ٤٦/١.

(٢) زيادة من "ب".

(٣) زيدة من السِّيرة النّبويَّة.

فَقالَ عَبْد الْمُطَّلب[١]:

لاَ هَمَّ إنَّ الْمَرْءَ يَمـــــنَعُ حِلَّهُ فَامْنَعْ حِلاَلَكْ

لاَ يَغْلِبَـــنَّ صَلِيْبُهُـــمْ وَمِحَالُهُمْ غَدْواً مِحَالَكْ

أي لا تغلبنّ قوّتهم قُوّتك. و"الْمِحالُ": القُوَّةُ؛ ومنه قول -تعالى-: ﴿شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾[الرّعد: ١٣].

فانصرفت قُرَيْشٌ وَقَدْ عَظُمَ عَبْد الْمُطَّلب عندهم لِما <رأوه>[٢] لزم من حَرَم الله والثّقة به، ولحسن البصيرة في أمره.

ووصل أَصْحَابُ الفِيْلِ إلى مقارب مَكَّة فأصابوا إبلاً لِعَبْد الْمُطَّلب، واتّصل خبره ومقامه بالبيت وَشَرَفُهُ إلى أَبْرَهَة، فأرسل إليه واستحضره، فأعجبه ما رأى من جماله وهيبته وكماله، وأجلسه إلى جانبه، وأقبل إليه وبسطه وحدّثه، وسأله عن حاجة إن كانت له، فقال عَبْد الْمُطَّلب: إنَّ لي إبِلاً لِي أصابها جيشك، فمرهم ليرجعوها لي. فأعرض عنه أَبْرَهَة مَلِيًّا، ثُمَّ قال: قد هنت عندي وسقطت في [١٧/ظ] عَيْني وصغرت مَنْزلتك، سألتني إبلك! ولا تسألني أن أترك هذا البيت الذي جئت لأهدمه، ومحلّه عندك محلّه؟ فقال عَبْد الْمُطَّلب: إنَّما سألتك إبْلي الّتي أملكها، وأمَّا البيت فله ربٌّ سيمنعه منك إنْ شاء.

(١) انظر: السيرة النبوية ٥١/١، أنساب الأشراف ٧٩/١، تاريخ مكّة ١٤٥/١، ٤٢/٢، طبقات ابن سعد ٩٢/١، الأنساب ١/ ٢١٩، المنمّق ٧٦.

(٢) زيادة من "ب".

فَعَظُمَ في عَيْنَيْ أَبْرَهَة ووقع كلامه منه موقعاً عظيماً، وأمر بردِّ إبله. وَصَدَّقَ اللهُ مقالة عَبْد الْمُطَّلب ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبَابِيْلَ ۞ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ﴾[الفيل: ٣-٤]

قيل[1]: وكانت تلك الطَّير أمثال الخَطاطيف والبَلَسان، مع كلِّ طائر منها ثلاثة أحجار يحملها: حَجَر في مِنْقاره، وحَجَران في رِجْلَيْه، أمثال الحمّص والعدس، لا تصيب منهم أحداً إلاّ هلك، وليس كلّهم أصابت، وخرجوا هاربين يبتدرون الطَّريق إلى اليَمَن.

[٢٢] /فقال نُفَيْل حين رأى ما نزل بهم من نقمة الله[2]:

أَيْنَ الْمَفَرُّ والإِلَـٰهُ الطَّالِبُ ... وَالأَشْرَمُ الْمَغْلُوبُ لَيْسَ الغَالِبُ

وقال نُفَيْل أيضاً[3]:

أَلاَ حُيِّيت عَنَّا يَا رُدَيْنَا ... نَعِمْنَاكُمْ مَعَ الإِصْبَاحِ عَيْنَا
[أَتَانَا قَابِسٌ مِنْكُمْ عِشَاءً ... فَلَمْ يُقْدَرْ لِقَابِسِكُمْ لَدَيْنَا][4]
رُدَيْنَةُ لَوْ رَأَيْتِ وَلاَ تَرَيْهِ ... لَدَى جَنْبِ الْمُحَصَّبِ مَا رَأَيْنَا
[١٨/و] إِذاً لَعَذَرْتِني / وَحَمِدْتِ أَمْرِي ... وَلَمْ تَأْسَيْ عَلَى مَا فَاتَ بَيْنَنَا
حَمِدْتُ اللهَ إِذْ أَبْصَرْتُ طَيْراً ... وخِفْتُ حِجَارَةً تُلْقَى عَلَيْنَا
وَكُلُّ الْقَوْمِ يَسْأَلُ عَنْ نُفَيْلٍ ... كَأَنَّ عَلَيَّ لِلْحُبْشَانِ دَيْنَا

(١) انظر: السيرة النبوية ٥٣/١.
(٢) انظر: السيرة النبوية ٥٣/١.
(٣) انظر: السيرة النبوية ٥٣/١.
(٤) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة.

فخرجوا يتساقطون بكلِّ طريق، ويهلكون في كلِّ منهل، وأُصيب أَبْرَهَة في جسده، وخرجوا به تساقط أنامله كلّما سقطت منها أنملة تبعها منه قيح، حتَّى قدموا به صَنْعاء وهو كفرخ الطَّائر، فما مات حتَّى انصدع صدره عن قلبه فيما يزعمون.

وقال عَبْد الْمُطَّلب في ذلك[1]:

صَرَمْتَ وَمَالَكَ لاَ تَصْرِمُ ... وَرشد[كَ] مِنْ كِبَرٍ أَشْيَمُ
تَبَدَّلَكَ الشَّيْبُ بَعْدَ الشَّبَابِ ... فَمَا لَكَ فِي خُلَّةٍ مَزْعَمُ
فَدَعْ عَنْكَ ذِكْرَكَ أَمْرَ الْوِصَالِ ... فَإِنَّكَ مِنْ ذِكْرِهِ أَحْلَمُ
وَعَدِّ الْقَوَافِي ذَاتَ الصَّوَابِ ... لِجَيْشٍ أَتَاكَ بِهِ الأَشْرَمُ
غَدَاةَ أَتَوْكَ بِمِثْلِ الْبِطَاحِ ... كَأَنَّا أُنَاسٌ لَهُمْ مَغْنَمُ
بِفِيْلٍ يُزَجُّونَهُ لِلْوِقَاعِ ... إِذَا ذَمَرُوهُ لَهُ هَمْهَمُوا
/به زَحَفُوا نَحْوَ بَيْتِ الإِلَهِ ... لِيَتْرُكَ بُنْيَانَهُ يُهْدَمُ [٢٣]
وَبُنْيَانُ مَنْ كَانَ فِي دَهْرِهِ ... خَلِيْلاً بِخَالِقِهِ يُكْرَمُ
فَرَدَّهُمُ اللهُ عَنْ هَدْمِهِ/ ... وَأَعْيَاهُمُ الْفِيْلُ لاَ يُقْدِمِ [١٨/ظ]
بِطَيْرٍ أَبَابِيْلَ تَرْمِيْهُمُ ... كَأَنَّ مَنَاقِيْرَهَا الْعَنْدَمُ
تُبِسُّ الْحِجَارَةَ فِي هَامِهِ ... كَرَمْيِ ذَوِي الْكُتْبِ مَنْ تَرْجُمُ
فَأَضْحَى النُّسُورُ بِهِمْ وُقَّعَا ... عُكُوفاً كَمَا اعْتَكَفَ الْمَأْتَمُ
وَأَوْرَثَنَا اللهُ خَيْرَ الْبِلاَدِ ... بِلاَداً بِهَا حُفِرَتْ زَمْزَمُ
بِنَصْرٍ مِنَ اللهِ رَبِّ الْعِبَادِ ... عَلَى رَغْمِ مَنْ أَنْفُهُ يُرْغَمُ

(١) انظر: المناقب والمثالب [ورقة ١٠/ظ-١١/و].

ولعَبْد الْمُطَّلب في ذلك أشعار كثيرة منها قوله[1]:

نَحْــنُ آل اللهِ فِـــي بَلْدَتِـــهِ ... لَمْ يَزَلْ ذَاكَ عَلَى عَهْدِ ابْــرَهَمْ

ويقول فيها:

إنَّ لِلْبَيْــتِ لَرَبّـــاً مَانِعـــاً ... مَنْ يُــرِدْهُ بِفَسَــادٍ يُصْــطَلَمْ

هَلَكَتْ بِالْبَغْيِ فِــيْهِم جُــرْهُم ... وقَـــدِيْماً هَلَكَـــتْ فِيْـــهِ إرَمْ

وكان في هلاك أصحاب الفيل آية وعبرة حمى الله بها بيته الحرام، ومنعه أن يُرام، وأظهر بها فضل وليّه وجدّ نبيّه عَبْد الْمُطَّلب بن هاشم، وصدق وعده، وأجاب قوله: "إنَّ للبيت لربّاً يحميه"، وأجاب دعاءَه.

وكان مولد النّبيّ المصطفى محمَّد سيِّد البشر، وخاتم النّذر – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه– عام الفيل، وكان ذلك من بركات مولده [١٩/و] وفضل دينه –عليه الصَّلاة والسَّلام.

[خبر حَفْرِ بِئْرِ زَمْزَم]

ثُمَّ كان لعبد الْمُطَّلب من الرُّؤيا التي رآها في المنام، فإنّه رأى آتياً أتاه، [٢٤] فقال له: /احْفِرْ زَمْزَمْ خَبِيْئَةَ الشَّيْخِ الأَعْظَمِ. فاستيقظ وقال: اللَّهُمَّ بَيِّنْ لِي. وعاد إلى منامه. فأتاه فقال له: احْفِرْ المضنونة ضُنَّ بها عن النَّاس إلاَّ عنكَ. فقال: اللَّهُمَّ بَيِّنْ لِي. وعاد إلى منامه، فأتاه، فقال له: احْفِرْ زَمْزَمْ بين الفَرْثِ والدَّمِ في مَبْحَثِ الغُرَابِ الأَسْحَمِ على قَرْيَةِ النَّمْلِ مُسْتَقْبِلاً للأَنْصاب الحمر.

(١) انظر: العقد الفريد ٣/٣١٣، أخبار مكّة ٩٦، المنمّق في أخبار قريش ٢٧، الحور العين ١٧٣.

فقام يمشي حتَّى جلس في المسجد الحرام ينتظر ما قيل له، فبينما هو كذلك إذ أقبلت بَقَرَةٌ نَحرَها قَوْمٌ، فَانْفَلَتَتْ مِنْ جَازِرِها فهجمت في المسجد الحرام، وسقطت في مَوْضِعِ زَمْزَمَ، فأدركها الجَازِرُ فأجهز عليها مكانها، وسلخها واحتمل لحمها. وأقبل غُرَابٌ يهوي حتَّى وقع في الفَرْث، فبحث فيه عَنْ قَرْيَةِ نَمْلٍ. فقام عَبْد الْمُطَّلب فاحتفر [هنالك][1] زمزم، فَجَاءَتْهُ قُرَيْشٌ فقالت: ما هذا الصَّنِيْعُ تحفر في مسجدنا وما أنت بذي جهل؟! فقال عَبْد الْمُطَّلب: أنا حَافِرٌ هاهنا بِئْراً، وَمُجَاهِدٌ مَنْ صَدَّني [١٩/ظ] عَنْهَا. فَكَفُّوا عنه لما يعرفون مِنْ فَضْله، ويأمنون من جهله. ولم يزل يَحْفِرُ حتَّى أدرك سُيُوفاً وَدُرُوعاً دُفِنَتْ فِي زَمْزَم لَمَّا دُفِنَتْ، فلمَّا رأت قُرَيْشٌ ذلك قالت له: أعطنا ممَّا وجدت. فقال: هي لِبَيْتِ اللهِ. ثُمَّ حفر حَتَّى أَنْبَطَ الماء، ثُمَّ بَحَرَها لِئَلاَّ تُنْزَفُ وبنى عليها حَوْضاً.

وكانت زَمْزَم بِئْرَ إِسْمَاعِيْل بن إبْراهيم –عَلَيْهِ السَّلاَمُ. وروي أنَّه ظَمِئَ –يوماً– وكان عام قحط وهو مع أُمّه هاجر تلوذ به وتدعو الله، فأنبط الله عَيْناً فكانت زمزم. فلَمَّا رحلت جُرْهم دفنتها، ودفنت فيها ما دفنت.

وفي احْتِفَارِ عَبْد الْمُطَّلب زَمْزَم يقول خُوَيْلِد بن أَسَدِ بن عَبْد العُزَّى[2]:

أَقُولُ وَمَا قَــوْلِي عَلَــيْهِمْ بِسُــبَّةٍ ... إِلَيْكَ ابْنَ سَلْمَى أَنْتَ حَافِرُ زَمْزَمِ

حَفِيْرَةُ إِبْرَاهِيْمَ يَوْمَ ابْــنِ هَــاجَرٍ ... وَرَكْضَةُ جَبْرَائِيْل عَلَى عَهْــدِ آدَمِ

(١) زيادة من المناقب والمثالب.

(٢) البيتان في: أنساب الأشراف ١/٩٦، أخبار مكّة ٢/٢٢، الإكتفاء ١/١٦١.

وقيل: إنَّ عبد الْمُطَّلب أصاب غزالاً مَصُوغاً مِنْ ذَهَب، وَحُلِيّاً كثيراً، فضرب عليه [٢٠/و] بالسِّهَامِ لهم وَلِلْبَيْتِ، فخرج سَهْم البَيْتِ فَحَلاَّهُ به، وكان أوَّل حُلِيٍّ حُلِّيَتْ البيت به.

وجاء عن عليٍّ -صَلَوَاتُ الله عَلَيْه-[1]:

[٢٥] /إنَّ قُرَيْشاً لَمَّا رأت ما استخرجه عبد الْمُطَّلب مِنْ زَمْزَم، اجتمعوا إليه، فقالوا: يا عبد الْمُطَّلب؛ هذه بئْرُ أبينا إسماعيل وإنَّ لنا فيها حَقّاً، فأشركنا فيها وفيما أَصَبْتَ منها. فقال: ما أنا بفاعل ذلك، إنَّ هذا لأَمْرٌ قد خُصِصْتُ به دونكم، وَأُعْطِيتُه من بينكم. فَأَبَوْا عليه إلاَّ أَنْ يعطيهم، وقالوا: حاكِمْنا في ذلك. وَدَعَوْهُ إلى كاهنة بني سَعْد بن هُذَيْم، فخرج معهم، وخرج مِنْ كُلِّ قَبِيْلَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ نَفَرٌ، وكانت الأرض إذْ ذاك مَفَاوِز قليلة الماء، حَتَّى إذا كانوا في بعض تلك المَفَاوِزِ، بَيْنَ الْحِجاز والشَّامِ، فَنِيَ ماء عَبْد الْمُطَّلب وَمَنْ معه مِنْ أصحابه، فَاسْتَسْقَوْا مَنْ معهم مِنْ قَبَائِلِ قُرَيْشٍ، فَأَبَوْا أن يسقوهم، وقالوا: <إنَّا بِمَفَازَةٍ ونحن>[2] نخشى على أَنْفُسنا ما أصابكم. فلمَّا رَأَوْا ذلك نزلوا عن كور مطيِّهم واحتفر كُلُّ واحد منهم حَفِيْراً جلس فيه، [٢٠/ظ] وقالوا: مَنْ مات منَّا دفنه مَنْ بقي. ثُمَّ إنَّ عبد الْمُطَّلب قال: والله إنَّ إِلْقَاءَنَا بأَيْدِيْنا هَكَذَا لِلْمَوْتِ لاَ نَضْرِبُ فِي الأَرْضِ وَلاَ نَبْتَغِي لأَنْفُسِنَا هذا لَعَجْزٌ؛ نستسلم هكذا ولا نضرب في الأرض لأنفسنا. ثُمَّ قام إلى راحلته فركبها فلمَّا انبعثت به انفجر الماء من تحت خفيها وظهرت عين عذبة، فكبَّر عَبْد الْمُطَّلب وكبَّر

(١) انظر: المناقب والمثالب [ورقة ١٢/ظ-].

(٢) زيادة من "ب".

أصحابه، ثُمَّ نزل فشرب وشربوا، وَاسْتَسْقَوْا وملؤوا أَسْقِيَتَهُمْ، ثُمَّ دعا القبائل الَّذين [كانوا][1] معه مِنْ قُرَيْشٍ، فقال: هَلُمُّوا إلى الماء فقد سَقَانَا اللهُ. فَشَرِبُوا وَأَسْقَوْا وَاسْتَسْقَوْا، ثُمَّ قالوا: والله لقد قضى اللهُ لك علينا يا عبد الْمُطَّلب، والله لا نُخاصمك في زَمْزَم أبداً، وإنَّ الَّذي سقاك الماء بهذه الفَلاة لهو سَقاكَ زَمْزَم، فارجع إلى سِقايتك رَاشِداً. فرجع، ورجعوا [وخلّوا بينه وبينها"][2].

فهذا <الفضل>[3] الذي لا يدفعه إلاَّ مُباهت، وإنَّ في صدق رُؤْياه التي رآها في زمزم دلالة بَيِّنة على فضله وما خصَّه الله به، فقد قال النَّبيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَعَلَى آلِه-[4]: "الرُّؤْيا الصَّادقة جزء من ستَّة وعشرين جزءاً من أجزاء النُّبوَّة".

ثُمَّ ما أظهره من الماء في بئْر [٢١/و] زمزم الَّتي هي بئر إسْماعيل -عليه السَّلام- بركة له، مع هذا الماء الذي سقاه الله، وأنبعه له من الأرض، وجعل ذلك معجزة أبانها لقومه، فلم يُنازعه منهم منازع، ولا دفع فضله دافع.

[٢٦] /وكان عَبْد الْمُطَّلب خير قُرَيْش وسيِّدها ورئيسها، وكان يُرى فيه نور النُّبوَّة وهيبة الملك، وجلالة الفضل، ومكارمه وفضائله تجل عن التّعداد. وكان يُسَمَّى: "سيِّد الوادي". يعنون مكَّة وما حولها.

(١) زيادة من المناقب والمثالب [ورقة ١٢/ظ].

(٢) زيادة من المناقب والمثالب [ورقة ١٢/ظ].

(٣) زيادة من "ب".

(٤) انظر: من لا يحضره الفقيه ٢/٥٨٥، أمالي الصدوق ١٢١: وفيه: "الرؤيا الصّادقة جزء من سبعين جزءاً من أجزاء النّبوّة".

وولد لعبد الْمُطَّلب عشرة من الأولاد، وكان أفضلهم: عَبْد الله وأبو طالِب؛ وأبو طالب الأكبر منهما في الميلاد؛ نشأ على الكرم وحسن الشِّيَم، وتبيَّن فضلهما على غيرهما من إخوتهما.

[نذر عبد المطلب ابنه العاشر للنَّحر]

ولَمَّا ترعرع عَبْد الله واستوى شبابه بلغ من أبيه عَبْد الْمُطَّلب مبلغاً عظيماً، وكان يحبّه حبّاً شديداً، وكان لما ولد له تسعة أولاد، نذر إنْ ولد له العاشر أن ينحره، وفي ذلك روايات كثيرة.

قال القاضي النُّعْمان بن محمَّد – رضي الله عنه –[1]:

"وهذه الرِّواية أَصَحُّ وجاءت عن أهل البَيْتِ –صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ–: فضَنَّ [٢١/ظ] به عَنِ الذَّبح لما ألقاه الله في قلبه من محبَّته وقلوب من رآه من العباد، ثُمَّ إنَّه أخذ بيده وذهب به ليذبحه، فقامت قُرَيْش ليمنعوه، وسألوه أن يتركه، وقالوا: إنْ ذبحته لم يزل الرَّجُل مِنَّا يقتدي بكَ [في ذلك][2] فيذبح ابنه. قال: فما أصْنَعُ وقد نَذَرْتُ ذلك؟ قالوا: تَثَبَّتْ في ذلك وراجع فيه.

وقام في ذلك أخواله من بنو مَخْزُومٍ، فقال الْمُغِيْرَة بن عبد الله بن عمر بن مَخْزُوم[3]:

وَاعَجَباً مِنْ قَتْلِ عَبْدِ الْمُطَّلِبْ
وَذَبْحِهِ خِرْقاً كَتِمْثَالِ الذَّهَبْ

(١) انظر: المناقب والمثالب [ورقة ٢٠/و].

(٢) زيادة من المناقب والمثالب.

(٣) انظر: سيرة إبن إسحاق ١٢-١٣.

يَا شَيْبَ لاتَعْجَل عَلَيْنَا بِالْعَجَبْ
فَمَا ابْنُنَا بِشَرَطِ الْقَوْمِ النُّجُبْ
وَلاَ ابْنُنَا بِالْمُسْتَذِلِّ الْمُغْتَصَبْ
فَفَادِهِ بِالْمَالِ حَتَّى يَحْتَرِبْ
فَسَوْفَ أَفْدِيْهِ بِمَالِي وَالسَّلَبْ
/وَسَوْفَ أَلْقَى دُونَهُ مُرَّ الْعَطَبْ [٢٧]

ودافع عنه أبو طالِب وكان شقيقه هو والزُّبَيْر بن عبد الْمُطَّلِب، وقال أبو طالِب في ذلك[1]:

كَلاَّ وَرَبِّ البَيْتِ ذِي الأنْصَابِ
وَرَبِّ مَا أَنْضَى مِنَ الرِّكَابِ
كُلِّ قَرِيْبِ الدَّارِ أَوْ مُنْتَابِ
يَزُورُ بَيْتَ اللهِ ذَا الْحِجَابِ
مَا ذَبْحُ عَبْدِ اللهِ بِالْلَّعَابِ/ [٢٢/و]
مِنْ بَيْنِ رَهطِ عُصْبَةٍ شَبَابِ
بَيْنَ نِسَاءِ شُطُنِ الأَنْسَابِ
أَغَرَّ بَيْنَ الْبِيْضِ مِنْ كِلاَبِ
وَبَيْنَ مَخْزُومٍ ذَوِي الأنْسَابِ
أَهْلِ الْجِيادِ الْقُبِّ وَالْقِبَابِ
لَسْتُمْ عَلَى ذَلِكَ بِالأرْبَابِ

(١) انظر: الدرّة الغرّاء ٧٣-٧٤.

فِي شِعْرٍ طَوِيْلٍ.

فَقالَ عَبْدُ الْمُطَّلِب[١]:

اللهُ رَبِّي أَنَـا مُـوْفٍ نَـذْرَهُ
أَخَافُ رَبِّي إِنْ عَصَيْتُ أَمْـرَهُ
هَذَا بُنَـيَّ قَـدْ أَرَدْتُ نَحْـرَهُ
فَإِنْ يُـؤَخِّرْهُ وَيَقْبَـلْ عُـذْرَهُ
أَوْجَبْتُ لِلهِ الْعَظِـيْمِ شُـكْرَهُ

[ذِكْرُ فِداء عبد الله]

[٢٨] /ثُمَّ إنَّ عبد الْمُطَّلِب أخرج عشرةً مِنَ الإِبْلِ، وقال: أنذرها وأنحرها ثُمَّ أدعه. ثُمَّ قال: وما يُدْرِيْنِي أَنَّ الله لا يرضيه ذلك منِّي، ولا يفي بنذري، ولكنِّي أُقْرِعُ عليها وعليه. ففعل، فخرج السَّهْمُ عَلَى عَبْد الله، فزاد عَشَرَةً وَأَقْرَعَ فخرج السَّهْم عليه، ولم يزل كذلك يزيد عشرةً عشرةً والسَّهْم يخرج على عبد الله، حتَّى بلغت مِئَةً فخرج السَّهْم على الإِبْل، <فقال: لا والله لا أَنْتَهِزُ هذه الفرصة في مرَّةٍ واحدةٍ حتَّى يقع السَّهْم على الإِبْل عشر مرَّات،>[٢] كما خرج على عبد الله وَإِلاَّ زِدْتُ. فخرج السَّهْم على الإِبْلِ عشر مرَّاتٍ>[٣]، فقال: الآن علمت أَنَّ رَبِّي قد رضي. فنحرها، وقال للنَّاس: دونكم إيَّاها. فانتهبوا لحمها".

(١) انظر: سيرة إبن إسحاق ١٣.

(٢) زيادة من "ب".

(٣) زيادة من "ب".

ففي ذلك يقول مُرَّةُ بن خُلَيْف الفَهْمِيُّ[١]:

كَمَا قُسِمَتْ نَهْباً دِيَاتُ ابْنِ هَاشِمٍ [٢٢/ظ]بِبَطْحَائِهَا فِي حَيْثُ تُغْتَصَبُ الْبُزْلَ

وكان ذلك من عبد الْمُطَّلِب مِمَّا أراد من نحر عبد الله إلهاماً من الله واقتداءً بإبراهيم -عليه السّلام- حيث قال: ﴿يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾[الصافات: ١٠٢]. وفدى عبد الله بمئة من الإبل كما فُدي إسْماعِيل بن إبْراهيم بالذِّبح العظيم تفضيلاً من الله وتعظيماً له بأن يلحقه الله بإسْماعِيل في الفضل، والله يُؤتي فضله من يشاء.

وإنَّ من أعظم فضله وما آتاه الله من سَنِيِّ مَحَلِّه، إلى أن أخرج محمَّداً – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه– من صلبه وشرَّفه بولادته، ولم يكن وآباؤه مِمَّن يدفع الألوهيَّة و<لا>[٢] ينكر النُّبوَّة، وكانوا متمسِّكين بشريعة إبراهيم – عليه السّلام– وفضائلهم، وما يُؤثَر من أخبارهم تدلّ على ذلك، مع ما شهد لهم النَّبيّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه– من الكرم والطَّهارة.

ونشأ عبد الله بن عبد الْمُطَّلِب على مكارم الأخلاق، والطَّهارة، والكرم، والسُّؤْدُد، والشَّرف. وكان جميلاً وَسِيْماً، وكان نُورُ النُّبُوَّة يُرى بين عينيه بَيِّناً ظاهراً [٢٣/و] لقرب ولادة رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه.

(١) البيت في: المناقب والمثالب [ورقة ١٤/ظ]، تاريخ اليعقوبي ٢٩٢/١.

(٢) زيادة من "ب".

[٢٩] **[خبر كاهنة خَثْعَم فاطمة بنت مُرّ]**

ولمّا تزوَّج امرأته آمنَة بنت وَهْب أمّ رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آله–، نظرت إليه كَاهِنَةٌ مِنْ خَثْعَمٍ يُقال لها: فَاطِمَة بنت مُرّ[١] وهي مِنْ <أهلِ>[٢] تَبَالَةَ[٣]، وكانت قد قرأت الكتب، فتبيَّنت نُوْرَ النُّبوَّة بين عينيه، فلمَّا رأت ذلك طمعت أنْ يكون لها ولد منه، فدعته إلى نَفْسها فَأَبَى عليها ذلك، فبذلت له مئة ناقة، فأبى وقال[٤]:

أَمَّا الْحَــرَامُ فَالْمَمَاتُ دُوْنَــهُ
وَالْحِلُّ لَــمْ يَأْتِ الَّذِيْ تَلِيْنَهْ
يَحْمِي الْكَرِيْم عرضه وَدِيْنَــهُ
فَكَيْفَ بِالأَمْرِ الَّــذِيْ تَبْغِينَــهُ

وطلبته أن يتزوَّجها. فلمَّا وقع بزوجته[٥] آمنَة بنت وَهْب جاز بها ورام أن يتزوجها على ما ينبغي من النِّكاح في مِلَّة إبْراهيم –عليه السّلام– فأبت ذلك، وقالت: إنِّي رَأَيْتُ في وجهكَ نُوْراً، وأنا على عِلْمٍ مِنْ نَبيٍّ يُبْعَثُ قد قرب وقت ميلاده، فرجوتُ أنْ يكون ذلك منِّي، والآن لا أرى ذلك النُّور إلاَّ

(١) "آ" و "ب": "مرّة".

(٢) زيادة من "ب".

(٣) انظر: معجم البلدان ٨١٦/١–٨١٧.

(٤) انظر: طبقات ابن سعد ٩٦/١، أنساب الأشراف ٩٧/١، المناقب والمثالب [ورقة ١٧/ظ]، تاريخ الطبري ٢٤٤/٢، هواتف الجنان ١٧٣، تيسير المطالب ٧١.

(٥) "ب": "بامرأته".

وقد زال عنك، فما كان مِنْ أمرك؟ فأعلمها بما كان منه إلى أهله، فقالت[١]:

إِنِّي رَأَيْــتُ مَخِيْلَــةً لَمَعَــتْ ... فَــتَلأْلأَتْ كَتَلأْلُــؤِ الْقَطْــرِ
فِي وَجْهِهِ نُــوْرٌ يُضِــيْءُ لَــهُ / مَا حَوْلَــهُ كَإِضَــاءَةِ الْبَــدْرِ [٢٣/ظ]
فَرَجَوْتُهَا فَخْــراً أَبُــوءُ بِــهِ ... مَا كُلُّ قَادِحِ زَنْــدِهِ يُــوْرِي
لِلَّــهِ مَــا زُهْرِيَّــةٌ سَــلَبَتْ ... نُوْراً فَحَلَّ بِهَا وَمَــا تَــدْرِي

وَقَالَتْ فِي بني هاشِمٍ[٢]:

بَنِي هَاشِمٍ قَدْ غَادَرَتْ مِنْ أَخِيْكُمْ ... أُمَيْنَــةُ إِذْ لِلْبَــاهِ يَعْتَرِكَــانِ
كَمَا غَادَرَ الْمِصْبَاحُ عِنْدَ خُمُوْدِهِ ... فَتَائِلَ قَــدْ تُبَّــتْ لَــهُ بِــدِهَانِ
/وَمَا كُلُّ مَا يَحْوِي الْفَتَــى مِــنْ ... لِعَــزْمٍ، وَلاَ مَــا فَاتَــهُ لِتَــوَانِي [٣٠]
فَأَجْمِلْ إِذَا طَالَبْــتَ أَمْــراً فَإِنَّــهُ ... سَــيَكْفِيْكَهُ جَــدَّانِ يَعْتَلِجَــانِ
سَــيَكْفِيْكَهُ إِمَّــا يَــدٌ مُقْفَعِلَّــةٌ ... وَإِمَّــا يَــدٌ مَبْسُــوطَةٌ بِبَنَــانِ
وَلَمَّا حَوَتْ مِنْهُ أُمَيْنَةُ مَا حَــوَتْ ... حَوَتْ مِنْهُ فَخْراً مَا لِذَلِكَ ثَــانِي

وَعَصَمَ اللهُ – عَزَّ وَجَلَّ– عبد الله كما عصم يُوْسُف بن يَعْقوب –عَلَيْهِ السَّلاَمُ–، ودخل إلى أهله فأصاب منها، وَأَقَرَّ اللهُ ذلك النُّوْرَ مقرّه مِنْ طهارة الولادة، وحملت منه برسول الله آمنَة بنت وَهْب بن عبد مَناف بن زُهْرَة بن كِلاب ابن مُرَّة بن كَعْب بن لُؤَيّ بن غَالِب بن فِهْر بن مَالِك بن النَّضْر بن كِنَانَة.

(١) انظر: طبقات ابن سعد ٩٧/١، المناقب والمثالب [ورقة ١٧/ظ]، تاريخ الطبري ٢٤٥/٢، هواتف الجنان ١٧٣، تيسير المطالب ٧١.

(٢) انظر: طبقات ابن سعد ٩٧/١، المناقب والمثالب [ورقة ١٧/ظ]، تاريخ الطبري ٢٤٥/٢، هواتف الجنان ١٧٣–١٧٤.

فهذه فضائل لا يجحدها ولا يدفعها إلاّ من جحد النُّبوَّة ودفعها، ولم يعلم سرّها [٢٤/و] في أوليائه، ومن يختار من أصفيائه.

[وفاة عبد الله بن عبد المطّلب وما رثي به من الأشعار]

ومات عبد الله بن عبد الْمُطَّلب بن هاشم بعد أن ولد رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– بشهرين، وقيل: كان موته وأُمّه حامل به.

وقالت آمِنَةُ بنت وَهْب ترثيه(١):

كَانَ ابْنُ هَاشِمٍ سَيِّداً فِي قَوْمِهِ ... طَوْداً يُلاَذُ بِرُكْنِهِ فِي الْمَحْتِدِ
غَيْثاً إِذَا قَحَطَ الْغَمَامُ وَلَمْ يَكُنْ ... جَفْراً يُؤَكِّلُ فَوْقَ ظَهْرِ الفَدْفَدِ
جَبَلاً يَعِزُّ اللاَئِذُونَ بِرُكْنِهِ ... عِنْدَ الْخَلاَءِ وَعِنْدَ جَمْعِ الْمَشْهَدِ
يُغْلِي السَّدِيْفَ لِمَنْ أَلَمَّ بِرَحْلِهِ ... وَيُذِيْبُ إِيْمَاضَ السَّدِيْفِ الْمُجْمَدِ

وَقَالَتْ -أَيْضاً- تَرْثِيْهِ(٢):

عَفَا جَانِبُ الْبَطْحَاءِ مِنِ ابْنِ غَالِبٍ ... وَجَاوَرَ لَحْداً مُدْرَجاً فِي الْغَمَائِمِ
[٣١] /دَعَتْهُ الْمَنَايَا دَعْوَةً فَأَجَابَهَا ... وَمَا تَرَكَتْ فِي النَّاسِ مِثْلَ ابْنِ هَاشِمِ
عَشِيَّةَ رَاحُوا يَحْمِلُونَ سَرِيْرَهُ ... تَعَاوَرَهُ أَصْحَابُهُ بِالتَّرَاحُمِ
فَإِنْ تَكُ أَبْلَتْهُ الْمَنُوْنُ وَرَيْبُهَا ... فَقَدْ كَانَ مِفْضَالاً كَثِيْرَ الْمَكَارِمِ

وَقَالَتْ -أَيْضاً- تَرْثِيْهِ(١):

(١) انظر: المناقب والمثالب ورقة [١٧/ظ].

(٢) انظر: طبقات ابن سعد ١/١٠٠، أنساب الأشراف ١/١٠٥، المناقب والمثالب [ورقة ١٧/ظ].

أَضْحَى ابْنُ هَاشِمٍ فِي بَهْمَاءِ مُظْلِمَةٍ ... فِي حُفْرَةٍ بَيْنَ أَحْجَارٍ لِذِي الْحُفَرِ
كَانَ ابْنُ هَاشِمٍ فِي أَبْيَاتِ مَحْضِهِمُ ... وَارِي الزِّنَادِ لِذِي مُسْتَصْلِدِ الْفَقْرِ [٢٤/ظ]
سَبَّاقَ غَايَاتِهَا فِي كُلِّ لأَزْبَةٍ ... مِنَ السِّنِيْنَ كَرِيْماً طَيِّبَ الْخَبَرِ
فَإِنْ تَسُوْهُ فَإِنِّي لَسْتُ نَاسِيَةً ... مَا غَنَّتِ الْوُرْقُ فِي الأَغْصَانِ بِالشَّجَرِ
سَهْلَ الْعَرِيْكَةِ قَرْماً ذَا مُحَافَظَةٍ ... يُعْطِي الْجَزِيْلَ ثَبِيْتَ الأَصْلِ فِي مُضَرِ
الْجُودُ وَالْحِلْمُ كَانَا مِنْ سَجِيَّتِهِ ... وَالعَقْلُ حِيْنَ يُقَاسُ الْعَقْلُ بِالْعِبَرِ
فَإِنْ يَكُنْ قَدْ ثَوَى فِي قَعْرِ مُظْلِمَةٍ ... مُجَاوِرَ اللَّحْدِ طُولَ الدَّهْرِ لِلْقَدَرِ
فَرُبَّ شَيْحَانَةٍ وَجْنَاءَ مُخْفَرَةٍ ... تَفْرِي الْخَمَائِلَ مُرْدَاةً عَلَى السَّفَرِ
أَعْطَيْتَهَا غَيْرَ مُلْتَاثٍ وَلاَ ضَجِرٍ ... لِلْعَقْلِ حِيْنَ يُخَافُ الْعَقْلُ فِي الْعُسُرِ
وَكُلُّ عَبْلِ الشَّوَى نَهْدٍ مَرَاكِلُهُ ... حَدِيْدِ خَمْسٍ غُذِيْ بِالْمَحْضِ فِي الضَّرَرِ
سَقَى جَوَانِبَ قَبْرٍ أَنْتَ سَاكِنُهُ ... غَيْثٌ أَحَمُّ الذُّرَا زَيْتٌ مِنَ الْمَطَرِ

وقال أخوه أبو طالب(٢):

يَا عَيْنُ أَذْرِي دُمُوعاً آخِرَ الأَبَدِ ... وَلاَ تَمَلِّي عَلَى قَرْمٍ لَنَا سَنَدِ
أَشْكُو الَّذِي بِي مِنَ الْوَجْدِ الشَّدِيْدِ لَهُ ... وَمَا بِقَلْبِي مِنَ الآلاَمِ وَالْكَمَدِ
لَوْ عَاشَ كَانَ لِفِهْرٍ كُلِّهَا عَلَماً ... إِذْ كَانَ مِنْهَا مَكَانَ الرُّوحِ لِلْجَسَدِ

***

(١) انظر: المناقب والمثالب ورقة [١٧/ظ-١٨/و].

(٢) انظر: ديوانه ٩٨.

[رؤيا آمنة لمّا حملت]

[٣٢] /وقيل: إنّ آمنة أُمّ رسول الله –صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– لَمّا حملت برسول الله –صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– رأت في منامها آتياً أتاها، فقال: "إنّكِ حَمَلْتِ بِسَيِّد هذه الأُمّة، فإذا وضعته فقولي[1]:

أُعِيْذُهُ [٢٥/و] بِالْوَاحِدِ
مِنْ شَرِّ كُلِّ حَاسِدِ

وسمّيه محمّداً".

ورأت أنّه خرج منها نُور أضاءت له قُصُور بُصْرَى، فأخبرت بذلك أباه عبد الله فَسَرَّهُ، وأخبر أباه عبد الْمُطّلب به، فكان عَبْد الْمُطّلب يَنْتَظِرهُ، فلمّا وضعته قالت ما قيل لها أنْ تقوله. وأتى عبد الْمُطّلب فاحتمله سُروراً به، ودخل به إلى الكعبة فدعا له، وقال[2]:

الْحَمْدُ للهِ الَّذي أَعْطَاني
هَذَا الْغُلامَ الطَّيِّبَ الأَرْدَانِ
قَدْ سَادَ فِي الْمَهْدِ عَلَى الْغِلْمَانِ
أُعِيْذُهُ بِالْبَيْتِ ذِي الأَرْكَانِ
حَتَّى أَرَاهُ بَالِغَ الْبُنْيَانِ
أُعِيْذُهُ مِنْ كُلِّ شَنَآنِ

(١) انظر: طبقات ابن سعد ١/٩٨، السيرة النبوية ١/١٥٨.
(٢) انظر: طبقات ابن سعد ١/١٠٣، المناقب والمثالب [ورقة ١٨/ظ]، مروج الذهب ٣/١٣ (١-٢).

ثُمّ خرج به إلى أُمّه فدفعه –صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– إليها.

[ذكر ميلاد الرّسول –صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ–]

وكان ميلاد رسول الله –صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– يوم الاثنين لاثنتي عشرة مضت من شهر رَبِيْع الأَوَّل عام الفِيْل. وكان ما صَنَعَهُ اللهُ –عَزَّ وَجَلّ– لِقُرَيْشٍ مِنَ الدِّفاعِ عَنْها ببركته، ولِئَلاّ يظهر عليها عدوٌّ وهو فيها طفلاً ولا حَمْلاً.

واسْتَرْضَعَتْ له ظِئْراً من بني سَعْد بن أبي بَكْر يُقال لها: حَلِيْمَة بنت [٢٥/ظ] أبي ذُؤَيب، واسم بعلها الّذي أرضعته في حجره: الْحَارِث بن عبد العُزَّى بن رِفاعة، وهو أيضاً من بني سَعْد بن بَكْر بن هَوازِن، فما زالوا يرون فيه مَخايِلَ الفضل، ودلائل النُّبوَّة، وتبرّكوا بيمينه، ورأوا عجائب من عظيم فضله.

[٣٣] **[/تعريفه –صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– بنفسه]**

وفي الحديث[1]:

أنّ نفراً من أصحاب رسول الله –صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– قالوا له: يا رسول الله؛ أخبرنا عن نفسك؟ قال: "أَنَا دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيْمَ، وَأَنَا بُشْرَى أَخِي عِيْسَى، وَرَأَتْ أُمِّي حِيْنَ حَمَلَتْ بِي أَنَّهُ خَرَجَ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَتْ لَهُ قُصُورُ بُصْرَى الشَّامِ، وَاسْتُرْضِعْتُ فِي بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ، فَبَيْنَا أَنَا مَعَ أَخٍ لِي خَلْفَ بُيُوتِنَا نَرْعَى بَهْماً لَنَا، إِذْ أَتَانِي رَجُلانِ عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بِيْضٌ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مَمْلُوءَةٍ ثَلْجاً، فَأَخَذَانِي فَشَقَّا بَطْنِي، ثُمَّ اسْتَخْرَجَا قلبي فشقّاه، ثُمَّ اسْتَخْرَجَا

(١) انظر: السيرة النّبويّة ١/١٦٦-١٦٧.

مِنْهُ عَلَقَةً سَوْدَاءَ فَطَرَحَاهَا، وَغَسَلاَ بَطْنِي وَقَلْبِي بِذَلِكَ الثَّلْجِ حَتَّى أَنْقَيَاهُ، وَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: زِنْهُ بِعَشْرَةٍ مِنْ أُمَّتِهِ. فَوَزَنَنِي بِعَشْرَةٍ فَوَزَنْتُهُمْ، فَقَالَ: زِنْهُ [٢٦/و] بِمِئَةٍ مِنْ أُمَّتِهِ. فَوَزَنَنِي بِهِمْ فَوَزَنْتُهُمْ، فَقَالَ: زِنْهُ بِأَلْفٍ مِنْ أُمَّتِهِ. فَوَزَنَنِي بِهِمْ فَوَزَنْتُهُمْ، فَقَالَ: دَعْهُ عَنْكَ، فَوَاللهِ لَوْ وَزَنْتَهُ بِأُمَّتِهِ لَوَزَنَهَا".

[اعتزازه –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– بقرشيّته، واسترضاعه في بني سَعْد]

وكان رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– يقول لأصحابه[1]: "أنا أَعْرَبُكُمْ؛ أنا قُرَشِيٌّ واسْتُرْضِعْتُ في بني سَعْد بن بَكْر".

وذكر أهل السِّيَر[2]:

إنَّ مِمَّا هاج أُمّه السَّعْدِيَّة على ردّه –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– إلى أمّه، أنَّ نفراً من الحَبَشَة نَصارى، رأوه معها حين رجعت به بعد فِطامه، فنظروا إليه وسألوها عنه ففتّشوه[3]، وقالوا لها: لنأخذنّ هذا الغُلام، ولنذهبنّ به إلى ملكنا وبلدنا، فإنّ هذا غُلام كائن له شأن.

فقيل: إنّها لم تكد تنفلت به منهم، وأتت به إلى مكّة فأعطته أمّه وجدّه عبد المُطَّلِب.

[وفاة آمنة بنت وَهْب]

وماتت أُمّه آمنة بنت وَهْب وهو لأربع سنين، وقيل: ماتت وهو ابن

(١) انظر: السيرة النّبويّة ١/١٦٧.

(٢) انظر: السيرة النبوية ١/١٦٨.

(٣) "فقلّبوه" في السيرة النّبوية.

ستّ سنين.

[٣٤] / **[إكرام عبد المُطَّلِب له –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– وهو صغير]**

فكان[1] رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– مع جدّه عبد المُطَّلِب، وكان يوضع لعبد المُطَّلِب فراش في ظلّ الكَعْبَة، فكان بنوه يجلسون حول فراشه ذلك حتّى [٢٦/ظ] يخرج إليه، ولا يجلس عليه أحد من بنيه إجلالاً له؛ فكان رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– يأتي وهو غُلام صغير حتّى يجلس عليه، فيأخذه أعمامه ليُؤخِّروه عنه، فيقول عبد المُطَّلِب إذا رأى ذلك منهم: دعوا ابني؛ فوالله إنّ له لشأناً. ثُمَّ يجلسه معه على فراشه، ويمسح ظهره بيده، ويسرّه ما يراه يصنع.

ولما احتضر عبد المُطَّلِب ورسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– يتيم في حجره أوصى به إلى ابنه أبي طالب بن عبد المُطَّلِب، وقال في ذلك[2]:

أُوْصِيْكَ يَا عَبْدَ مَنَافِ بَعْدِيْ
بِمُوْحَدٍ بَعْدَ أَبِيْهِ فَرْدِ
فَارَقَهُ وَهْوَ ضَجِيعُ الْمَهْدِ
فَكُنْتُ كَالأُمِّ لَهُ فِي الْوَجْدِ
تُدْنِيهِ مِنْ أَحْشَائِهَا وَالْكَبِدِ
حَتَّى إِذَا خِفْتُ الْمَدَى لِلْوَعْدِ

(١) انظر: السيرة النبوية ١/١٦٨.

(٢) انظر: سيرة إبن إسحاق ٤٧، المناقب والمثالب [ورقة ٢٠/ظ]، المصابيح ١١٧-١١٨.

أَوْصَيْتُ أَرْعَـى أَهْلَـهُ لِلرِّفْـدِ
بِابْنِ الَّذِي غَيَّبْتُـهُ فِـي اللَّحْـدِ
بِالْكُرْهِ مِنِّي -ثُـمَّ- لاَ بِالْعَمْـدِ
فَقَـالَ لِـي وَالْقَـوْلُ ذُو مَـرَدِّ
مَا ابْنُ أَخِي مَاعِشْتُ فِـي مَعَـدِّ
إِلاَّ كَأَدْنَى وَلَـدِي فِـي الْـوِدِّ
مُحَمَّـدٌ أَرْجُـــوهُ لِلأَشُـدِّ
وَكُـلِّ أَمْـرٍ فِـي الأُمُـورِ إِدِّ
/قَدْ عَلِمَ الْقَوْمُ مِنَ اهْـلِ الْعَهْـدِ [٣٥]
أَنَّ الفَتَى سَـيِّدُ أَهْـلِ نَجْـدِ

[ما قيل في رثاء عبد المطّلب]

وروي أن عبد الْمُطّلب لما حضرته [٢٧/و] الوفاة جمع بناته، وقال: لترثين كل واحدة منكن وأنا أسمع ما تقلن قبل أن أموت. فرثته كل واحدة منهنَّ بأبيات، وذلك مذكور في السِّيَر.

ولَمّا مات عبد الْمُطّلب قال ابنه أبو طالب يرثيه[1]:

أَبْكَى الْعُيُونَ وَأَذْرَى دَمْعَهَـا دِرَراً ... مُصَابُ شَيْبَةَ بَيْتِ الدِّينِ وَالْكَـرَمِ
كَانَ الشُّجَاعَ الْجَوَادَ الفَرْدَ سُؤْدُدُهُ ... لَهُ فَضَائِلُ تَعْلُو سَـادَةَ الأُمَـمِ
مَضَى أَبو الْحَارِثِ الْمَأْمُولُ نَائِلُـهُ ... وَالْمُخْتَشَى صَوْلُهُ فِي الْبَأْسِ وَالنِّقَمِ

(١) انظر: ديوانه ٩٧.

هُوَ الرَّئِيسُ الَّذِي لاَ خَلْقَ يَعْدِلُـهُ ... يَحْمِي حِمَاهُ عَنِ الأَبْطَالِ بِالْعَلَمِ
الْعَامِرُ الْبَيْتَ بَيْـتَ اللهِ يَمْلَــؤُهُ ... نُوراً فَيَجْلُو كُسُوفَ الْقَحْطِ وَالظُّلَمِ
رَبُّ الفِرَاشِ بِصَحْنِ الْبَيْتِ تَكْرِمَةً ... بِذاكَ فُضِّلَ أَهْلُ الْفَخْـرِ وَالْكَـرَمِ

وقد ذكرنا الفِراش الذي كان يُفْرَش لعبد الْمُطّلب وهو من عهد قُصَيّ بن كِلاب له ولعظماء بنيه تعظيماً وتكريماً.

وقال أيضا أبو طالب يَرْثي أباه[1]:

٧ بَكَت قُرَيْشٌ أَبَاها كُلُّهَا وَعَلَـى ... أَيَّامِهَا وَحِمَاهَا الثَّابِـتِ الـدِّعَمِ
٨ صَفِيُّ بَكِّي وَجُودِي بِالدُّمُوعِ لَـهُ ... وَأَسْعِدِي يا أُمَيْمَ الْيَوْمَ بِالسَّـجَمِ
٩ تُجِبْكِ نِسْوَةُ رَهْطٍ مِنْ بَنِي أَسَـدٍ ... وَالْغُرِّ زُهْرَةَ بَعْدَ الْعُرْبِ وَالْعَجَـمِ/ [٢٧/ظ]
١٠ أَلَمْ يَكُنْ زَيْنَ أَهْلِ الأَرْضِ كُلِّهِمِ ... وَعِصْمَةَ الْخَلْقِ مِنْ عَادٍ وَمِنْ إِرَمِ

[قصيدة حُذَيْفة بن غانم في رثاء عبد الْمُطّلب]

/وقال حُذَيْفَة بن غانِم أخو بني عَدِيّ بن كَعْب بن لُؤَيّ يبكي عبد الْمُطّلب بن هاشِم، ويذكر فضله وفضل قُصَيّ على قُرَيْش وفضل ولده عليهم[2]: [٣٦]

أَعَيْنَيَّ جُودَا بِالدُّمُوعِ عَلَى الصَّدْرِ ... وَلا تَسْأَمَا، أُسْقِيتُمَا سَبَلَ الْقَطْرِ
وَجُودَا بِدَمْعٍ وَاسْفَحَا كُلَّ شَارِقٍ ... بُكَاءَ امْرِئٍ لَمْ يُشْوِهِ نَائِبُ الدَّهْرِ
وَسُحَّا وَجُمَّا واسْجُمَا ما بَقِيتُمَـا ... عَلَى ذِي حَيَاءٍ مِنْ قُرَيْشٍ وَذِي سِتْرِ

(١) انظر: ديوانه ٩٧.

(٢) انظر: السيرة النبوية ١/١٧٤-١٧٧.

عَلَى رَجُلٍ جَلْدِ الْقُوَى ذِي حَفِيْظَةٍ   جَمِيْلِ الْمُحَيَّا غَيْرِ نِكْسٍ وَلا هَذْرِ
عَلَى الْمَاجِدِ الْبُهْلُولِ ذِي الْبَاعِ وَالنَّدَى   رَبِيْعِ لُؤَيٍّ فِي الْقُحُوطِ وَفِي الْعُسْرِ
عَلَى خَيْرِ حَافٍ مِنْ مَعَدٍّ وَنَاعِـــلٍ   كَرِيْمِ الْمَسَاعِي طَيِّبِ الْخِيْمِ وَالنَّجْرِ
وَخَيْرُهُمُ أَصْلاً وَفَرْعـــاً وَمَعْـــدِناً   وَأَحْظَاهُمُ بِالْمَكْرُمَاتِ وَبِالـــذِّكْرِ
وَأَوْلاهُمُ بِالْمَجْدِ وَالْحِلْمِ وَالنُّهَـــى   وَبِالْفَضْلِ عِنْدَ الْمُجْحِفَاتِ مِنَ الْغُبْرِ
عَلَى شَيْبَةِ الْحَمْدِ الَّذِي كَانَ وَجْهُهُ   يُضِيءُ سَوَادَ اللَّيْلِ كَالْقَمَرِ الْبَـــدْرِ
وَسَاقِي الْحَجِيْجِ ثُمَّ لِلْخُبْزِ هَاشِـــمٍ   وَعَبْدُ مَنَافٍ ذَلِكَ السَّيِّدُ الْفِهْـــرِي
طَوَى زَمْزَمَا عِنْدَ الْمَقَامِ فَأَصْـــبَحَتْ   سِقَايَتُهُ فَخْراً عَلَى كُلِّ ذِي فَخْـــرِ
لِيَبْكِ عَلَيْهِ كُـــلُّ عَـــانٍ بِكُرْبَـــةٍ   وَآلِ قُصَيٍّ مِنْ مُقِـــلٍّ وَذِي وَفْـــرِ
[٢٨/و] /بَنُوهُ سَرَاةٌ كَهْلُهُـــمْ وَشَـــبَابُهُمْ   تَفَلَّقُ عَنْهُم بَيْضَةُ الطَّائِرِ الصَّـــقْرِ
قُصَيٌّ الَّذِي عَادَى كِنَانَـــةَ كُلَّهَـــا   وَرَابَطَ بَيْتَ اللهِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ
فَإِنْ تَكُ غَالَتْهُ الْمَنَايَـــا وَصَـــرْفُهَا   فَقَدْ عَاشَ مَيْمُونَ النَّقِيْبَةِ وَالأَمْـــرِ
وَأَبْقَى رِجَالاً سَادَةً غَيْـــرَ عُـــزَّلٍ   مَصَالِيْتَ أَمْثَالَ الرُّدَيْنِيَّـــةِ السُّـــمْرِ
أَبو عُتْبَةَ الْمُلْقِـــي إِلَـــيَّ حِبَـــاءَهُ   أَغَرُّ هِجَانُ اللَّوْنِ مِنْ نَفَـــرٍ غُـــرِّ
وَحَمْزَةُ مِثْلُ الْبَدْرِ يَهْتَـــزُّ لِلنَّـــدَى   نَقِيُّ الثِّيَابِ وَالذِّمَامِ مِـــنَ الْغَـــدْرِ
وَعَبْدُ مَنَافٍ مَاجِـــدٌ ذُو حَفِيْظَـــةٍ   وَصُولٌ لِذِي الْقُرْبَى رَحِيْمٌ بِذِي الصِّهْرِ
كُهُولُهُمُ خَيْرُ الْكُهُولِ وَنَسْـــلُهُمْ   كَنَسْلِ الْمُلُوكِ لا تَبُورُ وَلا تَحْرِي
مَتَى مَا تُلاقِي مِنْهُمُ الدَّهْرَ نَاشِـــئاً   تَجِدْهُ عَلَى إِجْرِيَا وَالِدِهِ يَجْـــرِي
هُمُ مَلَؤوا الْبَطْحَاءَ مَجْداً وَعِـــزَّةً   إِذَا اسْتُبِقَ الْخَيْرَاتُ فِي سَالِفِ الْعَصْرِ
وَفِـــيْهِم بُنَـــاةٌ لِلْعُـــلاَ وَعِمَـــارَةٌ   وَعَبْدُ مَنَافٍ جَدُّهُمْ جَابِرُ الْكَسْـــرِ

/بِإِنْكَاحِ عَـــوْفٍ بِنْتَـــهُ لِيُجِيْرَنَـــا   مِنَ اعْدَائِنَا إِذْ أَسْلَمَتْنَا بَنُـــو فِهْـــرِ [٣٧]
فَسِرْنَا تِهَامِيَّ الْـــبِلادِ وَنَجْـــدَهَا   بِأَمْنِهِ حَتَّى خَاضَتْ الْعِيْرُ فِي الْبَحْرِ
وَهُمْ حَضَرُوا وَالنَّاسُ بَادٍ فَـــرِيْقُهُمْ   وَلَيْسَ بِهَا إِلاَّ شُيُوخُ بَنِي عَمْـــرِو
بَنَوْهَا دِيَاراً جَمَّةً وَطَـــوَوْا بِهَـــا   بِئَاراً تَسُحُّ الْمَاءَ مِنْ ثَبَجِ الْبَحْـــرِ
لِكَيْ يَشْرَبَ الْحُجَّاجُ مِنْهَا وَغَيْـــرُهُمْ   إِذَا ابْتَدَرُوهَا صُبْحَ تَابِعَـــةِ النَّحْـــرِ [٢٨/ظ]
ثَلاثَـــةَ أَيَّـــامٍ تَظَـــلُّ رِكَـــابُهُمْ   مُخَيَّسَةً بَيْنَ الأَخَاشِبِ وَالْحِجْـــرِ
وَقِدْماً غَنِيْنَا قَبْـــلَ ذَلِـــكَ حِقْبَـــةً   وَلا نَسْتَقِي إِلاَّ بِخُـــمَّ أَوِ الْحَفْـــرِ
وَهُمْ يَغْفِرُونَ الذَّنْبَ يُنْقَمُ دُونَـــهُ   وَيَعْفُونَ عَنْ قَوْلِ السَّفَاهَةِ وَالْهُجْرِ
وَهُمْ جَمَعُوا حِلْفَ الأَحَابِيْشِ كُلَّهَا   وَهُمْ نَكَّلُوا عَنَّا غُوَاةَ بَنِـــي بَكْـــرِ
فَخَارِجَ إِمَّا أَهْلِكَـــنَّ فَـــلا تَـــزَلْ   لَهُمْ شَاكِراً حَتَّى تُغَيَّبَ فِي الْقَبْـــرِ

***

[كفالة أبي طالب لرسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ–]

وكانت وفاة عبد الْمُطَّلِب ورسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– لثمان سنين، فحفظ أبو طالب ما أوصاه أبوه فيه وكفله وآواه واختصَّه وتبنّاه وقرَّبه وأدناه. وكان أفضل كل ولده عنده وأحبّهم إليه.

وأراد أَبو طَالِبٍ سفراً إلى الشَّام في جماعة مِنْ قُرَيْش، فتأهَّب[1] له وأخذ في عدَّته وجهازه، فرأى من رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ– كَسْرَةً، وأبصر عليه كَآبَة، فسأله عَنْ حاله، فشكى إليه فَقْدَهُ، وما يَجِدُهُ مِنَ الوَحْشَة بعده، وسأله أَنْ يخرج به معه. فَرَقَّ له أَبُو طَالِبٍ وخرج به معه.

[قصّة الرَّاهب بَحِيْرَى]

فنزل بقرب صَوْمَعَة رَاهِب بأرض بُصْرَى يقال له: بَحِيرَى. وكانت قُرَيْشٌ تمرّ به كثيراً وتَنْزل بقرب صَوْمَعَته، [٢٩/و] فلا يَنْزل إليهم ولا يُكلِّم أحداً منهم. فلمَّا نزلوا في سفرهم ذلك [المنْزل][2] ومعهم رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ–، نزل ذلك الرَّاهِب إليهم وسألهم عَنْ حالهم. وكان عالماً بالكتب وأخبار ما يكون، فنظر إلى رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ– وتأمَّله وسأل عَنْ /حاله وقصَّته. [٣٨] فَأُخْبِرَ بذلك، فخلا بأبي طالب بعد أن أضافه ورفقته، ورسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ– معهم، وقال لأبي طالب سرّاً: إنَّ لابن أخيك هذا شَأْناً؛ وإنَّهُ سيكون نَبِيًّا وهذا وَقْتُهُ، وقد

(١) "ب": "فتجهّز".

(٢) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة.

وضَحت علامته، وقامت دلالته، فَاحْذَرِ اليهود عليه، وَارْجِعْ <به>[1] إلى بلدك، فإنِّي أخافهم عليه.

فهو في ذلك معه إذْ أقبل قوم من اليهود، فرأوا بَحِيرَى مع أبي طالِبٍ، ونظروا إلى رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ– فعرفوا دلائل النُّبوَّة فيه، فَهَمُّوا به، فخلا بهم بَحِيرَى ونهاهم عنه، وحذَّرهم أَمْرَ قُرَيْشٍ وأنَّهم لن يسلموه. وانصرف به أبو طالِبٍ إلى مكَّة.

وقيل[2]: إنَّ بَحِيرَى رأى على رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ– شبيهاً بالْغَمَامَة <مِنْ نُوْرٍ>[3] يُظلُّه ويسير معه حيث سار، فلذلك نزل إليهم من صومعته، وصنع لهم الطَّعام [ودعاهم إليه،][4] وأضاف السَّيَّارة من قُرَيش. ودفع الَّذين عارضوه من اليهود [٢٩/ظ] وهم: دَرِيْسٌ، وتَمَّامٌ، وزُرَيْرٌ.

ولانتظار رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ– اختار بَحِيرَى ذلك الموضع.

وَفي ذلك يقول أَبو طَالِبٍ[5]:

أَلَم تَرَنِي مِنْ بَعْدِ هَمٍّ هَمَمْتُهُ ... بِفُرْقَةِ حُرِّ الْوَالِدَيْنَ كِرَامِ

بِأَحْمَدَ لَمَّا أَنْ شَدَدْتُ مَطِيَّتِي ... بِرَحْلِي وَقَدْ وَدَّعْتُهُ بِسَلَامِ

(١) زيادة من "ب".

(٢) انظر: المناقب والمثالب [ورقة ٢١/ظ].

(٣) زيادة من "ب".

(٤) زيادة من المناقب والمثالب.

(٥) انظر: ديوانه ١٦٦-١٦٧.

فَلَمَّا بَكَى وَالْعِيسُ قَدْ فَصَلَتْ بِنَا ... وَقَدْ نَاشَ بِالْكَفَّيْنِ ثِنْيَ زِمَامِ

ذَكَرْتُ أَبَاهُ ثُمَّ رَقْرَقْتُ عَبْرَةً ... تَجُودُ مِنَ الْعَيْنَيْنِ ذَاتَ سِجَامِ

فَقُلْتُ: تَرَحَّلْ رَاشِداً فِي عُمُومَةٍ ... مُوَاسِيْنَ فِي الْبَأْسَاءِ غَيْرِ لِئَامِ

فَرُحْنَا مَعَ العِيْرِ الَّتِي رَاحَ رَكْبُهَا ... شَآمِي الْهَوَى وَالْقَصْدُ غَيْرُ شَآمِي

فَلَمَّا هَبَطْنَا أَرْضَ بُصْرَى تَشَرَّفُوا ... لَنَا فَوْقَ دُوْرٍ يَنْظُرُونَ جِسَامِ

فَجَاءَ بَحِيرَى النَّاقِسِيُّ مُحَاشِداً ... لَنَا بِشَرَابٍ عِنْدَهُ وَطَعَامِ

وَقَالَ: اجْمَعُوا أَصْحَابَكُمْ لِطَعَامِنَا ... فَقُلْنَا: جَمَعْنَا الْقَوْمَ غَيْرَ غُلاَمِ

يَتِيْمٍ، فَقَالَ: ادْعُوهُ إِنَّ طَعَامَنَا ... كَثِيْرٌ، عَلَيْهِ الْيَوْمَ غَيْرُ حَرَامِ

[٣٩] /فَلَمَّا رَآهُ مُقْبِلاً فَوْقَ رَأْسِهِ ... يُوَقِّيْهِ حَرَّ الشَّمْسِ ظِلُّ غَمَامِ

حَنَى ظَهْرَهُ شِبْهَ السُّجُودِ وَضَمَّهُ ... إِلَى نَحْرِهِ وَالصَّدْرِ أَيَّ ضِمَامِ

وَأَقْبَلَ رَهْطٌ يَطْلُبُونَ الَّذِي رَأَى ... بَحِيرَاءُ رَأْيَ الْعَيْنِ وَسْطَ خِيَامِ

[٣٠/و] /فَثَارَ إِلَيْهِمْ خَشْيَةً لِعُرَامِهِمْ ... وَكَانُوا ذَوِي حِقْدٍ مَعاً وَعُرَامِ

دَرِيْسٌ وَتَمَّامٌ وَقَدْ كَانَ فِيْهِمُ ... زُرَيْرٌ، وَكُلُّ الْقَوْمِ غَيْرُ نِيَامِ

فَجَاؤوا وَقَدْ هَمُّوا بِقَتْلِ مُحَمَّدٍ ... فَرَدَّهُمُ عَنْهُ بِحُسْنِ خِصَامِ

بِتَأْوِيْلِهِ التَّوْرَاةَ حَتَّى تَيَقَّنُوا ... وَقَالَ لَهُمْ: مَا أَنْتُمْ بِطَغَامِ

فَذَلِكَ مِنْ أَعْلاَمِهِ وَبَيَانِهِ ... وَلَيْسَ نَهَارٌ مُبْصِرٌ كَظَلاَمِ

وقال -أيضاً- فِي مِثْلِ ذلك[1]:

بَكَى جَزَعاً لَمَّا ارْتَحَلْنَا مُحَمَّدٌ ... كَأَنْ لا يَرَانِي رَاجِعاً لِمَعَادِ

(١) انظر: ديوانه ١٦٨.

فَبِتُّ يُجَافِيْنِي تَهَلُّلُ دَمْعِهِ ... وَعَبْرَتُهُ عَنْ مَضْجَعِي وَوِسَادِي

<فَقُلْتُ لَهُ: قَرِّبْ قعودَكَ وَارْتَحِلْ ... وَلاَ تَخْشَ مِنِّي جَفْوَةً بِبِلادِ

وَخَلِّ زِمَامَ الْعِيْسِ وارْتَحِلَنْ بِنَا ... عَلَى عَزْمَةٍ مِنْ أَمْرِنَا وَرَشَادِ>[1]

وَرُحْ رَائِحاً فِي الرَّاجِعِيْنَ مُشَيَّعاً ... لِذِي رَحِمٍ فِي الْقَوْمِ غَيْرِ مُعَادِ

فَرُحْنَا مَعَ الْعِيْرِ الَّتِي رَاحَ رَكْبُهَا ... يَؤُمُّونَ مِنْ غَوْرٍ بِلاَدَ إِيَادِ

فَمَا رَجَعُوا حَتَّى رَأَوْا مِنْ مُحَمَّدٍ ... أَحَادِيْثَ تَجْلُو غَمَّ كُلِّ فُؤَادِ

وَحَتَّى رَأَوْا أَحْبَارَ كُلِّ مَدِيْنَةٍ ... سُجُوداً لَهُ مِنْ عُصْبَةٍ وَفُرَادِ

زُرَيْرٌ وَتَمَّامٌ وَقَدْ كَانَ حَاضِراً ... دَرِيْسٌ، وَهَمُّوا كُلُّهُم بِفَسَادِ

فَقَالَ لَهُمْ قَوْلاً بَحِيرَى وَأَيْقَنُوا ... لَهُ بَعْدَ تَكْذِيْبٍ وَطُولِ بِعَادِ

كَمَا قَالَ لِلرَّهْطِ الَّذِيْنَ تَهَوَّدُوا ... وَجَاهَدَهُمْ فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِ

فَقَالَ وَلَمْ يَمْلِكْ لَهُ النُّصْحَ: رُدَّهُ / فَإِنَّ لَهُ أَرْصَاداً بِطِيْبِ مِهَادِ [٣٠/ظ]

وَإِنِّي أَخَافُ الْحَاسِدِيْنَ وَإِنَّهُ ... لَفِي الْكُتْبِ مَكْتُوبٌ لَهُ بِمِدَادِ

[٤٠] /وقال في ذلك -أيضاً-[2]:

إِنَّ ابْنَ آمِنَةَ الأَمِيْنَ مُحَمَّداً ... عِنْدِي بِمِثْلِ مَنَازِلِ الأَوْلاَدِ

لَمَّا تَعَلَّقَ بِالزِّمَامِ رَحِمْتُهُ ... وَالْعِيْسُ قَدْ قَلَّصْنَ بِالأَزْوَادِ

فَارْفَضَّ مِنْ عَيْنَيَّ دَمْعٌ ذَارِفٌ ... مِثْلُ الْجُمَانِ مُفَرَّقٌ بِبِدَادِ

راعَيْتُ فِيْهِ قَرَابَةً مَوْصُولَةً ... وَحَفِظْتُ فِيْهِ وَصِيَّةَ الأَجْدَادِ

وَأَمَرْتُهُ بِالسَّيْرِ بَيْنَ عُمُومَةٍ ... بِيْضِ الْوُجُوهِ مَصَالِتٍ أَنْجَادِ

(١) زيادة من "ب".

(٢) انظر: ديوانه ١٦٤-١٦٥.

سَـارُوا لأبْعَـدِ طَيَّـةٍ مَعْلُومَـةٍ ... وَلَقَـدْ تُبَاعَـدُ طَيَّـةُ الْمُرْتَـادِ
حَتَّى إذَا مَا القَوْمُ بُصْرَى عَـايَنُوا ... لاقَوْا عَلَى شَرَفٍ لَدَى الْمِرْصَـادِ
حَبْرًا فَأَخْبَرَهُمْ حَـدِيْثًا صَـادِقاً ... عَنْـهُ وَرَدَّ مَعَاشِـرَ الْحُسَّـادِ
قَوْماً يَهُـوداً عَـايَنُوهُ فَأبْصَـرُوا ... فِيْـهِ النُّبُـوَّةَ وُغَّـرَ الأَكْبَـادِ
جَاؤُوا لِقَتْـلِ مُحَمَّـدٍ فَنَهَـاهُمُ ... عَنْهُ وَأَجْهَـدَ غَايَـةَ الإجْهَـادِ

[مكانة رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ– عند عمّه أبي طالب]

وكان رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ– عند عمّه أبي طالب كأفضل أولاده، يُدْنيه ويُعظّمه ويشرّفه ويكرّمه، وذلك لما رأى فيه من دلائل الفضل وعلامات النُّبوَّة والرِّسالة، ولوصيّة عبد الْمُطَّلب أبيه به.

وكانت [٣١/و] في رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ– مكارم الأخلاق، وطهارة الأعراق، ووجد فيه الحلم[1]، والأمانة، والعقل، والورع، والزُّهْد، والفضل، وكان أبرّ النَّاس عند عمِّه أبي طالب، وله عنده الْمَنْزلة والمكان المكين. وكانت فاطِمَة بنت أَسَد امرأة عمّه تفضِّله على جميع أولادها، وتكرّمه وتخدمه وتعظّمه.

[ذكر مولد أمير المؤمنين –عليه السّلام–]

[٤١] /ولَمَّا[2] حملت فاطِمَة بنت أَسَد بأمير المؤمنين علي بن أبي طالب –عليه

(١) "آ": "العلم" وما أثبت فهو من "ب".

(٢) انظر: كتاب الأزهار ٢٢٦، كتر الفوائد ١/ ١١٦.

السّلام– رأت في منامها كأنَّ عموداً من حديد [قد][1] انتزع من [أُمِّ][2] رأسها، ثُمَّ سطع[3] نُوراً في الهواء، حتَّى بلغ إلى السَّماء، ثُمَّ رُدَّ إليها، فوقف ساعة عندها، وانْتُزِع مِنْ قدمها، فقالت: ما هذا؟ فقيل لها: هذا قاتل أهل الكفر، وصاحب ميثاق <أهل>[4] النَّصْر، بأسه شديد؛ تجزع مِنْ صولته الجنود، وهو معونة الله لنبيّه، وتأييده على عدوِّه، فاز بحبّه الفائزون، وسعد به السُّعداء الْمُتّقون، وهو مَثَل في السَّماء المرفوعة، والأرض الموضوعة، والجبال الشَّامخة، والبحار الزَّاخرة، والنُّجوم الزَّاهرة.

فلَمَّا جاءها المخاض أمرها بعلها أبو طالِب أن تطوف بالكَعْبَة [٣١/ظ] وتمسح بداخلها، وتبتهل من الأدعية بما أمكنها. ففعلت ذلك، وولدته في داخل الكَعْبَة، وقد أرادت الخروج، فعاجلها الطَّلق فراحت به إلى بيتها، وأقبلت على تربيته.

وألقى الله له المحبَّة في قلب نبيّه محمَّد –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ– وهو –عليه السّلام– –يومئذ– في تكامل شبابه، وحسن بهائه، فقال لفاطِمَة بنت أَسَد: "يا أُمّه؛ –وكذلك كان يدعوها– اجعلي مهد عليّ إلى جانبي".

وكان –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ– يتولّى أكثر تربيته حتَّى كبر واشتدّ، ووضح هداه واسترشد.

(١) زيادة من كتر الفوائد.

(٢) زيادة من كتر الفوائد.

(٣) "آ": "صدع" وما أثبت فهو من "ب".

(٤) زيادة من "ب".

[حديث بنيان الكَعْبَة وحكم رسول الله -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- بين قُرَيش]

وكان البيت قد انهدم فبنته قُرَيش، وكان رسول الله -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- -يومئذ- غُلاماً قد نشأ على الطَّهارة وأخلاق الأنبياء، فكانوا يدعونه: الأمين. فلَمَّا انتهوا إلى موضع الحجر الأسود أراد كل بطن من بطون قُرَيش أن يلي رفعه إلى موضعه، فاختلفوا في ذلك وتشاجروا.

ثُمَّ إنَّهم اصطلحوا على أن يُحَكِّموا في ذلك أوَّل من يطلع عليهم، فكان رسول الله -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ-، فقالوا: هذا الأمين قد طلع. وأخبروه الخبر، فانتزع إزاره ووضع الحجر فيه، وقال: "ليأخذ [٣٢/و] مِنْ كل بطن من قُرَيش رَجُل بحاشية الثَّوب[١]، وارفعوه معاً"[٢].

[٤٢] /فأعجبهم ما حكم به وأرضاهم، وفعلوا حتَّى إذا صاروا إلى موضعه، وضعه رسول الله -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- مكانه.

وإنَّما كانت قُرَيش تُسمِّيه: الأمين. لما ظهر لها من فضله وأمانته وعفَّته.

[خبر حرب الفِجار]

ولَمَّا بلغ رسول الله -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- أربع عشرة سنة ودخل في الخامسة عشرة، هاجت حَرْب الفِجار بين قُرَيش ومن معها من كِنَانَة، وبين قَيْس بن عَيْلان. وإنَّما سُمِّيت: "حَرْب الفِجار"، لما استحل فيها هذان

(١) "ب": "الإزار".

(٢) "لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب، ثمّ ارفعوه جميعاً" السِّيرة النَّبويَّة ١/١٩٧.

الحَيَّان[١]: كِنَانَة وقَيْس عَيْلان، فيه من المحارم بينهم.

وشهد رسول الله -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- وعمره عشرون سنة بعض تلك الحروب معهم، وقال -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ-: "كنتُ -يومئذ- أُنَبِّل على أَعْمامِي."[٢] أي أردّ عليهم نَبْلَ عدوِّهم إذا رموهم بها.

وكان إذا حضر -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- غلبت قُرَيش وكِنَانَة، وكانوا قد عرفوا ذلك، وكانوا يسألون عمّه أبا طالِب أن يخرجه معهم. ولحرب الفِجار قصَّة اختصرناها.

***

(١) "آ": "القبيلان"، وما أثبت فهو من "ب".

(٢) انظر: السِّيرة النَّبويَّة ١/١٨٦.

[حديث تزويج رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِه- خَدِيْجَة بنت خُوَيْلد]

ولَمَّا رأت خَدِيْجَة بنت خُوَيلد بن أَسَد بن عبد العُزَّى <بن قُصَيّ بن كِلاب بن مُرَّة بن كَعْب بن لُؤَيّ>(1) [بن غالِب بن فِهْر] فضل رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِه- وما يظهر من دلالته وتبيَّن من علاماته واستبشارها ذلك.

وكان مَيْسَرَة غُلامها قد [٣٢/ظ] خرج معه في بعض الأسفار، فرأى الغمامة تظلّه، والرُّهْبان يذكرون فضله، ويخبرون بقرب مبعثه.

وكانت خَدِيْجَة امرأة حازمةً لبيبةً شريفةً في قومها، فبعثت إلى رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِه-، وقالت: يا ابن عمِّي؛ إنِّي قد رغبت فيك لقرابتك، وفضلك في قومك، وأمانتك، وحسن خلقك، وصدق حديثك.

[٤٣] /ثُمَّ عرضت نفسها عليه، وكانت -يومئذٍ- أوسط نساء قُرَيش نَسَباً، وأعظمهنَّ شرفاً وحسباً. وتقدَّم أبو طالِب فخطبها لرسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِه.

قال عُلَماء السِّيَر:

وحضر أبو طالِب العَقْد، ووجوه بني هاشِم، والأَشْراف من قُرَيش، وعمومة رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِه-، وخطب أبو طالِب، فقال(2):

(١) زيادة من "ب".

(٢) انظر: من لا يحضره الفقيه ٣٩٧/٣-٣٩٨، الكامل للمبرد ١٣٦٢/٣، إعجاز القرآن للباقلاني ١٥٣، نثر الدر ٣٩٦/١، التذكرة الحمدونية ٢٥٣/٦-٢٥٤، ربيع الأبرار ٢٩٩/٤-٣٠٠، شرح نهج البلاغة ٧٠/١٤.

"الحمدُ لله الَّذي جَعَلَنا مِنْ ذُرِّيَّة إِبْراهِيْمَ -عليه السّلام-، وزَرْعِ إِسْماعِيلَ، وَضِئْضِئِ مَعَدّ، وَعُنْصُرِ مُضَر، وَجَعَلَنا مِنْ حَضَنَةَ بَيْتِه، وَسُوَّاس حَرَمِه، وَجَعَلَه لنا بَيْتاً مَحْجوجاً، وَحَرَماً آمناً، وجَعَلَنا <الْحُكَّامَ>(1) على النَّاس.

ثُمَّ إنَّ ابن أَخِي هَذا مُحَمَّد بن عبد الله، مَنْ لا يُوزَنُ به رَجُل(2) إلاَّ ورَجَحَ به [براً وفَضْلاً، وحزْماً وعَقْلاً، ومحتداً ونبلاً،](3) وإنْ كانَ في المال قُلٌّ، فَـ[ـإنَّ](4) المالَ ظِلٌّ زائِلٌ، وَأَمْرٌ حَائِلٌ، ومحمَّد مَنْ عرفتم نسبه، وقرابته، وصِدْقه، [٣٣/و] وأمانته، وَقَدْ خَطَبَ خَدِيْجَة بنت خُوَيْلد، وَبَذَلَ لَها مِنْ الصَّدَاق ماعاجِلُهُ وآجِلُهُ مِنْ مالي، ومبلغه "كذا" و"كذا"، وهو -والله- بعد [هذا](5) له نَبَأٌ عَظِيمٌ، وَخَطَرٌ جَلِيْلٌ".

وقيل: إنَّه أصدقها عشرين بَكْرَةً، وعشرة أواقي من ذهب، وعبدًا وأَمَةً.

وكانت خَدِيْجَة أفضل نساء رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِه-، ولم ينكح معها امرأة من نساء حتَّى توفِّيت -رحمة الله عليها ورضوانه- تعظيماً لقدرها، ورفعا لشأنها، وتشريفاً لها، على <أنَّ>(6) كل امرأة من

(١) زيادة من "ب".

(٢) "فتىً" في ربيع الأبرار.

(٣) زيادة من ربيع الأبرار.

(٤) زيادة من ربيع الأبرار.

(٥) زيادة من ربيع الأبرار.

(٦) زيادة من "ب".

نسائه لا تُساويها في الفضل، ولا تُدانيها، وكلّ ولده –عليه السلام– منها، ما خلا إبْراهيم –عليه السلام– فإنَّه من ماريَة القِبْطيَّة.

[٤٤] /والَّذين ولدت خَدِيْجَة للنَّبيّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آله– أكبر ولده وهو القاسم، وبه كان يُكَنَّى –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ–، ثُمَّ الطَّيِّب، ثُمَّ الطَّاهِر.

وبناته منها: رُقَيَّة، وزَيْنَب، وأم كُلْثُوم، وفاطِمَة –عليها السَّلام.

[حديث خديجة مع ورقة وصدق نبوءة ورقة فيه –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ–]

ولَمَّا تزوَّجها رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ– لم تزل ترى منه، ويخبرها بما استفاض منه من علائم النُّبوَّة، ودلائل الرِّسالة، فتذكر لابن عمّها وَرَقَة بن نَوْفَل، فيبشِّرها به، ويقول: والله إنَّه لهو النَّبيّ المنتظر. [٣٣/ظ] ومات وَرَقَة بن نَوْفَل قبل أن يُبْعَث رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ–، وكان شاعِراً، وكان كلَّما أخبرته خَدِيْجَة بما تُشاهده منه ويُخْبِرها به رسول الله، فيستبطىء أمره، ويقول متى يُبْعَث فأُؤمن به وأُصدِّقه.

وفي ذلك يقول ورقة(١):

لَجَجْتُ وَكُنْتُ فِي الذِّكْرَى لَجُوجَا ... لِهَمٍّ طَالَمَا بَعَثَ النَّشِيْجَا
وَوَصْفٍ مِنْ خَدِيْجَةَ بَعْدَ وَصْفٍ ... فَقَدْ طَالَ انْتِظَارِي يَا خَدِيْجَا
بِبَطْنِ الْمَكَّتَيْنِ عَلَى رَجَائِي ... حَدِيْثَكِ أَنْ أَرَى مِنْهُ خُرُوجَا
بِمَا خَبَّرْتِنَا مِنْ قَوْلِ قَسٍّ ... مِنَ الرُّهْبَانِ يَكْرَهُ أَنْ يَعُوجَا

(١) انظر: السِّيرة النبويّة ١/١٩١–١٩٢.

بِأَنَّ مُحَمَّداً سَيَسُودُ فِيْنَا ... وَيَخْصِمُ مَنْ يَكُونُ لَهُ حَجِيْجَا
وَيُظْهِرُ فِي الْبِلَادِ ضِيَاءَ عَدْلٍ ... يُقِيْمُ بِهِ الْبَرِيَّةَ أَنْ تَمُوجَا
فَيَلْقَى مَنْ يُحَارِبُهُ خَسَاراً ... وَيَلْقَى مَنْ يُسَالِمُهُ فُلُوجَا
فَيَا لَيْتِي إِذَا مَا كَانَ ذَاكُمْ ... شَهِدْتُ وَكُنْتُ أَوَّلَهُمْ وُلُوجَا
وُلُوجاً فِي الَّذِي كَرِهَتْ قُرَيْشٌ ... وَلَوْ عَجَّتْ بِمَكَّتِهَا عَجِيْجَا
أُرَجِّي بِالَّذِي كَرِهُوا جَمِيْعاً ... إِلَى ذِي الْعَرْشِ إِنْ سَفَلُوا عُرُوجَا
وَهَلْ أَمْرُ السَّفَاهَةِ غَيْرُ كُفْرٍ ... بِمَنْ يَخْتَارُ مَنْ سَمَكَ الْبُرُوجَا
<فَإِنْ يَبْقَوْا وَأَبْقَ تَكُنْ أُمُورٌ ... يَضِجُّ الْكَافِرُونَ لَهَا ضَجِيْجَا>(١)
/وَإِنْ أَهْلِكْ فَكُلُّ فَتًى سَيَلْقَى / مِنَ الأَقْدَارِ مُتْلِفَةً حَرُوجَا [٣٤/و][٤٥]

***

(١) زيادة من "ب".

[ذكر إسلام عليّ بن أبي طالب –عليه السَّلام–]

وكان عليّ –عليه السّلام– عند رسول الله –صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ– يكفله ويربِّيه، وعلى الطّهارة والتّقوى يُنشئه. وذلك أن أشراف العرب، وأهل السِّيادة منهم، كانوا إذا شَبَّ لأحدهم الولد، وأراد تقويمه وتأديبه، دفعه إلى شريف من أشراف قومه، ليلي ذلك منه ويستخدمه فيما يقوِّمه به، لئلاّ يدلّ عليه دالّة.

وكان لأبي طالب من الأولاد: طالب، وعَقِيْل، وجَعْفَر، وعليّ –عليه السّلام– وبين كلّ واحد منهم و<بين>[١] الّذي يليه عشر سنين، فدفع عَقِيْلاً إلى العبَّاس، وجَعْفَر إلى حَمْزَة –رضي الله عنه–، ودفع عليًّا إلى رسول الله –صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ–، وقيل: بل ترك عَقِيْلاً عنده، وقال: دعوا لي عَقِيْلاً، وخذوا من شئتم.

فكان علي –عليه السّلام– عند رسول الله –صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ–، ونشأ معه على الطّهارة؛ لم يعبد صنماً، ولم يحتقب إثْماً، بل شَبَّ على الطّهارة والتّقوى، واجتناب المنكر والفحشاء، وكانت أخلاقه أخلاق رسول الله –صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ–، وسيرته بسيرته، وكانت خَدِيْجَة تعرف حُبّ رسول الله –صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ– لعليّ –عليه السّلام–، فكانت تكرمه وتعظّمه.

ثُمَّ إنّ [٣٤/ظ] الله –تعالى– اصطفى نبيّه محمّدا –صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وعَلَى

(١) زيادة من "ب".

آلِهِ– سيِّد البشر، وخاتم النّذر، وخير ولد آدم –عليه السّلام–، فبعثه نبيّاً، وأرسله هادياً مهديّاً، فلمَّا أتاه الوحي ونزل عليه جَبْرَائِيْل –عليه السّلام– بالرِّسالة، دعا خَدِيْجَة إلى الإسلام يوم بعث –صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ–، وذلك في اليوم السَّابع والعشرين من شهر رجب، فأسلمت من وقتها، وشهدت لله –تعالى– بالوحدانيَّة، ولمحمَّد –صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ– بالرِّسالة، وذلك يوم الاثنين.

ودعا رسول الله –صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ– عليّ بن أبي طالب –عليه السّلام– يوم الثّلاثاء ثاني ذلك اليوم، وأخبره بما اختصّه الله <به>[١] من الدّعوة إليه، وأرسله إلى كافّة النّاس، فقال: بأبي أنتَ وأُمِّي؛ أَنْظِرْنِي يَوْمِي ساعة. فقال رسول الله –صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ–: "أَنَا أُنْظِرُكَ مَا شِئْتَ؛ وَلَكِنْ مَا /قُلْتُ لَكَ بِأَمَانَةٍ عِنْدَكَ لا يَطَّلِع عَلَيْهِ غيرك". فقال <عليٌّ>[٢] – [٤٦] عليه السّلام–: إنَّما أردتُ أن أتقدَّم في ذلك إلى أبي، فإذا قلت ما قلت، فَأنا أَشْهَدُ أَنْ لاَ إلهَ إلاّ اللّهُ وَأَنَّكَ رَسُولُ اللّهِ.

فكانت نُبوَّة محمَّد –صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ–يوم الاثنين، وإسلام عليّ –عليه السّلام– يوم الثّلاثاء ثاني ذلك اليوم، وهو من الرِّجال [٣٥/و] أسبق السَّابقين، وأوَّل المؤمنين المُصدِّقين. وهذا إجماع من جميع الأُمَّة لا ينكره منكر، ولا يُعارضه <فيها>[٣] معارض، وأكثر ما يقول من أراد أن يدفع

(١) زيادة من "ب".

(٢) زيادة من "ب".

(٣) زيادة من "ب".

فضل علي –عليه السّلام–، ويخفي ما أبانه الله به منه هو أن يقول: "إنّما كان إسلامه قبل أوان بلوغه الحلم، وإنّه لا يعد إسلاماً!". ونسوا قول الله –تعالى– في يحيى بن زكريّا –عليه السّلام–: ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾[مريم: ١٢].

وقوله في المسيح –عليه السّلام–: ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ﴾[آل عمران: ٤٦]. وذلك في النُّبوَّة، فكيف بالإسلام والإيمان اللَّذَيْن هما دون تلك الدَّرجة، ويصغران عن تلك المَنْزلة؟! وإنّما ذلك منهم جحود لفضل أوليائه، وكفر لنعمته؛ إذ أنكروا العيان، ودفعوا البُرهان!

والحُجَّة في ذلك تطول وليس هذا موضع ذكرها، فمن أراد البحث عن ذلك وجده في كثير من الكتب المؤلّفة، والاحتجاجات المُصنَّفة.

وقد رووا عن عبد الله بن عمر بن الخطّاب، –وهو عندهم ممَّن يُؤْخذ بقوله،– أنّه قال[١]: "إذا بلغ الصَّبيّ سبع سنين كُتِبَ إيمانه وكفره".

[٣٥/ظ] والحجج في ذلك تطول وتتّسع وتخرج عن حدِّ هذا الكتاب، وفي القليل كفاية لمن حكَّم عقله، وأنصف نَفْسه، واتّبع قول الله ربّه، ولم يقصد الهَوى، ولا يتعصَّب ببغضه مَنْ اختاره الله وارتضاه.

[٤٧] /ومكث علي –عليه السّلام– عدَّة من السِّنين يُصلِّي مع رسول الله –صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ–، وهما وحدهما؛ كانا يُصلّيان في شِعَاب مكّة ما معهما غيرهما، فمكثا –سلام الله عليهما– ثمان سنين، ليس على وجه الأرض

(١) انظر: شرح الأخبار ١٩٠/١.

أحد يدين بدين الإسلام[١] إلاّ هما وخَدِيْجَة بنت خُوَيْلد –رضي الله عنها.

وعثر عليهما أبو طالب، فقال لرسول الله –صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ–: ما هذا الذي تصنعه يا ابن أخي؟ فقال[٢]: "يَا عَمِّ؛ هَذَا دِيْنُ اللهِ أَرْسَلَنِي بِهِ، وَهَذِه مِلَّةُ أَبِيْنَا إِبْرَاهِيْمَ، وَأَنْتَ يَا عَمِّ أَحَقُّ مَنْ بَدَأْتُ لَهُ بِالنَّصِيْحَةِ وَدَعَوْتُهُ إِلَى دِيْنِ اللهِ، وَأَنْتَ أَحَقُّ مَنْ أَجَابَ إِلَيْهِ وَأَعَانَ عَلَيْهِ".

فَزَعَم الرُّواة أَنَّهُ قالَ لَهُ[٣]:

"أَمَّا مُفَارَقَةُ ما أَنَا عَلَيْه فما لي إلى ذلك مِنْ سَبِيْلٍ، وَأَمَّا عَوْنُكَ فَوَاللهِ لاَ يَخْلُصُ إِلَيْكَ أَحَدٌ بِشَيْءٍ تَكْرَهُهُ ما بَقِيْتُ. وقال لِعَلِيٍّ –عليه السّلام–: اتْبَعْ ما [٣٦/و] يقول لك مُحَمَّدٌ، وَلاَ تُفَارِقْهُ، وَالْزَمْهُ فَإِنَّهُ لم يَدْعُكَ إلاّ إلى دِيْنِ اللهِ".

وقد رُوِيَ عن أبي عُثْمان قاضي الموصل، بإسناد يرفعه إلى أبي أيُّوب الأنصاريّ، أنّه قال[٤]:

"سمعتُ رسول الله –صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ–، يقول: [لقد][٥] صلّيتُ أنا وعليّ بن أبي طالب سبع سنين، وذلك أنّه لم يُؤمن ذَكَر من قبله، وذلك قول الله –عزّ وجلّ–: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ﴾[غافر: ٧]. لمن في الأرض. وكان ذلك لي ولعليّ

(١) "ب": "الله –تعالى–".

(٢) انظر: السيرة النبوية ٢٤٦/١-٢٤٧.

(٣) انظر: المناقب والمثالب [ورقة ٢٢/ظ].

(٤) انظر: شرح الأخبار ٤٠٩/٢-٤١٠.

(٥) زيادة من شرح الأخبار.

ولِخَدِيْجَة بنت خُوَيْلد، ثُمَّ لمن آمن من بعد".

ورُوِيَ(١): "أنَّ أبا طالب مَرَّ برسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- ومعه عليٌّ -عليه السّلام- وهما يُصَلِّيَان، وجَعْفَر بن أبي طالب مع أبيه، فالتفت أبو طالب إلى <ابنه>(٢) جَعْفَر الطَّيَّار -عليه السّلام- /وقال: ارجع [٤٨] فَصِلْ جَنَاحَ ابن عَمِّكَ. فأتى جَعْفَر -رضوان الله عليه- رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- وأسلم، وصلَّى معهما -عليهما السّلام-، فكانت أوَّل صلاة صلاَّها رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- في جماعة".

[حديث العشيرة في بدء الدَّعوة]

و[روينا عن عليّ بن أبي طالب -عليه السَّلام- أنَّه قال](٣):

"لَمَّا(٤) أنزل الله -عزَّ وجلَّ- على رسوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ-: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيْرَتَكَ الأَقْرَبِيْنَ﴾[الشعراء: ٢١٤]. جمع رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- بني عبد الْمُطَّلِب على فَخْذِ شاةٍ وقدح من لبن، وإنَّ فيهم -يومئذٍ- [٣٦/ظ] عشرةً، ليس منهم رَجُلٌ إلاَّ يأكل الجَذَعَةَ وَيَشْرَبُ المَرَقَ(١)، وهم بضعٌ وأربعون رَجُلاً، فأكلوا حتَّى شبعوا(٢)، وشربوا حتَّى ارْتَوَوا، وفيهم -يومئذٍ- أبو لهب، فقال لهم رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ-: "يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِب؛ أَطِيْعُونِي تَكُونُوا مُلُوكَ الأَرْضِ وَحُكَّامَهَا، إِنَّ اللهَ لَمْ يَبْعَثْ نَبِيًّا إِلاَّ جَعَلَ لَهُ وَصِيًّا [وَوَزِيْرًا](٣) وَوَلِيًّا وَوَارِثًا وأخاً، فأيُّكم يكون أخي ووصيِّ ووزيري ووارثي؟" فسكتوا، فجعل يعرض عليهم رَجُلاً رَجُلاً، ليس منهم أحدٌ يقول ذلك ولا يَقْبَلُهُ.

قال عليٌّ -عليه السّلام-: حَتَّى لم يَبْقَ منهم [أَحَدٌ](٤) غيري، وأنا -يومئذٍ- [مِنْ](٥) أحدثهم سِنّاً، فعرض عَلَيَّ، فقلتُ: نَعَمْ؛ أنا يا رَسُولَ الله. فقال: "نَعَمْ؛ أنتَ يا عَلِيُّ أخي ووصيّ ووزيريّ ووارثي". وقال لهم: "اسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيْعُوهُ".

فلمَّا انصرفوا قال لهم أبو لهب: لَوْ لَمْ تَسْتَدِلُّوا عَلَى سِحْرِ صاحبكم إلاَّ بِمَا رَأَيْتُمْ: أَتَاكُمْ بِفَخْذِ شَاةٍ وَقَدَحٍ مِنْ لَبَنٍ فَأَشْبَعَكُمْ ورويتم. وجعلوا يسهزئون، ويقولون لأبي طالب: قد قُدِّمَ ابنكَ اليوم عليك".

(١) انظر: شرح الأخبار ٢٠٥/٣، الأمالي للصدوق ٥٩٧، الفصول المختارة للشيخ المفيد ١٧١.

(٢) زيادة من "ب".

(٣) زيادة من دعائم الإسلام.

(٤) انظر: دعائم الإسلام ١٥/١-١٦، المناقب والمثالب [ورقة ٦٥/ظ-٦٦/و]، شرح الأخبار ١٠٦/١-١٠٧، تاريخ الطبري ٣١٩/٢-٣٢١، تفسير فرات الكوفي ٢٩٩-٣٠١، الارشاد للشيخ المفيد ٤٩/١-٥٠، شواهد التنزيل ٤٨٥/١-٤٨٦، ترجمة الإمام علي لابن عساكر ١٠١/١-١٠٢.

(١) "الفَرَقَ" في دعائم الإسلام.

(٢) "صَدَروا" في دعائم الإسلام.

(٣) زيادة من دعائم الإسلام.

(٤) زيادة من دعائم الإسلام.

(٥) زيادة من دعائم الإسلام.

[٤٩] **[/جهر الرَّسول –صلى الله عَلَيْهِ وعَلَى آله– بالدَّعْوَة]**

ومضى رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ– [٣٧/و] على الدَّعوة إلى الله –تعالى–، وإبلاغ رسالته. وأمره الله –تعالى– بالدُّعاء إليه، فقال –تعالى–: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾[الحجر: ٩٤]. فأظهر –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ– نفسه ودعا قُرَيشاً وأهل مكّة إلى الإسلام، وأخبرهم بما أتاه من عند الله –تعالى–، وأنذرهم بأسه، وخوَّفهم عذابه، وعاب آلهتهم وما يدعون من دون الله. وانتصب عمّه أبو طالب لمن أراد إنكار ذلك عليه ومنعه، فشقَّ ذلك على قُرَيش، وعظم أمره عليها؛ إذ سفَّه أحلامها، وعاب آلهتها.

[ذِكْرُ ما دار بين قُرَيش وأبي طالب]

ومشى[1] بعضهم إلى بعض في ذلك إنكاراً لما دعاهم إليه، واستكباراً على الله –تعالى– <وعليه.>[2] وكان الذي قام في ذلك، وقعد، وصوَّب، وصعَّد أبو سُفْيان، وهو صخر بن حَرْب بن أُمَيَّة بن عبد شَمْس بن عبد مَناف، وبنو أبيه من بني أُمَيَّة، وعُتْبَة وشَيْبَة ابنا رَبِيْعَة بن عبد شَمْس، وأبو البَخْتَري –وهو العَاص بن هِشام–، والوَلِيد بن الْمُغِيْرَة، والأَسْوَد بن عبد الْمُطَّلِب، والعَاص بن وائِل، والْحَكَم بن أبي العَاص، وأبو جَهْل بن هِشام، فاجتمعوا و[تـ]ـدبَّروا الرَّأي، فرأَوْا أن [٣٧/ظ] يأتوا أبا طالب وأن يذكروا ذلك له. فَأَتَوْهُ وقالوا: يا أبا طالِب؛ إنَّ ابن أخيك محمَّداً قد سَفَّه

(١) انظر : المناقب والمثالب [ورقة ٢٣/ظ]-٢٤و].

(٢) زيادة من "ب".

أحلامنا، وعاب آلهتنا، وضلَّل آباءنا، وإنَّك قد انْتَصَبْتَ دونه، فإمَّا أَنْ تكفيناه، وإمَّا أَنْ تُخْلِي بيننا وبينه. فقال لهم أبو طالِبٍ قولاً رفيقاً وردَّهم رَدّاً جميلاً، فانصرفوا عنه.

ومضى رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ– على أمره، والدَّعوة إلى الله ربّه، مُبيِّناً ما الله به أرسله.

وَأَسْلَمَ ناسٌ كثيرٌ مِنْ أَفْناء قُرَيْشٍ، فَشَقَّ ذلك على بني أُمَيَّة ومن تابعهم من قُرَيش، وَأَتَوْا عمَّه أبَا طَالِب مرَّة أُخرى، فقالوا له: يا أبا طالِب؛ قد كُنَّا أتيناك وشكونا إليك [ما لقينا][1] مِنْ ابن أخيك، ولك فينا شَرَفٌ وَمَنْزِلَةٌ، وما نحن بصابرين على ما نزل بنا مِنْ ابن أخيك؛ مِنْ سَبِّ آلهتنا،/ وَنَقْص آبائنا، [٥٠] وَتَسْفِيْه أحلامنا، وقد اتَّبعه على ذلك جَمَاعَةٌ مِنْ قُرَيْشٍ، فإمَّا كَفَفْتَهُ عَنَّا وَكَفَيْتَنا شأنه، وَإلاَّ فنحن مُنَازِلُوهُ وإيَّاك، ومُحاربوكما وَمَنْ اتَّبَعَهُ، حتَّى يهلك أحد الفريقين. فردَّ عليهم أبو طالِبٍ ردّاً جميلاً، وقال: أنا أنظر بما يكون فيه الصَّلاح في ذلك إنْ شاء الله.

واتَّصل به أنَّه اجتمع رأيهم [٣٨/و] عَلَى مُحَارَبَتِهِ وأَنَّهم رَأَوْا أَنَّ المبادرة في ذلك أهون عليهم مِنْ أَنْ يَدَعُوهُ حَتَّى يتمكَّن وَيَعْظُمَ أمره. فعظم ذلك على أبي طالِبٍ وأتى رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ– فقال له: يا ابن أخِي؛ إنَّه قد جاء عن قومك ما قد بلغك، فَأَبْقِ عَلَيَّ وعلى نَفْسك ولا تُحَمِّلْني [من الأَمْر][2] ما لا أُطِيْقُهُ.

(١) زيادة من المناقب والمثالب.

(٢) زيادة من المناقب والمثالب.

فَظَنَّ رَسُولُ اللهِ -صلى الله عَلَيْهِ وعَلَى آله- أنَّه قد بدا لأبي طالب في نُصْرَتِه، [فعظم ذلك عليه][١] وَاسْتَعْبَرَ، ثُمَّ قال: "يَا عَمِّ؛ إِنْ شِئْتَ فَلاَ تُكَلِّفَ نَفْسَكَ [ما لا تُطِيْقُهُ،][٢] فَأَمَّا أنا -فَوَاللهِ- لَوْ وَضَعُوا الشَّمْسَ فِي يَمِيْنِي، وَالقَمَرَ فِي شِمَالِي، لما تَرَكْتُ هَذا الأَمْرَ حَتَّى يُظْهِرَهُ اللهُ أَوْ أَهْلِكَ دُونَهُ".

وقام عنه مُوَلِّياً، فدعاه أَبُو طَالب وقال: يا ابن أخِي؛ إذهب فَقُلْ ما أَحْبَبْتَ واصْنَعْ ما شِئْتَ، فوالله لا أُسْلِمُكَ لِشَيْءٍ أَبَداً.

وقال في ذلك[٣]:

وَاللهِ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ بِجَمْعِهِـــمْ ... حَتَّى أُوَسَّدَ فِي التُّـــرَابِ دَفِيْنَــا
فَاجْهَدْ لأَمْرِكَ مَا عَلَيْكَ غَضَاضَةٌ ... وَابْشِرْ وَقَرَّ بِذَاكَ مِنْـــكَ عُيُونَــا
وَدَعَوْتَنِي وَزَعَمْتَ أَنَّكَ نَاصِـحٌ ... فَلَقَدْ صَدَقْتَ وَأَنْتَ كُنْتَ أَمِيْنَــا
وَعَرَضْتَ دِيْناً لا مَحَالَــةَ إِنَّـــهُ ... مِنْ خَيْرِ أَدْيَـــانِ الْبَرِيَّـــةِ دِيْنَـــا
[٣٨/ظ] لَوْلاَ الْمَلاَمَةُ أَوْ حَـــذَارِي سُـــبَّةً / لَوَجَدْتَنِي سَمْحاً بِـــذَاكَ مُبِيْنَـــا

فهذه الشَّهادة -أيضاً- من أبي طالب بصدق <قول>[٤] رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آله-، وأنَّ دِينه خير الأديان، في كثير مِمَّا نذكره مِمَّا هو على كتم دِينه أكبر بُرْهان.

(١) زيادة من المناقب والمثالب.
(٢) زيادة من المناقب والمثالب.
(٣) انظر: ديوان أبي طالب ٨٧.
(٤) زيادة من "ب".

[٥١] **[/مشي قريش إلى أبي طالب ثالثة بِعُمارَة بن الوَليد]**

ثُمَّ إنَّ قُرَيشاً حين علموا أنَّ أبا طالب لن يخذل رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آله-، ولن يسلمه، وأنَّه قد أجمع على فراقهم وعداوتهم، مَشَوْا إليه بِعُمَارَة بن الوَلِيْد بن الْمُغِيْرَة، فقالوا له: يا أبا طالب؛ هذا عُمَارَة بن الْوليد أَنْهَدُ فتىً فِي قُرَيْشٍ وأَشْعَرُهُ، نحن نَدْفَعُهُ إليك [فخذه] فلك عقله ونصره، فاتَّخذه وَلَداً فهو لكَ، وأسلم إلينا ابن أخيكَ؛ هذا الَّذي خالف دِينك وَدِيْن آبائك، وفرَّق جماعة قومك، وسفَّه أحلامهم، فإنَّما هو رَجُلٌ كرجلٍ. فقال لهم أبو طَالب: لَبِئْسَ -واللهِ- مَا تَسُومُونَنِي؛ أَتُعْطُونِي ابنكم؟! أَكْسُوهُ وأَغْذُوه، وأعطيكم ابني لتقتلوه! هذا -وَاللهِ- مَا لا يكون أبداً. فقال له الْمُطْعِمُ ابن عَدِيِّ بن نَوْفَل بن عَبْدِ مَناف: لقد أنصفك قومك يا أبا طالب، وجَهدوا فِي التَّخَلُّص مِمَّا تكره، فما أراك تريد أَنْ تقبل منهم شيئاً. فقال أبو طَالب للمُطْعِم: لا والله ما أنصفوني! [٣٩/و] ولكنَّك قد أجمعت على خذلاني ومظاهرتهم عليّ، فاصنع ما بدا لك.

[شِعر أبي طالب في التَّعْرِيض بِالْمُطْعِم ومن خَذَلَه من بني عَبْد مَناف]

فقال أبو طالبٍ فِي ذلك يحرِّض بني عبد مَناف على نُصْرته، ويستميل بني عبد شَمْس[١]:

أَلا قُلْ لِعَمْرٍو وَالْوَلِيْـــدِ وَمُطْعِـــمٍ ... أَلاَ لَيْتَ حَظِّي مِنْ حيَاطَتِكُمْ بَكْـــرُ
مِنَ الْخُوْرِ حَبْحَابٌ كَثِيْرٌ رُغَـــاؤُهُ ... يَرُشُّ عَلَى السَّاقَيْنِ مِنْ بَوْلِهِ قَطْـــرُ

(١) انظر: ديوانه ١٨٦-١٨٧.

تَخَلَّفَ خَلْفَ الْوِرْدِ لَيْسَ بِلاَحِقٍ | إِذَا مَا عَلاَ الْفَيْفَاءَ قِيْلَ لَـهُ: وَبْـرُ

أَرَى أَخَوَيْنَا مِـنْ أَبِيْنَا وَأُمِّنَا | إِذَا سُئِلا قَالاَ: إِلَى غَيْرِنَا الأَمْـرُ

بَلَى لَهُمَا أَمْرٌ وَلَكِـنْ تَجَرْجَمَا | كَمَا جُرْجِمَتْ مِنْ رَأْسِ ذِي عَلَقٍ صَخْرُ

أَخُصُّ خُصُوصًا عَبْدَ شَمْسٍ وَنَوْفَلاً | هُمَا نَبَذَانَا مِثْلَ مَا يُنْبَذُ الْجَمْـرُ

هُمَا أَغْمَزَا لِلْقَوْمِ فِـي أَخَوَيْهِمَا | فَقَدْ أَصْبَحَتْ مِنْهُم أَكُفُّهُمَا صِـفْرُ

هُمَا أَشْرَكَا فِي الأَمْرِ مَنْ لاَ أَبَا لَـهُ | مِنَ النَّاسِ إِلاَّ أَنْ يُرَسَّ لَـهُ ذِكْـرُ

وَلِيْدٌ أَبُوهُ كَـانَ عَبْـداً لِجَـدِّنَا | إِلَى عِلْجَةٍ زَرْقَاءَ جَاشَ بِهَا الْبَحْـرُ

وَتَيْمٌ وَمَخْـزُومٌ وَزُهْـرَةُ مِـنْهُمُ | وَكَانُوا لَنَا مَوْلًى إِذَا ابْتُغِيَ النَّصْـرُ

فَقَدْ سَفُهَتْ أَحْلاَمُهُمْ وَعُقُـولُهُمْ | وَكَانُوا كَجَفْرٍ بِئْسَ مَا صَنَعَتْ جَفْرُ

فَوَاللَّـهِ لاَ تَنْفَـكُّ مِنَّـا عَـدَاوَةٌ | وَلاَ مِنْهُمُ مَا كَانَ مِنْ نَسْلِنَا شَـفْرُ

[٥٢] [/تمادي عبد شَمْس العداوة لبني عبد مَناف]

فلم يزد ذلك بني أُمَيَّة ومن حالفها إلاَّ عداوة لرسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ-، ووقع ذلك من بني [٣٩/ظ] هاشمٍ وبني عبد الْمُطَّلب موقعاً صرف قلوبهم إلى نُصْرَة رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ-، ما خلا ما كان من الخبيث أبي لَهَب.

وكان بنو الْمُطَّلب وبنو هاشمٍ في القديم -كما ذكرنا- أمرهم واحد.

فقال أبو طالب يُحَرِّضُهُمْ[١]:

حَتَّى مَتَى نَحْـنُ عَلَـى فَتْـرَةٍ | يَا هَاشِماً وَالقَوْمُ فِـي جَحْفَـلِ

(١) انظر: ديوانه ١٠٩-١١٠.

يَدْعُونَ بِالْخَيْـلِ عَلَـى رِقْبَـةٍ | مِنَّا لَدَى الْخَوْفِ وَفِـي مَعْـزِلِ

كَالْحَرَّةِ السَّـوْدَاءِ تَغْلُـو بِهَـا | سَرْعَانُهَا فِي سَبْسَـبٍ مَجْهَـلِ

عَلَـيْهِمُ التَّـرْكُ عَلَـى رَعْلَـةٍ | مِثْلُ الْقَطَـا الشَّـارِبِ لِلْمَنْهَـلِ

يَا قَوْمُ ذُوْدُوا عَـنْ جَمَـاهِيْرِكُمْ | بِكُلِّ مِقْصَـالٍ عَلَـى مُسْـبِلِ

حَدِيْـدِ خَمْـسٍ لَهِـزٍ خَـدُّهُ | مَـآرِثُ الأَفْضَـلِ لِلأَفْضَـلِ

عَرِيْضِ سِـتٍّ لَهِـبٍ حُضْـرُهُ | يُصَانُ بِالتَّـذْلِيْقِ فِـي مِجْـدَلِ

كَمْ قَدْ شَهِدْتُ الْحَرْبَ فِي فِتْيَـةٍ | عِنْدَ الْوَغَى فِي عِثْيَـرِ الْقَسْـطَلِ

لاَ مُتَنَحِّـيْنَ إِذا جِئْـتَهُمْ | وَفِي هِيَاجِ الْحَـرْبِ كَالأَشْـبُلِ

[شِعْرُ أبي طالب في نصرة الرَّسول -صلى الله عَلَيْه وعَلَى آله-]

فلمَّا اجتمع لأبي طَالبٍ بنو هاشمٍ وبَنُو الْمُطَّلب، وثق بأَمْرِ نَفْسه، وَزَادَتْ بصيرته في نُصْرَة رسول الله -صلى الله عَلَيْه وعَلَى آله-، وَبَايَنَ بني أُمَيَّة وبني عَبْد شَمْسٍ، ومَنْ قام معهم مِنْ بُطون قُرَيْشٍ بالعداوة، وصَرَّح لهم بها، وقال[١]:

مَنَعْنَا الرَّسُولَ رَسُولَ الْمَلِيْـكِ | بِبِيْضٍ تَلاَلاَ كَلَمْـعِ الْبُـرُوقِ

/بِضَرْبٍ يُذِيبُ دُونَ النِّهَـابِ | حِـذَارَ الْوَتَـائِرِ وَالْخَنْفَقِيْـقِ [٤٠/و]

أَذُبُّ وَأَحْمِي رَسُولَ الْمَلِيْـكِ | حِمَايَةَ عَـمٍّ عَلَيْـهِ شَـفِيْقِ

/وَمَـا إِنْ أَدِبُّ لأَعْدَائِـهِ | دَبِيْبَ الْبِكَارِ حِـذَارَ الْفَنِيْـقِ [٥٣]

وَلَكِـن أَزِيْـرُ لَهُـمْ سَامِياً | كَمَا زَارَ لَيْثٌ بِغِيْـلٍ مَضِـيْقِ

(١) انظر: ديوانه ١١١-١١٢.

وقال —أيضاً—(١):

وَاللهِ لا أَخْـذُلُ النَّبِـيَّ وَلا ... يَخْذُلُهُ مِنْ بَنِـيَّ ذو حَسَـبِ

إنَّ عَلِيّـاً وَجَعْفَـراً ثِقَتِـي ... عِنْدَ احْتِدامِ الأُمُورِ وَالْكُـرَبِ

أَرَاهُمَـا عُرْضَـةَ اللِّقَـاءِ إذا ... سَامَيْتُ أَوْ أَنْتَمِي إِلَى حَسَبِ

لا تَخْذُلا وَانْصُرا ابنَ عَمِّكُمَا ... أَخِي ابنِ أُمِّي مِنْ بَيْنِهِمْ وَأَبِي

[شِعْرُ أبي طالب في مدح قومه لجدهم عليه]

ولَمَّا رأى أبو طالب من قومه ما يسرّه وجدّهم معه، جعل يمدحهم، ويذكر قديمهم، ويذكر فضل رسول الله —صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ— ومكانه منهم ليشتدّ له رأيهم، ويجمعوا على أمره، فقال(٢):

إِذَا اجْتَمَعَتْ يَوْماً قُرَيْشٌ لِمَفْخَرٍ ... فَعَبْدُ مَنَافٍ سِـرُّها وَصَـمِيْمُهَا

وإِنْ حُصِّلَتْ أَشْرافُ كُلِّ قَبِيْلَـةٍ ... فَفِيْ هَاشِمٍ أَشْرافُهَا وَقَـدِيْمُهَا

وَإِنْ فَخَرَتْ يَوْماً فَإِنَّ مُحَمَّـداً ... هُوَ الْمُصْطَفَى مِنْ سِرِّهَا وَكَرِيْمُهَا

تَداعَتْ قُرَيْشٌ غَثُّهَا وَسَـمِيْنُهَا ... عَلَيْنَا فَلَمْ تَظْفَر وَطَاشَتْ حُلُومُهَا

وَكُنَّا قَـدِيْماً لا نُقِـرُّ ظُلامَـةً ... إِذَا مَا ثَنَوْا صُعْرَ الْخُدُودِ نُقِيْمُهَا

[٤٠/ظ] وَنَحْمِي حِمَاهَا كُلَّ يَوْمِ كَرِيْهَةٍ / وَنَضْرِبُ عَنْ أَحْجَارِهَا مَنْ يَرُومُهَا

بِنَا انْتَعَشَ الْعُودُ الذَّوِيُّ وَإِنَّمَـا ... بِأَكْنَافِنَا تَنْدَى وَتَنْمِـي أُرُومُهَـا

(١) انظر: ديوانه ١٧١.

(٢) انظر: ديوانه ١١٣-١١٤.

[تحيّر الوَلِيد بن الْمُغِيْرَة فيما يصف به القرآن]

ثُمَّ إن الوَلِيد بن الْمُغِيْرَة اجتمع إليه نفر من قُرَيش، وكان ذا سنّ فيهم وقد حضر الموسم، فقال لهم: يا معشر قُرَيش؛ إنَّه قد حضر الموسم، وإنّ وفود العرب ستقدم عليكم فيه، وقد سمعوا أمر صاحبكم هذا، فاجمعوا فيه الرّأي رأياً واحداً، لا تختلفوا فيكذّب بعضكم بعضاً، ويردّ قول بعضكم /قول بعض. [٥٤] قالوا: فأنت يا أبا عبد شَمْس، فقل، وأقم لنا رأياً نقول به. قال: بَلْ أنتم فقولوا [حتَّى](١) أسْمَعَ [مَا تَقُولُونَ.](٢) قالوا: نقول [إنَّه](٣) كَاهِنٌ. قال: والله ما هو بكاهن؛ لقد رأينا الكهّان فَمَا قوله بزمزمة الكهّان ولا سجعهم. قَالُوا نقول: مَجْنُونٌ.

قال: لَقَدْ رأينا الجنون وعرفناه، فما هو بجنّة تخالجه ولا وسوسته. قالوا: فنقول شاعر. قال: ما هو شاعر قد عرفنا الشِّعْر كله: رجزه وهزجه، وقريضه ومبسوطه، فما هو بِشِعْر. قالوا: نَقُولُ سَاحِرٌ. قال: ما هو بساحر، لقد رأينا السّحّار وسحرهم فما عنده نفثهم، ولا عقدهم. قالوا: فما [٤١/و] نقول يا أبا عبد شَمْس؟ قال: إنّ لقوله والله لحلاوة، وما تقولون فيه قولاً إلاّ عُرِفَ باطله، وإنّ أقرب القول فيه أن نقول: هذا ساحر جاء بسحر مُفَرِّق بين المرء وزوجه، وبين المرء وأخيه وعشيرته.

فتفرّقوا عنه بذلك، فجعلوا يجلسون بسبيل النَّاس، ويقولون لهم ذلك.

(١) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة.

(٢) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة.

(٣) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة.

وفي الوَليد بن الْمُغيْرَة أنزل الله -تعالى-: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۞ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَّمْدُودًا ۞ وَبَنِينَ شُهُودًا ۞ وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا ۞ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ۞ كَلاَّ إِنَّهُ كَانَ لآيَاتِنَا عَنِيدًا ۞ سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا ۞ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ۞ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۞ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۞ ثُمَّ نَظَرَ ۞ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ۞ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ۞ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ ۞ إِنْ هَذَا إِلاَّ قَوْلُ الْبَشَرِ ۞ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ۞ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ۞ لاَ تُبْقِي وَلاَ تَذَرُ ۞ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ﴾[المدثر: ١١-٢٩]. إلى آخر الآيات.

[قصيدة أبي طالب اللاميَّة في استِعْطاف قُرَيْش]

فلَمَّا خشي أبو طالب دهماء العرب قال قصيدته التي تعوَّذ فيها بحرم مكَّة وبمكانه فيها، وتودَّد فيها إلى أشراف قومه، وهو على ذلك يخبرهم وغيرهم في شعره [٤١/ظ] أنَّه غير مُسلِّم رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ-، ولا تاركه لشيء أبداً حتَّى يهلك دونه.

وهذه القصيدة التي أوردتُها في هذه النّسخة وغيرها <من شِعْرِه>[١] براواية أبي هِفّان عبد الله بن أحمد الْمِهْزَمِيّ.

[٥٥] /قال: أنشدني خالد بن حَرْب، عن عبد الله بن العبَّاس بن الحسين بن عُبَيْد الله بن العبَّاس "السَّقَّاء" بن عليّ بن أبي طالب - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ-، ورضي عن الصَّالحين من ذرِّيَّته، قال أبو طالب[٢]:

(١) زيادة من "ب".

(٢) انظر: ديوانه ٧٠-٨٥.

خَلِيْلَيَّ مَا أُذْنِي لأَوَّلِ عَاذِلٍ ... بِصَغْوَاءَ فِي حَقٍّ وَلاَ عِنْدَ بَاطِلِ

خَلِيْلَيَّ إِنَّ الرَّأْيَ لَيْسَ بِشِرْكَةٍ ... وَلاَ نُهْبَةٍ عِنْدَ الأُمُورِ التَّلاتِلِ

وَلَمَّا رَأَيْتُ القَوْمَ لا وُدَّ فِيْهِمُ ... وَقَدْ قَطَعُوا كُلَّ الْعُرَى وَالْوَسَائِلِ

وَقَدْ صَارَحُونَا بِالْعَدَاوَةِ وَالأَذَى ... وَقَدْ طَاوَعُوا أَمْرَ الْعَدُوِّ الْمُزَايِلِ

وَقَدْ حَالَفُوا قَوْماً عَلَيْنَا أَظِنَّةً ... يَعَضُّونَ غَيْظاً خَلْفَنَا بِالأَنَامِلِ

صَبَرْتُ لَهُمْ نَفْسِي بِسَمْرَاءَ سَمْحَةٍ ... وَأَبْيَضَ عَضْبٍ مِنْ تُرَاثِ الْمَقَاوِلِ

وَأَحْضَرْتُ عِنْدَ الْبَيْتِ رَهْطِي وَإِخْوَتِي ... وَأَمْسَكْتُ مِنْ أَثْوَابِهِ بِالْوَصَائِلِ

قِيَاماً مَعاً مُسْتَقْبِلِيْنَ رِتَاجَهُ ... لَدَى حَيْثُ يَقْضِي نُسْكَهُ كُلُّ نَافِلِ

وَحَيْثُ يُنِيْخُ الأَشْعَرُونَ رِكَابَهُمْ ... بِمُفْضَى السُّيُولِ مِنْ إِسَافٍ وَنَائِلِ

[٤٢/و] / مُوَسَّمَةَ الأَعْضَادِ أَوْ قَصَرَاتِهَا ... مُخَيَّسَةً بَيْنَ السَّدِيْسِ وَبَازِلِ

تَرَى الْوَدْعَ فِيْهَا وَالرُّخَامَ وَزِيْنَةً ... بِأَعْنَاقِهَا مَعْقُودَةً كَالعَثَاكِلِ

أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مِنْ كُلِّ طَاعِنٍ ... عَلَيْنَا بِسُوءٍ أَوْ مُلِحٍّ بِبَاطِلِ

وَمِنْ كَاشِحٍ يَسْعَى لَنَا بِمَعِيْبَةٍ ... وَمِنْ مُفْتَنٍ فِي الدِّيْنِ مَا لَمْ نُحَاوِلِ

وَثَوْرٍ وَمَنْ أَرْسَى ثَبِيْراً مَكَانَهُ ... وَرَاقٍ لِيَرْقَى فِي حِرَاءٍ وَنَازِلِ

وَبِالْبَيْتِ حَقِّ الْبَيْتِ مِنْ بَطْنِ مَكَّةٍ ... وَبِاللهِ إِنَّ اللهَ لَيْسَ بِغَافِلِ

وَبِالْحَجَرِ الأَسْوَدِ إِذْ يَمْسَحُونَهُ ... إِذَا اكْتَنَفُوهُ بِالضُّحَى وَالأَصَائِلِ

وَمَوْطِئِ إِبْرَاهِيْمَ فِي الصَّخْرِ وَطْأَةً ... عَلَى قَدَمَيْهِ حَافِياً غَيْرَ نَاعِلِ

وَأَشْوَاطِ بَيْنَ الْمَرْوَتَيْنِ إِلَى الصَّفَا ... وَمَا فِيهِمَا مِنْ صُورَةٍ وَتَمَاثُلِ

وَمَنْ حَجَّ بَيْتَ اللهِ مِنْ كُلِّ رَاكِبٍ ... وَمِنْ كُلِّ ذِي نَذْرٍ وَمِنْ كُلِّ رَاجِلِ

وَبِالْمَشْعَرِ الأَقْصَى إِذَا عَمَدُوا لَهُ ... إِلاَلاً إِلَى مُفْضَى الشِّرَاجِ الْقَوَابِلِ

وَتَوْقَافِهِمْ فَوْقَ الْجِبَالِ عَشِيَّةً ... يُقِيمُونَ بالأَيْدِي صُدُورَ الرَّوَاحِلِ

وَلَيْلَةِ جَمْعٍ وَالْمَنَازِلِ مِنْ مِنَى ... وَهَلْ فَوْقَهَا مِنْ حُرْمَةٍ وَمَنَازِلِ

وَجَمْعٍ إِذَا مَا الْمُقْرَبَاتُ أَجَزْنَهُ ... سِرَاعاً كَمَا يَخْرُجْنَ مِنْ وَقْعِ وَابِلِ

[٥٦] /وَبِالْجَمْرَةِ الْكُبْرَى إِذَا صَمَدُوا لَهَا ... يَؤُمُّونَ قَذْفاً رَأْسَهَا بِالْجَنَادِلِ

[٤٢/ظ] / وَكِنْدَةَ إِذْ هُمْ بِالْحِصَابِ عَشِيَّةً ... يُجِيزُ بِهِمْ حُجَّاجُ بَكْرِ بْنِ وَائِلِ

حَلِيفَانِ شَدَّا عَقْدَ مَا احْتَلَفَا لَهُ ... وَرَدَّا عَلَيْهِ عَاطِفَاتِ الْوَسَائِلِ

وَحَطْمِهِمُ سُمْرَ الصِّفَاحِ مَعَ الظُّبَا ... وَإِنْفَاذهم مَا يَتَّقِي كُلُّ نَابِلِ

وَمَشْيِهِم حَوْلَ الْبِسَالِ وَسَرْحِهِ ... وَسَلْمِيِّهِ وَخْدَ النَّعَامِ الْجَوَافِلِ

فَهَلْ بَعْدَ هَذَا مِنْ مَعَاذٍ لِعَائِذ ... وَهَلْ مِنْ مُعِيذٍ يَتَّقِي اللهَ عَادِل

يُطَاعُ بِنَا الأَعْدَاءُ وَدُّوا لَوَ أَنَّنَا ... تُسَدُّ بِنَا أَبْوَابُ تُرْكٍ وَكَابُلِ

كَذَبْتُمْ -وَبَيْتِ اللهِ- نَتْرُكُ مَكَّةً ... وَنَظْعَنُ، إِلاَّ أَمْرُكُمْ فِي بَلابِلِ

كَذَبْتُمْ -وَبَيْتِ اللهِ- نُبْزَى مُحَمَّداً ... وَلَمَّا نُطَاعِنْ دُونَهُ وَنُنَاضِل

وَنُسْلِمُهُ حَتَّى نُصَرَّعَ حَوْلَهُ ... وَنَذْهَلُ عَنْ أَبْنَائِنَا وَالْحَلائِلِ

وَيَنْهَضَ قَوْمٌ فِي الْحَدِيْدِ إِلَيْكُمُ ... نُهُوضَ الرَّوَايَا تَحْتَ ذَاتِ الصَّلاصِلِ

وَحَتَّى تَرَى ذَا الضِّغْنِ يَرْكَبُ رَدْعَهُ ... مِنَ الطَّعْنِ فِعْلَ الأَنْكَبِ الْمُتَحَامِلِ

وَإِنَّا لَعَمْرُ اللهِ إِنْ جَدَّ مَا أَرَى ... لَتَلْتَبِسَنْ أَسْيَافُنَا بِالأَمَاثِلِ

بِكَفَّيْ فَتًى مِثْلِ الشِّهَابِ سَمَيْدَعٍ ... أَخِي ثِقَةٍ حَامِي الْحَقِيْقَةِ بَاسِلِ

مِنَ السِّرِّ مِنْ فَرْعَيْ لُؤَيِّ بْنِ غَالِب ... مَنِيْعُ الْحِمَى عِنْدَ الْوَغَى غَيْرُ وَاكِلِ

شُهُوراً وَأَيَّاماً وَحَوْلاً مُجَرَّماً ... عَلَيْنا وَتَأْتِي حِجَّةٌ بَعْدَ قابِلِ

[٤٣/و] / وَمَا تَرْكُ قَوْمٍ لاَ أَبَالَكَ سَيِّداً ... يَحُوطُ الذِّمَارَ غَيْرَ ذَرْبٍ مُواكِلِ

وأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الْغَمَامُ بِوَجْهِهِ ... ثِمَالُ الْيَتَامَى عِصْمَةٌ لِلأَرَامِلِ

يَلُوذُ بِهِ الْهُلاَّكُ مِنْ آلِ هاشِمٍ ... فَهُمْ عِنْدَهُ فِي رَحْمَةٍ وَفَواضِلِ

لَعَمْرِي لَقَدْ أجْرَى أُسَيْدٌ وَبِكْرُهُ ... إِلى بُغْضِنَا وَجَزَّآنا لآكِلِ

جَزَتْ رَحِمٌ عَنَّا أُسَيْداً وَخَالِداً ... جَزَاءَ مُسِيْءٍ لا يُؤَخَّرُ عَاجِلِ

وَعُثْمَانُ لَمْ يَرْبَعْ عَلَيْنَا وَقُنْفُذٌ ... وَلَكِنْ أطاعَا أَمْرَ تِلْكَ الْقَبَائِلِ

أطاعَا أُبَيًّا وَابْنَ عَبْدِ يَغُوثِهِمْ ... وَلَم يَرْقُبَا فِيْنَا مَقَالَةَ قائِلِ

كَمَا قَدْ لَقِيْنا مِنْ سُبَيْعٍ وَنَوْفَلِ ... وَكُلٌّ تَوَلَّى مُعْرِضاً لَمْ يُجَامِلِ

فإِنْ يُلْقَيَا أَوْ يُمْكِنِ اللهُ مِنْهُمَا ... نَكِلْ لَهُمَا صَاعاً بِصَاعِ الْمُكَايِلِ

وَذَاكَ أَبُو عَمْرٍو أَبَى غَيْرَ بُغْضِنَا ... لِيُظْعِنَنَا فِي أَهْلِ شَاءٍ وَجَامِلِ

/يُنَاجِي بِنَا فِي كُلِّ مُمْسًى وَمُصْبَحٍ ... فَنَاجِ أَبَا عَمْرٍو بِنَا ثُمَّ خَاتِلِ [٥٧]

وَيُقْسِمُ بِالرَّحْمَانِ مَا إِنْ يَغُشَّنَا ... بَلَى قَدْ نَرَاهُ جَهْرَةً غَيْرَ حَائِلِ

أَضَاقَ عَلَيْهِ بُغْضُنَا كُلَّ تَلْعَةٍ ... مِنَ الأَرْضِ بَيْنَ أَخْشُبٍ فَمَجَادِلِ

وَسَائِلْ أَبَا الْوَلِيْدِ مَاذَا حَبَوْتَنَا ... بِسَعْيِكَ فِيْنَا مُعْرِضاً كَالْمُخاتِلِ

/ وَكُنْتَ امْرَأً مِمَّنْ يُعَاشُ بِرَأْيِهِ ... وَرَحْمَتِهِ فِيْنَا وَلَسْتَ بِجَاهِلِ [٤٣/ظ]

أَعُتْبَةُ لا تَسْمَعْ بِنَا قَوْلَ كَاشِحٍ ... حَسُودٍ كَذُوبٍ مُبْغِضٍ ذِي دَغَاوِلِ

وَلَسْتُ أُبَالِيْهِ عَلَى ذَاتِ نَفْسِهِ ... فَعِشْ يَا ابْنَ عَمٍّ نَاعِماً غَيْرَ ثاكِلِ

وَقَدْ خِفْتُ إِنْ لَمْ تَزْدَجِرْهُمْ ويَرْعَوُوْا ... تُلاقِي وَنَلْقَى مِنْكَ إِحْدَى الْبَلابِلِ

وَمَرَّ أبو سُفْيَانَ عَنِّي مُعْرِضاً ... كَمَا مَرَّ قَيْلٌ مِنْ عِظَامِ الْمَقَاوِلِ

يَفِرُّ إِلَى نَجْدٍ وَبَرْدِ مِيَاهِهِ ... وَيَزْعُمُ أَنِّي لَسْتُ عَنْكُمْ بِغَافِلِ

وَأَعْلَمُ أَنْ لاَ غَافِلٌ عَنْ مَسَاءَةٍ ... كَذَاكَ الْعَدُوُّ عِنْدَ حَقٍّ وَبَاطِلِ

فَمِيْلُوا عَلَيْنَا كُلُّكُمْ إِنَّ مَـيْلَكُمْ   سَوَاءٌ عَلَيْنَا وَالرِّيَـاحُ بِهَاطِـلِ

وَيُخْبِرُنَا فِعْـلَ الْمُناصِـحِ أَنَّـهُ   شَفِيْقٌ وَيُخْفِي عَارِمَاتِ الدَّوَاخِلِ

أَمُطْعِمُ لَمْ أَخْذُلْكَ فِي يَوْمِ نَجْدَةٍ   وَلاَ مُعْظَمٍ عِنْدَ الأُمُوْرِ الْجَلاَئِـلِ

وَلا يَوْمِ خَصْمٍ إِذْ أَتَـوْكَ أَلِـدَّةً   أُوْلِي جَدَلٍ مِنَ الْخَصُومِ الْمَسَاجِلِ

أَمُطْعِمُ إِنَّ الْقَوْمَ سَامُوْكَ خُطَّـةً   وَإِنِّي مَتَى أُوْكَلْ فَلَسْتُ بِوَائِـلِ

جَزَى اللهُ عَنَّا عَبْدَ شَمْسٍ وَنَوْفَلاً   عُقُوبَةَ شَرٍّ عَاجِلاً غَيْـرَ آجِـلِ

بِمِيْزَانِ قِسْطٍ لا يُخِـسُّ شَـعِيْرَةً   لَهُ شَاهِدٌ مِنْ نَفْسِهِ غَيْـرُ عَائِـلِ

لَقَدْ سَفِهَتْ أَحْلاَمُ قَوْمٍ تَبَـدَّلُوا   بَنِي خَلَفٍ قَيْضاً بِنَـا وَالْغَيَاطِـلِ

وَنَحْنُ الصَّمِيْمُ مِنْ ذُؤَابَةِ هَاشِـمٍ   وَآلِ قُصَيٍّ فِي الْخُطُوبِ الأَوَائِلِ

[٤٤/و] / وَكَانَ لَنَا حَوْضُ السِّقَايَةِ فِيْهِمُ   وَفَخْرُ الذُّرَا مِنْ غَالِبٍ وَالْكَوَاهِلِ

فَمَاأَدْرَكُوا ذَحْلاً وَلاسَفَكُوا دَماً   وَمَا حَالَفُوا إِلاَّ شِـرَارَ الْقَبَائِـلِ

بَنِي أَمَـةٍ مَجْنُونَـةٍ هِنْدِكِيَّـةٍ   بَنُو جُمَحٍ عُبَيْدَ قَيْسِ بْـنِ عَاقِـلِ

وَسَهْمٌ وَمَخْزُومٌ تَمَـالَوْا وَأَلَّبُـوا   عَلَيْنَا الْعِدَا مِنْ كُلِّ طِمْلٍ وَخَامِلِ

وَشَائِظُ كَانَتْ فِي لُؤَيٍّ بْنِ غَالِبٍ   نَفَاهُمْ إِلَيْنَا كُلُّ صَـقْرٍ حُلاَحِـلِ

وَرَهْطُ نُفَيْلٍ شَرُّ مَنْ وَطِئَ الْحَصَـى   وَأَلأَمُ حَافٍ مِنْ مَعَـدٍّ وَنَاعِـلِ

[٥٨] /فَعَبْدَ مَنَافٍ أَنْتُمُ خَيْرُ قَـوْمِكُمْ   فَلا تُشْرِكُوا فِي أَمْرِكُمْ كُلَّ وَاغِلِ

فَقَدْ خِفْتُ إِنْ لَمْ يُصْلِحِ اللهُ أَمْرَكُمْ   تَكُونُوا كَمَا كَانَتْ أَحَادِيْثُ وَائِلِ

لَعَمْرِي لَقَدْ وَهَنْـتُمُ وَعَجَـزْتُمُ   وَجِئْتُمْ بِأَمْرٍ مُخْطِئٍ لِلْمَفَاصِـلِ

وَكُنْتُمْ حَدِيْثاً حِطْبَ قِدْرٍ فَأَنْتُمُ الْـ   آنَ حِطَـابُ أَقْـدُرٍ وَمَرَاجِـلِ

لِيَهْنِ بَنِي عَبْدِ مَنَـافٍ عُقُوقُنَـا   وَخِذْلاَنُنَا وَتَرْكُنَا فِـي الْمَعَاقِـلِ

فَإِنْ يَكُ قَوْمٌ سَرَّهُمْ مَا صَـنَعْتُمُ   سَيَحْتَلِبُوهَا لاَقِحاً غَيْـرَ بَاهِـلِ

فَأَبْلِغْ قُصَيّاً أَنْ سَيُنْشَـرَ أَمْرُنَـا   وَبَشِّرْ قُصَيّاً بَعْـدَنَا بِالتَّخَـاذُلِ

/وَلَوْ طَرَقَتْ لَيْلاً قُصَيّاً عَظِيْمَـةٌ   إِذاً مَا لَجَأْنَا دُوْنَهُمْ فِي الْمَدَاخِلِ [٤٤/ظ]

وَلَوْ صَدَقُوا ضَرْباً خِلالَ بُيُـوتِهِمْ   لَكُنَّا أُسىً عِنْدَ النِّسَاءِ الْمَطَافِـلِ

فَإِنْ تَكُ كَعْبٌ مِنْ شُعُوبٍ كَثِيْـرَةٍ   فَلاَ بُدَّ يَوْماً أَنَّهَا فِـي مَجَاهِـلِ

وَإِنْ تَكُ كَعْبُ مِنْ لُؤَيٍّ تَجَمَّعَـتْ   فَلاَ بُدَّ يَوْماً مَـرَّةً مِـنْ تَزَايُـلِ

وَكُنَّا بِخَيْرٍ قَبْلَ تَسْـوِيْدِ مَعْشَـرٍ   هُمُ ذَبَحُونَا بِالْمُدَى وَالْمَغَـاوِلِ

فَكُلُّ صَدِيْقٍ وَابْنُ أُخْـتٍ نَعُـدُّهُ   لَعَمْرِي وَجَدْنَا غِبَّهُ غَيْـرَ طَائِـلِ

سِوَى أَنَّ رَهْطاً مِنْ كِلاَبِ بْنِ مُـرَّةَ   بَرَاءٌ إِلَيْنَا مِـنْ مَعَقَّـةِ خَـاذِلِ

بَنِي أَسَدٍ لاتَطْرُفُنَّ عَلَى الْقَـذَى   إِذا لَمْ يَقُلْ بِالْحَقِّ مِقْـوَلُ قَائِـلِ

فَنِعْمَ ابْنُ أُخْتِ الْقَوْمِ غَيْرَ مُكَـذَّبٍ   زُهَيْرٌ حُسَاماً مُفْرَداً مِنْ حَمَائِـلِ

أَشَمُّ مِنَ الشُّمِّ الْبَهَالِيْـلِ يَنْتَمِـي   إِلَى حَسَبٍ فِي حَوْمَةِ الْمَجْدِ فَاضِلِ

لَعَمْرِي لَقَدْ كُلِّفْتُ وَجْداً بِأَحْمَـدٍ   وَإِخْوَتِهِ دَأْبَ الْمُحِبِّ الْمُوَاصِـلِ

فَلاَزَالَ فِي الدُّنْيَا جَمَالاً لأَهْلِهَـا   وَزَيْناً عَلَى رَغْمِ الْعَدُوِّ الْمُخَابِـلِ

فَمَنْ مِثْلُهُ فِي النَّـاسِ أَيُّ مُؤَمَّـلٍ   إِذَا قَاسَهُ الْحُكَّامُ عِنْدَ التَّفَاضُـلِ

حَلِيْمٌ رَشِيْدٌ عَادِلٌ غَيْـرُ طَـائِشٍ   يُوَالِي إِلاَهاً لَيْسَ عَنْـهُ بِـذَاهِلِ

فَأَيَّـدَهُ رَبُّ الْعِبَـادِ بِنَصْـرِهِ   وَأَظْهَرَ دِيْناً حَقُّهُ غَيْـرُ نَاصِـلِ

/ فَوَاللهِ لَوْلاَ أَنْ أَجِـيْءَ بِسُـنَّةٍ   تُجَرُّ عَلَى أَشْيَاخِنَا فِي الْمَحَافِـلِ [٤٥/و]

لَكُنَّا اتَّبَعْنَاهُ عَلَـى كُـلِّ حَالَـةٍ   مِنَ الدَّهْرِ جِدّاً غَيْرَ قَوْلِ التَّهَازُلِ

لَقَدْ عَلِمُوا أَنَّ ابْنَنَـا لاَ مُكَـذَّبٌ   لَدَيْنَا وَلاَ يُعْنَى بِقَـوْلِ الأَبَاطِـلِ

رِجَالٌ كِرَامٌ غَيْرُ مِيـلٍ نَمَـاهُمُ ... إِلَى العِزِّ آبَاءٌ كِـرَامُ الْمَخَاصِـلِ

[٥٩] /وَقَفْنَا لَهُمْ حَتَّى تَبَدَّدَ جَمْعُهُـمْ ... وَيَحْسُرُ عَنَّا كُلُّ بَـاغٍ وَجَاهِـلِ

شَبَابٌ مِنَ الْمُطَيَّبِـيْنَ وَهَاشِـمٍ ... كَبِيْضِ السُّيُوفِ بَيْنَ أَيْدِي الصَّيَاقِلِ

بِضَرْبٍ تَرَى الْفِتْيَانَ فِيـهِ كَـأَنَّهُمْ ... ضَوَارِي أُسُودٍ فَوْقَ لَحْمٍ خَرَادِلِ

وَلَكِنَّنَا نَسْـلٌ كِـرَامٌ لِسَـادَةٍ ... بِهِمْ نَعْتَلِي الأَقْوَامَ عِنْدَ التَّطَـاوُلِ

سَيَعْلَمُ أَهْلُ الضِّغْنِ أَيِّي وَأَيُّهُـمْ ... يَفُوزُ وَيَعْلُو فِـي لَيَـالٍ قَلائِـلِ

وَأَيُّهُمُ مِنِّـي وَمِـنْهُمْ بِسَـيْفِهِ ... يُلاقِي إِذَا مَا حَانَ وَقْتُ التَّنَـازُلِ

<وَمَنْ ذَا يَمَلُّ الْحَرْبَ مِنِّي وَمِـنْهُمُ ... وَيُحْمَدُ فِي الآفَاقِ مِنْ قَوْلِ قائِلِ>(١)

فَأَصْبَحَ فِينَا أَحْمَدٌ فِـي أَرُومَـةٍ ... تُقَصِّرُ عَنْهَا سَـوْرَةُ الْمُتَطَـاوِلِ

وَجُدْتُ بِنَفْسِي دُونَـهُ وَحَمَيْتُـهُ ... وَدَافَعْتُ عَنْهُ بِالطُّلَى وَالْكَلاكِـلِ

وَلا شَـكَّ أَنَّ اللهَ رَافِـعُ أَمْـرِهِ ... وَمُعْلِيهِ فِي الدُّنْيَا وَيَوْمَ التَّجَـادُلِ

كَمَا قَدْ رَأَى فِي الأَمْسِ وَالْيَوْمِ جَـدُّهُ ... وَوَالِدُهُ رُؤْيَاهُمَـا غَيْـرَ آفِـلِ

[٤٥/ظ]

[إيمان أبي طالب ودوره في نصرة الرَّسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ-]

وقول أبي طالب هذا القول كقول مُؤمن آل فِرْعَون الَّذي [كان](٢) يكتم إيمانه. وكفى بقول أبي طالب، وفعله(٣)، وكفاحه عن رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ-، ومنعه إيَّاه، وجهاده دونه، وشهادته له بالنُّبوَّة والصِّدق.

(١) زيادة من "ب".

(٢) زيادة يقتضيها السِّياق.

(٣) "ب": "وفضله".

وذلك لما ظَهَرَ له فيه من الدَّلائل، وعَلِمَهُ فيه من الفضائل.

ولو أظهر أبو طالب إسلامه لم يجد ناصراً من قومه، ولكان كواحد ممَّن أسلم ونبذه قومه. ولكنَّ اللهَ -عَزَّ وجَلَّ- أيَّد به رسوله، <وأقام به دينه عند ابتداء ظهور الدِّين، وتظاهر الكافرين،>(١) نظراً من الله -تعالى- لدينه، ونصراً لرسوله.

وَفَشا شِعْر أَبِي طَالِب هذا في العَرَب، وأَمْرُ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِه- وقيام بني هاشِم دونه، وقيام بني عَبْد شَمْسٍ ومَنْ والاها عليه، فتوقَّف مَنْ كان من العرب قد أغري برسُول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ-، وَانْحنى بعضهم إليه، وكذَّب أكثرهم مقالهم فيه.

[٦٠] /وذَكَرَ أهل يَثْرِب ما كانت اليَهود تخبرهم مِنْ أوان ظُهُورِ نَبِيٍّ [فيهم،](٢) <ودنو>(٣) بعث رسول، وتطلَّعت أعينهم [إليه،](٤) وطمحت <نحوه>(٥) ظُنونهم، واستنهض مُشركوا قُرَيْش [٤٦/و] مَنْ كان وعدهم النُّصْرة على رَسُول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آله- فتوقَّفوا عنهم وعظَّموا أمر الحَرَم؛ وذكَّرهم شِعْر أَبِي طالب تعظيمه. وأرسل إليهم بعضهم يعظونهم، وعن حَرْب قومهم ينهونهم، فَأُسْقِط ما في أيديهم حين لم يَحِقْ مَكْرُهُم، ولم يَتِمَّ أمرهم.

(١) زيادة من "ب".

(٢) زيادة من المناقب والمثالب [ورقة ٢٨/ظ].

(٣) زيادة من "ب".

(٤) زيادة من المناقب والمثالب [ورقة ٢٨/ظ].

(٥) زيادة من "ب".

[قصيدة أبي قَيْس بن الأَسْلَت يحذِّر قُرَيْشاً من الاختلاف]

وَكَانَ أَبو قَيْسِ بن الأَسْلَت صِهْراً لِقُرَيْشٍ؛ كانت عنده أَرْنَبُ بنت أَسَد ابن عَبْد العُزَّى، وكان يأتي بها مَكَّة فيُقيم بها المدَّة عند <أتْباع>[1] قومها، وكانت له بهم خُلْطَةٌ، وكان شَاعِراً فبعث إليهم شعْراً ينهاهم عن الحَرْب ويحضُّهم على اتِّبَاعِ رَسُولِ اللهِ –صلّى اللّهُ عَلَيْهِ وعَلَى آله–، ويذكرهم بلاء الله عندهم، ودفعه الفيل عنهم وكيده، فقال[2]:

أَيَا رَاكِباً إِمَّا عَرَضْتَ فَبَلِّغَنْ ... مُغَلْغَلَةً عَنِّي لُؤَيَّ بنَ غَالِبِ

مَقَالَ امْرِئٍ قَدْ رَاعَهُ ذَاتُ بَيْنِكُمْ ... عَلَى النَّأْيِ مَحْزونٍ بِذَلِكَ نَاصِبِ

وَقَدْ كَانَ عِنْدِي لِلْهُمُومِ مُعَرَّسٌ ... وَلَمْ أَقْضِ مِنْها حَاجَتِي وَمَآرِبِي

نُبَيِّتُكُمْ شَرْجَيْنِ كُلُّ قَبِيلَةٍ ... لَها أَزْمَلٌ مِنْ بَيْنِ مُذْكٍ وَحَاطِبِ

أُعِيذُكُمُ بِاللهِ مِنْ شَرِّ صُنْعِكُمْ ... وَشَرِّ تَبَاغِيْكُمْ وَدَسِّ الْعَقَارِبِ

[٤٦/ظ] / وَإِظْهَارِ أَخْلاقٍ وَنَجْوَى سَقِيْمَةٍ ... كَوَخْزِ الأَشَافِي وَقْعُها حَقُّ صَائِبِ

فَذَكِّرْهُمُ بِاللهِ أَوَّلَ وَهْلَةٍ ... وَإِحْلالِ أَحْرامِ الظِّبَاءِ الشَّوَازِبِ

وَقُلْ لَهُمُ وَاللهُ يَحْكُمُ حُكْمَهُ ... ذَرُوا الْحَرْبَ تَذْهَبْ عَنْكُمُ فِي الْمَرَاحِبِ

مَتَى تَبْعَثُوهَا تَبْعَثُوهَا ذَمِيْمَةً ... هِيَ الْغُولُ لِلأَقْصَيْنَ أَوْ لِلأَقَارِبِ

تُقَطِّعُ أَرْحَاماً وَتُهْلِكُ أُمَّةً ... وَتَبْرِي السَّدِيْفَ مِنْ سَنَامٍ وَغَارِبِ

[٦١] /وَتَسْتَبْدِلُوا بِالأَتْحَمِيَّةِ بَعْدَهَا ... شَلِيْلاً وَأَصْدَاءً ثِيَابَ الْمُحَارِبِ

وَبِالْمِسْكِ وَالكَافُورِ غُبْراً سَوابِغاً ... كَأَنَّ قَتِيْرَيْها عُيُونُ الْجَنَادِبِ

(١) زيادة من "ب".

(٢) السيرة النبوية ١/٢٨٣-٢٨٦.

فَإِيَّاكُمُ وَالْحَرْبَ لا تَعْلَقَنَّكُمْ ... وَحَوْضاً وَخِيْمَ الْمَاءِ مُرَّ الْمَشَارِبِ

تَزَيَّنُ لأَقْوامٍ ثُمَّ يَرَوْنَهَا ... بِعَاقِبَةٍ إِذْ بَيَّنَتْ أُمَّ صَاحِبِ

تُحَرِّقُ لا تُشْوِي ضَعِيْفاً وَتَنْتَحِي ... ذَوِي العِزِّ مِنْكُمْ بِالْحُتُوفِ الصَّوائِبِ

أَلَمْ تَعْلَمُوا مَاكَانَ فِي حَرْبِ داحِسٍ ... فَتَعْتَبِرُوا أَوْ كَانَ فِي حَرْبِ حَاطِبِ؟

وَكَمْ قَدْ أَصَابَتْ مِنْ شَرِيْفٍ مُسَوَّدٍ ... طَوِيْلِ الْعِمَادِ ضَيْفُهُ غَيْرُ خَائِبِ

عَظِيْمِ رَمَادِ النَّارِ يُحْمَدُ أَمْرُهُ ... وَذِي شِيْمَةٍ مَحْضٍ كَرِيْمِ الْمَضَارِبِ

وَماءٍ هُرِيْقَ فِي الضَّلالِ كَأَنَّمَا ... أَذَاعَتْ بِهِ رِيْحُ الصَّبَا وَالْجَنَائِبِ

فَإِنْ كُنْتُمُ لَمْ تَعْلَمُوا الْحَرْبَ فَاسْأَلُوا ... عَنِ الْحَرْبِ فِي اسْتِقْبَالِهَا وَالْعَوَاقِبِ

/ يُخَبِّرْكُمُ عَنْهَا امْرُؤٌ حَقُّ عَالِمٍ ... بِأَيَّامِهَا وَالْعِلْمُ عِلْمُ التَّجَارِبِ [٤٧/و]

فَبِيْعُوا الْحِرَابَ مِلْمُحَارِبِ وَاذْكُرُوا ... حِسَابَكُمُ، وَاللهُ خَيْرُ مُحَاسِبِ

وَلِيُّ امْرِئٍ فَاخْتَارَ دِيْناً فَلا يَكُنْ ... عَلَيْكُمْ رَقِيْباً غَيْرُ رَبِّ الثَّوَاقِبِ

أَقِيْمُوا لَنَا دِيْناً حَنِيْفاً فَأَنْتُمُ ... لَنَا غَايَةٌ، قَدْ يُهْتَدَى بِالذَّوَائِبِ

وَأَنْتُمْ لِهَذَا النَّاسِ نُورٌ وَعِصْمَةٌ ... تَؤُمُّونَ، وَالأَحْلامُ غَيْرُ عَوَازِبِ

وَأَنْتُمْ إِذا مَاحُصِّلَ النَّاسُ جَوْهَرٌ ... لَكُمْ سُرَّةُ الْبَطْحَاءِ شُمُّ الأَرَانِبِ

تَصُونُونَ أَجْسَاداً كِراماً عَتِيْقَةً ... مُهَذَّبَةَ الأَنْسَابِ غَيْرَ أَشَائِبِ

يُرَى طَالِبُ الْحَاجَاتِ نَحْوَ بُيُوتِكُمْ ... عَصَائِبَ هَلْكَى تَهْتَدِي بِعَصَائِبِ

لَقَدْ عَلِمَ الأَقْوامُ أَنَّ سَرَاتَكُمْ ... عَلَى كُلِّ حَالٍ خَيْرُ أَهْلِ الْجَبَاجِبِ

وَأَفْضَلُهُ رَأْياً وَأَعْلاهُ سُنَّةً ... وَأَقْوَلُهُ بِالْحَقِّ وَسْطَ الْمَوَاكِبِ

فَقُومُوا فَصَلُّوا رَبَّكُمْ وَتَمَسَّحُوا ... بِأَرْكَانِ هَذَا الْبَيْتِ بَيْنَ الأَخَاشِبِ

فَعِنْدَكُمُ مِنْهُ بَلاءٌ وَمَصْدَقٌ ... غَدَاةَ أَبِي يَكْسُومَ هَادِي الْكَتَائِبِ

كَتِيبَتُهُ بِالسَّهْلِ تُمْسِي وَرَجْلُهُ ... عَلَى القَاذِفَاتِ فِي رُؤُوسِ الْمَنَاقِبِ
فَلَمَّا أَتَاكُمْ نَصْرُ ذِي الْعَرْشِ رَدَّهُمْ ... جُنُودُ الْمَلِيْكِ بَيْنَ سَافٍ وَحَاصِبِ
فَوَلَّوْا سِرَاعاً هَارِبِيْنَ وَلَمْ يَؤُبْ ... إِلَى أَهْلِهِ مِلْحُبْشِ غَيْرُ عَصَائِبِ
فَإِنْ تَهْلِكُوا نَهْلِكْ وَتَهْلِكْ مَوَاسِمٌ ... يُعَاشُ بِهَا، قَوْلُ امْرِئٍ غَيْرِ كَاذِبِ

[٦٢] [/بنو عبد شَمْس وأذاهم للرَّسول –صلى الله عَلَيْه وعَلَى آله– بألسنتهم]

فَلَمَّا يَئِسَتْ قُرَيش مِنْ نُصْرَةِ العرب لم تُطِقْ لرسُول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْه وعَلَى آله– إلاَّ الأذى بأَلْسِنَتِها من نصر عمّه أبي طالب له ودفاعه عنه، وهو في ذلك يدعوهم إلى الله –عزَّ وَجَلَّ– ويتلو عليهم [ما أنزله عليه][١] آيات كتابه، وهم –مع ذلك– مُصِرُّون على الكُفر والتَّكذيب له –عَلَيْه السَّلاَمُ– على ما يُظْهِر لَهُمْ مِنَ الآيَات، ويرون له من المعجزات.

[خطبة لأمير المؤمنين –عليه السّلام–]

فمن ذلك ما رُوِيَ عن أمير المؤمنين –عليه السّلام– في بعض خطبه حيث قال[٢]:

"وَلَقَدْ كُنْتُ مَعَهُ –صَلَّى اللهُ عَلَيْه وعَلَى آله– لَمَّا أَتَاهُ المَلأُ مِنْ قُرَيْش، فَقَالُوا لَهُ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّكَ قَد ادَّعَيْتَ عَظِيْماً لَمْ يَدَّعِه آبَاؤُكَ وَلاَ أَحَدٌ من أَهْلِ بَيْتِكَ، وَنَحْنُ نَسَأَلُكَ أَمْراً إِنْ أَجَبْتَنَا إِلَيْهِ وَأَرَيْتَنَا إِيَّاهُ، عَلِمْنَا أَنَّكَ نَبِيٌّ وَرَسُولٌ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ عَلِمْنَا أَنَّكَ سَاحِرٌ كَذَّابٌ.

(١) زيادة من المناقب والمثالب [ورقة ٢٩/ظ].

(٢) راجع نهج البلاغة ٤٠٦–٤٠٨.

فَقَالَ لهم –صَلَّى اللهُ عَلَيْه وعَلَى آله–: «وَمَا تَسْأَلُونَ؟».

قَالُوا: تَدْعُو لَنَا هذه الشَّجَرَةَ حَتَّى تَنْقَلِعَ بِعُرُوقِهَا وَتَقِفَ بَيْنَ يَدَيْكَ.

فَقَالَ –صَلَّى اللهُ عَلَيْه وعَلَى آله–: «إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فَإِنْ فَعَلَ اللهُ ذلكَ لَكُمْ، أَتُؤْمِنُونَ وَتَشْهَدُونَ بِالْحَقِّ؟».

قَالُوا: نَعَمْ.

قَالَ: «فَإِنِّي سَأُرِيكُمْ مَا تَطْلُبُونَ، وإِنِّي[١] [٤٨/و] لأَعْلَمُ أَنَّـ[كُمْ][٢] لاَ تَفِيئُونَ إِلَى خَيْرٍ، وَإِنَّ فِيكُمْ مَنْ يُطْرَحُ فِي القَلِيبِ، وَمَنْ يُحَزِّبُ الأَحْزَابَ».

ثُمَّ قَالَ: «يَا أَيَّتُهَا[٣] الشَّجَرَةُ إِنْ كُنْتِ تُؤْمِنِيْنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتَعْلَمِيْنَ أَنِّي رَسُولُ اللهِ، فَانْقَلِعِي بِعُرُوقِكِ حَتَّى تَقِفِي بَيْنَ يَدَيَّ بِإِذْنِ اللهِ».

[٦٣] /فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ نَبِيّاً لاَنْقَلَعَتْ بِعُرُوقِهَا، وَجَاءَتْ وَلَهَا دَوِيٌّ شَدِيدٌ، وَقَصْفٌ كَقَصْفِ أَجْنِحَةِ الطَّيْرِ، حَتَّى وَقَفَتْ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْه وعَلَى آله– [مُرَفْرِفَةً،][٤] وَأَلْقَتْ بِغُصْنِهَا الأَعْلَى عَلَى رَسُولِ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْه وعَلَى آله–، وَبِبَعْضِ أَغْصَانِهَا عَلَى مَنْكِبِي، وَكُنْتُ عَنْ يَمِينِه –عليه السّلام– فَلَمَّا نَظَرَ الْقَوْمُ إِلَى ذلكَ قَالُوا –عُتُوّاً وَاسْتِكْبَاراً–: فَمُرْهَا فَلْيَأْتِكَ نِصْفُهَا وَيَبْقَى نِصْفُهَا. فَأَمَرَهَا بِذلِكَ، فَأَقْبَلَ [إِلَيْهِ][٥] نِصْفُهَا كَأَعْجَبِ إِقْبَال

(١) "آ"+"ب": "أنا" وما أثبت فهو من نهج البلاغة.

(٢) زيادة من نهج البلاغة.

(٣) "آ"+"ب": "ثُمَّ قال للشَّجَرة" وما أثبت فهو من نهج البلاغة.

(٤) زيادة من نهج البلاغة.

(٥) زيادة من نهج البلاغة.

وَأَشَدِّهِ دَوِيّاً، فَكَادَتْ تَلْتَفُّ بِرَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آله-، فَقَالُوا - كُفْراً وَعُتُوّاً-: فَمُرْ هذَا النِّصْفَ فَلْيَرْجِعْ إِلَى نِصْفِهِ كَمَا كَانَ. فَأَمَرَهُ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آله- فَرَجَعَ.

فَقُلْتُ أَنَا: لاَ إِلهَ إِلاَّ اللهُ، إِنِّي أَوَّلُ مُؤْمِنٍ بِكَ يَا رَسُولَ اللهِ، وَأَوَّلُ مَنْ أَقَرَّ بِأَنَّ الشَّجَرَةَ فَعَلَتْ مَا فَعَلَتْ بِأَمْرِ اللهِ -تَعَالَى- تَصْدِيقاً بِنُبُوَّتِكَ، وإِجْلاَلاً [٤٨/ظ] لِكَلِمَتِكَ.

فَقَالَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ: بَلْ سَاحِرٌ كَذَّابٌ، عَجِيبُ السِّحْرِ خَفِيفٌ فِيهِ، وَهَلْ يُصَدِّقُكَ [فِي أَمْرِكَ](١) إِلاَّ مِثْلُ هذَا! يَعْنُونَنِي.

وَإِنِّي لَمِنْ قَوْمٍ لاَ تَأْخُذُهُمْ فِي اللهِ لَوْمَةُ لاَئِمٍ، سِيمَاهُمْ سِيما الصِّدِّيقِينَ، وَكَلاَمُهُمْ كَلاَمُ الأَبْرَارِ، عُمَّارُ اللَّيْلِ، وَسُفَّارُ النَّهَارِ، مُتَمَسِّكُونَ بِحَبْلِ الْقُرْآنِ، يُحْيُونَ سُنَنَ اللهِ وَسُنَنَ رَسُولِهِ، لاَ يَسْتَكْبِرُونَ <وَلاَيَعْلُونَ،>(٢) وَلاَيَغُلُّونَ وَلاَ يُفْسِدُونَ، قُلُوبُهُمْ فِي الْجِنَانِ، وَأَجْسَادُهُمْ فِي الْعَمَلِ!".

هذا قول أمير المؤمنين-عليه السّلام.

[انتشار ذكر الرّسول -صلى الله عَلَيْهِ وعَلَى آله- في القبائل]

وأراهم رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آله- الآيات الكبرى؛ كانْشقاق القمر، وغير ذلك مِمَّا يعجز عن مثله جميع البشر، فَمَكَروا مَكْراً

(١) زيادة من نهج البلاغة.

(٢) زيادة من "ب".

كبارا، و لم يزدهم ذلك إلاَّ عُتُوّاً واسْتِكْبارا، وللحقّ إنكاراً، وعلى الكفر(١) إصراراً.

وَاتَّصَلَ خَبَرُ رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آله- بِمَنْ في بلاد العرب مِنَ اليَهُودِ والنَّصارى، فَأَتَاهُ عُلَماؤهم وَرُهْبانُهم وأَحْبارهم لِيُحاجُّوه، فكلٌّ منهم يرى فيه دلائل النُّبُوَّة على ما يجدونه فِي كتبهم، /وتَرَى منهم قُرَيْش [٦٤] الاسْتكانة إليه وما يدلُّ على نُبوَّته، [٤٩/و] والمعرفة به. ويرجعون <إلى مواضعهم>(٢) فيذكرون ذلك عنه، والحسد والعداوة له يمنعان أكثرهم مِنَ الاقْرار بِنُبُوَّته -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آله.

[وَقالَ أَبُو طَالِب يُحذِّرُ قُرَيْشاً]

وَفَشا الإِسْلاَمُ وَاشْتهر خَبَرُ الرَّسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آله- في الآفاق، ومالَتْ إليه القُلُوب. وكانت فِي ذلك أَخْبَارٌ يطول ذكرها، فحذَّرهم أبو طالب العذاب في تكذيبهم له، وقال(٣):

أَفِيقُوا بَنِي غَالِبٍ وَانْتَهُوا ... عَنِ البَغْيِ فِي بَعْضِ ذَا الْمَنْطِقِ
وَإِلاَّ فَإِنِّي -لَكُمْ- خَائِفٌ ... بَوائِقَ فِي دَارِكُمْ تَلْتَقِي
تَكُونُوا لِغَابِرِكُمْ عِبْرَةً ... وَرَبِّ الْمَغَارِبِ وَالْمَشْرِقِ
كَمَا ذَاقَ مَنْ كَانَ مِنْ قَبْلِكُمْ ... ثَمُودُ وَعَادٌ فَمَنْ ذَا بَقِي
غَدَاةَ أَتَاهُمْ بِهَا صَرْصَرٌ ... وَنَاقَةُ ذِي العَرْشِ إِذْ تَسْتَقِي

(١) "ب": "الباطل".

(٢) زيادة من "ب".

(٣) انظر: ديوانه ٨٨-٨٩.

فَحَلَّتْ عَلَيْهِمْ بِهَا سَخْطَةٌ ... مِنَ اللهِ فِي ضَرْبَةِ الأَزْرَقِ

غَداةَ يَعَضُّ بِعُرْقُوبِهَا ... حُسَاماً مِنَ الْهِنْدِ ذَا رَوْنَقِ

وَأَعْجَبُ مِنْ ذَاكَ مِنْ أَمْرِكُمْ ... عَجائبُ فِي الْحَجَرِ الْمُلصَقِ

بِكَفِّ الَّذِي قَامَ مِنْ حَيْنِهِ ... إِلَى الصَّابِرِ الصَّادِقِ الْمُتَّقِي

فَأَيْبَسَهُ اللهُ فِي كَفِّهِ ... عَلَى رَغْمِ ذَا الجَائِرِ الأَحْمَقِ

أُحَيْمِقُ مَخْزُومِكُمْ إِذْ غَوَى ... لِغَيِّ الغُوَاةِ وَلَمْ يَصْدُقِ

[ما حَدَثَ لأبي جَهْل حين هَمَّ بإلقاء الحَجَرِ عَلَى الرَّسُول]

يَعْنِي بِـ"الحَجَرِ الْمُلْصَقِ"[١]: "أنَّ رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آله- حين قَوِيَ أَمْرُه [٤٩/ظ] أَظْهَرَ عِبادة رَبِّه، وكان يَأْتِي البَيْتَ فَيُصَلِّي، فَنَظَرَ إليه أَبُو جَهْلٍ بن هشام الْمَخْزوميّ -يَوْماً- وهو يُصلِّي، فقام[٢] وأخذ حَجَراً عَظِيْماً ملأ يديه، وأَتَى الرَّسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آله- وهو ساجد [٦٥] /ليرضخ رأسه به، بعد أَنْ حَرَّضه عليه كفار قُرَيش، وجلسوا لينظروا ماذا يفعل، فلمَّا دنا منه بالحَجَر وهو ساجدٌ رجع عنه مولّياً قَدِ امْتَقَعَ وجهه، وقد يَبِسَتْ يده على الحَجَر حتَّى قذف به. وقاموا إليه فقالوا: ما لكَ يا أَبا الحَكَم؟ قال: لَمَّا دَنَوْتُ منه عرض لي فَحْلٌ مِنَ الإِبْلِ فاغراً فَاهُ [إليَّ][٣] ما ظَنَنْتُ أَنِّي أَنْجو منه. فقال بعضهم لِبَعْضٍ: وَاللهِ قد نَزَلَ بنا مُحَمَّدٍ ما لم يَنْزِلْ بقَوْمٍ من رَجُلٍ قبله.

(١) انظر: المناقب والمثالب [ورقة ٢٩/ظ-٣٠و]

(٢) "آ": "فتقدَّمَ" وأثبت ما في "ب"، وهو موافق لما في المناقب والمثالب.

(٣) زيادة من المناقب والمثالب.

[ذكر الهجرة إلى أرض الحَبَشَة]

وجعلوا يَذْكُرُون ما نَقَمُوا عليه، فلم يروا غير التَّشْدِيد على مَنِ اتَّبَعَهُ منهم، فجعل كلّ قَوْمٍ [منهم][١] ينالون مِمَّنْ أَسْلَم مِنْ جماعتهم يُؤذونهم ويُعذِّبونهم ويضربونهم، فشكوا ذلك إلى رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آله- فَأَذِنَ لهم في الهجرة إلى أرض الحَبَشَة.

فخرج جماعة منهم للهجرة [٥٠/و] إلى أرض الحَبَشَة، وكان فيهم جَعْفَر بن أبي طالب -عليه السّلام. وكان عدد من هاجر [من المُسْلِمِيْنَ][٢] إلَى [أَرْض][٣] الحَبَشَة ثلاثةً وثمانين رَجُلاً غير من معهم من نسائهم وأبنائهم.

[شِعْر أبي طالب للنَّجاشيّ يحضّه على الدَّفع عن الْمُهاجرين]

وكتب أبو طالب كتاباً مع ابنه جَعْفَر الطَّيَّار -عليه السّلام- إِلَى النَّجَاشِيّ ملك الحَبَشَة، يعرِّفه فيه ما كان مِنْ أَمْرِ النَّبيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آله-، وقيام بني عبد شَمْسٍ ومَنْ والاهم مِنْ قُرَيْشٍ عليه، وما نال من اتَّبعه، وأَنَّهم قد تَحَرَّمُوا به وَاسْتَجاروا بِمُلْكه، ويسأله حِيَاطَتَهُمْ وَحِفْظَهُمْ. وقالَ فيما كتب به إليه[٤]:

تَعَلَّمْ -أبيت اللَّعْنَ- أَنَّ مُحَمَّداً ... وَزِيْرٌ لِمُوسَى وَالْمَسِيْحِ بْنِ مَرْيَمِ

(١) زيادة من المناقب والمثالب.

(٢) زيادة من المناقب والمثالب.

(٣) زيادة من المناقب والمثالب.

(٤) انظر: ديوانه ٢٥٩.

أَتى بالْهُدَى مِثْلَ الَّذي أَتَيَا بِـهِ   فَكَانَ بِأَمْرِ اللهِ يَهْدِي وَيَعْصِـمُ

وَإِنَّكُمُ تَتْلُونَـهُ في كِتَـابِكُمْ   بِصِدْقِ حَدِيْثٍ لاَحَدِيْثِ التَّرَجُّمِ

وَإِنَّكَ مَا تَأْتِيكَ مِنَّـا عِصَـابَةٌ   لِفَضْلِكَ إِلاَّ أُرْجِعُوا بِـالتَّكَرُّمِ

[٦٦] /فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ نِدّاً وَسَـلِّمُوا   فَإِنَّ طَرِيْقَ الْحَقِّ لَيْسَ بِمُظْلِـمِ

وأوصل جَعْفَرَ -عَلَيْهِ السّلام- كِتَابَ أبيه إلى النَّجاشيّ، فكان سبب ما نال المسلمين منه من البرّ والإحسان.

[رسولا قُرَيْش إلى النَّجاشيّ لاسترداد الْمُهاجرين]

ولَمَّا رأت قُرَيش ما نال أصحاب رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلهِ- من الإكرام(1) منهم، وأنَّهم قد [٥٠/ظ] أنسوا واطمأنّوا بأرض الحَبَشَة، وأنزلهم النَّجاشيّ أحسن نزل في جواره، ساءهم ذلك وأجمعوا رأيهم على أن يختاروا رَجُلَيْن من أُوْلي الدَّهاء وحسن الحديث، ويرسلوهما إلى النَّجاشيّ، فاختاروا عَمْرو بن العاص وعُمَارَة بن الوَلِيْد، وجمعوا مالاً عظيماً، فاشتروا مِنْ أَلْطَافِ الْحِجاز هدايا كثيرةً، وبعثوا بهَا معهما إلى ملك الحَبَشَة، وإلى جميع رِجاله وذوي مملكته.

فلَمَّا وصلا بالهدايا، أتيا البطارقة فأعطياهم الهدايا <الّتي>(2) لهم، وأوصلا للنَّجاشيّ الذي أُرْسِلَ إليه. وذكرهما البطارقة للنَّجاشيّ، فأدخلهما إليه، فقالا: أَيُّها الملك؛ [إنَّه](3) قد صار إلى بلادكَ مِنَّا غلمانٌ سُفهاءٌ، فارقوا

(١) "أ": "الكرم" وأثبت ما في "ب"، وهو موافق لما في المناقب والمثالب.

(٢) زيادة من "ب".

(٣) زيادة من السيرة النّبويّة.

دِيْن قومهم ولم يدخلوا فِي دِيْنكَ، وَأَتَوْا بِبِدْعَةٍ لا تعرفها أنت ولانحن، وقد أَرْسلنا إليك أَشْراف قومنا من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردَّهم إليهم.

فقالت البَطَارِقَة -لما وصل إليهم من الهدايا-: صَدَقَا؛ أَيُّها [٥١/و] الملك؛ قومهم أعلم بهم فارددهم إليهم.

فغضب الملك وقال: لا أُسْلِمُ إليهم قوماً تجاوروني وَاخْتاروني على غيري، حتَّى أدعوهم فأسألهم عن قولهم.

[إحضار النَّجاشيّ للمُهاجرين، وسؤاله لهم عن دينهم، وجوابهم]

وَأَرسل النَّجاشيّ إلى أصحاب رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلهِ-، فلَمَّا حضروا عنده، وقد دعا الأساقفة فنشروا مصاحفهم حوله، ثُمَّ سأل أصحاب النَّبيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلهِ-، فقال(1): ما هذا الدِّين الذي فارقتم فيه قومكم، ولم تدخلوا في ديننا، ولا في شيء من الملل؟

[٦٧] /فكان الَّذي كلَّمه جَعْفَر بن أبي طالب، فقال له: أَيُّها الملك؛ كُنَّا أهلَ جاهلِيَّة نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل قوينا ضعيفنا، [فَكُنَّا على ذلك،](2) حتَّى بعث الله إلينا رسولاً مِنَّا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى التَّوْحيد؛ لنوحِّد الله ونعبده، وندع ما كنَّا نعبد من دونه نحن وآباؤنا من الحجارة والأَوْثان، وأَمَرَنا بِصِدْقِ الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرَّحِم، وحُسْن الجوار، والكَفّ عن

(١) انظر: السيرة النبوية ٣٣٦/١.

(٢) زيادة من السيرة النبويّة.

[٥١/ظ] الْمَحارم والدِّماء، ونَهانا عن الفواحش، وقول الزُّور، وأكل أموال اليتامى، وقَذْف الْمُحْصنات، وأمرنا أن نعبد الله [وحده،][1] ولا نُشرك به شيئاً، وأَمَرَنا بالصَّلاة والزَّكاة والصَّوم -وعدَّد عليه فروض الإسلام-، فصدَّقناه وآمنَّا به، واتَّبعناه على ما جاءنا به من عند الله، [فعبدنا الله وحده، فلم نشرك به شيئاً،][2] وحرَّمنا ما حرَّمَ علينا، وأَحْلَلْنا ما أحلَّ لنا، فعدا علينا قومنا، [فعذَّبونا،][3] وفتنونا عن دِيننا، ليردُّونا عن عِبادة الله إلى عِبادة الأوثان، [وأن نستحلّ ما كنَّا نستحلّ من الخبائث،][4] فلَمَّا قهرونا [وظلمونا][5] وضيَّقوا علينا، وحالوا بيننا وبين دِيننا، خرجنا إلى بلادكَ واخترناك على غيركَ، وَرَغِبْنا في جوارك، ورَجَوْنا أن لا نُظْلَمَ عندكَ أيُّها الملك.

فقال له النَّجاشيّ: هَلْ عندكَ شيء مِمَّا جاء به عن الله -تعالى-؟ فقال له جَعْفَر بن أبي طالِب: نَعَمْ. قال النَّجاشيّ: فاقرأه عَلَيَّ. فقرأ عليه صَدْراً مِنْ ﴿كٓهيعٓصٓ﴾[مريم: ١].

فبكى النَّجاشِيّ ومن لديه من الأساقفة، <حَتَّى أخْضَلَتْ لِحاهم،>[6] وقال: إنَّ هذا والَّذي جاء به عِيسَى ليخرج مِنْ [٥٢/و] مِشْكاةٍ واحدةٍ.

(١) زيادة من السيرة النّبويّة.

(٢) زيادة من السيرة النّبويّة.

(٣) زيادة من السيرة النّبويّة.

(٤) زيادة من السيرة النّبويّة.

(٥) زيادة من السيرة النّبويّة.

(٦) زيادة من "ب".

وقال لعَمْرو وعُمَارَة: انطلقا؛ فوالله لا أُسْلِمهم إليكما أبداً.

[مقالة الْمُهاجرين في عِيْسى -عليه السَّلام-]

فلَمَّا خرجا من عنده قال عَمْرو بن العَاص: لآتينَّه غداً عنهم بما يستأصل به شأفتهم.

ثُمَّ قال للنَّجاشيّ: إنَّهم يقولون في عِيْسَى بن مَرْيَم قولاً عظيماً.

/فأرسل إليهم فسألهم، وقال: ما تقولون في عِيْسَى بن مَرْيَم؟ فاجتمعوا، [٦٨] وقالوا: ماذا نقول؟

فأجابهم جَعْفَر بن أبي طالِب، وقال: نقول الَّذي جاءنا به نبيُّنا: هو عَبْد الله ورسوله ورُوحه وكلمته ألقاها إلى مَرْيَم العَذْراء البَتُول.

فَضَرَبَ النَّجَاشيّ بيده إلى الأَرْض فأخذ منها عُوْداً، ثُمَّ قال: ماعَدا عِيْسَى بن مَرْيَم مِمَّا قُلْتَ هذا العُوْدَ.

فَتَناخَرَتْ حوله بطارقته، فقال: وإن نَخَرْتُم فوالله ذلك الحقّ، اذهبوا فأنتم آمِنُون، مَنْ سبَّكم غَرِمَ.

ثُمَّ قال: رُدُّوا عليهما هداياهما [٥٢/ظ] فما لنا <إليهما>[1] من حاجة؛ فوالله ما أَخَذَ اللهُ مِنِّي رشْوةً حين ردَّ إِلَيَّ مُلْكِي، فَآخُذُ الرَّشْوَةَ فيه.

وكان الملك قد زال عن النَّجاشِيّ ثُمَّ رجع إليه. ولذلك قصَّة اختصرناها.

(١) زيادة من "ب".

[أبيات أبي طالب يحضّ النّجاشي على الإحسان]

وَلَمَّا أبطأ خبر المهاجرين إلى الحَبَشَة عن أهل مكَّة، قال في ذلك أبو طالب[1]:

أَلاَ لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ فِي النَّأْيِ جَعْفَرٌ ... وَعَمْرٌو وَأَعْدَى العَـدُوِّ الأَقَـارِبُ

وَهَلْ نَالَ إِكْرَامُ النَّجَاشِيِّ جَعْفَـراً ... وَأَصْحَابَهُ أَمْ عَاقَ عَنْ ذَاكَ شَاغِبُ

تَعَلَّمْ، أَبَيْتَ اللَّعْنَ، أَنَّـكَ مَاجِـدٌ ... كَرِيمٌ فَلاَ يَشْقَى لَدَيْكَ الْمُجَانِـبُ

تَعَلَّمْ بِـأَنَّ اللَّـهَ زَادَكَ بَسْـطَةً ... وَأَسْبَابَ خَيْرٍ كُلُّهَـا بِـكَ لازِبُ

وَأَنَّكَ فَيْضٌ ذُو سِـجَالٍ غَزِيْـرَةٍ ... يَنَالُ الأَعَادِي نَفْعَهَـا وَالأَقَـارِبُ

[خروج الْحَبَشَة على النَّجاشِيّ]

ونازع رَجُل من الحَبَشَة النَّجاشِيّ <في>[2] الملك والمسلمون عنده، فخرج النَّجاشِيّ إلى لقائه بعد أن أرسل إلى جَعْفَر وأصحابه، فهيَّأ لهم سُفُناً، وقال: اركبوا فيها، وكونوا كما أنتم، فإن هُزِمْتُ فامضوا حيث شئتم، وإن ظفرتُ فاثبتوا.

[٦٩] /ثُمَّ عمد إلى كتاب، فكتب فيه: [٥٣/و] هو يشهد أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمَّداً عبده ورسوله. ويشهد أنَّ عِيْسَى بن مَرْيَم عبده ورسوله وروحه، وكلمته ألقاها إلى مَرْيَم. ثُمَّ جعله في قَبائه عند المنكب الأيمن، وخرج إلى الحَبَشَة.

(١) انظر: ديوانه ٢٤٧.

(٢) زيادة من "ب".

وصفّوا له، فقال: يا معشر الحَبَشَة؛ ألستُ أحقَّ النَّاس بكم؟ قالوا: بلى. قال: فكيف رأيتم سيرتي فيكم؟ قالوا: خير سيرة. قال: فما بالكم؟ قالوا: فارقتَ ديننا، وزعمتَ أنَّ عِيْسَى عبد الله. قال: فما تقولون أنتم في عِيْسَى؟ قالوا: نقول هو ابنُ الله. فقال النَّجاشِيّ -ووضع يده على صدره-: وهو يشهد أنَّ عِيْسَى بن مَرْيَم. لم يَزِدْ على هذا شيئاً، وهو يشير إلى الكتاب الذي جعله في قَبائه.

ولَمَّا مات النَّجاشِيّ صلَّى عليه النَّبِيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- في الْمَدينة، واستغفر له وترحَّم عليه.

[ذِكْرُ إسلام حَمْزَة -عليه السّلام-]

وكثر المسلمون وتتابعوا إلى الإسلام، وأسلم عمّ النَّبِيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آله- حَمْزَة بن عبد الْمُطَّلِب، وكان أبو جَهْل قد سَبَّ رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ-، فأعرض عنه رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ-، وبلغ ذلك حَمْزَة بن عبد الْمُطَّلِب -عليه السّلام-، فدخل المسجد [٥٣/ظ] مُغْضَباً لا يلوي على شيء، حتَّى وقف على أبي جَهْل وهو جالس، فرفع قوسه وضرب رأسه بها ضربة منكرة حتَّى شَجَّهُ، وقال: أَتَشْتُمُ ابن أخي؟ فأنا على دِينه، وأنا عمّ رسول الله. وأتى رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- فأسلم.

وَقَالَ حَمزة -رضي الله عنه- فِي فِعْلِه بِأَبِي جَهْلٍ [مَا فَعَلَهُ][1]:

(١) انظر: سيرة ابن اسحاق ١٥٢، المناقب والمثالب [ورقة ٣٢/و].

فَذُقْ أَبَا جَهْـلٍ بِمَـا غَشِـيْتَا

بِـأَمْرِكَ الظَّـالِمِ إِذْ مَشَـيْتَا

تُؤْذِي رَسُولَ اللهِ قَـدْ نُهِيْتَـا

عَنْ أَمْـرِكَ الظَّـالِمِ إِذْ أَبَيْتَـا

لأَنْفِكَ الرَّغْـمُ بِمَـا أَتَيْتَـا

لَوْ كُنْتَ تَرْجُو اللهَ مَـا شَـقِيْتَا

/وَلا تَرَكْتَ الحَـقَّ إِذْ دُعِيْتَـا [٧٠]

وَقَد هَوَيْتَ قَبْـلُ مَـا هَوَيْتَـا

تُؤْذِي رَسُولَ اللهِ قَـدْ غَوَيْتَـا

مَا كُنْتَ حَيّاً بَعْدَ مَـا عَـدَوْتَا

حَتَّى تَذُوقَ الـذُّلَّ قَـدْ لَقِيْتَـا

فَقَدْ شَفَيْتُ الـنَّفْسَ فَاشْـتَفَيْتَا

وكان أكثر المشركين أذى لرسول الله أبو جَهْل بن هِشام وعمر بن الخطّاب، فدعى النَّبيّ أن يُسْلِم أحدهما فينصر الله الدِّين، ويقلّ المفسدين.

[ذِكْرُ إسلام عمر بن الخطّاب]

وخرج عمر بن الخطاب -يوماً- مُتَوَشِّحاً سَيْفاً؛ يريد رسول الله -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِه-، وقال: أُريد محمَّداً هذا الصَّابي الذي فرَّق الجماعة [٥٤/و] من قُرَيش، وسفَّه أحلامها، وعاب دِينها، وسبّ آلهتها، فأقتله. وأتى إلى رسول الله -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِه-، وهو في جماعة من أصحابه،

فضرب عليهم الباب، فلَمَّا سمعوا صوته، قام رَجُل من أصحاب رسول الله -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِه-، فنظر من خلل الباب، فتطلّع فرآه مُتوشِّحاً بالسَّيف، فأعلم النَّبيّ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِه-، فقال حَمْزَةُ بن عبد الْمُطَّلب: إيْذَنْ له، فإن أراد شرّاً قتلناه بسيفه. فقال رسول الله -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِه- "دعوه ليدخل". ونهض رسول الله -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِه- حتَّى لقيه في الحجرة، فأخذ بحجزته ومجامع رِدائه، ثُمَّ جبذه جبذة شديدة، وقال: "ما جاء بكَ يا ابن الخَطَّاب؟ فَواللهِ ما أَرَى أَنْ تَنْتَهِي حَتَّى يُنْزِلَ اللهُ عَلَيْكَ قَارِعَةً مِنَ السَّمَاءِ". فقال: إنَّما جئتُ لأُسْلِم يا رسول الله. وقد امْتُقِعَ لونه، وارتعدت فرائصه، فأسلم.

وبلغ المسلمين بالحَبَشَة إسلام عمر، فقالوا: لاَ يُسْلِمُ عُمَر حتَّى يُسْلِمَ حِمَارُ الخَطَّاب. وذلك لما يعرفونه من بعده عن الإسلام، وما كان عليه من البغضة لرسول الله -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِه.

[ذكر خبر كتابة الصَّحِيْفَة]

[٥٤/ظ] /ولَمَّا رأت قُرَيش أنَّ مَنْ صار إلى النَّجاشيّ قد امتنع منهم، [٧١] وأنَّ أبا طالب قد حمى رسول الله -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِه-، وأنَّ عمّه حَمْزَة قد أسلم، وكان منه ما ذكرناه، وأن من بقي من المسلمين أهل مَنْعَة لا يصلون إليهم بسوء، يئسوا من العرب أنْ تنصرهم، اجتمعوا فقلَّبوا الحِيَل، وأجالوا الآراء، فلم يروا إلاّ أَن يكتبوا كِتاباً يتعاقدون فيه على بني هَاشِمٍ وبني الْمُطَّلب، على أن لا يُنَاكحوهم ولا يُبايعوهم. فكتبوا بذلك صحيفةً؛ وتعاهدوا على ما فيها، وعلَّقوها في جَوْف الكَعْبَة. وانْحاز بنو هاشِمٍ وبَنُو

الْمُطَّلب إلى أبي طالب بن عَبْد الْمُطَّلب، فدخلوا في شيعته واجتمعوا إليه.

[تهكّم أبي لهب بالرّسول –صلى الله عَلَيْهِ وعَلَى آله–]

وخرج مِنْ بني هاشمٍ أَبُو لَهَبٍ عَبْد العُزّى بن عَبْد الْمُطَّلب إلى بني عَبْد شَمْسٍ وَمَنْ ظَاهَرَهُمْ من كفّار قُرَيش، فأثنت عليه بنو عبد شَمْس، ولقيته هِنْد بنت عُتْبَة فأَثْنَتْ عليه، فقال: هِيْه يا بنت عُتْبَة هل نَصرْتِ اللاَّتَ وَالعُزّى، وفارقت مَنْ فارقهما وظاهر [٥٥/و] عليهما؟ قالت: نَعَمْ؛ فجزاك اللهُ خَيْراً يا أبا عُتْبَة.

[شعْر أبي طالب في قُرَيش حين تظاهروا على الرّسول –صلى الله عَلَيْهِ وعَلَى آله–]

وَقالَ أَبُو طَالب فِي ذلك من أمرهم[1]:

أَلا أَبْلغَا عَنِّي لُؤَيّاً رِسَالَةً ... بِحَقٍّ وَمَا تُغْنِي رِسَالَةُ مُرْسِلِ
بَنِي عَمِّنا الأَدْنَيْنَ تَيْماً نَخُصُّهُمْ ... وَإِخْوَتَنَا مِنْ عَبْدِ شَمْسٍ وَنَوْفَلِ
أَظَاهَرْتُمْ قَوْماً عَلَيْنَا أَظِنَّةً ... وَأَمْرَ غَوِيٍّ مِنْ غُوَاةٍ وَجُهَّلِ
يَقُولُونَ إِنَّا إِنْ قَتَلْنَا مُحَمَّداً ... أَقَرَّتْ نَوَاصِي هَاشِمٍ بِالتَّذَلُّلِ
كَذَبْتُمْ –وَبَيْتِ اللهِ– يُثْلَمُ رُكْنُهُ ... وَمَكَّةَ وَالإِشْعَارِ فِي كُلِّ مُعْمَلِ
وَبِالْحَجِّ أَوْ بِالنِّيبِ تَدْمَى نُحُورُهُ ... بِمَدْمَاهُ وَالرُّكْنِ الْعَتِيقِ الْمُقَبَّلِ
تَنَالُونَهُ أَوْ تَصْطَلُوا دُونَ قَتْلِهِ ... صَوَارِمَ تَفْرِي كُلَّ عَظْمٍ وَمَفْصِلِ
وَتَدْعُو بِأَرْحَامٍ وَأَنْتُمْ ظَلَمْتُمُ ... مَصَالِيتَ فِي يَوْمٍ أَغَرَّ مُحَجَّلِ
فَمَهْلاً وَلَمَّا تُنْتِجِ الْحَرْبُ بِكْرَهَا ... بِيَتْنٍ تَمَامٍ أَوْ بِآخَرَ مُعْجَلِ

(١) انظر: ديوان أبي طالب ١١٧–١٢٠.

[٧٢] /فَإِنَّا مَتَى مَا نَمْرِهَا بِسُيُوفِنَا ... نُجَالِحْ فَنَعْرُكْ مَنْ نَشَاءُ بِكَلْكَلِ
وَتَلْقَوْا رَبِيعَ الأَبْطَحَيْنِ مُحَمَّداً ... عَلَى رَبْوَةٍ فِي رَأْسِ عَنْقَاءَ عَيْطَلِ
وَتَأْوِي إِلَيْهِ هَاشِمٌ إِنَّ هَاشِماً ... عَرَانِينُ كَعْبٍ آخِراً بَعْدَ أَوَّلِ
فَإِنْ كُنْتُمُ تَرْجُونَ قَتْلَ مُحَمَّدٍ ... فَرُومُوا بِمَا جَمَّعْتُمُ نَقْلَ يَذْبُلِ
فَإِنَّا سَنَحْمِيهِ بِكُلِّ طِمِرَّةٍ ... وَذِي مَيْعَةٍ نَهْدِ الْمَرَاكِلِ هَيْكَلِ
/ وَكُلِّ رُدَيْنِيٍّ ظَمَاءٍ كُعُوبُهُ ... وَعَضْبٍ كَإِيمَاضِ الغَمَامَةِ مِقْصَلِ [٥٥/ظ]
وَكُلِّ جَرُورِ الذَّيْلِ زَغْفٍ مُفَاضَةٍ ... دِلاَصٍ كَهَزْهَازِ الغَدِيرِ الْمُسَلْسَلِ
بِأَيْمَانِ شُمٍّ مِنْ ذَوَائِبِ هَاشِمٍ ... مَغَاوِيلَ بِالأَبْطَالِ فِي كُلِّ جَحْفَلِ
هُمُ سَادَةُ السَّادَاتِ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ ... وَخِيرَةُ رَبِّ النَّاسِ فِي كُلِّ مُعْضِلِ

وقال فِي ذلك[1]:

أَلاَ أَبْلِغَا عَنِّي عَلَى ذَاتِ بَيْنِنَا ... لُؤَيّاً وَخُصَّا مِنْ لُؤَيٍّ بَنِي كَعْبِ
أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّا وَجَدْنَا مُحَمَّداً ... نَبِيّاً كَمُوسَى خُطَّ فِي أَوَّلِ الْكُتْبِ
وَأَنَّ عَلَيْهِ فِي الْعِبَادِ مَحَبَّةً ... وَلاَ خَيْرَ مِمَّنْ خَصَّهُ اللهُ بِالْحُبِّ
وَأَنَّ الَّذِي لَفَّقْتُمُ فِي كِتَابِكُمْ ... لَكُمْ كَائِنٌ نَحْساً كَرَاغِيَةِ السَّقْبِ
أَفِيقُوا أَفِيقُوا قَبْلَ أَنْ يُحْفَرَ الثَّرَى ... وَيُصْبِحَ مَنْ لَمْ يَجْنِ ذَنْباً كَذِي الذَّنْبِ
وَلاَ تَتْبَعُوا أَمْرَ الْوُشَاةِ وَتَقْطَعُوا ... أَوَاصِرَنَا بَعْدَ الْمَوَدَّةِ وَالْقُرْبِ
وَتَسْتَجْلِبُوا حَرْباً عَوَاناً وَرُبَّمَا ... أَمَرَّ عَلَى مَنْ ذَاقَهُ حَلَبُ الْحَرْبِ
فَلَسْنَا وَرَبِّ الْبَيْتِ نُسْلِمُ أَحْمَداً ... لِعَزَّاءَ مِنْ عَضِّ الزَّمَانِ وَلاَ كَرْبِ

(١) انظر: ديوانه ٢١١–٢١٣.

وَلَمَّا تَبِنْ مِنَّا وَمِـنْكُمْ سَـوَالِفٌ … وَأَيْد أُتِرَّتْ بِالْقُـسَاسِيَّةِ الشُّهْبِ
بِمُعْتَرَكٍ ضَنْكٍ تَرَى كِسَرَ القَنَـا … بِهِ وَالنُّسُورَ الطُّخْمَ يَعْكُفْنَ كَالشَّرْبِ
كَأَنَّ مَجَالَ الْخَيْلِ فِي حَجَرَاتِـهِ … وَمَعْمَعَةَ الْفُرْسَانِ مَعْرَكَةُ الْحَرْبِ
[٥٦/و] / أَلَيْسَ أَبُونَا هَاشِـمٌ شَـدَّ أَزْرَهُ … وَأَوْصَى بَنِيْهِ بِالطِّعَانِ وَبِالضَّـرْبِ
وَلَسْنَا نَمَلُّ الْحَرْبَ حَتَّى تَمَلَّنَـا … وَلاَ نَشْتَكِي مِمَّا يَنُوبُ مِنَ النَّكْبِ
وَلَكِنَّنَا أَهْـلُ الحَفَـائِظِ وَالنُّهَـى … إِذَا طَارَ أَرْوَاحُ الْكُمَاةِ مِنَ الرُّعْبِ

[٧٣] [/أبيات حمزة بن عبد المُطَّلب في أمر الصَّحيفة]

وَقال حَمْزَةُ بن عَبْد الْمُطَّلب –عليه السَّلام– فِي أمر الصَّحِيْفَة وما أَجْمَعَ القَوْم عليه[1]:

أَلاَ يَالَقَوْمِ لِلأُمُـورِ الْعَجَائِـبِ … وَصَرْفِ زَمَانٍ بِالأَحِبَّـةِ ذَاهِـبِ
وَأَقْوَالِ أَقْـوَامٍ أَضَـلَّ حُلُـومَهُمْ … مَعَ الْبَغْيِ وَالْعُدْوَانِ غَيُّ الضَّرَائِبِ
يَقُولُونَ: إِنَّا سَوْفَ نَسْخَى بِأَحْمَدٍ … لِقَوْلِ سَـفِيْهٍ أَوْ إِشَـارَةِ عَائِـبِ
وَقَدْ جَاءَ بِالْحَقِّ الْجَلِيِّ وَبَيِّنَـتْ … رَسَائِلُ صِدْقٍ وَحْيُهَا غَيْرُ كَاذِبِ
رَسَائِلُ مِنْ ذِيْ قُوَّةٍ يَصْطَفِي بِهَـا … عِبَاداً ذَوِي حَقٍّ عَلَى اللهِ وَاجِـبِ
فَإِنْ تَقْبَلُوا مَا جَاءَ مِنْ عِنْدِ رَبِّكُـمْ … إِلَيْكُمْ وَقَوْلَ الْمُرْسَلِيْنَ الأَطَائِـبِ
يَكُنْ ذَلِكُمْ خَيْراً لَكُمْ مِنْ لِقَائِنَـا … وَبِئْسَ خِلاَلُ الْحَرْبِ حَرْبُ الأَقَارِبِ
فَلاَ تَحْسَبُونَا مُسْـلِمِيْنَ مُحَمَّـداً … لَكُمْ مَا غَدَتْ عَنْسٌ ذَمُولٌ بِرَاكِبِ
لَهُ رَحِمٌ فِيْنَـا يَعِـزُّ جِـوَارُهُ … فَمِنْ دُونِهِ ضَرْبُ الطُّلَى وَالْحَوَاجِبِ

(١) انظر: المناقب والمثالب [ورقة ٣٤/ظ-٣٥/و]، ونُسِبَت لأبي طالب، انظر: ديوانه ٢٣١.

وَجُرْثُومَةٌ مِنْ هَاشِمٍ عَرَفَـتْ لَـهُ … كِرَامَ مَسَاعِيْهَا لُؤَيُّ بْـنُ غَالِـبِ
فَمَهْلاً وَلَمَّا تَشْغَبِ الْحَرْبُ بَيْنَنَا … بِشَنْعَاءَ تُعْيِي كُـلَّ آسٍ وَرَائِـبِ
/ تُفَرِّقُ شَعْبَ الْحَيِّ بَعْدَ اجْتِمَاعِهِ … قَبَائِلَ تُبْدِي عَنْ خِدَامِ الْكَوَاعِـبِ [٥٦/ظ]
وَتُذْلِلُ أَقْـوَاماً وَكَـانُوا أَعِـزَّةً … أَصَابَهُمُ دَهْـرٌ كَثِيْـرُ النَّوَائِـبِ

[تعرُّض أبي جَهْل لِحَكِيْم بن حزام وتوسُّط أبي البَخْتَري]

وأَقام بنو هاشِمٍ وبنو الْمُطَّلب كذلك ثلاثة أعوام، لا يُبايَعون ولا يُشاورون، ولا يصل إليهم ما يصل مِنَ الطَّعام إلاَّ في خِفْيَةٍ.

وكان حَكِيْم بن حِزَام بن خُوَيْلد بن أَسَد كثيراً ما يبعث /بالطَّعام إلى [٧٤] بني هاشِمٍ عامَّةً، وإلى رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آله– خاصَّةً، لمكان عمَّته خَدِيْجَة بنت خُوَيْلِدٍ وكونها عند رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آله–، وكان حَكِيْم ذا مالٍ وجاهٍ ومَنْعَةٍ في قُرَيْشٍ، وكان يَجيءُ بِالقِطار مِنَ الجمال بعد القطار ليلاً فَيُولجُهُ شِعْبَ بني هاشِمٍ، فلقيه [عليه][1] أَبُو جَهْلٍ بن هِشام فتعلَّق به، وقال: أتذهب بالطَّعام إلى بني هاشِمٍ! والله لا تبرح أنت وطعامك حَتَّى أفضحك بمكَّة. فجاءه أَبُو البَخْتَرِي بن هِشام بن الحارث بن أَسَد فقال: مالك وله؟ فقال: يحمل الطَّعام إلى بني هاشِمٍ. فقال له أَبُو البَخْتَرِي: [وإنَّما ذلك][2] طعامٌ كان لِعَمَّتِه عنده بعث به إليها، أَفَتَمْنَعُهُ مِنْ أَنْ [٥٧/و]

(١) زيادة من المناقب والمثالب.
(٢) زيادة من المناقب والمثالب.

يَأْتيهَا بطعامها؟! خَلِّ سبيل الرَّجُل. فَأَبَى [عليه][١] أبو جَهْلٍ، فوثب إليه أبو البَخْتَرِي فضربه بِلَحْي جَمَلٍ فَشَجَّهُ وَوَطِئَهُ وطئاً شديداً، وحَمْزَة بن عبد الْمُطَّلب قريباً يرى ذلك، وأبو جهل يكره أن يسمع ذلك أصحاب رسول الله، فيشمتوا به.

***

(١) زيادة من المناقب والمثالب.

[ذكر ما لقي رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- من قومه من الأذى]

ورسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- في ذلك [كُلِّه][١] يدعو قومه إلى الله ليلاً ونهاراً، وسرّاً وجاهراً؛ منادياً بأمر الله لا يتَّقي فيه أحداً من النَّاس.

فجعلت قُرَيش حين منعه الله منها، وقام عمّه وقومه من بني هاشم وبني الْمُطَّلب دونه، وحالوا بينهم وبين ما أرادوا من البطش به -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ-، يستهزئون به -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- وبأصحابه.

وكان منهم أبو لَهَب في ذلك وامرأته أمّ جَميل بنت حَرْب بن أُمَيَّة؛ "حمَّالة الحطب". وقيل: كانت تحمل الحطب فتطرحه على طريق رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- حيث يمرّ. وقيل: كانت تحطب بالكلام. والله أعلم. فأنزل الله -تعالى- فيه: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۞ مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾[المسد: ١-٢]. إلى آخر السُّورة.

فلَمَّا سمعت اللَّعينة بما نزل [٥٧/ظ] فيها أتت رسول الله، وهو جالس في المسجد عند الكَعْبَة، ومعه أبو بكر، وفي يدها فِهْر من الحجارة، فقالت: يا أبا بَكْر؛ قد قلت في صاحبك[٢]:

مُذَمَّماً عَصَيْنا

[وَأَمْرَهُ أَبَيْنا][٣]

ودِيْنَهُ قَلَيْنا

(١) زيادة من المناقب والمثالب.

(٢) انظر: السِّيرة النَّبويَّة ٣٥٦/١.

(٣) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة.

[٧٥] /وقد عميت عن رسول الله أن تراه.

وكانت قُرَيش تُسَمِّي رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آله–: "مُذَمَّماً"، ثُمَّ يسبُّونه، فيقول رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آله– لأصحابه: "ألا تعجبون لِمَا صَرَفَ اللهُ عَنِّي مِنْ أَذَى قُرَيش! يسبُّون [ويَهْجون][1] مُذَمَّماً، وأنا محمَّدٌ".

[شِعْر أبي طالب لأبي لهب يستعطفه]

وَقالَ أَبوطَالِبٍ –رضي الله عنه– لأَبِي لَهَبٍ فِي اعْتِزالِه بني هَاشِمٍ يَسْتَعْطِفُهُ[2]:

عَجِبْتُ لِحِلْمٍ يَا ابْنَ شَيْبَةَ حادث ... وَأَحْلاَمِ أَقْوامٍ لَـدَيْكَ سِـخَافِ
يَقُولُونَ: شَايِعْ مَنْ أَرادَ مُحَمَّـداً ... بِسُوءٍ وَقُمْ فِي أَمْـرِهِ بِخِـلاَفِ
أَضَامِيمُ إِمَّا حَاسِـدٌ ذُو خِيانَـةٍ ... وَإِمَّا قَرِيبٌ مِنْكَ غَيْـرُ مُصَـافِ
فَلا تَرْكَبَنَّ الـدَّهْرَ مِنْـهُ ذِمَامَـةً ... وَأَنْتَ امْرُؤٌ مِنْ خَيْرِ عَبْدِ مَنَـافِ
وَلاَتَتْرُكَنْهُ مَا حَيِيـتَ وَأَطْعِمَـنَ ... وَكُنْ رَجُلاً ذَا نَجْـدَةٍ وَعَفَـافِ
يَذُودُ الْعِدَى عَنْ ذُرْوَةٍ هَاشِـمِيَّةٍ ... وَإِيلاَفُهُمْ فِي النَّاسِ خَيْـرُ إِلاَفِ
فَإِنَّ لَـهُ قُرْبَى لَدَيْـكَ قَرِيبَـةً ... وَلَيْسَ بِذِي حِلْفٍ وَلاَ بِمُضَـافِ
[٥٨/و] وَلَكِنَّهُ مِنْ هاشِـمٍ فِي صَـمِيمِهَا / إِلَى أَبْحُرٍ فَوْقَ الْبُحُـورِ طَـوَافِ
وَزَاحِمْ جَمِيعَ النَّاسِ عَنْهُ وَكُنْ لَهُ ... وَزِيْراً عَلَى الأَعْدَاءِ غَيْرَ مُجَافِ

(١) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة.
(٢) انظر: ديوانه ١٧٧.

فَإِنْ غَضِبَتْ مِنْهُ قُرَيْشٌ فَقُلْ لَهَـا ... بَنِي عَمِّنَا هَلْ قَـوْمُكُمْ بِضِـعَافِ
فَمَا بَالُنا يَغْشَـوْنَ مِنَّـا ظُلاَمَـةً ... وَمَا بَالُ أَرْحَامٍ هُنَـاكَ جَـوَافِ
فَمَا قَوْمُنا بِالقَوْمِ يَغْشَوْنَ ظُلْمَنَـا ... وَلا نَحْنُ فِيمَا سَاءَهُمْ بِخِفَـافِ
وَلَكِنَّنا أَهْلُ الْحَفَـائِظِ وَالنُّهَـى ... وَعِزٌّ لَنَـا عِنْـدَ الْعَظَـائِمِ وافِ

[خبر أبي سَلَمَة في جواره]

[٧٦] /وَاسْتَجَارَ أَبُو سَلَمَة بن عَبْد الأَسَد بأبي طَالِب مِنْ قومه بني مَخْزُومٍ، وقد أرادوا قتله، فَحَمَاهُ منهم أبو طالب، فأتوا أبا طَالِب وقالوا له: يا أبا طَالِب؛ لقد مَنَعْتَ مِنَّا ابن أخيكَ مُحَمَّداً، فما لك ولصاحبنا تَمْنَعُهُ مِنَّا؟ قال: إنَّه استجار بي، وهو ابن أُخْتِي، وَإِنْ [أنا][1] لم أَمْنَعْ ابن أُخْتِي، لم أمنع ابن أخي.

فنازعوه في ذلك، فقامَ إليهم أَبو لَهَبٍ، فقال: يا معشر قُرَيْش؛ لقد أكثرتم على هذا الشَّيْخ، ما تزالون توثبون عليه في جواره مِنْ بين قومه، والله لَتَنْتَهُنَّ عنه أو لَنَقُومَنَّ معه فيما قام، حَتَّى يَبْلُغَ ما أَرادَ. فقالوا: بل نَنْصَرِفُ عَنْكَ وعمَّا تكره يا أَبا عُتْبَة. وكان لهم وليّاً وناصراً على رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِه.

فلمَّا سمع منه أبو طَالِب ما سمع طمع فيه، وقال أبو طالب يحرّض أبا لَهَب على نُصْرَة [٥٨/ظ] رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِه–[2]:

(١) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة.
(٢) انظر: ديوانه ١٧٨.

إنَّ امْــرأً أَبُوعُتَيْبَــةَ عَمُّــهُ   لَفِي رَوْضَةٍ مَا إنْ يُسَــامُ الْمَظَالِمَــا

أَقُولُ لَهُ -وَأَيْنَ مِنْـهُ نَصِيْحَتِي-:   أَبَا مُعْتِبٍ ثَبِّــتْ سَــوَادَكَ قَائِمَــا

وَلاَ تَقْبَلَنَّ الدَّهْرَ مَاعِشْــتَ خُطَّــةً   تُسَبُّ بهَا إمَّا هَبَطْــتَ الْمَواسِــمَا

وَوَلِّ سَبِيْلَ الْعَجْــزِ غَيْــرَكَ مِــنْهُمُ   فَإنَّكَ لَمْ تُخْلَقْ عَلَى الْعَجْزِ لاَزِمَا

وَحَارِبْ فَإنَّ الْحَرْبَ نَصْفٌ وَلَنْ تَرَى   أَخَا الْحَرْبِ يُعْطِي الْخَسْفَ حَتَّى يُسَالِمَا

وَكَيْفَ وَلَمْ يَجْنُوا عَلَيْــكَ عَظِيْمَــةً   وَلَمْ يَخْــذُلُوكَ غَانِمــاً أَوْ مُغَارِمَــا

جَزَى اللهُ عَنَّا عَبْدَ شَمْسٍ وَنَــوْفَلاً   وَتَيْماً وَمَخْزُومــاً عُقُوقــاً وَمَأْثَمَــا

بتَفْرِيْقِهِمْ مِــنْ بَعْــدِ وُدٍّ وَأُلْفَــةٍ   جَمَاعَتَنَا كَيْمَا يَنَــالُوا الْمَحَارِمَــا

أَطَاعُوا ابنَ ذَكْوانٍ وَقَيْسًا وَدَيْسَــمًا   فَضَلُّوا وَذَاقُوا بِــالْجَمِيْعِ الْمَيَاسِــمَا

كَذَبْتُمْ وبَيْتِ اللهِ نُبْــزَى مُحَمَّــداً   وَلَمَّا تَرَوا يَوْماً لَدَى الشِّعْبِ قَائِمَــا

[حديث نقض الصَّحيفة]

ثُمَّ إنَّه تَحَرَّكَ هِشامُ بن عَمْرِو بن الحارث في نقض الصَّحيفة الَّتي كتبت قُرَيش على بني هاشِم، وكان ذا شرفٍ في قومه، وكان فيمن يتفقّد بني هاشِم بالطَّعام، فلمَّا طال ذلك عليه، مشى إلى زُهَيْر بن أبي أُمَيَّة بن الْمُغيْرَة بن عَبْد الله بن عُمَر بن مَخْزُومٍ، ثُمَّ إلى [٥٩/و] الْمُطْعِم بن عَدِيّ /بن نَوْفَل بن عبد [٧٧] مَناف، ثُمَّ إلى أبي البَخْتَري بن هِشام، ثُمَّ إلى زَمْعَة بن الأَسْوَد بن عبد الْمُطَّلِب، فتواعدوا واجتمعوا في خَطْم الْحَجُون ليلاً، فقالوا: إنَّا نأكل الطَّعام، ونلبس الثِّياب، وننكح النِّساء، وبنو هاشِم لا يباعون ولا يُبْتاع منهم، ولا ينكحون ولا ينكح إليهم.

ثُمَّ إنَّهم تعاهدوا واجتمع أمرهم على القيام لنقض الصَّحيفة، وقال زُهَيْرٌ: أنا أبدؤكم بالكلام فأكون أوَّلكم كلاماً.

وغدا زُهَيْر بن أبي أُمَيَّة عليه حلَّة، فطاف بالبيت سبعاً، ثُمَّ أقبل على النَّاس، فقال: يا أهل مكَّة؛ أنأكل الطَّعام، ونلبس الثِّياب، وبنو هاشِم هَلْكى لا يُباعون ولا يُبْتاع منهم! والله لا أقعد حتَّى تُشَقَّ هذه الصَّحيفة القاطعة الظَّالمة.

قالَ أَبُو جَهْلِ بن هشام -وكان في ناحية من نواحي المسجد-: كَذَبْتَ؛ وَبَيْتِ الله لاَ تُشَقُّ الصَّحيفة. قالَ زَمْعَةُ بن الأَسْوَد: أنت -وَالله- أَكْذَبُ، ما رَضِيْنَا كِتابَها حين كُتِبَتْ. قال أَبُو البَخْتَرِي: صَدَقَ زَمْعَةُ، لاَ نَرْضَى بما كُتِبَ فيها. قال الْمُطْعِمُ [٥٩/ظ] بن عَدِيّ: صَدَقْتُما، وكذب مَنْ قال غير ذلك، نَبْرَأ إلى الله منها وَممَّا كُتِبَ فيها. قالَ هِشام بن عَمْرو نَحْواً مِنْ ذلك. فقال أبو جَهْل: هذا أَمْرٌ قُضِيَ بِلَيْلٍ.

[إخبار رسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وعَلَى آله- بأكل الأَرَضَة للصَّحيفة]

وكان رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وعَلَى آله- قد قال لأبي طالب عمّه: يا عمِّ؛ إنَّ ربِّي قد سلَّط الأَرَضَة على صحيفة قُرَيش، فلم تَدَعْ فيها اسماً هو الله إلاَّ أثبتته فيها، ونفت منه الظُّلم والقطيعة والبُهْتان، وإنَّ الله أخبرني بذلك.

فلَمَّا سمع أبو طالب ما قيل في نقض الصَّحيفة، وكان في ناحية المسجد، قال: يا معشر قُرَيش؛ إنَّ ابن أخي أخبرني "بكذا" و"كذا"، فهلمُّوا إلى صحيفتكم، فإنْ كانت كما قال، فانتهوا عن قطيعتنا.

فقال القوم: رضينا. وتعاقدوا على ذلك، ثُمَّ نظروا فإذا الصَّحيفة كما قال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ.

[شِعْر أبي طالب في مدح النَّفر الَّذين نقضوا الصَّحيفة]

[٧٨] /فلَمَّا مُزِّقت الصَّحيفة وبطل ما فيها، قال أبو طالب في ذلك(١):

أَلاَ هَلْ أَتَى بَحْرِيِّنَا صُـنْعُ رَبِّنَـا ... عَلَى نَـأْيِهِمْ وَاللهُ بِالنَّـاسِ أَرْوَدُ
فَيُخْبِرُهُمْ أَنَّ الصَّـحِيْفَةَ مُزِّقَـتْ ... وَأَنْ كُلُّ مَا لَمْ يَرْضَهُ اللهُ يَفْسُـدُ
تَرَاوَحَهَا إِفْكٌ وَسِـحْرٌ مُجَمَّـعٌ ... وَلَمْ يُلْفَ سِحْرٌ آخرَ الدَّهْرِ يَصْعَدُ
[٦٠/و] تَدَاعَى لَهَا مَنْ لَيْسَ فِيْهَا بِقَرْقَـرٍ ... فَطَائِرُهَا فِـي رَأْسِـهَا يَتَـرَدَّدُ
وَكَانَتْ كِفَاءً وَقْعَـةٌ بِأَثِيْمَـةٍ ... لِيُقْطَعَ مِنْهَـا سَـاعِدٌ وَمُقَلَّـدُ
وَيَظْعَنُ أَهْلُ الْمَكَّتَـيْنِ فَيَهْرُبُـوا ... فَرَائِصُهُمْ مِنْ خَشْيَةِ الشَّرِّ تُرْعَـدُ
وَيُتْرَكُ حُرَّاثٌ يُقَلِّـبُ أَمْـرَهُ ... أَيُتْهِمُ فِيْهِمْ عِنْـدَ ذَاكَ وَيُنْجِـدُ
وَتَصْعَدُ بَيْنَ الأَخْشَـبَيْنِ كَتِيْبَـةٌ ... لَهَا حَدَجٌ سَهْمٌ وَقَوْسٌ وَمِرْهَـدُ
فَمنْ يَنْشُ مِنْ حُضَّارِ مَكَّةَ عِـزُّهُ ... فَعِزَّتُنَا فِـي بَطْـنِ مَكَّـةَ أَتْلَـدُ
نَشَأْنَا بِهَا وَالنَّاسُ فِيْهَـا قَلاَئِـلٌ ... فَلَمْ نَنْفَكِكْ نَزْدَادُ خَيْراً وَنُحْمَـدُ
وَنُطْعِمُ حَتَّى يَتْرُكَ النَّاسُ فَضْـلَهُمْ ... إِذَا جَعَلَتْ أَيْدِي الْمُفِيْضِيْنَ تَجْمُدُ
جَزَى اللهُ رَهْطاً بِالْحَجُونِ تَتَـابَعُوا ... عَلَى مَلإٍ يَهْدِي لِحَـزْمٍ وَيُرْشِـدُ
قُعُوداً لَدَى خَطْمِ الْحَجُونِ كَـأَنَّهُمْ ... مَقَاوِلَةٌ بَلْ هُـمْ أَعَـزُّ وَأَمْجَـدُ
أَعَانَ عَلَيْهَا كُلُّ صَـقْرٍ كَأَنَّـهُ ... إِذَا مَا مَشَى فِي رَفْرَفِ الدِّرْعِ أَحْرَدُ
جَرِيءٌ عَلَى جُلَّى الْخُطُوبِ كَأَنَّـهُ ... شِهَابٌ بِكَفَّيْ قَابِـسٍ يَتَوَقَّـدُ

(١) انظر: ديوانه ٢٣٤-٢٣٧.

مِنَ الأَكْرَمِيْنَ مِنْ لُؤَيِّ بن غَالِبٍ ... إِذَا سِيْمَ خَسْفاً وَجْهُـهُ يَتَرَبَّـدُ
طَوِيْلُ النِّجَادِ خَارِجٌ نِصْفُ سَـاقِهِ ... عَلَى وَجْهِهِ يُسْقَى الْغَمَامُ وَيُسْعِدُ
عَظِيْمُ الرَّمَادِ سَيِّدٌ وَابْنُ سَـيِّدٍ ... يَحُضُّ عَلَى مَقْرَى الضُّيُوفِ وَيَحْشُدُ
/وَيَبْنِي لأَفْنَاءِ الْعَشِـيْرَةِ صَـالِحاً ... إِذَا نَحْنُ طُفْنَا فِي الْبِلاَدِ وَيُمْهِـدُ [٦٠/ظ]
وَيَنْمِي كَثِيْراً حَيْثُ كَانَ مِنَ الْعِدَى ... طَلاَقَ الْعِدَى لاَ غَيْرَ ذَلِكَ يَجْهَدُ
أَلَـظَّ بِهَـذَا الصُّلْحِ كُلُّ مُبَـرَّإٍ ... عَظِيْمِ اللِّوَاءِ أَمْـرُهُ ثُـمَّ يُحْمَـدُ
قَضَوْا مَا قَضَوْا فِي لَيْلِهِمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا ... عَلَى مَهَلٍ وَسَائِرُ النَّـاسِ رُقَّـدُ
هُمُ رَجَّعُوا سَهْلَ بْنَ بَيْضَاءَ رَاضِـياً ... وَسُرَّ بِهَا خَيْرُ الأَنَـامِ مُحَمَّـدُ
مَتَى شَرِكَ الأَقْوَامُ فِي جُلِّ أَمْرِنَـا ... وَكُنَّا قَدِيْمـاً قَبْلَهَـا نُتَـوَدَّدُ
/وَكُنَّا قَـدِيْماً لاَ نُقِـرُّ ظُلاَمَـةً ... وَنُدْرِكُ مَـا شِـئْنَا وَلاَ نَتَـرَدَّدُ [٧٩]
فَيَالَ قُصَيٍّ هَلْ لَكُمْ فِي نُفُوسِـكُمْ ... وَهَلْ لَكُمْ فِيْمَا يَجِيْءُ بِـهِ الْغَـدُ
فَإِنِّي وَإِيَّاكُمْ كَمَا قَـالَ قَائِـلٌ ... لَدَيْكَ الْبَيَانُ لَوْ تَكَلَّمْتَ أَسْـوَدُ

وَقَالَ أَبُو طَالِبٍ -أَيْضاً- فِي شَأْنِ الصَّحِيْفَةِ(١):

أَلاَ مَنْ لِهَمٍّ آخِرَ اللَّيْلِ مُنْصِبِ ... وَشَعْبِ الْعَصَا مِنْ قَوْمِكَ الْمُتَشَعِّبِ
وَحَرْبَى أَرَاهَا مِنْ لُؤَيِّ بْنِ غَالِبٍ ... مَتَىمَاتُزَاحِمْهَا الصَّحِيْحَةُ تَجْرَبِ
إِذَا مَا مُشِيْرٌ قَـامَ فِيْهَـا بِخُطَّـةٍ ... أَلَظَّ بِهِ ذَنْبٌ وَلَـيْسَ بِمُـذْنِبِ
<وَمَا ذَنْبُ مَنْ يَدْعُو إِلَى اللهِ وَحْدَهُ ... وَدِيْنٍ قَدِيْمٍ أَهْلُهُ غَيْرُ خُيَّبِ>(٢)
وَمَا ذَنْبُ مَنْ يَدْعُو إِلَى الْبِرِّ وَالتُّقَى ... وَإِنْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَرْأَبَ الشَّعْبَ يَرْأَبِ

(١) انظر: ديوان أبي طالب ٩٥-٩٦.
(٢) سقط البيت من "آ" و "ب" وما أثبت فهو من الدِّيوان.

وَقَدْ جَرَّبوا فِيْمَا مَضَى غِبَّ أَمْـرِهِمْ ... وَمَا عَالِمٌ أَمْراً كَمَنْ لَمْ يُجَـرِّبِ

وَقَدْ كَانَ فِي أَمْرِ الصَّحِيْفَةِ عِبْرَةٌ ... مَتَى مَا يُخَبَّرْ غَائِبُ الْقَوْمِ يَعْجَبِ

[٦١/و] مَحَا اللهُ مِنْهَا كُفْرَهُمْ وَعُقُـوقَهُمْ ... وَمَا نَقَمُوا مِنْ نَاطِقِ الْحَقِّ مُعْرِبِ

وَأَصْبَحَ مَا قَالُوا مِنَ الأَمْرِ بَـاطِلاً ... وَمَنْ يَخْتَلِقْ مَا لَيْسَ بِالْحَقِّ يُكْذَبِ

فَأَمْسَى ابْنُ عَبْدِ اللهِ فِيْنَا مُصَـدَّقاً ... عَلَى سَاخِطٍ مِنْ قَوْمِنَا غَيْرِ مُعْتَبِ

فَلاَ تَحْسَبُونَا خَـاذِلِيْنَ مُحَمَّـداً ... لَدَى غُرْبَـةٍ مِنَّـا وَلاَ مُتَقَـرِّبِ

سَـتَمْنَعُهُ مِنَّـا يَـدٌ هَاشِـمِيَّةٌ ... مُرَكَّبُهَا فِي النَّاسِ خَيْرُ مُرَكَّـبِ

وَيَنْصُرُهُ اللهُ الَّـذِي هُـوَ رَبُّـهُ ... بِأَهْلِ الْعُقَيْرِ أَوْ بِسُكَّانِ يَثْـرِبِ

فَلاَ وَالَّذِي تُحْدَى لَهُ كُلُّ نِضْـوَةٍ ... طَلِيْحٍ بِجَنْبَيْ نَخْلَةٍ فَالْمُحَصَّـبِ

يَمِيْناً صَدَقْنَا اللهَ فِيْهَا وَلَمْ نَكُـنْ ... لِنَحْلِفَ بُطْلاً بِالْعَتِيْقِ الْمُحَجَّـبِ

نُفَارِقُهُ حَتَّـى نُصَـرَّعَ حَوْلَـهُ ... وَمَا بَالُ تَكْذِيْبِ النَّبِيِّ الْمُقَـرَّبِ

فَيَا قَوْمَنَـا لاَ تَظْلِمُونَـا فَإِنَّنَـا ... مَتَى مَا نُخَفْ ظُلْماً مِنَ النَّاسِ نَغْضَبِ

وَكُفُّوا إِلَيْكُمْ مِنْ فُضُولِ حُلُـومِكُمْ ... وَلاَ تَذْهَبُوا مِنْ رَأْيِكُمْ كُلَّ مَذْهَبِ

وَلاَ تَبْدَؤُونَا بِالظُّلاَمَـةِ وَالأَذَى ... فَنَجْزِيَكُمْ ضِعْفاً مَعَ الأُمِّ وَالأَبِ

***

/[الإسراء برسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ– من مكّة إلى بيت المَقْدِس] [٨٠]

ولَمَّا فشى الإسلام أُسْرِي برسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ– من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى وهو بيت المقدس من إلياء.

وعن عبد الله بن مَسْعود، قال[١]:

"أُتِي رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ– بالبُراق –وهي الدَّابة التي كانت تُحْمَل عليها الأنبياء [قبله،][٢] تضع حافرها في منتهى [٦١/ظ] طرفها،– فَحُمِلَ عليها –عليه السَّلام–، وأراه الله آياته بين السَّموات والأرض، ولَمَّا انتهى إلى بيت المقدس وجد فيه إبْراهيم ومُوسى وعِيْسَى في نفر من الأنبياء قد جُمِعوا له –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ–، فصلَّى بهم".

وعن أبي سَعيد الْخُدْرِيّ –رضي الله عنه– أنّه قال[٣]:

سمعت رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– <يقول:>[٤] "لَمَّا فرغتُ ممَّا كان في بيت المقدس، أُتِي بالمعراج، ولم أَرَ شيئاً قَطُّ بأَحْسَنَ مِنْهُ، فَأَصْعَدَنِي في السَّماوات".

فأرى الله رسوله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– من بواهر آياته وعجائب ما أبدع وخلق في أرضه وسمواته، وعَلا إلى الأُفُق الأَعْلى، و﴿دَنَا فَتَدَلَّى﴾

(١) انظر: السِّيرة النَّبويَّة ١/٣٩٧.

(٢) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة.

(٣) انظر: السِّيرة النَّبويَّة ٢/٤٠٣.

(٤) زيادة من "ب".

فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾[النجم: ٨-٩]. كما بيَّن في كتابه، وخاطبه في أجل خطابه، وأراه الله -تعالى- الجنَّة والنَّار، ومنازل الملائكة والأنبياء، وأمر بالأذان.

ورُوِي عن جَعْفَر بن محمد، عن أبيه، عن جدِّه، عن الحسين بن عليّ بن أبي طالِب -صلوات الله عليهم-[1]:

[٨١] /"أنَّه سُئِلَ عن قول النَّاس في الأذان أنَّ السَّبب [كان][2] فيه رُؤْيا رآها عبد الله بن زَيْد، فأخبر بها النَّبيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ-، فأمر بالأذان؟

فقال الحسين بن علي بن أبي طالِب -عليهما السّلام-: الوحي يتنزَّل على نبيّكم، وتزعمون [٦٢/و] أنَّه أخذ الأذان عن عبد الله بن زَيْد! والأذان وجه دِينكم.

وغضب -عليه السّلام- ثُمَّ قال: بل سمعتُ أبي عليّ بن أبي طالِب، يقول -عليه السّلام-: أَهْبَطَ الله -عزّ وجلّ- ملكاً حتَّى عَرَجَ برسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ. -وذكر حديث الإسراء بطوله، [اختصرناه نحن هاهنا،][3]- وقال فيه: وبعث الله ملكاً لم يُرَ في السَّماء قبل ذلك الوقت ولا بعده، فأَذَّنَ مَثْنى وأقام مَثْنَى، وذكر كيفيَّة الأذان، وقال جَبْرَائِيل للنَّبيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ-: يا محمَّد؛ هكذا أَذِّن للصَّلاة".

---

(١) دعائم الإسلام ١٤٣/١.

(٢) زيادة من دعائم الإسلام.

(٣) زيادة من دعائم الإسلام.

وقال النَّبيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ-[1]:

"لَمَّا أُسْرِيَ بي إلى السَّماء قِيل لي: فِيمَ اخْتَصَمَ الْمَلأُ الأَعْلَى؟ قلتُ: لا أَدْرِي؛ فَعَلِّمْنِي. قيل: في إسْباغِ الوُضُوءِ في السَّبَراتِ، ونقل الأَقْدام إلى الْجُمُعاتِ[2]، وانتظار الصَّلاة بعد الصَّلاة".

[ذكر إيجاب الصَّلاة]

وعن جَعْفَر بن محمَّد -عليه السّلام- أنّه قال[3]:

"فرض الله الصَّلاة؛ ففرضها خمسين صلاةً في اليوم واللّيلة، ثُمَّ رحم الله خلقه ولَطَفَ بهم، فردَّهم إلى خمس صلوات، وكان سبب ذلك أنَّ الله -عزّ وجلّ- لَمَّا أَسْرَى بنبيِّه [محمَّد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ-][4] مَرَّ على النَّبيِّين، فلم يسأله أحدٌ، حتَّى انتهى إلى مُوسى، فسأله، [فأخبره،][5] فقال له: ارْجِعْ إلى ربِّك، [٦٢/ظ] فاطْلُب إليه أن يُخَفِّف عن أُمَّتكَ، فإنِّي لم أزل أعرف من بني إسرائيل الطَّاعة حتَّى نزلت الفرائض، فأنْكَرْتُهُمْ.

[٨٢] /فرجع النَّبيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- [فسأل ربَّه،][6] فَحَطَّ عنه

---

(١) انظر: دعائم الإسلام ١٠٠/١، المعجم الكبير للطبراني ١٠٩/٢٠-١١٠، تاريخ بغداد ١٤٧/٨.

(٢) الجماعات" في "آ" و "ب"، وكذا في دعائم الإسلام، وأرجّح ما أثبت وهو موافق لرواية الطبراني وكذالك الخطيب البغدادي.

(٣) انظر: دعائم الإسلام ١٣٣/١، الإيضاح ١٢٥.

(٤) زيادة من دعائم الإسلام.

(٥) زيادة من دعائم الإسلام.

(٦) زيادة من دعائم الإسلام.

خمس صلوات، فلَمَّا انتهى إلى مُوسى -عليه السّلام- [أخبره،][١] فقال: ارْجِعْ.

فرجع -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ-، فَحَطَّ عنه خمس صلوات، فلم يزل يردّه مُوسى، وتُحَطُّ <عنه>[٢] خمسٌ [بعد][٣] خمسٍ، حتَّى صارت خمس صلوات، فاسْتَحْيَا رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- أن يعاود ربّه.

ثُمَّ قال أبو عبد الله -عليه السّلام-: جَزَى اللهُ مُوسى عن هذه الأُمَّة خيراً".

[حديث: "رأيتُ مَلَكاً على صورة أخي عليّ"]

وذُكِرَ عن النّبيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- أنّه قال[٤]:

"لَمَّا عرج بي إلى السَّماء رأيتُ ملكاً على صورة أخي عليّ بن أبي طالِب، فقلتُ: "يا جَبْرَائِيْل؛ أَسَبَقَنِي أخي؟" قال: لا؛ ولكن الملائكة اشْتاقَتْ إلى النَّظر إلى وجه عليّ -عليه السّلام-، فخلق الله هذا الملك، متى اشتاقت إلى وجه علي نظرتْ إليه".

[سبب نزول: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾]

ولَمَّا أصبح النَّبيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- خرج إلى نادي قومه،

(١) زيادة من دعائم الإسلام.

(٢) زيادة من "ب".

(٣) زيادة من دعائم الإسلام.

(٤) انظر: الخرائج والجرائح ٢/٨١١-٨١٢، كشف اليقين ٤٥٩، الصِّراط المستقيم ١/٢٤٤.

فأعلمهم أنّ الله أَسْرَى به، وروى لهم عجائب ما رآه، فمنهم من صدَّقه، ومنهم من كذَّبه، وارتدَّ قوم عن الإسلام لَمَّا سمعوا ذلك، فأنزل الله [٦٣/و] -تعالى- فيمن ارْتدَّ عن الإسلام: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾[الإسراء: ٦٠].

ورُوِي أنّ عائِشَة بنت أبي بَكْر قالت[١]:

"ما باتَ رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- إلاّ بين سَحْرِي ونَحْرِي".

[٨٣] **/وقالت أم هانئ بنت أبي طالِب[٢]:**

بات رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- ليلة الإسراء في بيتي، فنام ونمنا بعد صلاة العشاء الآخرة، ثُمَّ أَهَبَّنا رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- قبل طلوع الفجر، فلَمَّا صلَّى الصُّبح وصلَّينا معه، حدَّثنا بحديث الإسراء.

ولَمَّا أنكرت عليه قُرَيْش قوله أتاهم -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- بأمارات في طريق بيت المقدس عرفوا صدقها.

[ثبات الرَّسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- وجدّه]

وكان رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- مدّة ذلك كلّه مُجدّاً، مُجْتَهداً في الدُّعاء إلى الله، حريصاً على أن يهدي الله به عِباده، وصابراً عَلَى

(١) انظر: طبقات ابن سعد ٢/٢٣٤، مصنّف ابن أبي شيبة ٧/٥٢٩، معجم الطبراني ٢٢/٣٠، أحكام القرآن للجصاص ١/٥٠.

(٢) انظر: السِّيرة النَّبوية ١/٤٠٢.

الأَذى من قومه، وكتاب الله –عزّ وجلّ–، يَنْزل عليه، والوَحْي مِنَ الله –عزّ وجَلّ– في كلّ حين يأتيه، والآيات والبراهين تشهد له.

والمشركون مُجْتهدون في اعتراضه بالمكروه، وينصبون له الحبائل، ويبغونه الغوائل، ويَصُدُّون عنه [٦٣/ظ] مِمَّن يقدرُون على صدّه مِنْ قومهم، ومِمَّنْ طَرَأَ إليه مِنْ غيرهم مِمَّنْ أتاه خبره، وبلغه ظهور آياتِه ودلائله.

وعمُّه أَبُو طَالِب مُجدّ في نُصْرته والمكافحة دونه، لا يصل معه أحد بسوء إليه؛ إلاّ بالوقيعة بالقول وَاللَّمْز. وكان –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِه– يستريح إليه إذا ضاق صدره، وإذا دهمه مِنْ قُرَيْشٍ أَمْرٌ فرّج عنه كربه.

ووجد –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه– –أيضاً– في حَمْزَة –رحمة اللهِ عَلَيْه– عَوْناً كثيراً، وَنَفْعاً عظيماً، وتحاماه كثير من سُفهاء قُرَيْشٍ من أجله.

وكان إذا آوى إلى بيته وحدَّث خَدِيْجَة بما يَنالُهُ، عَزَّتْهُ في ذلك، ووجد إليها الرَّاحة فيه، وَبَذَلَتْ له من مالها وما عندها مِمَّا احتوته يداها، وقامت بخدمته بِنَفْسها. فلم يكن –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِه– يفزع إلى أحد، ويجد عنده المخرج لما ينوبه كمثلها، وكمثل عمّه أبي طالِب، فماتا جميعاً –رحمة الله عليهما ورضوانه– فِي عامٍ واحِدٍ.

[٨٤] [/موقف أبي طالب لَمَّا ثقل به المرض]

وقيل: إنّ أبا طالِب لَمَّا حضرته الوفاة أتاه أبو سُفْيان بن حَرْب بن أُمَيَّة، وعُتْبَة وشَيْبَة ابنا رَبِيْعَة، وأبو جَهْل بن هِشام، وأُمَيَّة بن خَلَف، في رِجَال من بني عبد شَمْس [٦٤/و] وبني شَيْبَة، ومن تبعهم من قُرَيش، فقالوا له: يا

أبا طالب؛ إنّكَ منّا حيث قد علمتَ، وقد حَضَرَكَ من الأمر ما ترى، وتخوَّفنا عليك، وقد علمتَ الذي بيننا وبين ابن أخيكَ، فلو دعوته وأخذتَ له منّا، [وأخذت][1] لنا منه، لِيَكُفَّ عنّا، ونكفّ عنه.

فأرسل أبو طالب إلى رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِه–، فلَمَّا أتاه أخبره بمقالتهم، فقال رسول الله : "نعم؛ كلمة واحدة يقولونها يملكون بها العربَ وتدين لهم [بها][2] العجمُ".

فقالوا: نعم وأبيك وعشر كلمات.

فقال –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِه–: تقولون: "لا إله إلاّ الله، وتَخْلَعون ما تَعْتَقدون من دونه".

فقالوا –وصفقوا بأيديهم–: يُريد محمَّد أن نجعل الآلهة إلهاً واحداً، أليس هذا من العجاب!

فأنزل الله في ذلك من القرآن من شأنهم:﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِداً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۞ وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ۞ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ﴾[ص: ٥-٧]. إلى آخر الآيات.

[ما زعموه في إسلام أبي طالب]

وتفرَّقوا من عند أبي طالِب، [٦٤/ظ] فقال أبو طالِب لرسول الله –

(١) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة.

(٢) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة.

صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ-: <والله>[1] ما سألتهم شططاً.

فلَمَّا قال ذلك قال له رسول الله -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ-، "فَقُلْ هذه الكلمة يا عَمِّ؛ أجد لكَ الوسيلة بها إلى الشَّفاعة عند الله".

فقال: يا ابن أخي؛ لَوْ لاَ أَنْ يُقال أنّي جَزِعْتُ عند المَوْتِ لَقُلْتُهَا.

قالوا: فلمَّا قَرُبَ منه الأمْرُ حَرَّكَ شَفَتَيْهِ، فأصغى إليه العبَّاسُ بن عبد المطَّلب، فقال: والله يا ابن أخي؛ لقد قال أبو طالبٍ ما سألته أن يقوله.

[٨٥] /فَزَعَمُوا أنَّ النَّبيَّ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- قال: "لم أَسْمَعْهُ!".

[رثاء أمير المؤمنين لأبي طالب]

وماتَ أَبُو طَالِبٍ -رضوان الله عليه- فَقالَ ابنه علي بن أبي طالب يرثيه[2]:

أَبَا طَالِبٍ عِصْمَةَ الْمُسْتَجِيْرِ ... وَغَيْثُ الْمُحُولِ وَنُورُ الظُّلَمْ
لَقَدْ هَدَّ فَقْدُكَ أَهْلَ الْحِفَاظِ ... فَصَلَّى عَلَيْكَ وَلِيُّ النِّعَمْ
وَلَقَّاكَ رَبُّكَ رِضْوَانَهُ ... فَقَدْ كُنْتَ لِلْمُصْطَفَى خَيْرَ عَمّْ
تُجَاهِدُ مِنْ دُونِهِ الْمُشْرِكِيْنَ ... وَتُفْرِجُ عَنْ وَجْهِهِ كُلَّ غَمّْ

[رثاء حَمْزَة لأبي طالب]

وقال حَمْزَة بن عبد المُطَّلب يرثي أخاه أبا طالِب -رضي الله عنه-[3]:

(١) زيادة من "ب".
(٢) انظر: ديوانه ١٣٢ [الأبيات ١-٢-٣].
(٣) انظر: المناقب والمثالب [ورقة ٣٨/ظ]، ونسبت للإمام علي -عليه السلام-، انظر: ديوانه ٦٤.

أَرِقْتُ لِنَوْحٍ آخِرَ اللَّيْلِ غَرَّدَا ... عَلَى غَفْلَةٍ يَنْعَى الرَّئِيْسَ الْمُسَدَّدَا
أَبَا طَالِبٍ مَأْوَى الصَّعَالِيْكِ وَالنَّدَى ... وَذَا الْحِلْمِ لاَ خُلْفاً وَلَمْ يَكُ قُعْدُدا [٦٥/و]
أَخاً لَكَ خَلَّى ثُلْمَةً سَتَسُدُّها ... بَنُو هَاشِمٍ أَنْ تُسْتَبَاحَ وَتُضْهَدا
فَأَمْسَتْ قُرَيْشٌ يَفْرَحُونَ لِفَقْدِه ... وَلَسْتَ تَرَى حَيّاً لِشَيءٍ مُخَلَّدا
رَجَاةَ أُمُورٍ زَيَّنَتْهَا حُلُومُهُمْ ... سَتُورِدُهُمْ يوماً مِنَ الْغَيِّ مَوْرِدا
يُرَجُّونَ تَكْذِيْبَ النَّبِيِّ وَقَتْلَهُ ... وَأَنْ يُفْتَرَى بَهْتاً عَلَيْهِ وَيُجْحَدا
كَذَبْتُمْ وَبَيْتِ اللهِ حَتَّى نُذِيْقَكُمْ ... صُدُورَ الْعَوَالِي وَالصَّفِيْحَ الْمُهَنَّدا
وَيَبْدُو مِنَّا مَنْظَرٌ ذُو كَرِيْهَةٍ ... إِذَا مَا تَسَرْبَلْنَا الْحَدِيْدَ الْمُسَرَّدا
فَإِمَّا تُبِيْدُونَا وَإِمَّا نُبِيْدُكُمْ ... وَإِمَّا تَرَوْا سِلْمَ الْعَشِيْرَةِ أَرْشَدا
وَإِلاَّ فَإِنَّ الْحَيَّ دُونَ مُحَمَّدٍ ... بَنُو هَاشِمٍ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ مَحْتِدا
وَإِنَّ لَهُ مِنْكُمْ مِنَ اللهِ نَاصِراً ... وَلَسْتُ بِلاَقٍ صَاحِبَ اللهِ أَوْحَدا
نَبِيٌّ أَتَى مِنْ كُلِّ حَيٍّ بِخُطَّةٍ ... وَسَمَّاهُ رَبِّي فِي الْكِتَابِ مُحَمَّدا
أَغَرُّ كَأَنَّ الْبَدْرَ سُنَّةُ وَجْهِهِ ... جَلاَ الْغَيْمَ عَنْهُ ضَوْؤُهُ فَتَوَقَّدا
/أَمِيْنٌ عَلَى مَا اسْتَوْدَعَ اللهُ قَلْبَهُ ... وَإِنْ قَالَ قَوْلاً كَانَ فِيْهِ مُسَدَّدا [٨٦]

[في موت خَدِيْجَة بنت خُوَيْلد]

وقيل: إنَّ خَدِيْجَة بنت خُوَيْلد ماتت بعد أبي طالب بثلاثة أيَّام -رضوان الله عليهما-، فاغتمَّ رسول الله -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- [٦٥/ظ] بمصابها.

وكان أبو طالِب له عَضُداً وحِرْزاً في أمره، وناصراً على قومه. وكانت

خَدِيْجَة تسلي همّه، وتزيل غمّه، وتتولّى بنفسها خدمته، وتجلي غمّته.

ورُوِيَ عن أبي جَعْفَر محمد بن علي بن الحسين -عليه السّلام-، أنّه قال[1]:

"قال رسول الله -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- لفاطمَة -عليها السّلام-: "إنَّ جَبْرَائِيْل -عليه السّلام- عهد إليَّ أنَّ بيت أمّكِ خَدِيْجَة بنت خُوَيْلد بين بيت مَرْيَم بنت عِمْران وبين <بيت>[2] آسيَة امرأة فِرْعون، من لُؤْلُؤَة جَوْفاء لا صَخَب فيها ولا نصَب".

[طمع المشركين في الرّسول بعد وفاة أبي طالب]

وكان رسول الله -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- يقول: "ما اغتممتُ بغمّ أيّام حياة أبي طالِب وخَدِيْجَة". لما كان أبو طالِب يدفع عنه، وخَدِيْجَة تعزّيه وتصبره، وتهون عليه ما يلقاه في ذات الله.

وعظم على رسول الله -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- أمر أبي طالِب، واشتدَّ حزنه له، وتطاول سفهاء قُرَيْش إليه لَمَّا مات أبو طالِب، فنالوا منه بالأذى.

وضعف أمر بني هاشم بعد أبي طالِب، فكان رَسُولُ اللهِ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- يقول: "مَا نالَتْ مِنِّي قُرَيْشٌ شَيْئاً أَكْرَهُهُ حَتَّى مَاتَ أَبُو طَالِبٍ".

(١) انظر: شرح الأخبار ١٧/٣.

(٢) زيادة من "ب".

فلم يكن لرسول الله -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- بعد أبي طالب [٦٦/و] أحد يستريح إليه ويستأنس به، ويتفرَّج عنده بما لديه غير علي بن أبي طالب -عليه السّلام. فلَمَّا بلغ مبلغ الرِّجال وهو في كفالة رسول الله -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- أيّده الله -عزّ وجلّ- به، وخصّه بإخوّته ووصيّته، وكان بعد أبيه يستريح إليه، ويعوّل في أموره عليه.

/وكثر أعداء النَّبيّ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- وآذوه، وهمّوا به الهموم، [٨٧] وكذّبوه، والله -تعالى- يدفع عنه شرّهم، ويكفيه مكرهم، وأمّا الأذى فقد لقيه -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- منهم.

[ذكر خروج الرّسول -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- إلى ثَقيف الطّائف]

وخرج رسول -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- الله إلى ثَقيف يطلب منهم النُّصْرَة، فلَمَّا انتهى إليهم، جلس في ناديهم ودعاهم إلى الله، وكلّمهم بما جاء له من النُّصْرَة على الإسلام، والقيام معه على من خالفه من قومه.

فسمع -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- منهم الأذى والتّكذيب، وقام عنهم وقد يئس من خيرهم، وسألهم أن يكتموا أمره، لئلاّ يبلغ ذلك قومه فيشتموه -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ-، فلم يفعلوا، وأغروا به سفاءهم ببلية، وعبيدهم يسبُّونه ويصيحون به، حتَّى اجتمع النَّاس عليه، وألجؤوه إلى حائط لعُتْبَة وشَيْبَة ابني رَبِيْعَة [٦٦/ظ] وهما فيه، ورجع عنه من سفهاء ثَقيف من كان يتبعه.

فقال رسول الله -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ-: "اللَّهُمَّ إِلَيْكَ أَشْكو ضَعْف

قُوَّتي، وقلّة حيْلَتي، وهَواني على النَّاس، يا أَرْحم الرَّاحمين، أَنْتَ رَبُّ الْمُسْتَضْعَفين، وَأَنْتَ ربِّي، إلى مَنْ تَكلُني؟ إلى بعيد يَتَجَهَّمني؟ أَمْ إلى عَدُوٍّ مَلَّكْتَهُ أَمْرِي؟ إنْ لَمْ يَكُنْ بكَ عليَّ غَضَبٌ فلا أُبالي، ولكنَّ عافيتك هي أوسعُ لي.

أَعُوذ بنُور وجهك الَّذي أشرقت له الظُّلمات، وصَلَحَ عليه أمر الدُّنيا والآخرة مِنْ أَنْ تُنْزِلَ بي غَضَبَكَ، أو تُحلَّ عليَّ سُخْطك، لك العُتْبَى حتَّى تَرْضَى، ولا حول ولا قوَّة إلاَّ بكَ".

[ذكر قصَّة عَدَّاس النَّصْرانيِّ]

قال: فلَمَّا رآه ابنا رَبِيْعَة عُتْبَة وشَيْبَة، وما لقي، تحرَّكت له رَحِمُهما، فَدَعَوا غُلاماً لهما نَصْرانيّاً يُقال له: عَدَّاس فقالا له: خذ قِطْفاً من هذا العنب، فضعه في هذا الطَّبق، ثُمَّ اذهب به إلى ذلك الرَّجُل وقُلْ له يأكل منه.

ففعل عَدَّاس، ثُمَّ أقبل به حتَّى وضعه بين يدي رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- فقال له: كُلْ.

فلَمَّا وضع رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- [٦٧/و] فيه يده، قال: "بسم الله". ثُمَّ أكل، فنظر عَدَّاس في وجهه، ثُمَّ قال: والله إنَّ هذا الكلام ما يعرفه أهل هذه البلاد.

فقال له رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ-: ومن أهل أيِّ البلاد أنتَ يا عَدَّاس؟ وما دِينك؟ قال: أنا نَصْراني؛ وأنا رَجُل من أهل نِينوى.

/فقال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ-: من <أهل>[١] قرية [٨٨] الرَّجُل الصَّالح يُونُس بن مَتَّى؟

فقال له عدَّاس: وما يُدْريك ما يُونس بن مَتَّى؟

فقال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- ذلك أخي؛ كان نبيّاً وأنا نبيٌّ.

فأكبَّ عدَّاس على قدمي رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- يقبّلهما، ويُقَبِّل رأسه ويديه وقدميه.

قال: فقال أحد ابني رَبِيْعَة لأخيه: أمَّا غُلامك هذا فقد أفسده عليك.

فلَمَّا جاءهما عَدَّاس قالا له: ويلك يا عَدَّاس! ما لك تُقَبِّل رأس هذا الرَّجُل ويديه وقدميه؟ قال: يا سيِّدي؛ ما في الأرض شيء خير من هذا، لقد أخبرني بأمر لا يعلمه إلاَّ الأنبياء.

قالا له: ويحك يا عَدَّاس؛ لا يصرفنَّك عن دِينك.

[ذكر عَرْضه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- نَفْسَهُ على أحياء العرب]

وجعل رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- يَعْرِض على أفناء العرب الإسلام، ويسألهم نُصْرته [٦٧/ظ] في المواسم، وأتى قوماً إلى بلدانهم.

[عبد الكريم بن الهيثم[٢]، بإسناده،][٣] عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي

---

(١) زيادة من "ب".

(٢) صحف اسمه في المطبوع من شرح الأخبار إلى: "هشيم"، انظر في ترجمته: سير أعلام النبلاء ١٣/٣٣٥-٣٣٦.

(٣) زيادة من شرح الأخبار

طالب –عليه السّلام–، أنّه قال(١):

"لَمَّا أُمِرَ رَسُولُ الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ– بعرض نفسه على قبائل العرب، إذا حضرت المواسم خرج لذلك وأمرني، فخرجت معه، وخرج معه أبو بَكْر، وكان رَجُلاً نسَّابة، فاندفعنا إلى قوم، فوقف أبو بَكْر <عليهم،>(٢) فسلّم، فردُّوا السَّلام، فقال: مِمَّن القوم؟ قالوا: من رَبِيْعَة. قال: أَمِنْ هامَتِهَا أو من لَهَازِمِهَا؟

قالوا: من هامَتِها العُظْمَى. قال: وأيّ هامَتِهَا العُظْمَى أنتم؟

[٨٩] /قالوا: ذُهْلٌ الأَكْبَرُ. قال: أَمِنْكُمْ عَوْف [بن مُحَلِّم](٣) الَّذِي كان يُقال [فيه:](٤) لا حُرَّ بِوادِي عَوْف؟ قالوا: لا. قال: أَفَمِنْكُمْ بِسْطام بن قَيْس ذو اللّواء ومنتهى الأحياء؟ قالوا: لا. قال: أَفَمِنْكُمْ جَسَّاس بن مُرَّة حامي الذّمار والْمَانِع الجار؟ قالوا: لا. قال: أَفَمِنْكُمْ الحَوْفَزانُ [بن شَرِيْك](٥) قاتل الملوك وسالبها أنفسها؟ <قالوا: لا. قال: أَفَمِنْكُمْ الْمُزْدَلِف صاحب العمامة الفَرْدَة؟>(٦) قالوا: لا. قال: أَفَمِنْكُمْ أَخْوالُ الْمُلوك من كِنْدة؟ قالوا: لا. قال:

(١) انظر: شرح الأخبار ٢/٣٨٢–٣٨٩، الثّقات لابن حبّان ١/٨٠–٨٨، الجليس الصّالح ٣/٢٢–٢٦، دلائل النّبوّة ٢٨٢–٢٨٨، الأنساب للسمعاني ١/٣٦–٤٠.

(٢) زيادة من "ب".

(٣) زيادة من شرح الأخبار.

(٤) زيادة من شرح الأخبار.

(٥) زيادة من شرح الأخبار.

(٦) زيادة من "ب".

أَفَمِنْكُمْ أَصْهار الْمُلوك من لَخْم؟ [٦٨/و] قالوا: لا. قال: فلستم [إذن](١) ذُهْلاً الأَكْبر؛ وأنتم ذُهْلٌ الأَصْغر؟

فقام إليه غُلامٌ من [بني](٢) شَيْبان، كان بَقَلَ وجهه، يُقال له: دَغْفَل. فقال:

إنَّ عَلَى سَائِلِنا أنْ نَسْأَلَهْ   وَالْعِبْءُ لاَ نَعْرِفُهُ أَوْ نَحْمِلَهْ

يا هذا؛ إنَّك قد سألْتنا ونحن سائِلوك، فلا تكتمنا فَمِمَّن الرَّجُل؟ قال: من قُرَيش. قال: بَخٍ بَخٍ؛ أهل الشّرف والرِّياسة. فمن أيّ قُرَيش <أنتَ؟>(٣) قال: من [بني](٤) تَيْم بن مُرَّة. قال: أمكنتَ والله الرَّامِي من سَواءِ الثُّغْرَة. أفمنكم قُصَيٌّ بن كِلاب بن مُرَّة الذي جَمَّعَ القبائل من فِهْر، وكان يُدعى مُجَمِّعاً؟ قال: لا. قال: أَفَمِنْكُمْ هاشِم الَّذي هَشَّمَ الثَّرِيْدَ لقومه وأطعم الحجيج؟ قال: أَفَمِنْكُمْ شَيْبَةُ الْحَمْد [عبد الْمُطَّلِب](٥) مُطْعِمُ طَيْر السَّماء الذي كأنَّ وجهه قمر مضيء في الظَّلام [الدَّاجي؟](٦) قال: لا. [قال: أَفَمِنَ الْمُفِيضِينَ بالنَّاس أنتَ؟ قال: لا. قال: أَفَمِنْ أَهْلِ النَّدْوَة أنتَ؟ قال: لا. قال:

(١) زيادة من شرح الأخبار.

(٢) زيادة من شرح الأخبار.

(٣) زيادة من "ب".

(٤) زيادة من شرح الأخبار.

(٥) زيادة من شرح الأخبار.

(٦) زيادة من شرح الأخبار.

أَفَمِنْ أهل الرِّفادة؟ قال: لا.][1] قال: أَفَمِنْ أهل الحِجابَة أنتَ؟ قال: لا. قال: أَفَمِنْ أهل السِّقايَة أنت؟ قال: لا. قال: فاجْتَذَبَ أبو بَكْر زِمامَ ناقَتِه، فرجعَ إلى رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وعَلَى آلِه-، فقال دَغْفَلٌ:

[صَادَفَ درْءُ السَّيْلِ درْءاً يَدْفَعُهْ يهْضِمُهُ بدَفْعِــه أوْ يَصْــدَعُهْ][2]

[٩٠] /أَمَا واللهِ لو وَقَفْتَ لأَخبَرْتُكَ أنَّكَ [مِنْ][3] زَمَعَاتِ قُرَيْشٍ، أو ما أنا بدَغْفَل.

قال عليّ -عليه السّلام-: فلَمَّا سمع ذلك رسول الله [٦٨/ظ] -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وعَلَى آله- تبسَّم. فقلتُ أنا لأبي بَكْر: لقد وقعتَ من الأَعْرابي على باقعَة. قال: أَجَلْ يا أبا الحسن؛ ["إنَّ"][4] لِكُلِّ طَامَّة طامَّة"، "وَ[إنَّ][5] البَلاءَ مُوَكَّلٌ بالْمَنْطِقِ"[6].

ثُمَّ اندفعنا إلى مجلسٍ آخر عليه السَّكينة والوَقار، فتقدَّم أبو بَكْر إلى القوم، فسلَّم، فردُّوا عليه السَّلام. فقال: ممَّن القومُ؟ قالوا له: من شَيْبان بن رَبِيْعَة. فالتفت أبو بَكْر إلى رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وعَلَى آلِه-، فقال له: بأبي أنت وأمِّي؛ ليس بعد هؤلاء عزّ في قومهم. وكان في القوم مَفْروق بن

(١) زيادة من شرح الأخبار.

(٢) زيادة من: الجليس الصالح، دلائل النّبوَّة.

(٣) زيادة من شرح الأخبار.

(٤) زيادة من مجمع الأمثال ١/٢٦-٢٧.

(٥) زيادة من مجمع الأمثال ١/٢٦-٢٧.

(٦) انظر: مجمع الأمثال ١/٢٦-٢٧.

عَمْرو، وهانئ بن قَبِيْصَة، والمثنّى بن حارِثَة، والنُّعْمان بن شَرِيك. وكان مَفْروق بن عَمْرو قد أربى عليهم جمالاً ولِساناً، وكانت له غديرتان تسقطان على تريبته، وكان أَدْنى القوم من أبي بَكْر مجلساً.

فقال له أبو بَكْر: كم العدد فيكم؟ قال: إنَّا لَنَزيد على ألف، ولن يُغْلَبَ ألفٌ من قِلَّة. قال: فكيف المَنْعَة فيكم؟ قال: علينا الْجَهْد، ولكلٍّ قوم جدٌ. قال: فكيف الْحَرْبُ فيما بينكم وبين عدوِّكم؟ قال: إنَّا أشدُّ ما نكون لقاءً حين نغضب، وأشدّ ما نكون غضباً حين نَلْقَى، [٦٩/و] وإنَّا لنؤثر جيادنا على أَوْلادنا، والسِّلاح على اللِّقاح، والنَّصْرُ من عند الله يُديل لنا، ويُديل علينا، لعلَّكَ أخو قُرَيش؟ قال: إنْ كان بلغكم أمر رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وعَلَى آلِه- فهو هذا. -وأشار إلى رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وعَلَى آلِه. قال: قد بلغنا أنَّه يقول ذلك.

وأقبل على رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وعَلَى آلِه-، وقال: ما تدعو إليه يا أخا قُرَيش؟

فقال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وعَلَى آلِه-: "أدعوكم إلى شهادة أنْ لا إله إلاّ الله وأنّي محمَّد رسول الله، وأن تؤوني [وتمنعوني][1] وتنصروني، فإنَّ قريشاً قدْ ظاهرتْ على أَمْرِ الله، وكذَّبتْ رُسُوله، واستغنت بالباطل عن الحقِّ، إلاَّ مَنْ عَصَمَ الله -عزّ وجلّ- منها، ووفَّقه لدينه، والله هو الغنيُّ الحميد".

/قال: وإلامَ تدعو -أيضاً- [يا أخا قُرَيْش؟ فَوَالله ما هذا من كلام [٩١]

(١) زيادة من دلائل النّبوَّة.

الأرض، ولو كان من كلامهم لعرفناه،](١) فتلا -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وعَلَى آله- عليهم: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ إلى قوله -تعالى-: ﴿ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[الأنعام: ١٥١].

قال: وإلى ما تدعو أيضاً؟

فتلا عليهم: ﴿إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ [٦٩/ظ] يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[النحل: ٩٠].

فقال مَفْروق بن عَمْرو: دعوتَ والله إلى مكارم الأَخْلاق، ومحاسن الأَعْمال، ولقد أَفِكَ قومٌ ظاهروا عليكَ وكذَّبوك. -وكأنَّه أحبَّ أن يشركه هانئ بن قَبِيْصَة في الكلام- فقال: وهذا هانئ بن قَبِيْصَة وهو شيخنا وصاحب ديننا.

فتكلَّم هانئ بن قَبِيْصَة، فقال: يا أخا قُرَيش؛ قد سمعنا مقالتكَ، وإنَّا لنرىَ أنَّ ترك دِيننا والانتقال إلى دِينكَ في مجلس نجلسه، ولم نَبْلُ فيه أمرك، ولم نرتئي في عاقبة ما تدعو إليه لزلَّة في الرَّأْي، وإعْجال في النَّظر، والزلَّة تكون مع العجلة، وإنَّ من ورائنا قوماً يكرهون أن نعقد عليهم بعد عَقْداً، ولكن نرجعُ وترجعُ، وننظر وتنظر -وكأنَّه أراد أن يَشْركه في الكلام المثنّى بن حارِثَة- فقال: وهذا المُثَنَّى بن حارِثَة وهو شيخنا وكبيرنا وصاحب حربنا. فتكلَّم المُثَنَّى بن حارِثَة، فقال: يا أخا قُرَيش؛ قد سمعتُ مقالتكَ، فأمَّا الجوابُ في ترك دِيننا [٧٠/و] وإتِّباعنا إيَّاكَ على دِينكَ، فهو جواب هانئ. فأمَّا الجواب في أن

(١) زيادة من دلائل النُّبوَّة.

نعينك وننصرك فإنَّا نزلنا بين صَرَيَيْن: اليَمامَة والسَّماوة.

فقال له رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وعَلَى آله-: ما هذان الصَّرَيان؟

قال: مياه العرب وأنهار كِسْرى، فأمَّا ما كان يلي مياه العرب فذنب صاحبه مغفور، وعذره مقبول، وأمّا ما كان يلي أنهار كِسْرى فذنب صاحبه غير مغفور، وعذره غير مقبول، وإنَّما نزلنا هناك على عَهْد أخذه علينا كِسْرى: ألاَّ نُحْدِثَ حَدَثاً ولا نُؤوي مُحْدِثاً، ونحن لا نأمن أن يكون هذا الأمر الذي تدعونا إليه مِمَّا يكره الملوك، فإن أحببت أن نؤويك وننصركَ مِمَّا يلي مياه العرب آويناك ونصرناك.

[٩٢] /فقال النَّبيّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وعَلَى آله-: "ما أسأتم في الرَّدِّ إذ أفصحتم بالصِّدق، وليس يقومُ بدينِ الله إلاَّ من أحاطه من جميع نواحيه، أرأيتم إن لم تلبثوا إلاَّ يسيراً حتَّى يمنحكم الله -عزّ وجلّ- أموالهم، ويُورِثَكُمْ ديارهم، ويُفرِشَكُمْ نساءهم، أتسبّحون الله تعالى وتقدِّسونه؟" فقال النُّعْمان بن شَرِيك: اللَّهُمَّ لك ذلك. فتلا عليهم رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وعَلَى آله-: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۞ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾[الأحزاب: ٤٥-٤٦].

ووثب -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وعَلَى آله- فأخذ بيدي، وقال لي: "يا عليّ؛ أيُّ أَحْلامٍ في الجاهليَّة يردّ الله -عزّ وجلّ- بها بأس بعضهم عن بعضٍ، ويتحاجزون بها في هذه الدُّنيا؟!".

[ذكر وفاة أبي طالب]

وكانت وفاة أبي طالب قبل الهجرة بثلاث سنين.

وفي أثناء ذلك سمع الرَّسول –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِه– من قومه الأذى، ويرى منهم الإعراض عن قوله، وتبعيد العرب منه، وصدَّهم عن اتِّباعه.

[بدء إسلام الأنصار]

حتَّى إذا أراد الله –عزّ وجلّ– إعزاز دِينه، وإنجاز وعده، خرج رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِه– في بعض تلك المواسم، فعرض نفسه، وتلا آيات ربِّه على العرب، كما كان يصنع في كلّ موسم.

فبينما هو عند العَقَبَة لقي رَهْطاً من الْخَزْرَج أراد الله بهم خيراً، فقال لهم: من أنتم؟ قالوا: نَفَر من الْخَزْرَج. فقال: أَمِنْ موالي يهود؟ قالوا: نعم.

قال: أفلا تجلسون أُكلِّمكم؟ قالوا: بلى.

فجلسوا معه، فدعاهم إلى الله –عزّ وجلّ–، وعَرَضَ عليهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن.

وقد [٧١/و] كان يجاورهم من يهود تقول لهم: إنَّ الله سوف يبعث نبيّاً قد آن وقته.

فلَمَّا كلَّم رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِه– أولئك النَّفر، <ودعاهم إلى الله،>[1] قال بعضهم لبعض: إنَّ هذا النَّبيَّ هو الَّذي ذكرته

(١) زيادة من "ب".

يهود، فانظروا ألاَّ يسبقونا إليه.

/فصدَّقوا النَّبيّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِه–، وآمنوا بالله ربِّه، ثُمَّ انصرفوا [٩٣] عن رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِه– راجعين إلى بلادهم وقد آمنوا وصدَّقوا.

وكانوا: ستَّة نفر من الْخَزْرَج، منهم:

من بني النَّجَّار –وهو تيم الله– ثُمَّ من بني مالِك بن النَّجَّار بن ثَعْلَبَة بن عَمْرو بن الْخَزْرَج بن حارِثَة بن عَمْرو بن عَامِر: أَسْعَد بن زُرارة بن عُدَس بن عُبَيْد بن ثَعْلَبَة بن غَنْم بن مالِك بن النَّجَّار، وهو أبو أمامة.

وعَوْف بن الْحَارِث بن رِفاعة [بن سَواد بن مالِك بن غَنْم بن مالِك بن النَّجَّار][1] وهو ابن عَفْراء.

ومن بني زُرَيْق بن عَامِر بن زُرَيْق بن عَبَد حارِثَة بن مالِك بن غَضْب بن جُشَم بن الْخَزْرَج: رافع بن مالِك بن العَجْلان بن عَمْرو بن عَامِر بن زُرَيْق.

و[من بني سَلِمَة بن سَعْد بن عليّ بن ساردة بن تَزيد بن جُشَم بن الْخَزْرَج، ثُمَّ من بني سَواد بن غَنْم بن كَعْب بن سَلَمَة:][2] قُطْبَة بن عَامِر بن حَديدة بن عَمْرو بن غَنْم بن سَواد.

(١) زيادة من السيرة النّبويّة ٢/٤٢٩.

(٢) زيادة من السيرة النّبويّة ٢/٤٣٠.

و[من بني حَرام بن كَعْب بن غَنْم بن كَعْب بن سَلَمَة:][١] عُقْبَة بن عَامِر بن نابِي [بن زَيْد بن حَرام][٢].

ومن بني عُبَيد بن عَدِيّ بن غَنْم بن كَعْب بن سَلَمَة:][٣] جابِر بن عبد الله بن رِئاب بن النُّعْمان [بن سِنان بن عُبَيد][٤].

فلَمَّا أسلموا قالوا: يا رسول الله؛ إنَّا قد تركنا قومَنا، ولا قوم بينهم من الشَّرِّ والعداوة ما بينهم، وعسى الله أن [٧١/ظ] يجمعهم بكَ، فإن يجمعهم الله -عزّ وجلّ- عليك، فلا رَجُل أعزّ منكَ.

[ذكر بيعة العَقَبَة الأولى]

[٩٤] /فلَمَّا كان من العام المقبل وافى الموسم من الأنصار اثنا عشر رَجُلاً، فلقوا رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِه- بالعَقَبَة، فبايعوه بعد أن آمنوا بالله وبه، وصدَّقوه، وتلك البيعة الأُولى، وهي كبيعة النِّساء لم يذكر فيها قِتال.

فمنهم:

من بني النَّجَّار، ثُمَّ من بني مالِك بن النَّجَّار: أَسْعَد بن زُرارَة، وعَوْف ومُعاذ ابنا الْحَارِث بن رِفاعة.

وقد تقدَّم ذكر إسلام أَسْعَد بن زُرارَة، وعَوْف بن الْحَارِث.

(١) زيادة من السيرة النّبويّة ٢/٤٣٠.

(٢) زيادة من السيرة النّبويّة ٢/٤٣٠.

(٣) زيادة من السيرة النّبويّة ٢/٤٣٠.

(٤) زيادة من السيرة النّبويّة ٢/٤٣٠.

ومن بني زُرَيْق بن عَامِر: رافع بن مالِك بن العَجْلان [بن عَمْرو بن عَامِر بن زُرَيْق.][١]

وذَكْوان بن عبد قَيْس بن خَلْدة [بن مُخَلَّد بن عَامِر بن زُرَيْق.][٢]

ومن بني عَوْف بن الْخَزْرَج: عُبادة بن الصَّامت بن قَيْس بن أَصْرَم بن فِهْر [بن ثَعْلَبَة بن غَنْم.][٣]

وأبو عبد الرَّحمن، وهو يَزِيد بن ثَعْلَبَة بن خَزْمة بن أَصْرَم بن عَمْرو بن عِمارَة، من بني غُصَيْنة من بَلِيّ حَليف لهم.

ومن بني سالم بن عَوْف بن عَمْرو بن الْخَزْرَج، [ثُمَّ من بني الْعَجْلان بن زَيْد بن غَنْم بن سالم:][٤] العَبَّاس بن عُبادة بن نَضْلَة بن مالِك بن العَجْلان.

ومن بني سَلِمة بن علي بن أَسَد [٧٢/و] بن ساردَة بن تَزِيد بن جُشَم ابن الْخَزْرَج، ثُمَّ من بني حَرام بن كَعْب بن غَنْم بن سَلَمَة: عقبة بن عَامِر بن نابِي بن زَيْد بن حرام.

ومن بني سَواد بن غَنْم بن كَعْب بن سَلَمَة: قُطْبَة بن عَامِر بن حَدِيدة بن عَمْرو بن غَنْم بن سَواد.

وقد مضى ذكر إسلامهما.

(١) زيادة من السيرة النّبويّة ٢/٤٣٢.

(٢) زيادة من السيرة النّبويّة ٢/٤٣٢.

(٣) زيادة من السيرة النّبويّة ٢/٤٣٢.

(٤) زيادة من السيرة النّبويّة ٢/٤٣٢.

و[شهدها][1] من الأَوْس بن حارِثَة بن ثَعْلَبَة، ثُمَّ من بني عَبْد الأَشْهَل بن جُشَم بن الْحَارِث بن الْخَزْرَج: أبو الهيثم بن التَّيِّهان واسمه مالِك.

[٩٥] /ومن بني عَمْرو بن عَوْف بن مالِك بن الأَوْس: عُوَيْم بن سَاعِدة.

[إرسال الرَّسول –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ– مُصْعَباً مع وفد العَقَبَة]

فلَمَّا انصرف القوم من عند رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آله–، بعث معهم مُصْعَب بن عُمَيْر بن هاشِم بن عبد مَناف بن عَبْد الدَّار بن قُصَيّ، وأمره أن يُقْرِئهم القرآن، ويعلّمهم الإسلام، ويفقّههم في الدِّين، فكان يُسَمَّى: "المقرىء" بالْمَدينة.

وكان يُصلّي بالأنصار، ويدعوهم إلى الله وإلى رسوله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِه–، وأسلم على يديه سَعْد بن مُعاذ، وأُسَيْد بن حُضَيْر، وكانا سيِّدَيْ بني عبد الأَشْهَل.

ولم يُمْس –بعد إسلامهما– في دار بني عبد الأَشْهَل [٧٢/ظ] رَجُل ولا امرأة إلا مُسلماً ومُسلمة.

[ذِكْر أمر العَقَبَة الثَّانية]

ثُمَّ إن مُصْعَب بن عُمَيْر رجع إلى مكّة، وخرج مَنْ خرج من الأنصار من المسلمين إلى الموسم مع حُجَّاج قومهم من أهل الشِّرْك، [حتَّى قدموا مكّة،][2] فواعدوا رسولَ الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ– العَقَبَة من أوسط أيّام التَّشْريق، حين أراد من كرامته، والنَّصر لنبيّه، وإعزاز الإسلام وأهله، وإذْلال

(١) زيادة من السيرة النبويّة ٢/٤٣٣.

(٢) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة

الشِّرْك وأهله.

وكان مع رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِه– عليّ بن أبي طالب، وعمَّاه: حَمْزَة، والعبَّاس ابنا عبد الْمُطَّلِب، فقال لهم العبَّاس بن عبد الْمُطَّلِب: يا معشر الْخَزْرَج؛ إنّ محمَّداً منّا حيث قد علمتم وقد منعناه من قومنا، ممَّن هو على مثل رأينا فيه، فهو في عزّ من قومه ومَنْعَة في بلده، وإنَّه قد أبى إلاّ الانحياز إليكم، واللّحوق بكم، فإن كنتم تَرَوْنَ أنّكم وافُون له بما وعدتموه، ومانعوه ممَّن خالفه، فأنتم وما تحمَّلتم من ذلك؛ وإنْ كنتم ترون أنّكم تاركوه ومُسْلِموه بعد الخروج به إليكم، فَمِنَ الآن فَدَعُوه، فإنَّه في عزّ ومَنْعَة [٧٣/و] من قومه وبلده. فقالت الأنصار: قد سَمِعْنا ما قلتَ، فَتَكَلَّمْ يا رسول الله وخُذْ ما أردت لِنَفْسِك.

[عهد الرَّسول –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ– على الأنصار]

[٩٦] /فتكلَّم رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ– فتلا القرآن، ودعا إلى الله –تعالى–، ورغَّب في الإسلام، ثُمَّ قال: "أُبايعكم على أن تَمْنعوني ممَّا تَمْنعونَ منه نساءكم وأَبْناءكم".

قال: فأخذ البَراء بن مَعْرور بيده، –وكان من سادة الأنصار– ثُمَّ قال: نعم؛ والّذي بعثكَ بالحقّ لنمنعنَّكَ ممَّا نمنع منه أُزُرَنا، فبايِعْنا يا رسول الله، فنحن –والله– أبناء الحروب، وأهل الحَلْقة، ورِثْناها كابراً عن كابر.

قال: فبايعوا رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ– بيعة العَقَبَة على شروط الإسلام؛ على أن يمنعوه كما يمنعون نساءهم وأبناءهم، وأن يَقُوهُ

بأنفسهم.

[أسماء النُّقَباء الاثني عشر]

وأقام رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِه- فيهم اثني عشر نقيباً، وهم: أَسْعَد بن زُرارَة، وعبد الله بن رَواحَة، وسَعْد بن الرَّبيع، ورافِع بن مالك، والبَراء بن مَعْرور، وعبد الله بن عَمْرو <بن حَرام>(١)، وعُبادة بن الصَّامِت، وسَعْد بن عُبادَة، والْمُنْذر [٧٣/ظ] بن عَمْرو، وأُسَيْد بن حُضَيْر، وسَعْد بن خَيْثَمَة، وأبو الهيثم بن التَّيِّهان.

وقال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِه- للنُّقباء: "أَنْتُمْ عَلَى قَوْمكم بما فيهم كُفَلاء، كَكَفالة الحواريِّين لعِيْسَى بن مَرْيَم، وأنا كفيل على [مَنْ] آمَنَ بي من قَوْمي". قالوا: نعم يارسول الله. ثُمَّ انصرفوا إلى الْمَدينة.

[شِعْرُ كَعْب بن مالك في ذكر النُّقَباء]

وقال كَعْب بن مالك يذكرهم ويتواعد مُشركي قُرَيش(٢):

أَبْلِغْ أُبَيّاً أَنَّهُ فَالَ رَأْيُهُ ... وَحَانَ غَدَاةَ الشِّعْبِ وَالْحَيْنُ واقِعُ

أَبَى اللهُ مَا منَّتْكَ نَفْسُكَ إِنَّهُ ... بِمِرْصَادِ أَمْرِ النَّاسِ رَاءٍ وَسَامِعُ

وَأَبْلِغْ أَبَا سُفْيَانَ أَنْ قَدْ بَدَا لَنَا ... بِأَحْمَدَ نُورٌ مِنْ هُدَى اللهِ سَاطِعُ

فَلا تَرْغَبَنْ فِي حَشْدِ أَمْرٍ تُرِيْدُهُ ... وَأَلِّبْ وَجَمِّعْ كُلَّ مَا أَنْتَ جَامِعُ

وَدُونَكَ فَاعْلَمْ أَنَّ نَقْضَ عُهُودِنَا ... أَبَاهُ عَلَيْكَ الرَّهْطُ حِيْنَ تَتَابَعُوا

(١) زيادة من "ب".

(٢) انظر: ديوانه ١٧٨-١٧٩.

أَبَاهُ الْبَرَاءُ وابْنُ عَمْرٍو كِلاَهُمَا ... وَأَسْعَدُ يَأْبَاهُ عَلَيْكَ وَرَافِعُ

/وَسَعْدٌ أَبَاهُ السَّاعِدِيُّ وَمُنْذِرٌ ... لأَنْفِكَ إِنْ حَاوَلْتَ ذَلِكَ جَادِعُ [٩٧]

وَمَا ابْنُ رَبِيْعٍ إِنْ تَنَاوَلْتَ عَهْدَهُ ... بِمُسْلِمِهِ لاَ يَطْمَعَنْ ثَمَّ طَامِعُ

وَأَيْضاً فَلاَ يُعْطِيْكَهُ ابْنُ رَوَاحَةٍ ... وَإِخْفَارُهُ مِنْ دُونِهِ السُّمُّ نَاقِعُ [٧٤/و]

وَفَاءً بِهِ وَالْقَوْقَلِيُّ بْنُ صَامِتٍ ... بِمَنْدُوحَةٍ عَمَّا تُحَاوِلُ يَافِعُ

أَبُو هَيْثَمٍ أَيْضاً وَفِيٌّ بِمِثْلِهَا ... وَفَاءً بِمَا أَعْطَى مِنَ الْعَهْدِ خَانِعُ

وَمَا ابْنُ حُضَيْرٍ إِنْ أَرَدْتَ بِمَطْمَعٍ ... فَهَلْ أَنْتَ عَنْ أُحْمُوقَةِ الْغَيِّ نَازِعُ

وَسَعْدٌ أَخُو عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ فَإِنَّهُ ... ضَرُوحٌ لَمَا حَاوَلْتَ مِالأَمْرِ مَانِعُ

أُولاَكَ نُجُومٌ لاَ يُغِبُّكَ مِنْهُمُ ... عَلَيْكَ بِنَحْسٍ فِي دُجَى اللَّيْلِ طَالِعُ

***

[هجرة الرَّسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ-]

وقوي الإسلام في الأنصار، وأذن النَّبيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- لأصحابه في الهجرة إلى الْمَدينة، فهاجروا أوّلاً فأوَّلا، ونزلوا دور الأنصار، فآووهم وقاسموهم في منازلهم، وآثروهم على أنفسهم، ففيهم أنزل الله -تعالى-: ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلاَ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[الحشر: ٩].

ذكر اجتماع قُرَيش في دار النَّدْوَة

وأقام رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- بمكّة بعد أصحابه الذين هاجروا، ولم يَتخلَّفْ بمكّة معه إلاّ من حُبِسَ أو فُتِنَ، إلاّ ابن عمّه عليّ بن أبي طالب -عليه السّلام-، وأبو بَكْر بن أبي قُحافَة.

فلَمَّا رأت كفّار قُرَيْش ذلك، وعلموا أنّه قد صار لرسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- حزب وأنصار، خافوا [٧٤/ظ] أن يقوى أمره عليهم، فاجتمعوا في دار النَّدْوَة، وحضرهم فيما يُقال إبليس -لعنه الله- في صورة شيخ، فأنْكروه، وقالوا له: من [أين][1] أنت؟ فقال: أنا رَجُلٌ مِنْ أهل نَجْد بلغني ما اجتمعتم له، فجئت للحضور معكم فيه، فلن تَعْدَمُوا منّي رَأْياً تنتفعوا به.

[٩٨] /فتكلّموا وقالوا: إنّ مُحَمَّداً قد صدَّقه أهل يَثْرِب، وأجاروا مَنْ أتاهم

(١) زيادة من المناقب والمثالب

مِنْ أصحابه، وإنّا نخاف أنْ يصير إليهم، فيعظم علينا أمره، ويكثر ناصره، ويُحاربنا بِمَنِ اتَّبعه، ولا نأمن أن يجيبه أفناء العرب كما أجابه أهل يثرب. فما الذي تَرَوْن؟

فقال بعضهم: نَقْبِضُ عليه فَنُوثِقُهُ ونحبسه.

فقال الشَّيخ النَّجْدِيّ: ما هذا بِرَأْيٍ؛ ولئن فعلتم ليَسْتَنْقِذُهُ قومه مِنْ أيديكم ويحتمون له.

فقالوا: صدق الشَّيْخُ. فقال آخر: بل ننفيه عَنَّا يَصْنَعُ ما يشَاءَ ونستَرِيْحُ منه.

قال الشَّيْخُ النَّجْدِيّ: هذا الّذي تَخَوَّفْتُمُوهُ وتَعَقَّبْتُمُوهُ.

قال آخر: نَقْتُلُهُ. قال الشَّيْخُ: هذا الرَّأْي أحْسَنُ ما رأيتم؛ ولكن تُخرجون [٧٥/و] من كلِّ بَطْنٍ منكم رَجُلاً وتُعْطونه سَيْفاً، فيضربونه ضربة رَجُلٍ واحد، فإذا كان ذلك حَمَى كلُّ قَوْمٍ مِنْ قُرَيْشٍ أخاهم، فيذهب دمه هدراً ويتفرّق في قُرَيش، فلا يُطيقُهُم بنو هاشِمٍ. فقالوا: هذا الرَّأْي. وأَجْمَعوا على ذلك وَاتَّعَدوا له ليلةً يأتونه فيها.

[خروج النَّبِيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- واستخلافه عليّاً -عليه السّلام- على فراشه]

فَأَتَى جِبْرِيْلُ إِلَى النَّبِيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- فيه فأخبره بخبرهم، فَأَمَرَ رسول اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- ابن عمّه عَلِيّاً -صلوات الله عَلَيْهِ- بعد أن أخبره بأمرهم، أَنْ يتوشّح بِبُرْده وينام على فراشه لِيُري من أتاه من المشركين أنّه هو حتّى يبعد، وأخبره بهجرته، وأمره بالمقام في أهله، وأن يُؤدِّي

أمانات كانت عنده، ودُيوناً كانت عليه، ثُمَّ يلحق به.

فهو كذلك يوصيه إلى أن أحس القوم وقد أحاطوا بِمَنْزله، وقائل منهم يقول لهم: إنَّ محمَّداً يزعم أنَّكم إن تابعتموه على أمره كنتم ملوك العرب والعجم ما عشتم، ثُمَّ إذا متم بعثتم وأدخلتم جناناً كجنان الأردن. وإن لم تفعلوا كان بكم القتل، ثُمَّ تبعثون إلى نار وتحرقون بها، فعجِّلوا أنتم له ذلك.

[٧٥/ظ] فلَمَّا سمع رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- ذلك من قولهم، أمر عليّاً -عليه السّلام- فاضطجع على فراشه، ووشّحه بِبُرْده الْحَضْرَمِيّ الأخضر الذي كان ينام فيه، وجعل يقرأ "سورة يس"، وأخذ بيده كفّاً من تراب فرماه في وجوههم وخرج، فأخذ الله -تعالى- على أبصارهم، ولم يكونوا تكاملوا.

[٩٩] /ومضى رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- إلى الغار، وقد واعد أبا بَكْر، وعَامِر بن فُهَيْرَة، وعبد الله بن أُرَيْقَط، لينهضوا معه إلى الْمَدينة، ويحملوه وما يحتاج إليه، ويدلّوه على الطَّريق.

وجعل القوم ينظرون من خلل الباب إلى عليّ -عليه السّلام-، وهو مضطجع على فراش رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ-، في بُرده، ولا يشكُّون أنّه هو، فلَمَّا اجتمعوا وهمُّوا بالقيام لِمَا أتوا له، أتاهم آتٍ مِمَّن لم يكن معهم، فقال لهم: ما تنتظرون هاهنا؟

قالوا: نريد أن نقتل محمَّداً.

قال: قد خيّبكم الله! -والله- لقد خرج محمَّد عليكم، وما ترك منكم أحداً مِمَّن حضر وقت خروجه، حتَّى سفى عليه التُّراب.

فنظروا إلى التُّراب على رؤوس [٧٦/و] أكثرهم، ونظروا إلى عليّ -عليه السّلام- من خلل الباب، فكأنّه رسول الله بِبُرده. فقالوا: هذا محمَّد. ودخلوا عليه بأسيافهم، فلَمَّا أحسَّ بهم عليّ -عليه السّلام- أخذ السُّيوف، ووثب في وجوههم، ولَمَّا رأوه وعرفوه، أحجموا عنه، وقالوا: ليس إيَّاكَ أردنا يا ابن أبي طالب. وقال بعضهم لبعض: ليس لنا في أن نقتل هذا ويقتل منَّا فائدة. فانصرفوا.

وكان ذلك أوَّل جهاد بذل فيه عليّ -عليه السّلام- نفسه دون رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ-، مُوَطِّناً نفسه في القتل دونه، وقام في وجوه من أراده بذلك، وهم عدد كثير، على صغر سِنّه، وحداثة عهده.

[هبوط جبرائيل وميكائيل لحفظ علي -عليه السّلام- من كل سوء]

وقد رَوَى محمَّد بن عِيْسَى النَّخَعِيّ، بإسناده، عن أبي جَعْفَر محمَّد بن علي بن الحسين -عليه السّلام-، أنّه قال[1]:

"لَمَّا أَمَرَ اللهُ -تعالى- نبيّه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- بالهجرة، وأعلمه بما عقد المشركون <من>[2] أن يبيّتوه ليقتلوه، وأمر عليّاً -عليه السّلام- أن يضطجع مضجعه، ففعل، فأوحى الله -عزّ وجلّ- إلى جَبْرَائِيْل وميكائيل -عليهما السّلام-: أنّي قد آخيت بينكما، وأنّي قابض روح أحدكما، فاختارا أيّكما أقبض روحه؟

[٧٦/ظ] /فكلاهما أحبَّ الحياة وكره الموت، فأوحى الله -عزّ وجلّ- [١٠٠]

(١) انظر: شرح الأخبار ٤٠٩/٢.

(٢) زيادة من "ب".

إليهما: "ما أنتما في مواساتكما كمواساة علي لمحمَّد. فانطلقا، فاحفظاه من كلّ سوء من عدوّي وعدوّه حتَّى يصبح".

فهبطا، فقعد أحدهما عند رأسه، والآخر عند رجليه، وهما يقولان: بَخٍ بَخٍ؛ يا عليّ المحبوب المواسي بنفسه".

[إقامته –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ– في الغار]

ودخل رسول –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ– الله الغار وأبو بَكْر معه، وطلبه المشركون حتَّى انتهوا إلى عند الغار، وصرفهم الله عنه، وأعمى أبصارهم، وخافهم أبو بَكْر لَمَّا دنوا من الغار، فجعل رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ– يُسَكِّن فزعه، ويعده بما وعده الله –عزّ وجلّ– من نصره، وإتمام أمره. وتلك أكثر ما يعدّ مَنْ قَدَّم أبا بَكْر على عليّ –عليه السَّلام– من فضائله؛ فإنَّهم يقولون: صَحِبَ النَّبيّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ– في الغار.

فقال عُلَمَاء الشِّيعة: إنَّ تلك إلى أن تكون رذيلة أقرب منها إلى الفضيلة، فإنَّه لم يصبر مع النَّبيّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ–، ولم يثق ويوقن بما وعده الله –سبحانه– في التَّنْزيل، بل حزن وقلق، وإنَّ الله –سبحانه– حرمه السَّكينة، فقال –تعالى–: [٧٧/و] ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾[التوبة: ٤٠]. <وكان رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ– المُنَزَّلة عليه السَّكينة.>(١)

ولو كان لأبي بَكْر فضل لعمَّه الله بالسَّكينة، كما عمَّ بها المؤمنين في موضع آخر، فقال –سبحانه–: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى

(١) زيادة من "ب".

الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾[التوبة: ٢٦].

وليست الصّحبة بحُجَّة؛ قد يصحب المؤمن الكافر، والبرّ الفاجر، وتلوا قول الله –تعالى–: ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً * لَّكِنَّا هُوَ اللّهُ رَبِّي وَلاَ أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾[الكهف: ٣٧-٣٨].

[١٠١] /وإنَّما الفضل لمن فدى النَّبيّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ– بنفسه، ونام على فراشه مُوَطِّناً نفسه للشَّهادة في سبيل الله، والجهاد من دون نبيّه. والقول في ذلك يطول ويتَّسع، وإنَّما قصدنا الاختصار.

[ذكر السَّنة الأُولى من الهجرة النَّبويَّة]

ثُمَّ إنَّ رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ– هاجر إلى الْمَدينة، ودخلها يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر رَبِيْع [٧٧/ظ] الأوَّل، وكانت سنّه –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ– يوم دخل الْمَدينة ثلاثًا وخمسين سنة كاملة، وذلك بعد أن أقام بمكَّة ثلاث عشرة سنة، بعد أن بعثه الله –عزّ وجلّ– بالنُّبوَّة يوم الاثنين وهو لأربعين عاماً من مولده.

وأقام بعده علي بن أبي طالب –عليه السَّلام– بمكَّة ثلاثة أيَّام حتَّى قضى ما أمره، ثُمَّ لحق به إلى الْمَدينة، فنزل معه على كُلْثوم بن هِدْم بقُباء.

ولم يُقِم رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ– بعد وصول عليّ –عليه السَّلام– بقُباء غير ليلة أو ليلتين، وكانت إقامته –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ– بقُباء يوم الاثنين ويوم الثّلاثاء ويوم الأربعاء ويوم الخميس، ثُمَّ صلَّى الجمعة عند بني سالم بن عَوْف، وكانت أوَّل جمعة صلاَّها بالْمَدينة.

[اعتراض القبائل له -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- تبغي نزوله عندها]

واجتمع إليه رِجال، فقالوا: يا رسول الله؛ أقم عندنا في العدد والعُدَّة. وأرادوا أن يكفُّوا ناقته عن المسير، فقال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ-: "دَعُوها فَإِنَّها مَأْمُورة". فخلوها، فانطلقت.

وجعل كلَّما مَرَّ بنواحي الأنصار، طلبوه المقام عندهم وأن تقف ناقته، فيقول: [٧٨/و] "دعوها فإنَّها مأمورة".

حتَّى إذا صارت عند [دار][١] بني مالك بن النَّجَّار، بركت على باب - مسجده الآن - وهو -يومئذ- مِرْبَد لغُلامَيْن يَتيمَيْن من بني النَّجَّار [وهما][٢] في حِجْر مُعاذ بن عَفْراء، فَلَمَّا بركت لم يَنْزل نبي الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آله- من على ظهرها، ووثبت فسارت غير بعيد، ورسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آله- واضع لها زمامها لا يَثْنيها به، ثُمَّ التفتت خلفها، فرجعت إلى مَبْركها[٣] أوَّل مرَّة، فبركت فيه، ووضعت جرانها في الأرض، فنزل عنها [١٠٢] رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آله-، وأمر /برحله، فوضعت في بيت خالد ابن زَيْد وهو أبو أيُّوب، فنزل فيه <رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آله->[٤]، حتَّى فرغ من عمارة المسجد، وسأل عن المِرْبَد لمن هو، ثُمَّ اشتراه من اليَتيمَيْن وأرضاهما.

(١) زيادة من السِّيرة النَّبوية.

(٢) زيادة من السِّيرة النَّبوية.

(٣) "ب": "موكبها".

(٤) زيادة من "ب".

[بناء مسجد الْمَدينة]

وأمر رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آله- أن يُبْنى المسجد في ذلك الموضع، وعمل فيه رسول الله بيده، ونزل رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آله- فرغَّب النَّاس في العمل، وعمل فيه المهاجرون والأنصار.

فقال قائل من المسلمين[١]:

لَئِنْ قَعَدْنا وَالنَّبِيُّ يَعْمَلُ
لذاكَ مِنَّا العَمَلُ الْمُضَلَّلُ

[٧٨/ظ] وارتجز المسلمون وهم [يبنونه و][٢] يقولون:

لا عَيْشَ إلاَّ عَيْشُ الآخِرَهْ
اللَّهُمَّ ارْحَمِ الأَنْصَارَ والْمُهَاجِرَهْ

وليس برجز بل كلام.

وجعل رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آله- يقول: "لاَ عَيْشَ إلاَّ عَيْشُ الآخِرَة، اللَّهُمَّ ارْحَمْ الْمُهاجِرِيْنَ وَالأَنْصار".

[ارتجاز علي -عليه السّلام- في بناء المسجد]

وكان[٣] علي بن أبي طالب -عليه السّلام- وأصحابه أشَدّ النَّاس عملاً، وجعل يرتجز ويقول:

(١) انظر: السِّيرة النَّبويَّة ٢/٤٩٦.

(٢) زيادة من السِّيرة النَّبوية.

(٣) انظر: الإيضاح ١٤٨-١٤٩.

لا يَسْتَوِي مَنْ يَعْمُرُ الْمَسَاجِدا
يَدْأَبُ فِيْها قائماً وَقَاعِدا
كَمَنْ يَمُرُّ عانِدا مُعانِدا
عَنِ الغُبارِ لا يَزَالُ حَائِدا

[١٠٣] /فأخذها عمّار بن ياسر –رضي الله عنه–، فجعل يرتجز بها، ويعمل عملاً شديداً.

وكان عُثْمان بن عفّان واقفاً في ناحية، فعلم أنّه يُعرِّض به، فقال لعمّار: يا ابن سُمَيَّة؛ إنّي سأعرض هذه العصا لأنفك! وفي يده عصا.

وسمع رسول الله –صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آله– قول عُثْمان، فغضب غضباً شديداً، وقال: "مالهم ولعمّار يَدْعوهم إلى الجنّة، ويدعونه إلى النّار". وقال –صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آله–: "إنّ عمّاراً جِلْدَة ما بين عيني وأنفي، [فمتى تُنكأُ الْجِلْدَة يدْمَى الوجه. وهذه مطاياك فارحل إذا شئت".][1]

ولم يزل العمل في مسجد رسول الله –صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آله– حتّى إذا فرغ من عمارته، أمر [٧٩/و] بعمارة منازله عنده، وعمّر أصحابه حول مسجده منازلهم، وجعل كلّ واحد منهم باباً إلى المسجد، ومكثوا على ذلك أعواماً، وفي بيت كلّ رَجُل من أصحاب النّبيّ –صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آله– باباً إلى المسجد، فأوحى الله –تعالى– إلى نبيّه –صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آله– أن يأمرهم أن يسدُّوا أبوابهم، ويدع باب علي –عليه السلام.

(١) زيادة من الإيضاح ١٤٩.

[أفضل مناقب أمير المؤمنين –عليه السّلام–]

وقد رُوِيَ:[1] "أنّ قوماً سألوا أمير المؤمنين –عليه السّلام–، وقالوا: يا أمير المؤمنين؛ أخبرنا بأفضل مناقبك؟ فقال –عليه السّلام–:

أفضل مناقبي ما لم يكن لي فيه صنع. قيل: وما ذلك يا أمير المؤمنين؟ قال: إنّ رسول الله –صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آله– لَمّا قدم إلى الْمَدينة أمر ببناء المسجد، فما بقي رَجُل من أصحابه إلاّ نقبَ باباً إلى المسجد، فجاءه جَبْرَائيْل –عليه السّلام– فأمره أن يأمرهم بِسَدِّ أبوابهم ويَدَعَ بابي، فبعث إليهم رسول الله –صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آله– مُعاذ بن جَبَل، فأتى أبا بَكْر، فأمره أن يسدّ بابه، فقال: سمعاً وطاعةً، فَسَدَّ بابه. ثُمَّ بعث إلى عُمَر؛ فأمره أن يسدّ بابه، فأتى رسول الله –صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آله– فقال: يا رسول الله؛ [٧٩/ظ] دَعْ لي بقدر ما أنظر إليكَ بعيني. فأبى عليه رسول الله –صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آله–، فَسَدَّ بابه. ثُمَّ بعثه إلى طَلْحَة والزُّبَيْر وعُثْمان وعبد الرَّحمن وسَعْد وحَمْزَة والعبَّاس فأمرهم بِسَدِّ أبوابهم فسمعوا وأطاعو، فقال حَمْزَة والعبّاس: يأمرنا بسدّ أبوابنا ويدع باب عليّ.

[١٠٤] /فبلغ ذلك رسول الله –صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آله–، فقال: "قَدْ بلغني ما قلتم في سدّ الأبْواب، والله ما أنا فعلت ذلك ولكن الله فعله، وإنّ الله أَوْحَى إلى مُوسى أنْ يَتَّخِذَ بَيْتاً طهراً لا يُجْنبُ فيه إلاّ هو وهارون وابناه.

(١) انظر: دعائم الإسلام ١/١٦-١٧، الإيضاح ١٥٠، وفيه: " في كتاب حمّاد بن عيسى، عن حريز بن عبد الله، عن زرارة بن أعين، عن أبي عبد –عليه السّلام– الله أنّه قال".

[قال أبو جعفر:][1] يعني: لا يُجامع فيه غيرهم–، وإنَّ الله أَوْحَى إليَّ أن أتّخذَ هذا البيت طهراً، لا ينكح فيه إلاّ أنا وعليّ والحسن والحسين. والله ما أنا أمرت بسدّ أبوابكم، ولا فتحت باب عليّ، بل الله أمرني به".

في كلام طويل اختصرناه، وقد جاءت هذه الرِّواية بالإسناد من طرق شتّى".

[أوّل خُطْبَة خطبها رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ–]

وكانت أوَّل خُطْبَة خطبها رسول –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ– في [أوَّل][2] جمعة [جمّعها في الْمَدينة][3] [٨٠/و] **فيما رواه ابن هشام:** أن قام فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قَالَ[4]:

"أَمَّا بَعْدُ، أَيُّهَا النَّاسُ؛ فَقَدِّمُوا لأَنْفُسِكُمْ. تَعَلَّمُنَّ واللهِ لَيُصْعَقَنَّ أَحَدُكُمْ، ثُمَّ لَيَدَعَنَّ غَنَمَهُ مَا لَهَا رَاعٍ، ثُمَّ لَيَقُولَنَّ لَهُ رَبُّهُ، [وَلَيْسَ لَهُ تَرْجُمَانٌ وَلاَ حَاجِبٌ يَحْجُبُهُ دُونَهُ:][5] أَلَمْ يأْتكَ رَسُولي فَبَلَّغَكَ، وَآتَيْتُكَ مَالاً وَأَفْضَلْتُ عَلَيْكَ، فَمَا قَدَّمْتَ لنَفْسكَ؟ فَلَيَنْظُرَنَّ يَميناً وَشمَالاً فَلا يَرَى شَيْئاً، ثُمَّ لَيَنْظُرَنَّ قُدَّامَهُ فَلا يَرَى غَيْرَ جَهَنَّمَ. فَمَنْ استَطَاعَ أَنْ يَقيَ وَجْهَهُ منَ النَّارِ وَلَوْ بشقّ منْ تَمْرَة فَلْيَفْعَلْ، وَمَنْ لَمْ يَجدْ فَبكَلِمَة طَيِّبَةٍ، فَإِنَّ بِهَا تُجْزَى الْحَسَنَةُ عَشْرَ أَمْثَالِهَا، إِلَى

(١) زيادة من الإيضاح.

(٢) زيادة من السِّيرة النَّبوية.

(٣) زيادة من السِّيرة النَّبوية.

(٤) انظر: السيرة النّبوية ٢/٥٠٠–٥٠١.

(٥) زيادة من السِّيرة النَّبوية.

سَبْعِ مئَةِ ضِعْفٍ، وَالسَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ".

[خطبته الثَّانية –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ–]

ثُمَّ خَطَبَ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ– خطبة أُخْرى، فقال[1]:

"بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

/[إنّ][2] الْحَمْدَ لله، أَحْمَدُهُ وَأَسْتَعينُهُ، نَعُوذُ بِاللهِ منْ شُرُورِ أَنْفُسنا، [١٠٥] وَسَيِّئات أَعْمَالنا، مَنْ يَهْدِ اللهُ فَلا مُضلّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجدَ لَهُ وَلِيّاً مُرْشدا، وَأَشْهَدُ أَنْ لا إلَهَ إلاّ اللهُ وَحْدَهُ لا [٨٠/ظ] شَرِيْكَ لَهُ. إنَّ أَحْسَنَ الْحَدِيْث كتَابُ الله –تَبارَكَ وَتَعَالَى–، قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَيَّنَهُ اللهُ فِي قَلْبه، وَأَدْخَلَهُ فِي الإسْلامِ بَعْدَ الْكُفْرِ، وَاخْتَارَهُ عَلَى مَا سوَاهُ منْ أَحَاديْث النَّاسِ، إنَّهُ أَحْسَنُ الْحَديْث وَأَبْلَغُهُ، أَحِبُّوا مَنْ أَحَبَّ اللهُ، وَأَحِبُّوا اللهَ منْ كُلِّ قُلُوبكُمْ، وَلا تَمَلُّوا كَلامَ الله وَذكْرَهُ، وَلا تَقْسُ عَنْهُ قُلُوبُكُمْ، فَإِنَّه منْ كُلّ مَا يَخْلُقُ اللهُ يَخْتَارُ وَيَصْطَفِي، قَدْ سَمَّاهُ اللهُ خيرَتَهُ منَ الأَعْمَالِ، وَمُصْطَفَاهُ منَ الْعبَاد، وَالصَّالِحَ منَ الْحَديث؛ وَمنْ كُلّ مَا أُوتيَ النَّاسُ الْحَلالُ وَالْحَرَامُ، فَاعْبُدُوا اللهَ وَلاَ تُشْرِكُوا به شَيْئاً، وَاتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاته، وَاصْدُقُوا اللّهَ صَالحَ مَا تَقُولُونَ بأَفْوَاهكُمْ، وَتَحَابُّوا بِرُوحِ اللهِ بَيْنَكُمْ إنَّ اللهَ يَغْضَبُ أَنْ يُنْكَثَ عَهْدُهُ وَالسَّلامُ عَلَيْكُمْ".

[المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار]

وهادن رسول الله اليهود، وأصلح بين الأَوْس والْخَزْرَج، وأهدر دماء

(١) انظر: السيرة النّبوية ٢/٥٠١.

(٢) زيادة من السِّيرة النَّبوية.

الجاهليَّة.

وآخى رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- بين أصحابه: فآخى بين حَمْزَة -عليه السّلام- وبين زَيْد بن حارثَة، وبين جَعْفَر بن أبي طالب [٨١/و] ومُعاذ بن جَبَل، وجَعْفَر -يومئذٍ- بأرض الحَبَشَة، وجعل أبا بَكْر وعمرَ أخوين، وكذلك سائر أصحابه؛ جعل لكلّ رَجُل أخاً.

ثُمَّ أخذ بيد عليّ بن أبي طالب -عليه السّلام-، فقال: "هذا أخي ووصيِّي ومُنْجِز وَعْدِي والخليفة من بعدي".

[أبيات صِرْمَة بن أبي أَنَس]

ولَمَّا اطمأنَّت برسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- دارُه، وأظهر الله بها دينه، وقرَّبه في مدينة القرار، قال أبو قَيْس صِرْمَة بن أبي أَنَس أخو بني عَدِيّ بن النَّجَّار يذكر ما أكرمهم الله -تعالى- به من الإسلام، وخصّهم من نزول رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- فيهم[1]:

ثَوَى فِي قُرَيْشٍ بِضْعَ عَشْرَةَ حِجَّةً ... يُذَكِّرُ لَوْ يَلْقَى صَدِيْقاً مُوَاتِيَا
وَيَعْرِضُ فِي أَهْلِ الْمَوَاسِمِ نَفْسَهُ ... فَلَمْ يَرَ مَنْ يُؤْوِي وَلَمْ يَرَ دَاعِيَا
[١٠٦] /فَلَمَّا أَتَانَا أَظْهَرَ اللهُ دِيْنَهُ ... وَأَصْبَحَ مَسْرُوراً بِطَيْبَةَ رَاضِيَا
وَأَلْفَى صَدِيْقاً وَاطْمَأَنَّتْ بِهِ النَّوَى ... وَكَانَ لَهُ عَوْناً مِنَ اللهِ بَادِيَا
يَقُصُّ لَنا مَا قَالَ نُوحٌ لِقَوْمِهِ ... وَمَا قَالَ مُوْسَى إِذْ أَجَابَ الْمُنَادِيَا
فَأَصْبَحَ لا يَخْشَى مِنَ النَّاسِ وَاحِداً ... قَرِيْباً وَلاَ يَخْشَى مِنَ النَّاسِ نَائِيَا

(١) انظر: السيرة النبوية ٢/٥١٢.

بَذَلْنَا لَهُ الأَمْوَالَ مِنْ جُلِّ مَالِنَا ... وَأَنْفُسَنَا عِنْدَ الْوَغَى وَالتَّآسِيَا
[٨١/ظ] وَنَعْلَمُ أَنَّ اللهَ لاَ شَيْءَ غَيْرُهُ / وَنَعْلَمُ أَنَّ اللهَ أَفْضَلُ هَادِيَا
نُعَادِي الَّذِي عَادَى مِنَ النَّاسِ كُلِّهِمْ ... جَمِيْعاً وَإِنْ كَانَ الْحَبِيْبَ الْمُصَافِيَا
أَقُولُ إِذَا أَدْعُوكَ فِي كُلِّ بَيْعَةٍ: ... تَعَالَيْتَ قَدْ أَكْثَرْتُ لاسْمِكَ دَاعِيَا
أَقُولُ إِذَا جَاوَزْتُ أَرْضاً مَخُوفَةً ... حَنَانَيْكَ لاَ تُظْهِر عَلَيَّ الأَعَادِيَا
فَطَأْ مُعْرِضاً إِنَّ الْحُتُوْفَ كَثِيْرَةٌ ... وَإِنَّكَ لاَ تُبْقِي لِنَفْسِكَ بَاقِيَا
فَوَاللهِ مَا يَدْرِي الْفَتَى كَيْفَ يَتَّقِي ... إِذَا هُوَ لَمْ يَجْعَلْ لَهُ اللهُ وَاقِيَا
وَلاَ تَحْفِلُ النَّخْلُ الْمُعِيْمَةُ رَبَّهَا ... إِذَا أَصْبَحَتْ رَيّاً وَأَصْبَحَ ثَاوِيَا

[خبر سَلْمان الفارسِيّ]

ووصل إلى النَّبيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- سَلْمان الفارسِيّ -رضي الله عنه- فأسلم. وكان من فارس، فأحبَّ دين النَّصْرانيَّة، وترك دين أبيه، وكان أبوه على دين الْمَجُوس، وسار مع الرَّكب إلى الشَّام، وخدم الفضلاء من الرُّهْبان واحداً بعد واحد، وأوصى إليه آخرهم عند موته، فقال له: إنَّك تدرك نبيّاً يبعثه <الله>[1] وهو خير الأنبياء، قد آن أوانه، وحان حينه، وإنَّه يأكل الهديَّة، ولا يأكل الصَّدقة، وبين جنبيه علامة خاتم النُّبوَّة.

وكان سَلْمان -رضي الله عنه- قد بِيعَ غصباً، وصار إلى يهوديّ ملكه واستخدمه. [٨٢/و] فأتى سَلْمان إلى النَّبيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- مُختَبِراً، وأتاه بصدقة، فلم يأكل منها، وفرَّقها على أصحابه. ثُمَّ أتاه بهديَّة

(١) زيادة من "ب".

فأكل -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- منها وأطعمهم. ونظر سَلْمان إلى خاتم النُّبوَّة بين جنبيه، فعرف الأمارات وأسلم.

[١٠٧] /وكان سَلْمان من فضلاء أصحاب النَّبيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ-، وكان النَّبيّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِه- يُحَيِّيه ويقرِّبه ويُدْنيه. وقال <فيه>(١):(٢) "سَلْمان مِنَّا أَهْلَ البَيْت". يُصلّي عليه ويسلِّم.

وكان من شيعة علي -عليه السّلام-، وقد كان لعليّ -عليه السّلام- شيعة على عهد رسول الله معروفون باعتقاد ولايته، مشهورون بذلك؛ منهم: سَلْمان الفارِسيّ، وعَمَّار، وأبو ذرّ، والْمِقْداد، وعبد الله بن مَسْعود، <وعبد الله بن عبَّاس،>(٣) وغيرهم. وكان رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- يذكرهم بالفضل، ويدعوهم شِيعة علي.

وذلك مذكور مشهور قد عرفه الخاصّ والعامّ، وما أتى في ذلك من الرِّوايات يخرج عن حدّ هذا الكتاب.

[ظهور المنافقين]

وأسلم كثير من اليهود، ومن بقي من الأَوْس والْخَزْرَج، فمنهم من كان إسلامه خالصاً، ومنهم من تَسَتَّرَ بذلك نِفاقاً لَمَّا [٨٢/ظ] رأى أَمْر الإسلام قوي وظهر.

---

(١) زيادة من "ب".

(٢) انظر: السِّيرة النَّبويَّة ٢٢٤/٣،

(٣) زيادة من "ب".

ومن المنافقين: عبد الله بن أُبَيّ بن سَلُول وغيره، وهم كثيرون معروفون مشهورون، كانوا: ﴿وَإِذَا لَقُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُواْ إِنَّا مَعَكْمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾[البقرة: ١٤]. فقبل منهم النَّبيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- ما أظهروه من الإسلام، وتركهم على ما هم عليه، لأنَّها كانت تنَزل فيهم الآيات مِمَّا يُبَيِّن نِفاقهم، ويُوضِّح أنَّهم وإنْ ﴿قَالُواْ آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ﴾[المائدة: ٤١].

وقالت الأنصار: إنَّا كنَّا لنعرف المُنافقين على عهد رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- ببغض عليّ بن أبي طالِب -عليه السّلام. وذلك يعضُده قول النَّبيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- لعلي -عليه السّلام-: "لا يبغضك يا عليّ إلاّ مُنافق".

أو: "مَنْ هو لغير رِشْدَةٍ". أو: مَنْ حملته أُمّه وهي حائض. أو: المأْتى في دبره.

[١٠٨] /ولَمَّا استقرَّ رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- بالْمَدينة، وبلغ مشركي قُرَيْش ما جمع الله له من إلْفَة المهاجرين والأنصار، واجتماع المسلمين وظهور الدِّين، ساءهم ذلك [٨٣/و] من أمره، واغتمُّوا غَمّاً شديداً، وتلهَّفوا على فوات رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ-، إذ لم يقدروا عليه.

[سَرِيَّة حَمْزَة إلى سيف البحر]

وبعث رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- عمّه حَمْزَة -رضي الله

عنه- إلى ساحل البحر من ناحية العِيْص[1] في ثلاثين راكباً من المهاجرين، وعقد له عليهم، فكانت أوَّل راية عقدت في الإسلام لحَمْزَة بن عبد الْمُطَّلِب عم رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِه.

وانتهى الخبر إلى قُرَيش، فأخرجوا <له>[2] ثلاث مئة راكب عليهم أبو جَهْل بن هِشام، وكادوا يلتقون، فحجز بينهم مَجْديّ بن عَمْرو الجُهَنِيّ، وكان مُوادِعاً للفريقين، فانصرفوا من غير قِتال، وانصرف حَمْزَة -عليه السّلام-، ومن معه من المهاجرين.

وفي ذلك يقول حَمْزَة -رضي الله عنه-[3]:

ألاَ يَا لَقَوْمي لِلتَّحَلُّمِ وَالْجَهْلِ ... وَلِلنَّقْصِ مِنْ رَأْيِ الرِّجَالِ وَلِلْعَقْلِ
وَلِلرَّاكِبِيْنَا بِالْمَظَالِمِ لَمْ نَطَأْ ... لَهُم حُرُمَاتٍ مِنْ سَوَامٍ وَلاَ أَهْلِ
كَأَنَّا تَبَلْنَاهُمْ وَلاَ تَبْلَ عِنْدَنَا ... لَهُمْ غَيْرُ أَمْرٍ بِالْعَفَافِ وَبِالْعَدْلِ
وَأَمْرٍ بِإِسْلاَمٍ فَلاَ يَقْبَلُونَهُ ... وَيَنْزِلُ مِنْهُمْ مِثْلَ مَنْزِلَةِ الْهَزْلِ
فَمَا بَرِحُوا حَتَّى انْتَدَبْتُ لِغَارَةٍ ... لَهُمْ حَيْثُ حَلُّوا أَبْتَغِي رَاحَةَ الفَضْلِ
/بِأَمْرِ رَسُولِ اللهِ أَوَّلَ خَافِقٍ ... عَلَيْهِ لِوَاءٌ لَمْ يَكُنْ لاَحَ مِنْ قَبْلِي [٨٣/ظ]
لِوَاءٌ لَدَيْهِ النَّصْرُ مِنْ ذِي كَرَامَةٍ ... إِلَهٍ عَزِيزٍ فِعْلُهُ أَفْضَلُ الْفِعْلِ
عَشِيَّةَ سَارُوا حَاشِدِيْنَ وَكُلُّنَا ... مَرَاجِلُهُ مِنْ غَيْظِ أَصْحَابِهِ تَغْلِي
فَلَمَّا تَرَاءَيْنَا أَنَاخُوا فَعَقَّلُوا ... مَطَايَا وَعَقَّلْنَا مَدَى غَرَضِ النَّبْلِ

(١) انظر: معجم البلدان ٣/٧٥٣.
(٢) زيادة من "ب".
(٣) السيرة النّبويّة ٢/٥٩٦-٥٩٧.

فَقُلْنَا لَهُمْ: حَبْلُ الإِلَهِ نَصِيْرُنَا ... وَمَا لَكُمُ إِلاَّ الضَّلاَلَةُ مِنْ حَبْلِ
فَثَارَ أَبُو جَهْلٍ هُنَالِكَ بَاغِياً ... فَخَابَ وَرَدَّ اللهُ كَيْدَ أَبِي جَهْلِ
وَمَا نَحْنُ إِلاَّ فِي ثَلاثِيْنَ رَاكِباً ... وَهُمْ مِئَتَانِ بَعْدَ وَاحِدَةٍ فَضْلِ
/فَيَالَ لُؤَيٍّ لاَ تُطِيْعُوا غُوَاتَكُمْ ... وَفِيْئُوا إِلَى الإِسْلاَمِ وَالْمَنْهَجِ السَّهْلِ [١٠٩]
فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يُصَبَّ عَلَيْكُمْ ... عَذَابٌ فَتَدْعُوا بِالنَّدَامَةِ وَالثُّكْلِ

[غَزْوَة بُوَاط]

ثُمَّ غزا رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِه- قُرَيشاً في شهر رَبِيْع الأوَّل، وخرج معه المهاجرون والأنصار، فبلغ رسول الله بُوَاط من ناحية رَضْوَى. ثُمَّ رجع -عليه السّلام- إلى الْمَدينة و لم يَلْقَ كيداً. فلبث بها بقيَّة شهر رَبِيْع الآخر وبعض جُمادى الأُولى.

[غَزْوَة العُشَيْرَة]

وغزا قُرَيشاً حتَّى انتهى إلى العُشَيْرَة من بطن يَنْبُع، فأقام بها بعض جُمادى الأُوْلى وليالي من جُمادى الآخرة. ثُمَّ رجع إلى الْمَدينة و لم يَلْقَ كيداً.

وفي تلك الغزوة قال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِه- لعليّ -عليه السّلام- وقد اضطجع وعَمَّار بن ياسر على دَقْعاء من تراب وناما، فنبَّههما رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِه- وقال لعليّ -عليه السّلام-: "ما لَكَ يا أبا تُراب"؟ ثُمَّ قال: ["ألا أُحَدِّثكما بأشقى النَّاس رَجُلَيْن؟" قلنا: بَلَى يا رسول الله. قال:][1] "أُحَيْمِر ثَمود. [الذي عَقَرَ النَّاقة،][2] وأشْقَى الآخرين الَّذي

(١) "أ" و "ب": "أشقى الأوَّلين"، وما أثبت فهو زيادة من السِّيرة النَّبوية.
(٢) زيادة من السِّيرة النَّبوية.

يَضْربك يا عليّ على هذه -ووضع يده على هامته- حتَّى يَبُلّ منها هذه". وأخذ بلحيته.

ورجع رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- إلى الْمَدينة و لم يكن قِتال.

[سَرِيَّة سَعْد بن أبي وقَّاص إلى الْخَرَّار]

وبعث رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- سَعْد بن أبي وقَّاص، في ثمانية رَهْط من المهاجرين، فخرج حتَّى بلغ الْخَرَّار[١] من أرض الْحِجاز، ثُمَّ رجع و لم يكن قِتال.

[غَزْوة بَدْر الأولى]

[١١٠] /وأغار كُرْزُ بن جابر الفِهْرِيّ على سَرْح الْمَدينة، فخرج رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- في طلبه حتَّى انتهى إلى بَدْر، وفاته كُرْزُ بن جابر، فرجع رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- إلى الْمَدينة، وتلك تُسَمَّى غَزْوة بَدْر الأُولى.

[سَرِيَّة عبد الله بن جَحْش]

وأمر رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- عبد الله بن جَحْش في ثمانية نفر، وقال له: "امْضِ حتَّى تَنْزل نَخْلَة[٢]، -بين مكَّة والطَّائف-، فَتَرَصَّدْ قُرَيْشاً". [٨٤/ظ] فسار بالَّذين معه، فلَمَّا كان في مسيرة يومين، قال لأصحابه: إنِّي ماضٍ لما أرسلني رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ-، فمن

(١) انظر: معجم البلدان ٢/٤٠٨-٤٠٩.

(٢) انظر: معجم البلدان ٤/٧٦٩.

أراد الشَّهادة ويرغب فيها فلْيَسِرْ، [ومن كره ذلك][١] فَلْيَرْجِعْ.

فرجع[٢] سَعْد بن أبي وقَّاص، وعُتْبَة بن غَزْوان، وسار بمن بقي معه.

[ذِكْرُ ما جرى بين الفريقين]

فلَمَّا نزل نَخْلَة -حيث أمره رسول الله- وافى عِيْراً لقُرَيش تحمل زَبِيْباً وأدَماً، فحمل عبد الله بن جَحْش <وأصحابه>[٣] على مَنْ في العِيْر من المشركين، فأسروا من المشركين: عُثْمان بن عبد الله، والْحَكَم بن كَيْسان، وقتلوا عَمْرو بن الْحَضْرَمِيّ، وأخذوا العِيْر، فوصلوا بها إلى رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ-، فقبض رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- العِيْر والأسيرين.

وبعثت قُرَيش إليه فداء عُثْمان بن عبد الله، والْحَكَم بن كَيْسان.

فأمَّا الْحَكَم بن كَيْسان؛ فإنَّه أسلم وأقام مع رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- حتَّى قُتِلَ يوم بئر مَعُونة.

وأمَّا عُثْمان بن عبد الله، فلحق بمكَّة ومات بها كافراً.

وقصد رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- إلى ما جاء به عبد الله بن جَحْش بعد أن أخذ منه الْخُمْس، فأعطى أهل تلك الغزوة أربعة أخْماس.

(١) "أ" و "ب": "وإلاَّ"، وما أثبت فهو زيادة من السِّيرة النَّبوية.

(٢) ولدى ابن هشام: "أضلَّ سعد بن أبي وقَّاص، وعُتْبَة بن غَزْوان بعيراً لهما، كانا يعتقبانه، فتخلَّفا عليه في طلبه". السيرة النبوية ٢/٦٠٢.

(٣) زيادة من "ب".

[١١١] /وكان [٨٥/و] ابن الْحَضْرَمِيّ أوّل قتيل قتله المسلمون، وكان ذلك في الشّهر الحرام، وفيه يقول الله –تعالى-: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾[البقرة: ٢١٧]. إلى آخر الآية.

وقالت قُرَيش: قد أَحَلّ محمّد وأصحابه الشّهر الحرام، وسفكوا فيه الدِّماء.

[شِعْر عبد الله بن جَحْش في هذه السريَّة]

فقال عبد الله بن جَحْش[1]:

تَعُدُّونَ قَتْلاً فِي الْحَرامِ عَظِيْمَــةً   وَأَعْظَمُ مِنْهُ لَوْ يَرَى الرُّشْدَ رَاشِدُ
صُدُودُكُمْ عَمَّا يَقُـولُ مُحَمَّـدٌ   وَكُفْرٌ بِـهِ واللهُ رَاءٍ وَشَـاهِدُ
وَإِخْرَاجُكُمْ مِنْ مَسْجِدِ اللهِ أَهْلَهُ   لِئَلاَّ يُرَى فِي الْبَيْتِ لِلَّهِ سَـاجِدُ
فَإِنَّـا وَإِنْ عَيَّرْتُمُـونَا بِقَتْلِـهِ   وَأَرْجَفَ بِالإِسْلاَمِ بَاغٍ وَحَاسِـدُ
سَقَيْنَا مِنْ ابْنِ الْحَضْرَمِيِّ رِمَاحَنَا   بِنَخْلَةَ لَمَّا أَوْقَدَ الْحَـرْبَ وَاقِـدُ
دَماً، وَابنُ عَبْدِ اللهِ عُثْمَانُ بَيْنَنَـا   يُنازِعُهُ غُـلٌّ مِنَ الْقَـدِّ عَانِـدُ

***

(١) السيرة النبوية ٢/٦٠٥-٦٠٦.

ثُمَّ كانت غَزْوة بَدْر الكبرى

وذلك أنَّ رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ– سمع بأبي سُفْيان بن حَرْب مُقْبلاً من الشّام؛ في عِيْر عظيمة لقُرَيش، فيها لهم أموال وتجارة، وفيها ثلاثون رَجُلاً من قُرَيش أو أربعون، فانتدب رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آله– المسلمين، وقال: "هذه عِيْرُ قُرَيْش وأَمْوالهم، [٨٥/ظ] فاخْرُجُوا إليها لَعَلَّ اللهَ يُنَفِّلُكُمُوها". فانتدب النَّاس فخفَّ بعضهم، وثَقُلَ بعض، وظنّوا أنَّ رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ– لا يَلْقى حرباً.

وبلغ أبا سُفْيان الخبر: أنَّ محمَّداً قد استنهض أصحابه لك. فاستأْجَرَ ضَمْضَم بن عَمْرو الغفاريّ، فبعثه إلى مكّة، وأمره أن يَسْتَنْفِر قُرَيشاً إلى أموالهم.

[ذكر رُؤْيا عاتِكَة بنت عبد الْمُطَّلب]

[١١٢] /وقد رأت عاتِكَة بنت عبد الْمُطَّلب رُؤيا –قبل قدوم ضَمْضَم إلى مكّة بثلاثة أيّام– أفزعتها، والذي رأت أنَّ راكباً أقبل على بعيرٍ حتَّى وقف بالأَبْطَح، ثُمَّ صرخ بأعلى صوته: ألا انفروا ياآل غُدَرٍ لِمَصَارِعكم في ثلاث. ثُمَّ دخل المسجد والنَّاس يتبعونه، فَمَثَلَ به بعيره على ظهر الكَعْبَة، وصرخ بمثلها: ألا انفروا ياآل غُدَرٍ لمَصَارِعكم في ثلاث. ثُمَّ مَثَلَ به بعيره على رأس أبي قُبَيْس، فصرخ بمثلها، ثُمَّ أخذ صخرة فألقاها من الجبل، فأقبلت تهوي، حتَّى إذا كانت بأسفل الجبل ارْفَضَّتْ، فلم يبق بَيْتٌ من بُيوت مكّة ولا دارٌ منها إلاّ ودخلتها فلقة من تلك الصَّخرة.

فأخبرت برؤياها أخاها [٨٦/و] العبَّاس بن عبد الْمُطَّلِب، فلقي العبَّاس الوَلِيد بن عُتْبَة بن رَبيعة، فذكر ذلك له، وشاع به الخبر.

فقال أبو جَهْل: متى كانت فيكم هذه النَّبِيَّة؟ أما رضيتم يا بني عبد الْمُطَّلِب أن يتنبَّأ رجالكم حتَّى تتنبَّأ نساؤكم!

فأنكر العبَّاس أن تكون رأت شيئاً، وكثر في ذلك القول من قُرَيش، ولا سيَّما أبو جَهل بن هِشام.

قال العبَّاس -رضي الله عنه-: فقلن نساء بني عبد الْمُطَّلِب: تناول أبو جَهْل رجالكم بالسَّبّ، وما قنع حتَّى رجع لسبّ نسائكم! فخرجتُ مُغضباً أُريد أن أنال أبا جَهْل بما يكره، ودخلتُ المسجد فرأيته، فإنِّي لأمشي نحوه أتعرضه، ليعود لبعض ما قال فأقع به، وكان رَجُلاً خفيفاً، حديد الوجه، حديد اللِّسان، حديد النَّظر. [قال][1] إذ خرج نحو باب المسجد يشتدّ. قال: فقلتُ: ما له لعنه الله، أكلُّ هَذا فَرَقاً منِّي أن أُشاتمه؟

قال: وإذا هو قد سمع ما لم أسمع: صوت ضَمْضَم بن عَمْرو الغِفاريّ وهو يصرخ ببطن الوادي واقفاً [٨٦/ظ] على بعيره، وقد شقَّ قيمصه، وهو يقول: يا معشر قُرَيْش؛ اللَّطِيمَة! اللَّطِيمَة! أموالكم مع أبي سُفْيان قد عرض لها محمَّد في أصحابه، ولا أراكم مُدْركوها، الغَوْثَ الغَوْثَ. قال: فشغلني عنه وشَغَله عنِّي ما جاء من الأمر.

[تجهز قُرَيش للخروج]

[١١٣] /وتجهَّز النَّاس سِراعاً، وقالوا: أَيَظُنّ محمَّدٌ وأصحابه أن تكون كَعِيْر ابن

(١) زيادة من السِّيرة النَّبوية.

الحَضْرَميّ، كلا والله ليعلمنَّ أمراً غير ذلك. ولم يتخلَّف أحد من أشراف قُرَيْش، إلاَّ أبو لهب تخلَّف وبعث مكانه العاصي بن هِشام بن الْمُغِيْرَة.

وأخرجت قُرَيش العبَّاس بن عبد الْمُطَّلِب، وطالِب بن أبي طالِب، وعَقِيْل بن أبي طالِب، معهم لحرب رسول الله، فخرجوا مُستكرهين، وجرى بينهم وبين طالِب لدد وخصومة، فأرجعوه وقالوا: لقد علمنا أنَّ هواكم مع محمَّد. فرجع طالِب، وقال في ذلك[1]:

يَـا رَبِّ إِمَّـا خَرَجُـوا بِطَالِـبْ
فِـي عُصْـبَةٍ مُحَـالِفٌ مُحَـارِبْ
<فِي مِقْنَبٍ مِنْ هَذِهِ الْمَقانِبْ>[2]
فَاجْعَلْهُمُ الْمَغْلُوبَ غَيْـرَ الْغَالِـبْ
وَارْدُدْهُمُ الْمَسْلُوبَ غَيْـرَ السَّـالِبْ

[٨٧/و] وكان طالِب قد أسلم، وهو الذي يقول في رسول الله -صلَّى الله عليه وعَلَى آله-[3]:

وَقَدْ حَلَّ مَجْـدُ بَنِـي هَاشِـمٍ ... مَكَـانَ النَّعَـائِمِ والزَّهْـرَةْ
وَمَحْضُ بَنِي هَاشِـمٍ أَحْمَـدُ ... رَسُولُ الْمَلِيْـكِ عَلَـى فَتْـرَةْ

(١) الرجز في: السيرة النبوية ٦١٩/٢، طبقات ابن سعد ١٢١/١، أنساب الأشراف ٤٢/٢، تاريخ الطبري ٤٣٩/٢، شرح الأخبار ٢٣٧/٣، المناقب والمثالب [ورقة ٤١/و]، الأغاني ١٣٤/٤.

(٢) زيادة من "ب".

(٣) الأبيات في: شرح الأخبار ٢٣٥/٣، المناقب والمثالب [ورقة ٤١/و-٤١/ظ]، ونسبت لأبي طالب، انظر: إيمان أبي طالب للشيخ المفيد ٣٥.

عَظِيْمُ الْمَكَــارِمِ نُــوْرُ الْــبِلَادِ ... جَرِيْءُ الْفُؤَادِ صَــدِيُّ الزُّبْــرَهْ
كَرِيْمُ الْمَشَاهِدِ سَــمْحُ الْبَنَــانِ ... إِذَا ضَنَّ ذُو الْجُــودِ بِالْقُــدْرَهْ
عَفِيْــفٌ تَقِــيٌّ نَقِــيُّ الــرِّدَاءِ ... طَهِيْــرُ السَّــرَاوِيْلِ وَالإِزْرَهْ
جَوَادٌ رَبِيْعٌ عَلَــى الْمُعْتَفِيْــ ... ـنَ مِنْ حَيٍّ رَبْعٍ وَمِنْ زُهْــرَهْ
وَأَشْوَسَ كَاللَّيْــثِ لَــمْ تَنْهَــهُ ... لَدَى الْحَرْبِ زَجْرَةُ ذِي الزَّجْرَهْ
فَكَمْ مِنْ صَرِيْعٍ لَهُ قَــدْ ثَــوَى ... طَوِيْــــلِ التَّــأَوُّهِ وَالزَّفْــرَهْ

[خروج رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ-]

[١١٤] /وخرج رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- في ليال مَضَيْن من شهر رمضان في أصحابه، قيل: لثمان. وكان أمام رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- رايتان سوداوان؛ إحداهما أعطاها عليّ بن أبي طالب، والأخرى مع الأنصار.

وكانت إبل أصحاب رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- سبعين بعيراً يعتقبونها، وكان رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- وعليّ بن أبي طالب يَعْتَقِبَانِ بعيراً، وسار النّبيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- [٨٧/ظ] والمهاجرون والأنصار حتّى نزل سَجْسَج[1]، وهي بئر الرَّوْحاء، ثُمَّ ارتحل منها، حتّى إذا كان قريباً من الصَّفْراء[2] بعث رَجُلين يتحسَّسان له أخبار أبي سُفْيان بن حَرْب.

(١) انظر: معجم ما استعجم ٣/٧٢٤.
(٢) انظر: معجم البلدان ٣/٣٩٩.

وتقدَّم -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- حتَّى انتهى إلى واد يُقال له: ذَفِرَان[1]، وجزع فيه، ثُمَّ نزل، فأتاه خبر قُرَيش بخروجهم ليمنعوا عيرهم، فاستشار النَّاس، فأجابوا وأحسنوا الجواب، فقال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ-: "سِيْرُوا وَأَبْشِرُوا فإنَّ الله قد وَعَدَنِي إِحْدَى الطَّائفتين، والله لَكَأَنِّي [الآن][2] أنظر إلى مصارع القوم".

ثُمَّ ارتحل رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- من ذَفِران، فنَزَل قريباً من بَدْر، فلَمَّا أمسى بعث عليّ بن أبي طالب -عليه السّلام- في جماعة من المسلمين يلتمسون خبر قُرَيش إلى ماء بدر، فوجدوا راية لقُرَيش مع أَسْلَمَ غُلامِ بني الحجَّاج، وعَرِيْضٍ أبي يَسار غُلامِ بني العَاص [بن سَعيد][3] فأسروهما، وأتوا بهما إلى رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ-، فقال: أخبراني عن قُرَيش؟ قالا: هم وراء هذا الكَثِيب الذي ترى بالعُدْوة القُصْوى. -والكثيب العَقَنْقَل.

فقال لهما رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ-: كم عدد [٨٨/و] القوم؟ قالا: كثير. [قال ما عدَّتهم؟][4] قالا: لا ندري عدَّتهم. قال: كم يَنْحرون كلَّ يوم؟ قالا: يوماً تِسْعاً، ويوماً عشراً. فقال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ-: القوم فيما بين الألف والتّسع مئة. وسألهما: من فيهم من أشراف

(١) انظر: معجم البلدان ٢/٧٢٠-٧٢١.
(٢) زيادة من السِّيرة النَّبوية.
(٣) زيادة من السِّيرة النَّبوية.
(٤) زيادة من السِّيرة النَّبوية.

قُرَيش؟ فذكراهم له. فقال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- لأصحابه: "هذه مكّة قد أَلْقَتْ إليكم أَفْلاذَ كَبِدها".

أمَّا أبو سُفْيان فإنَّه مال بعيره عن الطَّريق، وترك بَدْراً عن اليسار، ولَمَّا علم أبو سُفْيان أنَّه قد نجا بالعِيْر، أرسل إلى قُرَيش وأمرهم أن يرجعوا، فأبت [١١٥] ذلك قُرَيش بعد أن تنازعوا بالرَّأْي، /ومضوا حتَّى انتهوا إلى العُدْوة القُصْوى من الوادي، خلف العَقَنْقَل وبطن الوادي، وهو يَلْيَل، [بين](١) بَدْرٍ [والعَقَنْقَل الكثيب الذي خلفه قُرَيش،](٢) والقُلُب بِبَدْر في العُدْوة الدُّنيا من بطن يَليل إلى الْمَدينة.

[ارتحال قُرَيش]

ونهض -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- حتَّى أتى أدنى ماء من القوم، فنزل عليه، ثُمَّ أمر بالقُلُب فَغُوِّرَت، وبنى حوضاً على القَلِيْب الذي نزل عليه، فَمُلِئ ماءً.

فلَمَّا أصبحت قُرَيش، أقبلت، فلَمَّا رآها رسول الله تَصَوَّب من [العَقَنْقَل -وهو](٣) الكثيب الذي جاؤوا [٨٨/ظ] منه إلى الوادي-، قال: "اللَّهُمَّ هذه قُرَيْش قد أقبلت بخُيَلائها وفَخْرِها تُحادُّكَ وتُكَذِّب رَسُولَكَ، اللَّهُمَّ فَنَصْرَكَ الَّذي وعدتني اللَّهُمَّ أَحِنْهم الغَداةَ".

(١) زيادة من السِّيرة النَّبوية.

(٢) زيادة من السِّيرة النَّبوية.

(٣) زيادة من السِّيرة النَّبوية.

ورأى رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- عُتْبَة بن رَبِيْعَة في القوم على جمل له أحمر، فقال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آله-: "إنْ يَكُنْ في أحدٍ من القوم خيرٌ فعند صاحب الجمل الأحمر، إنْ يُطيعوه يَرْشُدوا".

وعُتْبَة فيمن قُتِلَ يوم بَدْر، ولم يُرَ فيه شيء من الخير.

وقول رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- الحقّ، ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾[النجم: ٣].

وإنَّما كان ذلك بمن كان <من أولاده>(١) من أتباع الأئمَّة من آل رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ.

[تشاور قُرَيش في الرُّجوع عن القتال]

ولَمَّا اطمأنت قُرَيش، بعثوا عُمَير بن وَهْب الجُمَحيّ، فقالوا: احْزِر لنا أصحاب محمَّد. فجال بفرسه حول العسكر، ثُمَّ [رجع إليهم](٢) فقال: هم ثلاث مئة رَجُل، يزيدون قليلاً أو ينقصون، و[لكن](٣) أَمْهِلُوني لأنظر إليهم أَلَهُمْ كَمِيْنٌ أو مَدَد؟

/[قال:](٤) فضرب في الوادي حتَّى أَبْعَدَ، فلم يَرَ شيئاً، فرجع إليهم، [١١٦] وقال: ما وجدت شيئاً، ولكنِّي قد رأيت، [٨٩/و] يا معشر قُرَيش؛ البلايا تحمل المنايا، نَواضِحُ يَثْرِب تحمل الموت النَّاقع، قومٌ لا مَنْعَة لهم ولا مَلْجَأ إلاَّ

(١) زيادة من "ب".

(٢) زيادة من السِّيرة النَّبوية.

(٣) زيادة من السِّيرة النَّبوية.

(٤) زيادة من السِّيرة النَّبوية.

سيوفهم، والله ما أرى أن يُقْتَل رَجُلٌ منهم حتَّى يَقْتل رَجُلاً منكم، فإذا أصابوا منكم كعددهم فلا خير في عيش بعد ذلك!

وقام عُتْبَة بن رَبيعة، فعزل قُرَيشاً، وسألهم ترك القِتال والموادعة، فقال أبو جَهْل: "انتفخ والله سَحْرُكَ"[١] حين رأيتَ محمَّداً وأصحابه، كلا -والله- لا نرجع حتَّى يحكم الله بيننا وبين محمَّد، وما عُتْبَة إلاَّ نظر محمَّداً وأصحابه كأَكَلَة جَزُور، وفيهم ابنه، فقد تخوَّفكم عليه.

فلَمَّا بلغ عُتْبَة قوله: "انْتَفَخَ سَحْرُهُ". قال: سيعلم مُصَفِّرُ اسْتِه مَنْ انْتَفَخَ سَحْرُهُ أنا أم هو!.

ثُمَّ التمس عُتْبَة بَيْضَةً لِيُدْخلها في رأسه، فلم يجدها لِعظْم هامَتِهِ؛ فلَمَّا رأى ذلك اعتجَر على رأسه بِبُرْد له.

[مقتل الأَسْوَد الْمَخْزوميّ]

وخرج الأَسْوَد بن عبد الأَسَد الْمَخْزومِيّ، فقال: لأَشْرَبَنَّ من حوض محمَّد، ولأَهْدِمَنَّهُ أَوْ لأَمُوتَنَّ دونه.

فلَمَّا خرج، [٨٩/ظ] دلف إليه حَمْزَة بن عبد الْمُطَّلب -رضي الله عنه- فلَمَّا التقيا ضربه حَمْزَة، فأطَنَّ قدمه بنصف ساقه -أي قطعها-، فوقع على ظهره تَشْخُب رجله دَماً، ثُمَّ حَبا إلى الحَوض، حتَّى اقتحم فيه، يريد أن يبرّ قسمه -بزعمه-، فاتَّبعه حَمْزَة -عليه السَّلام-، فضربه في الحَوض حتَّى قتله.

(١) انظر: سوائر الأمثال على أفعل ١٦٠.

[دعاء عُتْبَة إلى المبارزة]

ثُمَّ خرج بعده عُتْبَة بن رَبيْعَة، بين أخيه شَيْبَة بن رَبيْعَة وابنه الوَليد بن عُتْبَة، حتَّى إذا برز من الصَّفِّ دعا إلى المبارزة، فخرج إليهم: عَوْف ومُعَوَّذ ابنا الْحَارِث -وأمّهما عَفْراء- ورَجُل آخر، وكلّهم من الأنصار، ويُقال: إنَّ الرَّجُل هو عبد الله بن رَواحَة، فقالوا: مَنْ أنتم؟ فقالوا: رَهْط من الأنصار. قالوا: ما لنا بكم من حاجة.

[١١٧] /ثُمَّ نادى مُناديهم: يا محمَّد أَخْرِج إلينا أكْفاءَنا من قومنا. فقال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ-: قُمْ يا عُبَيْدَة بن الْحَارِث، وقُمْ يا حَمْزَة، وقُمْ يا عليّ.

فلَمَّا قاموا ودنوا منهم، قالوا: من أنتم؟

فانتموا إليهم، فقالوا: أَكْفَاء كرام.

فبارز عُبَيْدَةُ، وكان أَسَنَّ القوم، عُتْبَةَ بن رَبيْعَة، [٩٠/و] وبارز حَمْزَةُ -عليه السَّلام- شَيْبَةَ بن رَبيْعَة، وبارز عليٌّ -عليه السَّلام- الوَليدَ بن عُتْبَة.

وكان عليّ -عليه السَّلام- أصغر القوم سِنّاً -ابن ثماني عشرة سنة، وقيل: لم يبلغ العشرين-، فلم يُمْهِل الوَليد أن قتله، ولم يمهل حَمْزَة -عليه السَّلام- شَيْبَة أن قتله، وعطفا على عُتْبَة وقد اختلف بينه وبين عُبَيْدَة ضربتان؛ أثخن كلّ واحد منهما صاحبه، وقد قطع عُتْبَة رِجْل عُبَيْدَة، فأبانها من ساقه، فَذَفَّفَ عليّ وحَمْزَة -عليهما السَّلام- [بأسيافهما][١] على عُتْبَة، واحتملا

(١) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة.

صاحبهما إلى عسكر المسلمين.

[التقاء الفريقين]

ثُمَّ تزاحف النَّاس ودنا بعضهم من بعض، وقد أمر رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- أصحابه أن لا يحملوا حتَّى يأمرهم، وقال: "إن اكْتَنَفكم القومُ فانْضَحوهم عنكم بالنَّبْل".

وقد ترك المسلمون رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- في عريش خلفهم، وقالوا: إنْ هزمنا العدوّ ففي حياتك بقاءنا. وانحاز إليه أبو بَكْر ولم يُقاتل.

ورُوِيَ عن الباقر محمَّد بن عليّ -عليه السّلام-، أنّه قال[١]:

إنّ رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- عدَّل صُفوف أصحابه يوم بَدْر، وأمرهم [٩٠/ظ] أن لا يبرح أحد عن مركزه، ومن حمل على المشركين؛ فليكن رجوعه إلى مكانه، ورجع -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- إلى العَريش، وقال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- لأصحابه: "أبْشِرُوا هذا جَبْرَائِيْل آخذٌ بعِنَان فَرَسٍ يَقُوده، على ثَنَايَاهُ النَّقْعُ".

[تحريض المسلمين على القتال]

[١١٨] /ثُمَّ خرج رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- إلى النَّاس، فحرَّضهم، وقال: "والذي نَفْسُ محمَّد بيده، لا يُقاتلهم اليوم رَجُلٌ فيقتل صابراً مُحتَسِباً مُقْبِلاً غير مُدْبِر، إلاَّ أدخله الله الجنَّة".

(١) انظر: السِّيرة النَّبويَّة ٦٢٦/٢.

وحمي الوطيس، وصبر المسلمون، ثُمَّ إنّ رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- أخذ كفّاً من الحصى، فاستقبل قُرَيْشاً، وقال: "شَاهَتِ الْوُجُوهُ". ثُمَّ نضحهم به، وأمر أصحابه، فقال: "شدّوا". فكانت الهزيمة.

وأبلى عليّ وحَمْزَة -رضي الله عنهما-، ورأى النَّاس من عليّ -عليه السّلام- من الشّدَّة والبأس، والصّبر في المراس، ما لم يظنّوا أنّه يكون من أحد من الآدميين، على حداثة سنّه.

فانهزم المشركون، ومنح الله المسلمين النَّصر يقتلون ويأسرون.

[ذِكْرُ مَنْ قتل ببَدْر من المشركين]

فقتل عليّ بن أبي طالب -عليه السّلام-: العاص [بن سعيد بن العاص] ابن أُمَيَّة، وعُقْبَة بن أبي مُعَيط [٩١/و] من بني أُمَيَّة بن عبد شَمْس.

وعَامر بن عبد الله، من بني أنْمَار بن بَغِيْض حَليفاً لهم.

وطُعَيْمَة بن عَدِيّ بن نَوْفَل.

ونَوْفَل بن خُوَيْلد بن أَسَد، وهو ابن العَدَوِيَّة، عَدِيّ خُزاعَة، وهو الذي قَرَن أبا بَكْر بن أبي قُحَافة، وطَلْحَة بن عُبَيْد الله لَمَّا أسْلَما في حَبْل، وكان من شياطين قُرَيش.

والنَّضْر بن الْحَارث من بني عبد الدَّار، قتله صبراً عند رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- بالصَّفْراء.

وعُمَيْر بن عُثْمان [من] بنـ[ـي] تَيْم [بن مُرَّة][١].

(١) زيادة من السِّيرة النَّبوية.

وحَرْمَلَة بن عَمْرو حَليف بني مَخْزُوم.

ومَسْعود بن [أبي] أُمَيَّة [بن الْمُغيْرَة] <الْمَخْزُوميّ.>(١)

وأبو قَيْس بن الفاكِه بن الْمُغيْرَة <من بني مخزوم.>(٢)

وعبد الله بن الْمُنْذِر بن أبي رِفاعة.

وحاجِب بن السَّائب.

[١١٩] /وأبو العاص بن أُمَيَّة بن الحجّاج السَّهْمِيّ.

وأَوْس بن [مِعْيَر بن](٣) لوذان بن جُمَح.

ومُعاوِيَة بن عَامِر، من عبد القَيْس حَليف [لهم.](٤)

وقد ذكرنا قتله –عليه السَّلام– الوَليد بن عُتْبَة مُبارزة.

فهؤلاء الذين انفرد عليّ –عليه السّلام– بقتلهم.

[٩١/ظ] واشترك هو وحَمْزَة بن عبد الْمُطَّلِب –عليهما السّلام–، وعُبَيْدَة بن الْحَارِث –رضوان الله عليهم– في قتل: عُتْبَة بن رَبِيْعَة –كما ذكرنا.

واشترك حَمْزَة وعليّ –عليهما السّلام– وزَيْد بن حارِثَة في قتل حَنْظَلَة ابن أبي سُفْيان.

وزمعة بن الأَسْوَد بن الْمُطَّلِب، اشترك في قتله عليّ وحَمْزَة –عليهما السّلام.

(١) زيادة من السِّيرة النَّبوية.

(٢) زيادة من السِّيرة النَّبوية.

(٣) زيادة من السِّيرة النَّبوية.

(٤) زيادة من السِّيرة النَّبوية.

وعَقِيْل بن الأَسْوَد بن الْمُطَّلِب، اشترك في قتله عليّ وحَمْزَة –عليهما السّلام.

وشَيْبَة بن رَبِيعة، –كما قد ذكرنا– قتله حَمْزَة بن عبد الْمُطَّلِب–عليه السّلام– مُبارزة.

وأبو قَيْس بن الوَليد بن الْمُغيْرَة، قتله حَمْزَة –عليه السّلام–، ويُقال: بل قتله عليّ بن أبي طالب –عليه السّلام.

والأَسْوَد بن عبد الأَسَد الْمَخْزوميّ، قتله حَمْزَة بن عبد الْمُطَّلِب–عليه السّلام.

ونُبَيْه بن الحجَّاج بن عَامِر، قتله حَمْزَة بن عبد الْمُطَّلِب–عليه السّلام. وقيل: اشترك في قتله هو وسَعْد بن أبي وقَّاص.

والْحَارِث بن الْحَضْرَمِيّ قتله عَمَّار بن ياسِر –رضي الله عنه.

وعُمَيْر بن أبي عُمَيْر وابنه –موليان لبني عبد شَمْس،– قتلهما سالم مولى أبي حُذَيْفَة.

وعُبَيْدَة بن سَعيد بن العاص بن أُمَيَّة، قتله [٩٢/و] الزُّبَيْر بن العَوَّام.

والْحَارِث بن عَامِر بن نَوْفَل بن عبد مَناف، قتله خُبَيْبُ بن إِسَاف، أخو بني الْحَارِث بن الْخَزْرَج.

والْحَارِث بن زمعة بن الأَسْوَد، قتله عَمَّار بن ياسِر.

وأبو البَخْتَري وهو العاص بن هِشام، قتله الْمُجَذَّر بن ذِياد البَلَوِيّ(١).

[١٢٠] /وزَيْد بن مُلَيْص، قتله بِلال بن رَباح، وزَيْد حَليف لبني عبد الدَّار. ويُقال: قتله الْمِقْداد بن الأَسْوَد.

وعُثْمان بن مالِك بن كَعْب، قتله صُهَيْب بن سِنان.

وأبو جَهْل بن هِشام [–واسمه عَمْرو بن هِشام بن الْمُغيرة بن عبد الله بن عَمْرو بن مَخْزوم–](٢) اشترك في قتله، مُعاذ بن عَمْرو بن الْجَمُوح، ومُعَوَّذ بن عَفْراء، وعبد الله بن مَسْعود.

والعاص بن هِشام، قتله عمر بن الخطَّاب.

ويَزِيد بن عبد الله، حَليف لبني مَخْزُوم، وكان شجاعاً قتله عَمَّار بن ياسِر.

وأبو مُسافِع الأشْعَريّ، حَليف لهم، قتله أبو دُجانَة السَّاعِدِيّ.

ورِفاعَة بن أبي رِفاعَة الْمَخْزوميّ، قتله سَعْد بن الرَّبيع أخو بلحارث بن الْخَزْرَج.

والْمُنْذِر بن أبي رِفاعة، قتله مَعْن [٩٢/ظ] بن عَدِيّ، حَليف بن عبيد الله بن زَيْد بن مالِك بن عَمْرو بن عَوْف.

والسَّائِب بن أبي السَّائب الْمَخْزُوميّ، قتله الزُّبَيْر بن العوَّام.

وعُوَيْمر بن السَّائِب، قتله النُّعْمان بن مالِك القَوْقَلِيّ.

(١) ولدى ابن هشام [السيرة ٢/٧١١]: "والعاص بن هشام .. قتله عمر بن الخطَّاب".

(٢) زيادة من السِّيرة النَّبوية.

وعَمْرو بن سُفْيان، قتله يَزيد بن رُقَيْش.

وجابِر بن سُفْيان، قتله أبو بُرْدَة بن نِيَار.

ومنبِّه بن الحجَّاج بن عَامِر، قتله أبو اليَسَر، أخو بني سَلَمة.

[وابنه العاص بن مُنَبِّه بن الحجَّاج، قتله حمزة بن عبد المطلب وسعد بن أبي وقَّاص اشتركا فيه.

وأبو العاص بن قَيْس بن عَدِيّ بن سعد بن سهم، قتله عليّ بن أبي طالب؛ ويقال: النُّعمان بن مالِك القَوْقَليّ، ويُقال: أبو دُجانة.](١)

وعاصِم بن أبي عَوْف بن ضُبَيْرَة من بني سَهْم، قتله أبو اليَسَر أيضاً.

وأُمَيَّة بن خَلَف بن وَهْب من بني جُمَح، قتله مُعاذ بن عَفْراء، وخارجة ابن زَيْد، وخُبَيْب بن إسَاف اشتركوا في قتله.

وابنه علي بن أُمَيَّة، قتله عَمَّار بن ياسِر.

/ومَعْبَد بن وَهْب، حَليف لهم من بني كَلْب، قتله خالد وإيَّاس ابنا [١٢١] البُكَيْر، ويُقال: أبو دُجَانَة.

فكان الذي أُحْصِي من قتلى بَدْر من المشركين خمسين رَجُلاً.

وقيل: كان قتلى بَدْر سبعون رَجُلاً، والأسرى كذلك. وهو قول ابن عبَّاس، [وسَعيد بن الْمُسيَّب.](٢)

وفي كتاب الله –تعالى–: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا﴾[آل عمران: ١٦٥]. وذلك في يوم أُحد. –وكان [٩٣/و] من استشهد يوم أحد من

(١) زيادة من السِّيرة النَّبوية.

(٢) زيادة من السِّيرة النَّبوية.

المسلمين سبعين رَجُلاً- يقول الله -تعالى-: قد أصبتم مثليها يوم بَدْر بمن استشهد يوم أُحد: سبعين قتيلاً، وسبعين أسيراً.

وأنشد كَعْب بن مالك(١):

وَأُصِيبَ بِالْعَطَنِ الْمُعَطَّنِ مِنْهُمُ سَبْعُونَ عُتْبَةُ مِنْهُمُ وَالأَسْوَدُ

[تسمية من استشهد من المسلمين ببَدْر]

واستشهد يوم بَدْر من المسلمين أرْبَعة عشرَ رَجُلاً؛ من المهاجرين ستّة وهم:

عُبَيْدَة بن الْحَارِث قُطِعَت رِجْله ومات بالصَّفْراء.

وعُمَير بن أبي وقّاص، <أخو سعد بن أبي وقّاص.>(٢)

وذو الشِّمالين [عُمَيْر] بن عبد عَمْرو بن نَضْلة، حَليف لبني زُهْرَة من خُزاعَة، ثُمَّ من بني غُبْشان.

ومن بني عَدِيّ بن كَعْب بن لُؤَيّ: عاقل بن [أبي](٣) البُكَيْر، وهو حَليف لهم.

ومِهْجَع مولى عمر بن الخطاب.

وصَفْوان بن بَيْضاء من بني فِهْر.

وثمانية من الأنصار:

من بني عَمْرو بن عَوْف: سَعْد بن خَيْثَمة، ومُبَشِّر بن عبد الْمُنْذِر بن زَنْبَر.

---

(١) انظر: ديوانه ١٦٠.

(٢) زيادة من "ب".

(٣) زيادة من السِّيرة النَّبوية.

/ومن بني الْحَارِث بن الْخَزْرَج: يَزيد بن الْحَارِث، وعُمَير بن الْحُمام، [١٢٢] [٩٣/ظ] ورافِع بن الْمُعَلَّى، وحارِثَة بن سُراقَة، وعَوْف ومُعَوِّذ ابنا الْحَارِث ابن رِفاعة، وهما ابنا عَفْراء -رحمة الله عليهم.

[استشهاد عُبَيْدَة بن الحارث]

وقسَّم رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- الغنائم بين أصحابه، وسار وقد وكّل بالأسارَى من يحفظهم، فلَمَّا انتهى إلى الصَّفْراء، لحق عُبَيْدَة ابن الْحَارِث بن عبد الْمُطَّلب بن هاشم بن عبد مَناف، وكان قد قدّمه قبلها وهو يجود بنفسه، وقد سال مخّ ساقه، فقال: يا رسول الله؛ لقد صدق أبو طالب في قوله(١):

وَنُسْلِمُهُ حَتَّى نُصَرَّعَ حَوْلَهُ وَنَذْهَلُ عَنْ أَبْنَائِنَا وَالْحَلائِلِ

ولو رأى أبو طالب هذه لسرّه. فأثنى عليه رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ-، وعليّ بن أبي طالِب، ومات عُبَيْدَة -رحمة الله ورضوانه- بالصَّفْراء.

[مقتل النَّضْر وعُقْبَة]

وهنالك أمر النَّبيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- عليًا -عليه السَّلام- بقتل النَّضْر بن الْحَارِث.

ولَمَّا كان بعرق الظُّبْيَة أمر بقتل عُقْبَة بن أبي مُعَيط، فقال عُقْبَة حين أمر رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- بقتله: فمن للصِّبْيَة ؟ قال -صَلَّى اللهُ

---

(١) انظر: ديوانه ٧٤.

عَلَيْهِ وعَلَى آلِه–: "النَّار". فضرب عُنُقه [٩٤/و] عليّ –عليه السّلام–، وقيل: عاصِم بن ثابت <بن>(١) [أبي](٢) الأَقْلَح.

[ذكر رجوعه –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِه– من بَدْر إلى المدينة]

ورجع رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِه– إلى الْمَدِينة، فمَنَّ من الأسارَى على مَنْ مَنَّ عليه، وأمر بعضهم أن يفدي نفسه، وكان فيمن أُسِرَ يوم بَدْر العبَّاس بن عبد الْمُطَّلِب، عمّ رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آله–، وعَقِيْل بن أبي طالِب، وكانت قُرَيش قد أخرجتهما مُسْتكرهين، وقد قال [١٢٣] رسول الله /–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِه– للمسلمين: "من قد قدرتم أن تأسروه من بني هاشِم فلا تقتلوه، فإنَّهم أُخرجوا مُسْتَكرهين".

فأُسِرَ العبَّاس، وعَقِيْل بن أبي طالب، وقال رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِه– للعبَّاس: "افْدِ نَفْسك وابن أخيك فإنَّه لا مال له". قال العبَّاس: وأنا فما عندي شيء. فقال له رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آله–: "فأين المال الذي دفعته يوم خروجك من مكّة إلى أمّ الفضل؟ وقلت لها: إنْ أُصِبْتُ فَلِعَبْدِ الله "كَذَا"، ولِلفَضْلِ "كَذَا؟". وذكر له ما قال لها، فقال العبَّاس: ما سمع منِّي هذا غيرها، وما أطلعتُ على ذلك إلاّ الله، فأشهد أن لا إله إلاّ الله، وأنَّك رسول الله. وشهد بها عَقِيْل، وفدى العبَّاس نفسه وعَقِيْلاً.

(١) زيادة من "ب".

(٢) زيادة من السّيرة النّبوية ٢/٦٤٤.

[وصول خبر مصاب أهل بَدْر إلى أهاليهم بمكّة]

وعن [٩٤/ظ] أبي رافِع مولى رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِه- قال(١):

"كنتُ غُلاماً للعبَّاس بن عبد الْمُطَّلِب، وكان الإسلام قد عَمَّنا أهل البيت، فأسلم العبَّاس وأسلمت أمّ الفضل، وكان العبَّاس يهاب قومه ويكره خِلافهم ويَكْتُمهم إِسْلامَهُ، وكان ذا مال كثير مُتَفَرِّق في قومه.

وكان أبو لهب قد تخلَّف عن بَدْر، وبعث مكانه العاصي بن هِشام بن الْمُغيْرَة، فلمَّا جاءَه الخبر بمُصاب أهل بَدْر من قُرَيش، كبته الله وأخزاه، ووجدنا في أنفسنا قوّةً وعِزاً.

قال: وكنتُ أَنْحَتُ الأَقْداح بحُجْرة زَمْزم، فوالله إنِّي أَنْحَتُ فيها أَقْداحي، وعِنْدي أُمّ الفَضْل إمرأة العبَّاس بن عبد الْمُطَّلِب، وقد سرَّنا ما جاءنا من الخبر، إذْ أقبل أبو لهب يجر رِجْلَيْه، حتَّى جلس على طُنُب الحُجْرة، فكان ظهرُه إلى ظهري، فبينما هو جالسٌ إذْ قال النَّاسُ: هذا أبو سُفْيان بن الْحَارِث ابن عبد الْمُطَّلِب قد قدم. فقال أبو لهب: هلمّ إليَّ؛ فعندك –لعمري– الخبرُ. قال: فجلس إليه والنَّاس قيامٌ عليه، فقال: يابن أخي؛ أخبرني كيف كان أمر النَّاس؟ قال: والله ما هو إلا أن لَقِينا القومَ فَمَنَحْناهم [٩٥/و] أكتافَنا يقتلوننا ويقودوننا كيف شاءوا، ويأسروننا كيف شاءوا، و[أَيْمُ الله](٢) مع ذلك ما لُمْتُ النَّاس، لقينا رِجالاً بيضاً، على خيل بَلْق بين السَّماء والأرض، والله ما

(١) انظر: السّيرة النّبوية ٢/٦٤٦-٦٤٧.

(٢) زيادة من السّيرة النّبويّة.

تُليق شيئاً، [ولا يقوم لها شيء.

[١٢٤] /قال أبو رافع: فَرَفَعْتُ طُنُب الحُجرة بيدي ثُمَّ][1] قلتُ: تلك والله الملائكة. قال: فرفع أبو لهب يده فضرب بها وجهي ضربةً شديدةً.

[قال:][2] وثاوَرْتُه فاحتملني فضرب بي الأرض، ثُمَّ برك على صدري، وأقبلت أم الفَضْل إلى عمود من عمد الحُجرة، فضربت بها أبا لهب ضربة شقّت في رأسه [شجّةً مُنْكرة،] وقالت: استضعفته أن غاب عنه سيِّدُه. فقام مُولياً ذليلاً، فو الله ما عاش إلا سبع ليال، حتّى رماه الله بالعَدَسة فقتله، وأراح الله منه".

[ماقيل من الشِّعْر في يوم بَدْر]

وقال عليٌّ بن أبي طالب –عليه السّلام– يوم بَدْر[3]:

أَلَمْ تَـرَ أَنَّ اللهَ أَبْلَـى رَسُـولَهُ … بَلاَءَ عَزِيْزٍ ذي اقْتِدَارٍ وَذي فَضْلِ

بِمَا أَنْـزَلَ الْكُفَّـارَ دَارَ مَذَلَّـةٍ … فَلاَقَوْا هَوَاناً مِنْ إِسَارٍ وَمِنْ قَتْـلِ

فَأَمْسَى رَسُولُ اللهِ قَدْ عَزَّ نَصْرُهُ … وَكَانَ رَسُولُ اللهِ أُرْسِلَ بِالْعَـدْلِ

فَجَاءَ بِفُرْقَـانٍ مِـنَ اللهِ مُنْـزَلٍ … مُبَيَّنَـةٌ آيَاتُـهُ لِـذَوِي الْعَقْـلِ

[٩٥/ظ] فَآمَنَ أَقْـوَامٌ بِـذَاكَ وَأَيْقَنُـوا … فَأَمْسَوْا بِحَمْدِ اللهِ مُجْتَمِعِي الشَّمْلِ

وَأَنْكَرَ أَقْوَامٌ فَزاغَـتْ قُلُـوبُهُمْ … فَزادَهُمُ ذُو الْعَرْشِ خَبْلاً عَلَى خَبْلِ

(١) زيادة من السّيرة النّبويّة.

(٢) زيادة من السّيرة النّبويّة.

(٣) انظر: ديوانه ١١٤–١١٥.

وَأَمْكَنَ مِنْهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ رَسُـولَهُ … وَقَوْماً غِضَاباً فِعْلُهُمْ أَحْسَنُ الْفِعْلِ

بِأَيْدِيهِمُ بِيْضٌ خِفَافٌ عَصَوْا بِهَا … وَقَد حادَثُوهَا بِالْجَلاَءِ وَبِالصَّقْلِ

فَكَمْ تَرَكُوا مِنْ نَاشِئٍ ذِي حَمِيَّةٍ … صَرِيْعاً وَمِنْ ذِي نَجْدَةٍ مِنْهُمُ كَهْلِ

تَبِيْتُ عُيُونُ النَّائِحَـاتِ عَلَـيْهِمُ … تَجُودُ بِإِسْبَالِ الرَّشَاشِ وَبِالْوَبْـلِ

نَوائِحَ تَنْعَى عُتْبَةَ الْغَـيِّ وَابْنَـهُ … وَشَيْبَةَ تَنْعَاهُ وَتَنْعَى أَبَـا جَهْـلِ

وَذَا الذَّحْلِ تَنْعَى وابْنُ جُدْعَانَ فِيْهِمُ … مُسَـلَّبَةً حَرَّى مُبَيَّنَةُ الثُّـكْلِ

ثَوَى مِنْهُمُ فِي بِئْرِ بَدْرٍ عِصَـابَةٌ … ذَوِي نَجَدَاتٍ فِي الْحُرُوبِ وَفِي الْمَحْلِ

دَعَا الغَيُّ مِنْهُم مَنْ دَعَا فَأَجَابَـهُ … وَلِلْغَيِّ أَسْبَابٌ مُرَمَّقَـةُ الْوَصْـلِ

فَأَضْحَوْا لَدَى دَارِ الْجَحِيْمِ بِمَعْـزِلٍ … عَنْ الشَّغْبِ وَالْعُدْوَانِ فِي أَشْغَلِ الشُّغْلِ

[١٢٥] /وقال حَمْزَة بن عبد المُطَّلب يوم بَدْر[1]:

أَلَمْ تَرَ أَمْراً كَانَ مِنْ عَجَبِ الدَّهْرِ … وَلِلْحَيْنِ أَسْـبابٌ مُبَيَّنَـةُ الأَمْـرِ

وَمَا ذَاكَ إِلاَّ أَنَّ قَوْمـاً أَفَـادَهُمْ … فَحَانُوا تَوَاصٍ بِالْعُقُوقِ وَبِـالْكُفْرِ

عَشِيَّةَ رَاحُوا نَحْوَ بَدْرٍ بِجَمْعِهِـمْ … فَكَانُوا رُهُوناً لِلرَّكِيَّةِ مِـنْ بَـدْرِ

[٩٦/و] وَكُنَّا طَلَبْنَا الْعِيْرَ لَمْ نَبْغِ غَيْرَهَـا … فَسَارُوا إِلَيْنَا فَالْتَقَيْنَا عَلَـى قَـدْرِ

فَلَمَّا الْتَقَيْنَا لَمْ تَكُـنْ مَثْنَوِيَّـةٌ … لَنَا غَيْرَ طَعْنٍ بِالْمُثَقَّفَـةِ السُّـمْرِ

وَضَرْبٍ بِبِيْضٍ يَخْتَلِي الْهَامَ حَـدُّهَا … مُشَهَّرَةَ الأَلْـوَانِ بَيِّنَـةَ الأُثْـرِ

وَنَحْنُ تَرَكْنَا عُتْبَةَ الغَـيِّ ثَاوِيـاً … وَشَيْبَةَ فِي الْقَتْلَى تَجَرْجَمَ فِي الْجَفْرِ

وَعَمْرٌو ثَوَى فِيمَنْ ثَوَى مِنْ حُمَـاتِهِمْ … فَشُقَّتْ جُيُوبُ النَّائِحَاتِ عَلَى عَمْرِو

(١) انظر: السِّيرة النبويّة ٣/٨-٩.

جُيُوبُ نسَاءٍ مِنْ لُؤَيِّ بن غالِــب ... كرامٍ تَفَرَّعْنَ الذَّوائِبَ مِنْ فِهْــرِ
أُوْلَئِكَ قَوْمٌ قُتِّلُوا فِــي ضَــلاَلِهِمْ ... وَخَلَّوْا لِوَاءً غَيْرَ مُحْتَضِرِ النَّصْــرِ
لِوَاءَ ضَلاَلٍ قَــادَ إِبْلِــيْسُ أَهْلَــهُ ... فَخَاسَ بِهِمْ، إِنَّ الْخَبِيْثَ إِلَى غَدْرِ
وَقَالَ لَهُمْ إِذْ عَايَنَ الأَمْرَ وَاضِــحاً ... بَرِئْتُ إِلَيْكُمْ مَا بِيَ الْيَوْمَ مِنْ صَبْرِ
فَإِنِّي أَرَى مَا لاَ تَــرَوْنَ وَإِنَّــنِي ... أَخَافُ عِقَابَ اللهِ واللهُ ذو قَسْــرِ
فَقَدَّمَهُمْ لِلْحَيْنِ حَتَّــى تَوَرَّطُــوا ... وَكَانَ بِمَا لَمْ يَخْبُرِ الْقَوْمُ ذا خُبْرِ
فَكانُوا غَدَاةَ البِئْرِ أَلْفاً وَجَمْعُنَــا ... ثَلاَثُ مِئِيْنٍ كَالْمُسَــدَّمَةِ الزُّهْــرِ
وَفِيْنَا جُنُــود اللهِ حِــيْنَ يُمِــدُّنَا ... بِهِمْ فِي مَقَامٍ ثُمَّ مُسْتَوْضَحِ الذِّكْرِ
فَشَدَّ بِهِمْ جِبْرِيْلُ تَحْــتَ لِوَائِنَــا ... لَدَى مَأْزِقٍ فِيْهِ مَنَايَاهُمُ تَجْــرِي

وقال عُبَيْدَة بن الْحَارِث بن عبد الْمُطَّلب عند منصرفه من بَدْر إلى الصَّفْراء[1]: [٩٦/ظ]

سَتَبْلُغُ عَنَّا أَهْلَ مَكَّــةَ وَقْعَــةٌ ... يَهُبُّ لَهَا مَنْ كَانَ عَنْ ذَاكَ نَائِيَــا
بِعُتْبَة إِذْ وَلَّى وَشَــيْبَةُ بَعْــدَهُ ... وَمَا كَانَ فِيْهَا بِكْرُ عُتْبَةَ رَاضِــيَا
فَإِنْ تَقْطَعُوا رِجْلِي فَإِنِّيَ مُسْــلِم ... أُرَجِّي بِهَا عَيْشــاً مِنَ اللهِ دَانِيَــا
[١٢٦] /مَعَ الْحُورِ أَمْثَالِ التَّمَاثِيْلِ أُخْلِصَتْ ... مَعَ الْجَنَّة العُلْيَا لِمَنْ كَانَ عَالِيَــا
وَبِعْتُ بِها عَيْشاً تعرَّفْتُ صَــفْوه ... وَعَالَجْتُهُ حَتَّى فَقَــدْتُ الأَدَانِيَــا
فَأَكْرَمَنِي الرَّحْمَنُ مِنْ فَضْلِ مَنِّــه ... بِثَوْبٍ مِنَ الإِسْلامِ غَطَّى الْمَسَاوِيَا
وَمَا كَانَ مَكْرُوهــاً إِلَيَّ قِتَــالُهُمْ ... غَدَاةَ دَعَا الأَكْفَاءَ مَنْ كَانَ دَاعِيَا

(١) انظر: السِّيرة النَّبويّة ٣/٢٣-٢٤.

[وَلَمْ يَبْغِ إِذْ سَأَلُوا النَّبِيَّ سَــوَاءَنَا ... ثَلاثَتَنَا حَتَّى حَضَــرْنَا الْمُنَادِيَــا]
لَقِيْنَاهُمُ كَالأُسْدِ تَخْطِــر بالقَنَــا ... نُقَاتِلُ فِي الرَّحْمَنِ مَنْ كَانَ عَاصِيَا
فَمَا بَرِحَتْ أَقْدَامُنَا مِــنْ مُقَامِنَــا ... ثَلاَثَتُنَا حَتَّــى أُزِيْــرُوا الْمَنَائِيَــا

وقال كَعْب بن مالك أخو بني سلمة[1]:

عَجِبْتُ لأَمْــرِ اللهِ وَاللهُ قَــادِرٌ ... عَلَى مَا أَرَادَ لَيْسَ لِلّــهِ قَاهِــرُ
قَضَى يَوْمَ بَدْرٍ أَنْ نُلاَقِيَ مَعْشَــراً ... بَغَوْا وَسَبِيْلُ الْبَغْيِ بِالنَّاسِ جَــائِرُ
وَقَدْ حَشَدُوا وَاسْتَنْفَرُوا مَنْ يَلِيْهِمُ ... مِنَ النَّاسِ حَتَّى جَمْعُهُمْ مُتَكَــاثِرُ
وَسَارَتْ إِلَيْنَا لاَ تُحَاوِلُ غَيْرَنَــا ... بِأَجْمَعِهَا كَعْبٌ جَمِيْعاً وَعَــامِرُ
وَفِيْنَا رَسُولُ اللهِ وَالأَوْسُ حَوْلَــهُ ... لَهُ مَعْقِلٌ مِنْهُمْ عَزِيــزٌ وَنَاصِــرُ
وَجَمْعُ بَنِي النَّجَّارِ تَحْتَ لِوائِــه ... يُمَشَّوْنَ فِي الْمَاذِيِّ وَالنَّقْعُ ثَــائِرُ [٩٧/و]
فَلَمَّا لَقِيْنَاهُمْ وَكُــلٌّ مُجَاهِــدٌ ... لأَصْحَابِه مُسْتَبْسِلُ النَّفْسِ صَابِرُ
شَهِدْنا بِــأَنَّ اللهَ لاَ رَبَّ غَيْــرُهُ ... وَأَنَّ رَسُولَ اللهِ بِــالْحَقِّ ظَــاهِرُ
وَقَدْ عُرِّيَتْ بِيْضٌ خِفَافٌ كَأَنَّهَــا ... مَقَابِيْسُ يُزْهِيْهَا لِعَيْنَيْكَ شَــاهِرُ
بِهِنَّ أَبَدْنَــا جَمْعَهُــمْ فَتَبَــدَّدُوا ... وَكَانَ يُلاَقِي الْحَيْنَ مَنْ هُوَ فَاجِرُ
فَكُبَّ أَبُو جَهْلٍ صَرِيْعاً لِوَجْهِــه ... وَعُتْبَةُ قَدْ غَادَرْنَهُ وَهْــوَ عَــاثِرُ
وَشَيْبَةَ وَالتَّيْمِيَّ غَادَرْنَ فِي الْــوَغَى ... وَمَا مِنْهُمُ إِلاَّ بِذِي الْعَرْشِ كَــافِرُ
فَأَمْسَوْا وَقُودَ النَّارِ فِي مُسْــتَقَرِّها ... وَكُلُّ كَفُورٍ فِي جَهَــنَّمَ صَــائِرُ
تَلَظَّى عَلَيْهِمْ وَهْيَ قَدْ شُبَّ حَمْيُهَــا ... بِزُبْرِ الحَدِيْدِ وَالْحِجَارَةِ سَــاجِرُ

(١) انظر: ديوانه ١٦٦-١٦٧.

وَكَانَ رَسُولُ اللهِ قَدْ قَالَ أَقْبِلُوا ... فَوَلَّوْا وَقَالُوا: إِنَّمَا أَنْتَ سَاحِرُ

لأَمْرٍ أَرَادَ اللهُ أَنْ يَهْلِكُوا بِهِ ... وَلَيْسَ لأَمْرٍ حَمَّهُ اللهُ زَاجِرُ

[١٢٧] /وقال حسَّان بن ثابت(1):

تَبَلَتْ فُؤَادَكَ فِي الْمَنَامِ خَرِيْدَةٌ ... تَشْفِي الضَّجِيْعَ بِبَارِدٍ بَسَّامِ

كَالْمِسْكِ تَخْلِطُهُ بِمَاءِ سَحَابَةٍ ... أَوْ عَاتِقٍ كَدَمِ الذَّبِيْحِ مُدَامِ

نُفُجُ الْحَقِيبَةِ بُوصُهَا مُتَنَضِّدٌ ... بَلْهَاءُ غَيْرُ وَشِيْكَةِ الأَقْسَامِ

بُنِيَتْ عَلَى قَطَنٍ أَجَمَّ كَأَنَّهُ ... فُضُلاً إِذا قَعَدَتْ مَدَاكُ رُخَامِ

[٩٧/ظ] /وَتَكَادُ تَكْسَلُ أَنْ تَجِيْءَ فِرَاشَهَا ... فِي لِيْنِ خَرْعَبَةٍ وَحُسْنِ قَوَامِ

أَمَّا النَّهَارُ فَمَا أُفَتِّرُ ذِكْرَهَا ... وَاللَّيْلُ تُوزِعُنِي بِهَا أَحْلاَمِي

أَقْسَمْتُ أَنْسَاهَا وَأَتْرُكُ ذِكْرَهَا ... حَتَّى تُغَيَّبَ فِي الضَّرِيْحِ عِظَامِي

يا مَنْ لِعاذِلَةٍ تَلُومُ سَفَاهَةً ... وَلَقَدْ عَصَيْتُ إِلَى الْهَوَى لُوَّامِي

بَكَرَتْ عَلَيَّ بِسُحْرَةٍ بَعْدَ الْكَرَى ... وَتَقَارُبٍ مِنْ حَادِثِ الأَيَّامِ

زَعَمَتْ بِأَنَّ الْمَرْءَ يَكْرُبُ عُمْرَهُ ... عَدَمٌ بِمُعْتَكِرٍ مِنَ الأَصْرَامِ

إِنْ كُنْتِ كَاذِبَةَ الَّذِي حَدَّثْتِنِي ... فَنَجَوْتِ مَنْجَى الْحَارِثِ بْنِ هِشَامِ

تَرَكَ الأَحِبَّةَ أَنْ يُقَاتِلَ دُونَهُمْ ... وَنَجَا بِرَأْسِ طِمِرَّةٍ وَلِجَامِ

تَذَرُ الْعَنَاجِيجَ الْجِيَادَ بِقَفْرَةٍ ... مَرَّ الدَّمُوكِ بِمُحْصَدٍ وَرِجَامِ

مَلأَتْ بِهِ الفَرْجَيْنِ فَارْمَدَّتْ بِهِ ... وَثَوَى أَحِبَّتُهُ بِشَرِّ مُقَامِ

وَبَنُو أَبِيْهِ وَرَهْطُهُ فِي مَعْرَكٍ ... نَصَرَ الإِلَهُ بِهِ ذَوِي الإِسْلاَمِ

(1) انظر: ديوانه ١/٢٩-٣٠.

طَحَنَتْهُمُ، وَاللهُ يُنْفِذُ أَمْرَهُ ... حَرْبٌ يُشَبُّ سَعِيْرُهَا بِضِرَامِ

لَوْلاَ الإِلَهُ وَجَرْيُهَا لَتَرَكْنَهُ ... جَزَرَ السِّبَاعِ وَدُسْنَهُ بِحَوَامِي

مِنْ بين مَأْسُورٍ يُشَدُّ وِثَاقُهُ ... صَقْرٍ إِذَا لاقَى الأَسِنَّةَ حَامِي

وَمُجَدَّلٍ لاَ يَسْتَجِيْبُ لِدَعْوَةٍ ... حَتَّى تَزُولَ شَوَامِخُ الأَعْلاَمِ

[٩٨/و] /بِالْعَارِ وَالذُّلِّ الْمُبَيِّنِ إِذْ رَأَوْا ... بِيْضَ السُّيُوفِ تَسُوقُ كُلَّ هُمَامِ

بِيَدَيْ أَغَرَّ إِذَا انْتَمَى لَمْ يُخْزِهِ ... نَسَبُ الْقِصَارِ سَمَيْدَعٍ مِقْدَامِ

بِيْضٌ إِذَا لاقَتْ حَدِيْداً صَمَّمَتْ ... كَالْبَرْقِ تَحْتَ ظِلاَلِ كُلِّ غَمَامِ

[١٢٨] /وقال كَعْب بن مالك يبكي عُبَيْدَة بن الْحَارِث(1):

أَيَا عَيْنُ جُودِي وَلاَ تَبْخَلِي ... بِدَمْعِكِ حَقّاً وَلاَ تَنْزُرِي

عَلَى سَيِّدٍ هَدَّنَا هُلْكُهُ ... كَرِيْمِ الْمَشَاهِدِ وَالْعُنْصُرِ

جَرِيْءِ الْمُقَدَّمِ شَاكِي السِّلاَحِ ... كَرِيْمِ الثَّنَا طَيِّبِ الْمَكْسِرِ

عُبَيْدَةُ أَمْسَى وَلاَ نَرْتَجِيْهِ ... لِعُرْفٍ عَرَانَا وَلاَ مُنْكَرِ

وَقَدْ كَانَ يَحْمِي غَدَاةَ القِتَا ... لِ حَامِيَةَ الْجَيْشِ بِالْمِبْتَرِ

وقالت هِنْدُ بنت أُثاثَة بن عبَّاد [بن] الْمُطَّلب ترثي عُبَيْدَة بن الْحَارِث(2):

لَقَدْ ضَمَّنَ الصَّفْراءُ مَجْداً وَسُؤْدُداً ... وَحِلْماً أَصِيْلاً وَافِرَ اللُّبِّ وَالْعَقْلِ

عُبَيْدَةَ فَابْكِيْهِ لأَضْيَافِ غُرْبَةٍ ... وَأَرْمَلَةٍ تَهْوِي لأَشْعَثَ كَالْجِذْلِ

(1) انظر: ديوانه ١٦٨.

(2) انظر السِّيرة النَّبويّة ٣/٤١-٤٢.

وَبَكِّيهِ لِلأَقْوَامِ فِي كُلِّ شَـــتْوَةٍ إِذَا احْمَرَّ آفَاقُ السَّمَاءِ مِنَ الْمَحْلِ
وَبَكِّيهِ لِلأَيْتَامِ وَالـــرِّيْحُ زَفْـــزَفٌ وَتَشْبِيْبِ قِدْرٍ طَالَمَا أَزْبَدَتْ تَغْلِي
فَإِنْ تُصْبِحِ النِّيْرَانُ قَدْ مَاتَ ضَـــوْؤُها فَقَدْ كَانَ يُذْكِيْهِنَّ بِالْحَطَبِ الْجَزْلِ
[٩٨/ظ] /لِطَارِقِ لَيْلٍ أَوْ لِمُلْتَمِسِ الْقِـــرَى وَمُسْتَنْبِحٍ أَضْحَى لَدَيْهِ عَلَى رِسْلِ

وقال طالب بن أبي طالب يمدح رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ–، ويبكي من أصيب من قُرَيش[1]:

أَلاَ إِنَّ عَيْنِي أَنْفَدَتْ دَمْعَهَا سَـــكْباً تُبَكِّي عَلَى كَعْبٍ وَمَا إِنْ تَرى كَعْبَا
أَلاَ إِنَّ كَعْباً فِي الْحُرُوبِ تَخَاذَلُوا وَأَرْدَاهُمُ ذَا الدَّهْرُ وَاجْتَرَحُوا ذَنْبَا
وَعَامِرُ تَبْكِي لِلْمُلِمَّـــاتِ غُـــدْوَةً فَيا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَرَى لَهُمَا قُرْبَا
هُمَا أَخَوَايَ لَـــنْ يُعَـــدَّا لِغَيَّـــةٍ تُعَدُّ وَلَنْ يُسْتَامَ جَارُهُمَـــا غَصْـــبَا
فَيَا أَخَوَيْنَا عَبْدَ شَـــمْسٍ وَنَـــوْفَلاً فِداً لَكُمَا لاَ تَبْعَثُوا بَيْنَنَا حَـــرْبَا
وَلاَ تُصْبِحُوا مِنْ بَعْـــدِ وُدٍّ وَأُلْفَـــةٍ أَحَادِيْثَ فِيْهَا كُلُّكُمْ يَشْتَكِي النَّكْبَا
أَلَمْ تَعْلَمُوا مَا كَانَ فِي حَرْبِ داحِسٍ وَجَيْشِ أَبِي يَكْسُومَ إِذْ مَلَؤوا الشِّعْبَا
[١٢٩] /فَلَوْلاَ دِفَاعُ اللهِ لاَ شَـــيْءَ غَيْـــرُهُ لأَصْبَحْتُمْ لاَ تَمْنَعُونَ لَكُمْ سِـــرْبَا
فَمَا إِنْ جَنَيْنَا فِي قُرَيْشٍ عَظِيْمَـــةً سِوَى أَنْ حَمَيْنَا خَيْرَ مَنْ وَطِئَ التُّرْبَا
أَخَا ثِقَـــةٍ فِي النَّائِبَـــاتِ مُـــرَزَّأً كَرِيْماً نَثَاهُ لا بَخِـــيْلاً وَلا ذَرْبَـــا
يُطِيْفُ بِهِ العَافُونَ يَغْشَـــوْنَ بَابَـــهُ يَؤُمُّونَ بَحْراً لاَ نَزُوراً وَلاَ صَـــرْبَا
فَوَاللهِ لاَ تَنْفَكُّ نَفْسِـــي حَزِيْنَـــةً تَمَلْمَلُ حَتَّى تَصْدُقُوا الْخَزْرَجَ الضَّرْبَا

(١) انظر: السِّيرة النّبويّة ٣/٢٦-٢٧.

[غَزْوة بني سُلَيْم بالكُدْر]

فلَمَّا رجع رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ– إلى الْمَدينة، لم يُقِمْ بها إلاَّ [٩٩/و] سبع ليال، ثُمَّ غزا بني سُلَيْم بالكُدْر. فخرج رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ– بنفسه يريد بني سُلَيْم، فبلغ ماء من مياههم يُقال له: الكُدْر، فأقام عليه ثلاث ليالٍ، ثُمَّ رجع –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ– إلى الْمَدينة ولم يَلْقَ كيداً، فأقام بالْمَدينة بقيَّة شوَّال وذا القَعْدَة، وأَفْدَى في إقامته تلك جُلَّ الأسارَى من قُرَيش.

ثُمَّ كانت غَزْوة السَّوِيق:

وذلك أنّه لَمَّا رجع فَلُّ قُرَيش [من بَدْر،][1] إلى مكَّة حلف أبو سُفْيان ابن حَرْب أن لا يمسَّ رأسه ماء من جَنابة حتَّى يغزو محمَّداً –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ.

فخرج أبو سُفْيان في مِئتي راكب من قُرَيش، لِيَبرَّ يمينه، فسلك النَّجْدِيَّة، حتَّى نزل بصدر قَناة إلى جبل يُقال له: ثَيْب، من الْمَدينة على بَريد أو نحوه.

ثُمَّ خرج من اللَّيل حتَّى أتى بني النَّضِيْر في اللَّيل، فقصد حُيَيَّ بن أخْطَب فضرب عليه بابه، فأبى أن يفتح له بابه وخافه، فانصرف عنه إلى سَلاَّم ابن مِشْكم، وكان أوسع بني النَّضِيْر [٩٩/ظ] ذات يدٍ، فأذِن له، فَقَراه وسقاه، وأعلمه بأخبار النَّاس.

(١) زيادة من السِّيرة النَّبوية.

ثُمَّ خرج أبو سُفْيان من آخر ليلته حتَّى أتى أصحابه، فلَمَّا كان الصَّباح، أتوا إلى ناحية يُقال لها: العُرَيض، فأحرقوا في أصْوار من نَخْلٍ بها، ووجدوا بها رَجُلَيْن من الأنصار في حرث لهما فقتلوهما، ثُمَّ انصرفوا راجعين.

[١٣٠] /وقد نَذِر لهما النَّاس، فخرج رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِه- في طلبهم حتَّى بلغ قَرْقَرة الكُدْر، ثُمَّ رجع -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِه- وقد فاته أبو سُفْيان وأصحابه، وطرحوا أزوادهم لَمَّا فرّوا، وأكثرها السَّوِيق، فوجد النَّاس سَوِيقاً كثيراً، فبذلك سمِّيت غَزْوة السَّوِيق.

وكانت غَزْوة ذي أَمَر:

خرج رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِه- إلى نَجْد يُريد غَطَفَان، فأقام بنَجْد صَفَراً كلّه، ثُمَّ رجع إلى الْمَدينة و لم يَلْقَ قتالاً. فلبث بها شهر رَبِيْع الأوَّل كلّه، أو إلاَّ قليلاً منه.

ثُمَّ كانت غَزْوة الفُرُع من بُحْران:

خرج رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِه- يريد قُرَيشاً، حتَّى بلغ بُحْران من ناحية [١٠٠/و] الفُرُع، فأقام بها شهر رَبِيْع الآخر وجُمادى الأُولى، ثُمَّ رجع إلى الْمَدينة و لم يَلْقَ كيداً.

ثُمَّ كان أمر بني قَيْنُقاع:

وكانوا من يهود، وقد وادعهم رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِه-، فلَمَّا كانت وقعة بَدْر جمعهم رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِه- بسُوق بني قَيْنُقاع، وقال لهم: "يَا مَعْشَرَ يَهُودَ؛ احْذَرُوا مِنْ اللهِ مِثْلَ مَا نَزَلَ بقُرَيْشٍ مِنْ

النَّقْمَة، وَأَسْلِمُوا، فَإِنَّكُمْ قَدْ عَرَفْتُمْ أَنِّي نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، تَجِدُونَ ذَلِكَ فِي كِتَابِكُمْ وَعَهْدِ اللهِ إِلَيْكُمْ".

فقالوا: يا محمَّد؛ إنَّك ترى أنَّا قومُك! لا يغُرَّنك أنَّكَ لقيتَ قوماً لا عِلْم لهم بالْحَرْب، فأصبتَ منهم فرصةً، إنَّا -والله- لئن حاربناك لَتَعْلَمَنَّ أنَّا نحن النَّاس.

[ما نزل فيهم من الآيات]

قيل: وفيهم أنزل الله -عزّ وجلّ-: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ۞ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاء إِنَّ فِي ذَلِكَ [١٠٠/ظ] لَعِبْرَةً لأُوْلِي الأَبْصَارِ﴾[آل عمران: ١٢-١٣].

[سبب الْحَرْب بينهم وبين المسلمين]

[١٣١] /وحدث من رَجُل منهم في سُوقهم بعد ذلك حدث إلى امرأة مسلمة، فصاحت فوثب رَجُل من المسلمين، فقتل يهودياً، فشدَّت عليه اليهود فقتلته، فاستصرخ أهلُ المسلم المسلمين، فخرج إليهم رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِه-، فحاصرهم خمس عشرة ليلة، واجتمع أمير المؤمنين وأبطال المسلمين، وقال عليّ بن أبي طالب -عليه السَّلام-: يا رسول الله؛ لندخلنَّ عليهم عَنْوَة.

فنزلوا على حكم رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِه-، وأمكنه الله منهم، فاعترضه فيهم عبد الله بن أُبَيّ [بن] سَلُول، وكان من رؤوساء

المنافقين، وقام دونهم، وقال لرسول الله –صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ–: لا أدع لك أربع مئة حاسر، وثلاث مئة دارع. قد منعوني من الأسود والأحمر. فقال رسول الله –صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ–: "هُمْ لَكَ".

ثُمَّ كانت سَرِيَّة زَيْد بن حارِثَة:

بعثه رسول الله –صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ– في سَرِيَّة، فأصاب عيراً لقُرَيش فيها أبو سُفْيان بن حَرْب، ومعهم فضّة كثيرة، وأعجزهم الرِّجال هرباً، وقدم على رسول الله بالعِيْر، وكانت قُرَيش [١٠١/و] قد خافت طريقهم التي يسلكونها إلى الشّام حين كانت وقعة بَدْر، فسلكوا طريق العِراق، ومنها أخذ زَيْد بن حارِثَة العِيْر.

فقال حسّان بن ثابت يؤنّب قُرَيْشاً في أخذهم تلك الطّريق(١):

دَعُوا فَلَجَاتِ الشَّامِ قَدْ حَالَ دُوْنَهَـا ... ضِرَابٌ كَأَفْوَاهِ الْمَخَاضِ الأَوَارِكِ
بِأَيْدِي رِجَالٍ هَاجَرُوا نَحْوَ رَبِّهِـمْ ... وَأَنْصَارِهِ حَقّـاً وَأَيْدِي الْمَلائِـكِ
إِذَا سَلَكَتْ بِالغَوْرِ مِنْ رَمْلِ عَالِجٍ ... فَقُولاَ لَهَا لَيْـسَ الطَّرِيْقُ هُنَالِـكِ

ثُمَّ كان قتل كَعْب بن الأشْرَف

وكان رَجُلاً من طَيِّئ، ثُمَّ أحد بني نَبْهان، وكانت أُمّه من بني النَّضِيْر، وكان لَمّا أُصيب أصحاب بَدْر وبلغه الخبر، وقال: أترون محمّداً قتل أشراف العرب وملوك النّاس، والله إنْ كان محمّد قد أصاب هؤلاء، لَبَطْنُ الأرض خير من ظهرها.

(١) انظر: ديوانه١/ ٨٥.

[١٣٢] /فلَمّا تيقّن ذلك جزع وخرج إلى مكّة، وجعل يُحَرِّض على رسول الله صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ–، وينشد الأشعار، ويبكي أصحاب القَلِيْب من قُرَيْش الذين أُصيبوا ببَدْر فيما قال(١):

طَحَنَتْ رَحَى بَدْرٍ لِمَهْلِكِ أَهْلِـهِ ... وَلِمِثْلِ بَـدْرٍ تَسْـتَهِلُّ وَتَـدْمَعُ
/قُتِلَتْ سَرَاةُ النَّاسِ حَوْلَ حِيَاضِهِمْ ... لاَ تَبْعُدُوا إِنَّ الْمُلُـوكَ تُصَـرَّعُ [١٠١/ظ]
كَمْ قَدْ أُصِيْبَ بِهِ مِنَ أَبْيَضَ مَاجِدٍ ... ذِي بَهْجَةٍ يَأْوِي إِلَيْـهِ الضُّـيَّعُ
طَلْقِ الْيَدَيْنِ إِذَا الْكَوَاكِبُ أَخْلَفَتْ ... حَمَّالِ أَثْقَالٍ يَسُـودُ وَيَرْبَـعُ
وَيَقُولُ أَقْوامٌ أُسَـرُّ بِسُـخْطِهِمْ ... إِنَّ ابْنَ الاشْرَفِ ظَلَّ كَعْباً يَجْزَعُ
صَدَقُوا فَلَيْتَ الأَرْضَ سَاعَةَ قُتِّلُوا ... ظَلَّتْ تَسُوخُ بِأَهْلِهَـا وَتُصَـدَّعُ
صَارَ الَّذِي أَثَرَ الْحَدِيْثَ بِطَعْنَـةٍ ... أَوْ عَاشَ أَعْمَى مُرْعَشاً لاَ يَسْمَعُ
نُبِّئْتُ أَنَّ بَنِي الْمُغِيْـرَةِ كُلَّهُـمْ ... خَشَعُوا لِقَتْلِ أَبِي الْحَكِيْمِ وَجُدِّعُوا
وَابْنَا رَبِيْعَـةَ عِنْـدَهُ وَمُنَبِّـهٌ ... مَا نَـالَ مِثْلَ الْمُهْلَكِيْنَ وَتُبَّـعُ
نُبِّئْتُ أَنَّ الْحَارِثَ بن هِشَـامِهِمْ ... فِي النَّاسِ يَبْنِي الصَّالِحَاتِ وَيَجْمَعُ
لِيَزُورَ يَثْرِبَ بِـالْجُمُوعِ وَإِنَّمَـا ... يَحْمِي عَلَى الْحَسَبِ الْكَرِيْمُ الأَرْوَعُ

فأجابه حسّان بن ثابت الأنصاريّ فقال(٢):

أَبْكَى لِكَعْبٍ ثُـمَّ عُـلَّ بِعَبْـرَةٍ ... مِنْهُ وَعَاشَ مُجَـدَّعاً لاَ يَسْـمَعُ
وَلَقَدْ رَأَيْتُ بِـبَطْنِ بَـدْرٍ مِـنْهُمُ ... قَتْلَى تَسُحُّ لَهَا الْعُيُـونُ وَتَـدْمَعُ

(١) انظر: السّيرة النّبويّة ٥٢/٣، المغازي ١٨٥/١-١٨٦.

(٢) انظر: ديوانه ٤٢٦/١-٤٢٧.

فَابْكِي فَقَدْ أَبْكَيْتَ عَبْداً رَاضِـعاً ... شِبْهَ الْكُلَيْبِ إِلَى الْكُلَيْبَـةِ يَتْبَـعُ
وَلَقَدْ شَفَى الرَّحْمَنُ مِنَّـا سَـيِّداً ... وَأَهَانَ قَوْمـاً قَـاتَلُوهُ وَصُـرِّعُوا
وَنَجَا وَأُفْلِتَ مِـنْهُمُ مَـنْ قَلْبُـهُ ... شَغَفٌ يَظَـلُّ لِخَوْفِـهِ يَتَصَـدَّعُ

[١٠٢/و][تَشْبِيب كَعْب بنساء المسلمين والْحِيْلَة في قتله]

ورجع كَعْبُ بن الأَشْرَف إلى الْمَدينة، فشبَّب بنساء المسلمين حتَّى آذاهم، فقال رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ–: من لي بابن الأَشْرَف؟ [١٣٣] فقال له محمَّد بن مَسْلَمَة الأنصاريّ: أنا لك به يا رسول /الله؛ أنا أقتله. قال –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ–: "افْعَلْ ذَلِكَ إِنْ قَدَرْتَ عَلَيْهِ". قال: يا رسول الله إنَّه لا بدَّ لنا من أن نقول. قال –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ–: "قُولُوا مَا بَدَا لَكُمْ فَأَنْتُمْ فِي حِلٍّ [مِنْ ذَلِكَ]"[١].

فانتدب معه في ذلك سِلْكان بن سَلامة أحد بني عبد الأَشْهَل، وكان أخا كَعْب بن الأَشْرَف من الرَّضاعة، وعَبَّاد بن بِشْر، والْحَارث بن أَوْس، وهؤلاء من بني عبد الأَشْهَل، وأبو عَبْس بن جَبْر أحد بني حارثَة، ثُمَّ قدموا إلى عدوّ الله كَعْب بن الأَشْرَف [قبل أن يأتوه][٢] أخاه من الرّضاعة سِلْكان بن سَلامة، فجاءه فتحدَّثا ساعة، وتناشدا الشِّعْر، ثُمَّ قال: يا ابن الأَشْرَف؛ قد علمت قدوم هذا الرَّجُل علينا –يعني رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ–، وذلك من البلاء فيه، عادتنا [به][٣] العرب، وقطعت عنا السُّبل، حتَّى ضاع العِيال.

(١) زيادة من السِّيرة النَّبوية.
(٢) زيادة من السِّيرة النَّبوية.
(٣) زيادة من السِّيرة النَّبوية.

فقال كَعْب: أما والله لقد كنتُ [١٠٢/ظ] أخبرك يا ابن سَلامة أنَّ الأمر سيصير إلى ما أقول. فقال له [سِلْكان][١]: فإنِّي قد أردتك أن تبيعنا طعاماً، ونرهنك رهناً.

قال: أترهنون أبناءكم؟ قال: لقد أردت أن تفضحنا بين العرب، إنَّ معي أصحاباً [لي][٢] على مثل حالي، وقد أتيتكَ بهم، [فتبيعهم وتحسن في ذلك،][٣] ونرهنك في الحلقة ما فيه وفاء، وإنَّما أرادا أن لا ينكر عليهم السِّلاح. قال: إن كان في الحلقة لَوفاء.

فرجع سِلْكان إلى أصحابه، وأمرهم أن يأخذوا السِّلاح، وأقبلوا، فهتف به أبو نائلة –هو سِلْكان–، وكان كَعْب في حِصْنِه، فنَزل كَعْب بن الأَشْرَف إليهم، فتحدَّثوا معه نحواً مِمَّا حدَّثه سِلْكان، وقالوا: إنَّ محمَّداً قد عادى بيننا وبين العرب.

وأصغى إلى حديثهم، وقالوا: هل لكَ أن تخرج معنا، ونتماشى إلى شعب العجوز، فنتحدَّث بقية ليلتنا هذه. قال: إن شئتم. فخرجوا يتماشون ساعة.

ثُمَّ إنَّ أبا نائلة شام يده في فودة رأسه، ثُمَّ شَمَّ يده، فقال: ما رأيتُ [١٠٣/و] طيباً أعطر قطّ، وكان ابن الأَشْرَف قريب عهد بعرس، ثُمَّ مشى ساعة وعاد لمثلها حتَّى اطمأنَّ، ثُمَّ عاد لمثلها، فأخذ بِفَوْدِ رأسه، ثُمَّ قال

(١) زيادة من السِّيرة النَّبوية.
(٢) زيادة من السِّيرة النَّبوية.
(٣) زيادة من السِّيرة النَّبوية.

لأصحابه: اضربوا عدوّ الله. فقتلوه، وقد صاح: عدوّ الله صيحة، فلم يبق حصن من حصون اليهود إلاّ أُوقدت عليه نار، وقد أصابوا الْحَارِث بن أَوْس ابن مُعاذ، حين /اختلفت أسيافهم، فاحتملوه، ونجوا حتّى أتوا رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِه–، وهو قائم يصلّي، فلمّا سلّم، خرج إليهم، فأعلموه بقتل عدوّ الله، فأثنى عليهم النّبيّ وجزاهم خيراً، وخافت يهود بعد ذلك خوفاً شديداً. [١٣٤]

وقال كَعْب بن مالِك في قتل كَعْب بن الأَشْرَف(١):

فَغُودِرَ مِنْهُمُ كَعْبٌ صَرِيْعاً ... فَذَلَّتْ بَعْدَ مَصْرَعِه النَّضِيْرُ
عَلَى الْكَفَّيْنِ ثُمَّ وَقَدْ عَلَتْهُ ... بِأَيْدِيْنَا مُشَهَّرَةً ذُكُورُ
بِأَمْرِ مُحَمَّدٍ إِذْ دَسَّ لَيْلاً ... إِلَى كَعْبٍ أَخَا كَعْبٍ يَسِيْرُ
فَمَاكَرَهُ فَأَنْزَلَهُ بِمَكْرٍ ... وَمَحْمُودٌ أَخُو ثِقَةٍ جَسُورُ

[تزويج أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالِب –عليه السّلام–، بفاطِمَة–عليها السّلام–]

وكان بعد وقعة بَدْر تزويج أمير المؤمنين عليّ بن [١٠٣/ظ] أبي طالب –عليه السّلام–، بفاطِمَة بنت رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِه–، وكان أبو بَكْر وعمر قد خطباها، فأبى عليهما رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِه–، وقد سمعاه يذكرها بالفضل، ويقول: "فاطِمَة بَضْعَة مِنِّي".

وتحدَّث جماعة من أصحاب رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِه– في ذلك، وقالوا: ألم تروا أنَّ رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِه– يمتنع أن

(١) انظر: ديوانه ١٦٩.

يُزوِّج ابنته فاطِمَة؟

فقال عَمَّار بن ياسِر: ما نراه ذخرها إلاّ لابن عمّه عليّ بن أبي طالِب –عليه السّلام.

وكان –عليه السّلام– لم يتزوَّج. قال عَمَّار، والزُّبَيْر بن العَوَّام، وسَعْد ابن عُبادة: لكم أن نكلّم عليّاً في ذلك.

وجاؤوا إليه، وقال له عمّار: ما نرى أحداً مِمَّن هاجر إلى الْمَدينة إلاّ وقد ولد له غُلامٌ من بعد هجرته إلاّ أنتَ.

وقال له <عمّار:>(١) إنْ كنتُ إنَّما منعكَ من ذلك قُلّ ما في يدك من المال، فهذا مالي فخذ منه ما أحببتَ. فقال له عليّ –عليه السّلام–: يا أبا اليَقْظان؛ ما أفاء الله عليّ ببَدْر تركته لهذا الأمر. فقالوا: لو ذكرت لرسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِه– ابنته فاطِمَة –عليها السّلام–، فإنّا نراه قد امتنع أن /يزوّجها أحداً من أصحابه، [١٠٤/و] وما نظنّه تركها لغيرك. فقال عليّ – [١٣٥] عليه السّلام–: فاطِمَة أمة من إماء الله، وأمرها بيد الله، ومالي لِسان يدور في فمي أن أذكرها لرسول الله، وإنّي لأَستحي منه. فقالوا له: ومن أحقّ بها منك؟ ونحن نذكرها لرسول الله.

ثُمَّ رجعوا إلى رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِه–، فكلّموه، فهبط جَبْرَائِيل –عليه السّلام– على النَّبيّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِه–، فقال: "إنَّ الله سبحانه يأمرك أن تُجيبهم إلى ما سألوك، فإنّي قد زوَّجت فاطِمَة من عليّ في

(١) زيادة من "ب".

وقت ما زُوِّجَتْ حَوَّاء من آدم، وكان ذلك في قَضائي، وقد سَبَقَ به عِلْمي في خيرتي مِنْ خَلْقي".

فتبسَّم رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- من ذلك، وقال: "إنَّ الله -تعالى- قد أجابكم إلى ما سألتموه، فاذهب يا عَمَّار، فَأْتِني بِعَلِيّ".

قال عَمَّار: فأتيتُ علياً -عليه السّلام-، فإذا هو راكع وساجد، يتضرَّع إلى الله -عزّ وجلّ- في أمر فاطِمَة -عليها السّلام-، فقلتُ: يا سيِّدي؛ أَبْشِر وطب نَفْساً، وقرّ عَيناً، وأجب رسول الله.

فأتى عليّ -عليه السّلام- إلى رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ-، فلَمَّا دخل عليه، قال له: "يا عليّ؛ [١٠٤/ظ] أَعَن رأيكَ نطق الزُّبَيْر وتكلَّم سَعْد وعَمَّار؟ قال: نعم يا رسول الله.

قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ-: "يا علي؛ إنَّ جَبْرَائِيْل <قد>(١) أخبرني أنَّ الله قد وَهَبَ لكَ فاطِمَة، ووهبك لها، وقَرَنَها بكَ، <وقرنك بها،>(٢) فما عندكَ من المهر؟" قال: ما ملكته يدي.

قال رسول "وما ذلك؟" قال عليّ -عليه السّلام-: ما أفاء الله عَليَّ بِبَدْرٍ تركته لذلك؛ وهو عشرون أُوقية من الذّهب والفِضَّة، وناضحان فارهان، وعبدان أسودان، وفرسي للمبارزة، ودِرْعي للقاء عدوِّي.

(١) زيادة من "ب".

(٢) زيادة من "ب".

فقال <رسول الله>(١) -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ-: "يا عليّ؛ لا تخرج من يدك ناضحين فارهين، وعبدين أسودين، ولا تَنْزل عن فرسك، ولا تخرج شيئاً من سِلاحك،، بل ائتني بما عندك من الذّهب والفِضَّة".

ثُمَّ عقد له رسول الله بنكاح فاطِمَة -عليها السّلام-، وأمر النَّبيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- فاشترى له كبشًا، وسمنًا ودقيقًا، وعجوة، وصنع طعاماً، ثُمَّ أمر مُنادياً فنادى في جهات الْمَدينة أن أجيبوا رسول الله. فاجتمع [١٠٥/و] النَّاس إليه.

/وأحصي مَنْ أَكَلَ [فبَلَغ] ألفاً وستّ مئة، والطَّعام على حاله؛ لم ينقص [١٣٦] شيء ببركة رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- وفضله.

وسمع رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- نقر دفّ، فقال: "ما هذا؟"

فقالت أسْماء بنت عُمَيس: يا رسول الله؛ أردتُ أن أُفرح فاطِمَة لأن لا تقول في نفسها: ماتت أُمِّي فلا أحد من يسرّني.

فقال: "يا أسْماء؛ ما الَّذي تقولين؟"

قالت: لا أدري ما أقول يا رسول الله!

قال: قولي:

"أَتَيْنَاكُمْ أَتَيْنَــاكُمْ
فَحَيُّونَــا نُحَيِّــيكُمْ

(١) زيادة من "ب".

وما أشبه ذلك، ولا تقولي هجراً".

ثُمَّ قال –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ–: "أَفْرَحَكِ اللهُ يا أسْماء كَمَا أَفْرَحْتِ ابْنَتِي".

وأمر رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ– أن تُزفَّ فاطِمَة إلى عليّ –عليه السّلام.

وبإسناد الْمُفَضَّل بن محمَّد، عن ابن عبَّاس أنَّه قال[١]:

"لَمَّا زُفَّت فاطمَة –عليها السّلام– إلى عليّ –عليه السّلام–، كان رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ– أمامها[٢]، وجَبْرَائِيل عن يمينها، وميكائيل عن يسارها[٣]، وسبعون ألف ملك تزفّها من خلفها يُسبِّحون الله –عزّ وجلّ– ويُقدِّسونه حتَّى طلع الفجر".

[ابن الأعرابي، بإسناده][٤] عن أسْماء بنت عُمَيس، [أنّها][٥] قالت[٦]:

[١٣٧] /"كنتُ فيمن زفّت فاطمَة –عليها السّلام– إلى [١٠٥/ظ] عليّ –عليه السّلام–، فلَمَّا دخلت بيتها، أقبل رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ– حتَّى دخل عليها، فدعا بماء فذكر اسم الله عليه، ثُمَّ شرب منه، ومجَّ من الماء فيما

(١) انظر: شرح الأخبار ٢٨/٣.

(٢) "قدَّمها" في شرح الأخبار.

(٣) "شمالها" في شرح الأخبار.

(٤) زيادة من شرح الأخبار.

(٥) انظر: شرح الأخبار ٢٨/٣.

(٦) انظر: شرح الأخبار ٢٨/٣.

بين دِرْع فاطمَة وبدنها، ثُمَّ مجَّ منه –أيضاً– فيما بين سربال عليّ وبدنه.

ثُمَّ قال: "اللَّهُمَّ احْفَظ أهل هذا البيت، وبارِك فيهم، وبارك عليهم، واجْعَلهم مُبارَكِيْنَ أَيْنَ كانوا".

ثُمَّ قال: "جَزَى اللهُ أسْمَاءَ وصُوَيْحباتها خَيْراً".

وعن أحمد بن محمّد الطبريّ، بإسناده، عن أنس بن مالِك، قال[١]:

"سألتُ أمِّي عن صفة فاطِمَة –عليها السّلام–، فقالت: بيضاء بيضة كأنّها القمر ليلة التَّمّ، والشَّمس إذا خرجت من السَّحاب".

وفضائل عليّ وفاطِمَة –عليهما السّلام– كثيرة مشهورة.

ورُوِيَ عن النَّبيّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ–:

لَمَّا زوّج عليّاً فاطِمَة –عليهما السّلام–، قال: "اليوم ازدوج الإيمان والإسلام."[٢]

وكان زواج عليّ بعد وقعة بَدْر، وقيل: وقعة أُحُد بالإجماع.

(١) انظر: شرح الأخبار ٢٩/٣، تاريخ جرجان ١٧-١٧١، دلائل الإمامة ١٥-١٥١، مقتل الحسين للخوارزمي ١١٢/١.

(٢) لم أعثر عليه في المصادر المتوفرة بين يدي، ولمعرفة الفرق بين الايمان والإسلام نثبت هنا حديث للإمام جعفر الصادق –عليه السَّلام–: " الايمان يشرك الاسلام والاسلام لا يشرك الايمان، والاسلام هو الظاهر، والايمان هو الباطن الخالص في القلب. وعنه صلوات الله عليه: أنه سئل عن الايمان والاسلام، فقال: الايمان ما كان في القلوب والاسلام ما تنوكح عليه، وورث وحقنت به الدماء، والايمان يشرك الاسلام والاسلام لا يشرك الايمان". انظر: دعائم الإسلام ١٢/١.

وكانت وقعة أُحُد يوم السَّبت للنِّصف من شهر شوَّال:

وذلك أنّه لَمَّا كان [رجع][1] فَلّ قُرَيش يوم بَدْر، لم يزل أبو سُفْيان بن حَرْب [١٠٦/و] يُحرّض قُرَيشاً على حرب رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آله-، ويأمرهم أن ينقموا بثأرهم، وقال لهم: يا معشر قُرَيش؛ إنَّ محمَّداً قد وَتَرَكم، وقتل أخياركم، فأعينونا بهذا المال على حربه. -يعني الذي نجا به مع العِيْر يوم بَدْر.

[١٣٨] /ففعلوا ذلك، وأجابوه إليه، ففيهم أنزل الله -تعالى-: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ اللّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾[الأنفال: ٣٦].

[اجتماع قُرَيْش للْحَرْب]

فاجتمعت قُرَيش لحرب رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آله- حين فعل ذلك أبو سُفْيان، وأهل العِيْر بأحابيشها، ومن أطاعها من قبائل كِنَانَة وأهل تِهامة. وخرجت بحدِّها [و]جدّها وحَديدها، وأحابيشها، ومن أجابها من قبائل تِهامَة، وخرجوا معهم بالظُّعن؟ التماس الحفيظة، ولئلاَّ يفرّوا.

فخرج أبو سُفْيان -وهو قائد النَّاس- بهِنْد بنت عُتْبَة، وخرج عِكْرِمَة بن أبي جَهْل بأمّ حَكِيْم بنت الْحَارِث بن هِشام بن الْمُغِيْرَة.

وخرج الْحَارِث بن هِشام بن الْمُغِيْرَة بفاطِمَة بنت الوَلِيد بن الْمُغِيْرَة.

(١) زيادة يقتضيها السِّياق، ولد ابن هشام: "لَمَّا أُصيب يوم بَدْر من كفّار قريش أصحاب القُلَيْب، ورجع فلّهم إلى مكّة، ورجع أبو سُفْيان.." انظر: السِّيرة النَّبويَّة ٣/٦٠.

ولم يتخلّف من نساء [١٠٦/ظ] قُرَيش إلاّ قليل، فأقبلوا حتَّى نزلوا بِعَيْنَيْن، بِجَبَل ببطن السَّبْخَة من قناة على شَفير الوادي، مقابل المدينة.

[رُؤْيا الرَّسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِه-]

فلمَّا سمع بهم رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِه- والمسلمون قد نزلوا حيث نزلوا، قال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آله- للمسلمين: "إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ وَاللهِ خَيْراً، رَأَيْتُ بَقَراً، وَرَأَيْتُ فِي ذُبَابِ سَيْفِي ثَلماً، وَرَأَيْتُ أَنِّي أَدْخَلْتُ يَدِي فِي دِرْعٍ حَصِيْنَةٍ، فَأَوَّلْتُهَا الْمَدِيْنَةَ.

فَأَمَّا البَقَرُ فَـ[ـهْيَ][1] أُناسٌ مِنْ أَصْحَابِي يُقْتَلُونَ، وَأَمَّا الثَّلْمُ [الَّذِي رَأَيْتُ][2] فِي ذُبَابِ سَيْفِي، فَـ[هُوَ][3] رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يُقْتَلُ".

[مُشاورة الرَّسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِه- القوم في الخروج أو البقاء]

فإن رأيتم أن تُقيموا بالْمَدينة وتدعوهم حيث نزلوا، فإن أقاموا أقاموا بشرِّ مُقام، وإنْ هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها".

[١٣٩] /<وكان رأي عبد الله بن أُبَيّ بن سَلُول مع رأي رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِه-، [يرى رأيه في ذلك، و][4] ألاّ يخرج إليهم،>[5] فوافقه على

(١) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة.
(٢) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة.
(٣) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة.
(٤) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة.
(٥) زيادة من "ب".

ذلك بعض أهل الْمَدينة، وقال بعضهم: بل نخرج إليهم فنقاتلهم، حيث لا يروع أمرهم نساءنا وصبياننا.

وأبوا أن يقبلوا قول رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ-، فدخل رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- مَنْزله، ولبس لأْمته، ثُمَّ خرج مُغضباً، وأمرهم بالخروج. فلَمَّا رأوا ذلك منه، قالوا: يا رسول الله إنَّا نخاف إن أسخطناك بخلافنا [١٠٧/و] عليك على أنفسنا، فارجع وافعل ما رأيته. فقال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ-: "إنَّ النَّبِيَّ إِذَا لَبِسَ لأْمَتَهُ، وَأَخَذَ سِلاحَهُ لَمْ يَرْجِعْ حَتَّى يُقَاتِل".

[انْخِذال الْمُنافقين]

فخرج رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- في ألف من أصحابه، حتَّى إذا كانوا بالشَّوْط بين الْمَدينة وأُحد، انخذل عنه عبد الله بن أُبَيّ بن سَلُول بثلث النَّاس، وقال: أطاعهم وعصاني. ما ندري علام نَقْتُل أَنْفُسَنا هاهنا أيُّها النَّاس. فرجع بمن اتَّبعه من قومه من أهل النِّفاق والرَّيب.

[حادثة تفاءل بها الرَّسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ-]

ومضى رسول الله حتَّى إذا وافى حرّة بني حارِثَة، فذبّ فرس بذنبه، فأصاب كلاّبَ سَيْف فاستَلَّهُ. فقال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- وكان يُحِبّ الفَأْل، لصاحب السَّيف: "شِمْ سَيْفَكَ، فَإِنِّي أَرَى السُّيُوفَ سَتُسَلُّ اليَوْمَ".

***

[نزول الرَّسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- بالشِّعْب وتعبيته للقتال]

ومضى رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- حتَّى نزل الشِّعْب من أُحُد، في عُدْوة الوادي إلى الجبل، فجعل ظهره وعسكره إلى أُحُد، وقال: "لا يُقَاتِلَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ حَتَّى آمُرَهُ بِالْقِتَالِ".

وقد سرَّحَت قُرَيش الظَّهْرَ والكُراعَ في زُروع كانت بالصَّمْغَة من قناة للمسلمين، فقال رَجُل من الأنصار: أَتُرْعَى زُرُوعُ بَنِي قَيْلة ولَمَّا نُضَارِب؟!

/وتَعَبَّأَ رسولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ-، [١٠٧/ظ] وهو في سبع مئة رَجُل للقتال، وأمَّرَ على الرُّماة عبد الله بن جُبَيْر أخا بني عَمْرو بن عَوْف، وكان الرُّماة خمسين رَجُلاً. وقال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ-: "انْضَحِ الْخَيْلَ عَنَّا بالنَّبْلِ، لاَ يَأْتُونَا مِنْ خَلْفِنَا، إِنْ كَانَتْ عَلَيْنَا، أَوْ كَانَتْ لَنَا، [فَاثْبُتْ مَكَانَكَ لا نُؤْتَيَنَّ مِنْ قِبَلِكَ،][1] وَاثْبُتُوا لا نُؤْتَى مِنْ مَكَانِكُمْ". وظاهر رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- بين دِرْعين. [١٤٠]

وتعبَّأت قُرَيش، وهم ثلاثة آلاف رَجُل، ومعهم مئتا فرس.

[أمر أبي دُجَانَة الأنصاريّ]

وأخذ رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- سيفه فهزَّه، وقال: "مَنْ يَأْخُذُ هَذَا السَّيْفَ بِحَقِّهِ؟".

قال الزُّبَيْر: أنا يا رسول الله. فأعرض عنه، فقال أبو دُجَانَة الأنصاريّ -

(1) زيادة من السيرة النَّبوية.

وكان من أبطال الأنصار-: وما حَقُّه يا رسول الله؟ قال: "لا تَقِف به في الْكَيُّولِ -يعني أواخر الصُّفوف-، وَأَنْ تَضْرِبَ بِهِ العَدُوّ حتَّى يَنْحَنِي".

فقال: أنا آخذه يا رسول الله [بحقه.][1] فأخذه أبو دُجَانَة الأنصاريّ سِماك بن خَرَشَة أخو بني ساعِدَة، ثُمَّ أخرج معه عصابة حمراء، فتعصَّب بها، فقالت الأنصار: تعصَّب أبو دُجَانَة بعصابة الموت، وكان إذا تعصَّب كان ذلك من فعله، ثُمَّ خرج يَتَبَختَر بين الصَّفَّيْن، وهو يقول[2]:

أَنَا الَّـــذِي عَاهَـــدَنِي خَلِيْلِـــي
وَنَحْنُ بِالسَّفْحِ لَدَى النَّخِيْـــلِ
أَلاَّ أَقُومَ الدَّهْرَ فِـــي الْكَيُّـــولِ [١٠٨/و]
أَضْرِبْ بِسَيْفِ اللهِ والرَّسُـــولِ

فقال رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْه وعَلَى آله- حين رأى أبا دُجَانَة الأنصاريّ يتبختر: "إِنَّهَا لَمِشْيَةٌ يُبْغِضُهَا اللهُ إِلاَّ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْمَواطِنِ".

[ما قاله أبو سفيان لتحريض أصحاب اللّواء]

[١٤١] /وقال أبو سُفْيان لأصحاب اللّواء من بني عبد الدَّار: إنَّكم قد تركتم اللّواء يوم بَدْر، فأتانا ما قد رأيتم، فإمَّا أن تَكْفونا لواءنا، وإمَّا أن تُخَلُّوا بيننا وبينه فنكفيكموه.

فهمّوا به وتواعدوه، وقالوا: نحن نُسْلم إليك لواءنا، ستعلم غداً إذا

(١) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة.

(٢) انظر: السِّيرة النَّبويَّة ٦٨/٣.

التقينا كيف نصنع! وإنَّما أراد بذلك أبو سُفْيان أن يحرِّضهم.

[ما تمثَّلت به هِند من الرَّجز في تحريض المشركين]

وجعلت هِنْدُ بنت عُتْبَة ونسوة معها ينقرن الدُّفوف، ويُحرِّضن المشركين، وهِنْد تقول[1]:

نَحْنُ بَنَـــاتُ طَـــارِقْ
نَمْشِي عَلَى النَّمَـــارِقْ
إِنْ تُقْبِلُـــوا نُعَـــانِقْ
وَنَفْـــرِشُ النَّمَـــارِقْ
أَوْ تُـــدْبِرُوا نُفَـــارِقْ
فِـــرَاقَ غَيْـــرِ وَامِـــقْ
عَرُوسُ الْمَوْلَى طَـــالِقْ
وَالْعَارُ مِنْـــهُ لاحِـــقْ

وقالت أيضاً[2]:

صَـــبْراً بَنِـــي عَبْـــدِ الـــدَّارْ
وَيْهـــاً حُمَـــاةَ الأَدْبَـــارْ

(١) انظر: شرح الأخبار ٢٧٣/١، طبقات ابن سعد ٤٠/٢، السيرة النبوية ٦٨/٣ (٣+٤)، تاريخ الطبري ٥١٠/٢، ٥١٢، أنساب الأشراف ٣٧٥/١، مغازي الواقدي ٢٢٥/١، الجليس الصالح ٣٩٦/٣، ونسب هذا الرَّجَز لِهِنْد بنت بَياضَة بن رياح بن طارق الإيادي في حرب العجم. انظر: معجم ما استعجم ٧٠/١.

(٢) انظر: السِّيرة النّبويّة ٦٨/٣، المغازي ٢٢٧/١.

ضَـــرْباً بِكُـــلِّ بَتَّـــارْ

[ذِكْرُ شعار المسلمين]

[١٤٢] /وكان شعار أصحاب رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ– يوم أحد: "يا مَنْصُورُ، أَمِتْ أَمِتْ". أي لا هوادة ولا لين.

[تمام قصَّة أبي دُجَانَة]

واقتتل النَّاس حتَّى حميت الحرب، وقاتل [١٠٨/ظ] أبو دُجَانَة حتَّى أمعن في النَّاس.

وقال الزُّبَيْر بن العوَّام: وجدت في نفسي حين سألت رسول الله السَّيف [فمنعنيه](1) وأعطاه أبا دُجَانَة، وقلت: أنا ابن صَفِيَّة عمَّته ومن قُرَيش، والله لأنظرنَّ ما يصنع أبو دُجَانَة، فتبعته.

فجعل لا يلقى أحداً إلاَّ قتله، وكان في المشركين رَجُل لا يدع من المسلمين جريحاً إلا ذَفَّفَ عليه، فجعل كلّ واحد منهما يدنو من صاحبه، فسألتُ اللهَ أن يجمع بينهما، فالتقيا فاختلفا ضربتين، فضرب المشرك أبا دُجَانَة فاتَّقاه بدرقته فعضَّت بسيفه، وضربه أبو دُجَانَة فقتله. ثُمَّ رأيته قد حمل السَّيف على [مَفْرِق](2) رأس هِنْد بنت عُتْبَة، فولولت، فمال عنها أبو دُجَانَة، فقال: أكرمتُ سَيْفَ رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ– أن أضرب به امرأةً.

(١) زيادة من السيرة النَّبويَّة ٦٨/٣.

(٢) زيادة من السيرة النَّبويَّة ٦٩/٣.

[ذِكْرُ بلاء حمزة]

وقاتل حَمْزَة بن عبد الْمُطَّلب، حتَّى قتل أَرْطَاة بن عبد شُرَحْبيل بن هاشم بن عبد مَناف بن عبد الدَّار، وكان أحد النَّفر الَّذين يحملون اللِّواء.

ثُمَّ مَرَّ به سِباعُ بن [١٠٩/و] عبد العُزَّى الغُبْشانِيّ، وكان يُكنَّى بأبي نيار، فقال له حَمْزَة: هلمّ إليَّ يا ابن مُقَطِّعَة البُظور. –وكانت أمّه تَخْفِضُ الجواري– فلَمَّا التقيا ضربه حَمْزَة –عليه السلام– فقتله.

[التحام القتال وبلاء علي –عليه السّلام–]

والتحم القتال وأبلى عليّ –عليه السّلام– وحَمْزَة في المشركين بلاءً شديداً، ونادى طَلْحَة بن أبي طَلْحَة صاحب لواء المشركين: يا أصحاب محمَّد؛ إنَّكم زعمتم أنَّ من قُتِلَ مِنَّا كان في النَّار، ومن قُتِلَ منكم كان في الجنَّة، فأيّكم يبرز إليَّ ليعجلني إلى النَّار، وأعجله إلى الجنَّة؟

[١٤٣] /فبرز إليه علي بن أبي طالب –عليه السّلام– فقال: أنا والله لا أُفارقكَ حتى أعجلك إلى النَّار إن شاء الله.

وحمل بعضهما على بعض، وهما مُدجَّجان، فانحسرت الدِّرْع عن ساق طَلْحَة، فضربه علي –عليه السّلام– بالسَّيف، فأبان رِجْله، وقام على رأسه يريد أن يقتله، فناشده بالله والرَّحِم.

وقال علي –عليه السّلام–: لَمَّا ناشدني بالله والرَّحِم استحييت أن أقتله، فتركته وقد علمت أنَّه لا يعيش. ومات طَلْحَة من تلك الضَّربة.

وأخذ اللِّواء بعده [١٠٩/ظ] أبو سَعيد بن أبي طَلْحَة، فقتله سَعْد بن

أبي وقّاص. -عليه السّلام-

ثُمَّ أخذ اللواء عُثْمان بن أَبي طَلْحَة، فقتله حَمْزَةُ -عَلَيْه السَّلاَمُ.

ثُمَّ أخذه مُسافِع بْنُ طَلْحَة، فقتله عَاصِمُ بن ثَابِتٍ بن أبي الأَقْلَح.

وَصَدَقَ المسلمون القِتال، وَأَثْخنوا في المشركين بالقتل والجراح فانهزم المشركون، فلمَّا رأى الرُّماة الهزيمة خَلَّوا ما أمرهم به رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- مِنْ لُزوم مراكزهم، وَأَتْبَعُوا العدوّ يريدون الغنائم، وقالوا: قد فاتَتْنا الغنائم يوم بَدْرٍ. فلمَّا انكشفت الرُّماةُ عَنْ رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آله-، كَرَّ أَبو سُفْيان وخالد بن الوَلِيْد والمشركون.

[مقتل حمزة -عليه السّلام-]

ونظر وَحْشِيّ غُلام جُبَيْر بن مُطْعِم إلى حَمْزَة وهو يهدر كالفَنِيْق، لا يدنو إليه أحد من المشركين إلاّ قتله. وكان جُبَيْر قد قال لِوَحْشِيّ: إن قتلت حَمْزَة عمّ محمَّد بعمِّي طُعَيْمَة بن عَدِيّ، فأنت حرّ. وبذلت له هِنْد نفسها إن قتل حَمْزَة.

فاستتر وَحْشِيّ لِحَمْزَة -عليه السّلام- بشجرة، حتَّى إذا أقبل سباع بن عبد العُزَّى، وثب [١١٠/و] عليه حَمْزَة -عليه السّلام- فقتله، فاعترضه وَحْشِيّ فأرسل حربته، فوقعت في ثُنَّة حَمْزَة -عليه السّلام-، وحمل حَمْزَة -عليه السّلام- يريده، فغلب عليه، وسقط -عليه السّلام.

وقتل المشركون مُصْعَب بن عُمَيْر وبيده راية الأنصار بين يدي رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ.

[حَنْظَلَة غَسيل الملائِكَة]

والتقى حَنْظَلَة بن أبي عَامِر الغسيل بأبي سُفْيان، فلَمَّا استعلاه حَنْظَلَة بالسَّيف يُريد أن يضرب هامته، وثب إليه شدَّاد بن الأَسْود -وهو ابن شعوب- فقتله قبل أن يصل إلى أبي سُفْيان، وسُمِّي: /"الغسيل" لقول رسول [١٤٤] الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ-: "رَأَيْتُ الْمَلائِكَةَ تُغَسِّلُ حَنْظَلَةَ بن أبي عَامِرٍ". وكان حين خرج للقتال وهو جنب لم يغتسل.

[قوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ-: "قَتْلاَنَا فِي الجَنَّة، وَقَتْلاَكُمْ فِي النَّارِ"]

ولَمَّا قتل حَنْظَلَة قال أبو سُفْيان: "أَعْلُ هُبَلُ!"[1]؛ حَنْظَلَةُ بِحَنْظَلَة. -يريد ابنه، وكان قُتِلَ ببَدْر، قتله عليّ بن أبي طالب -عليه السّلام.

فقال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ-[2]: "اللهُ أعْلَى وَأَجَلُّ وَلاَ سَوَاءٌ؛ قَتْلاَنَا فِي الجَنَّةِ، وَقَتْلاَكُمْ فِي النَّارِ".

[شجاعة صوأب وشعر حسَّان في ذلك]

وكان لِواء المشركين قد وقع حين قتل <منهم>[3] من أهله مَنْ ذكرناه، فأخذته عَمْرَة بنت عَلْقَمَة الْحَارِثِيَّة فرفعته لقُرَيش، وكان اللّواء مع صُوأب غُلام قُرَيش فقاتل حتَّى قُتِلَ، وهو يقول: [١١٠/ظ] اللّهُمَّ هل

(١) انظر: السِّيرة النَّبويَّة ٩٣/٣، كتاب الأصنام ٢٨، النهاية في غريب الحديث والأثر ٢٩٤/٣.

(٢) انظر: السيرة النَّبويَّة ٩٣/٣-٩٤، أنساب الأشراف ٣٨٧/١.

(٣) زيادة من "ب".

"أعزرت؟" يعني أعذرت.

وفي ذلك يقول حسَّان بن ثابت الأنصاريّ[1]:

فَخَرْتُمْ بِاللِّوَاءِ وَشَرُّ فَخْرٍ ... لِوَاءٌ حِيْنَ رُدَّ إِلَى صُؤَابِ

جَعَلْتُمْ فَخْرَكُمْ فِيْهِ لِعَبْدٍ ... وَأَلأَمِ مَنْ يَطَا عَفَرَ التُّرَابِ

ظَنَنْتُمْ وَالسَّفِيْهُ لَهُ ظُنُونٌ ... وَذَلِكَ لَيْسَ مِنْ أَمْرِ الصَّوَابِ

بِأَنَّ جِلاَدَنَا يَوْمَ الْتَقَيْنَا ... بِمَكَّةَ بَيْعُكُمْ حُمْرَ الْعِيَابِ

أَقَرَّ الْعَيْنَ أَنْ عُصِبَتْ يَدَاهُ ... وَمَا إِنْ تُعْصَبَانِ عَلَى خِضَابِ

[شِعْر حسَّان في عَمْرَة بنت عَلْقَمَة]

وقال حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ في عَمْرَة بنت عَلْقَمَة الْحَارِثِيَّة لَمَّا رفعت اللِّواء[2]:

إِذَا عَضَلٌ سِيْقَتْ إِلَيْنَا كَأَنَّهَا ... جِدَايَةُ شِرْكٍ مُعْلَمَاتُ الْحَوَاجِبِ

[١٤٥] /أَقَمْنَا لَهُمْ طَعْنًا وَضَرْبًا مُنَكِّلاً ... وَحُزْنَاهُمُ بِالضَّرْبِ مِنْ كُلِّ جَانِبِ

فَلَوْلاَ لِوَاءُ الْحَارِثِيَّةِ أَصْبَحُوا ... يُبَاعُونَ فِي الأَسْوَاقِ بَيْعَ الْجَلاَئِبِ

[تخلي الرماة عن مراكزهم]

ولَمَّا خلى الرُّماة عن مراكزهم، وخالفوا قول رسول الله –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه–، حمل المشركون، فانهزم المسلمون، وصرخ أزبّ العَقَبَة –و[الصَّارخ] هو الشَّيطان نعوذ بالله منه–: ألا إنَّ محمَّداً قد قُتِلَ.

(١) انظر: ديوانه ١/٣٦٧-٣٦٨.

(٢) انظر: ديوانه١/١٢٧.

[شأن أَنَس بن النَّضْر]

ولقي عَمْرو وهو منهزم أنس بن النَّضر، [١١١/و] فقال له: قُتِلَ رسول الله –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه–، قال أنس: فما تصنعون بالحياة بعده، ارجعوا فموتوا على ما مات عليه رسول الله –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه.

ثُمَّ استقبل القوم، فقاتل حتَّى قُتِلَ –رحمة الله عليه.

[ما لقيه الرَّسول –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه– يوم أُحُد]

وبقي[1] رسول الله –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه– وحده، وقَتَلَ المشركون مَنْ كان بين يديه، وجرحوه وكسروا ثَنيَّته اليُمْنى السُّفْلى، وكَلَمُوا شفته، وهشموا البَيْضَة على رأسه، وضربوه نيِّفاً وستِّين ضربة.

وكان –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه– قد ظاهر –يومئذ– بين درْعين، فأقبل عليّ –عليه السّلام–، وقد وقع رسول الله –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه– في حفرة، فأخذ بيده –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه– عليّ –عليه السّلام–، ورفعه، فوقف رسول الله –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه– على صخرة، وبقي عليٌّ –عليه السّلام– بين يديه وحده، وقد انكشف عنه النَّاس، فقال: "امْضِ يَا عَلِيّ". فقال: إلى أين أمضي يا رسول الله؟ أرجع كافراً بعد أن أسلمت.

[١٤٦] /وكانت كراديس المشركين تأتيهما، فيحمل رسول الله –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه– على بعضها، ويقول: "احمل يا عليّ على هؤلاء الآخرين". فيكشفان من أتاهما ويردَّانهم، بعد أن يبليا [١١١/ظ] فيهم، وكان منهما –

(١) انظر: شرح الأخبار ١/٢٦٩.

عليهما السّلام- في ذلك اليوم ما لم يكن من أحد قبلهما مثله، حتّى كشف الله -عزّ وجلّ- المشركين وهزمهم بهما.

ومن ذلك ما رُوِيَ عن أبي رافِع، قال[1]:

"لَمَّا كان يوم أُحُد، وكان من أمر النَّاس ما كان، وانكشف النَّاس عن رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ-، [جاء علي بن أبي طالب -عليه السّلام-، فوقف بين يدي رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ-، فقال له رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ-: "إذهب يا علي." فقال: يا رسول الله؛ إلى أين أذهب وأدعك؟ فهو على ذلك إذ][2] نظر إلى كتيبة مُقبلة، فقال [له رسول الله:][3] "يا عليّ؛ احمل على هذه الكتيبة". فحمل عليها، فقتل فيها هِشام بن أُمَيَّة الْمَخْزُومِيّ، وكشفها.

ثُمَّ أقبلت كتيبة ثانية، فقال له: "احمل عليها."[4] [فحمل عليها،][5] فقتل منها عمرو بن عبد الله الْجُمَحِيّ، وكشفها.

ثُمَّ أقبلت كتيبة ثالثة، فقال له: :احمل عليها."[6] [فحمل عليها،][7]

(١) انظر: شرح الأخبار ٢٨٦/١، وفيه: "ومن ذلك في رواية ثانية مما رواه أحمد بن علي بن سهل البغدادي، بإسناده عن أبي رافع، أنّه قال: .."
(٢) زيادة من شرح الأخبار.
(٣) زيادة من شرح الأخبار.
(٤) "على هذه" في شرح الأخبار.
(٥) زيادة من شرح الأخبار.
(٦) "على هذه" في شرح الأخبار.
(٧) زيادة من شرح الأخبار.

فقتل منها شَيْبَة بن مالِك أخا بني عَامِر بن لُؤَيّ.

ولَمَّا رأى جَبْرَائِيل -عليه السّلام- ما يصنع علي -عليه السّلام- دون رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ-، قال: يا محمَّد إنَّ هذه للمواساة. فقال: "يا جَبْرَائِيل: إنَّهُ منِّي وأنا منْهُ". فقال جَبْرَائِيل: وأنا منْكُما يا محمَّد".

فَسُمِّي هاشِمِيّ الملائكة.

وسَمِعَ مُنادياً يُنادي من السَّماء[1]:

/لاَ سَيْفَ إلاَّ ذُو الْفَقَارِ وَلاَ فَتَى إلاَّ [١١٢/و] عَلِيٌّ [١٤٧]

ولَمَّا ثبت عليّ -عليه السّلام-، تراجع المسلمون إلى رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ-، ورمى دونه عُتْبَة[2] بن أبي وقّاص.

وأتى مالك بن سنان، وهو أبو أَبِي سَعِيد الْخُدْرِيّ، فمصّ الدَّم عن وجه رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ-، ثُمَّ ازدرده، فقال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ-: "مَنْ مَسَّ دَمِي دَمَهُ لَمْ تُصِبْهُ النَّار"[3].

ودخلت الحلقتان من حَلَق الْمِغْفَر في وجنة رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- فانتزعهما أبو عُبَيْدَة بن الجرَّاح بأسنانه، فسقطت ثنيتاه لشدَّتهما. ورمى -يومئذٍ- رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- عن قوسه حتَّى اندقت سِيَتُها.

(١) انظر: السِّيرة النَّبويَّة ١٠٠/٣، المنمَّق في أخبار قريش ٤١١، تاريخ الطبري ٥١٤/٢، شرح الأخبار ٩٤/١ ٥٣٦/٢، أمالي الطوسي ٢٧١.
(٢) "أ" و "ب": "سَعد" وما أثبت فهو من السِّيرة النبويَّة ٨٠/٣.
(٣) انظر: السِّيرة النَّبويَّة ٨٠/٣.

[مقتل أُبيّ بن خَلَف]

وأتى أُبَي بن خَلَف وهو يقول: أين محمَّد؟ لا نجوتُ إنْ نجوتَ. فقال عليّ بن أبي طالب –عليه السّلام–: يا رسول الله، هذا أُبَي بن خَلَف أقوم إليه؟ فقال رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ–: "بَلْ أَنَا أَقُومُ إِلَيْهِ". فأمسكه عليّ –عليه السّلام– ومن معه إشفاقاً عليه، فانتفض من أيديهم انتفاضة تطايروا منها حوله، وأخذ حَرْبَة كانت بيد أحدهم، ثُمَّ استقبله، فطعنه طعنة كاد أن يسقط لها عن فرسه، [١١٢/ظ] وولّى هارباً.

وكان قد لقي رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– بمكّة، فقال: يا محمَّد لئن لم تنته عمَّا أنتَ عليه لأقتلنَّك. فنظر إليه رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– فقال: "بَلْ أَنَا أَقْتُلُكَ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى".

فلمَّا لحق بأصحابه جعل يتغاشى، فقالوا له: ما بكَ من بأس، فما الذي أرعبَ فؤادكَ إنَّما هو خدش! فقال: ويحكم إنَّه قال لي بمكّة إنَّه يقتلني. ولو بصق عليَّ لقتلني. فمات عدوّ الله بسَرِف وهم قافلون [به] إلى مكّة.

[صلاة الرّسول –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– قاعداً]

[١٤٨] /وقيل: إنَّ رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– صلَّى –يومئذ– بأصحابه [الظُّهر][1] جالساً لما به من ألم الجراحة، [ولم يستطع القيام،] وأمر مَنْ صلَّى معه من المسلمين أن يُصلُّوا جُلوساً.

وقيل: إنَّ الذي كَسَرَ رَباعِيَةَ رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ–

(١) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة.

وكَلَمَ شفته عُتْبَة بن أبي وقَّاص، رماه بحجر فأصاب ذلك منه. وإنَّ عبد الله بن شهاب الزُّهْرِيّ شجَّه في جَبْهته، وأنَّ ابن قَمِئة الحارثِيّ جرحه في وَجْنته.

وأخذ رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– [١١٣/و] كفّاً من حصى، فرمى به المشركين، فانهزموا عنه وتولّوا، وتراجع المسلمون، وكان يوم بلاء وتمحيص.

[استشهاد حَمْزَة –عليه السَّلام–]

وأُصيب حَمْزَة –عليه السّلام– وقَدْ مُثِّلَ به، وَشَقَّتْ هِنْد عَنْ كَبِده فأخرجتها ولاكتها، فلمَّا رآه رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– أحزنه، وقال: "لَئِنْ أَظْهَرَنِي اللهُ عَلَيْهِمْ لأُمَثِّلَنَّ بِسَبْعِينَ رَجُلاً مِنْهُمْ".

فأنزل الله –تعالى– عَلَيْه: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرينَ﴾[النحل: ١٢٦]. الآية. واغْتَمَّ المسلمون بما أُصيبوا به، فأنزل الله –عزَّ وَجَلَّ–: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[آل عمران: ١٦٥]. يعني: ما خالفوا فيه رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– من خروجهم عَنِ الْمَدينة، ثُمَّ تخلية الرُّماة مراكزهم.

وأمر رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– بدفن القتلى، [فدُفِنُوا][1] في مَصَارِعِهِمْ.

(١) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة.

وَقالَتْ هِنْدٌ الخبيثة في قتل حَمْزَة –عليه السَّلام– وما صنعت به[1]:

[١٤٩] /شَفَيْتُ مِنْ حَمْزَةَ نَفْسِي بِأُحُدْ

حِيْنَ بَقَرْتُ بَطْنَهُ عَنِ الْكَبِدْ

أَذْهَبَ عَنِّي ذَاكَ مَا كُنْتُ أَجِدْ

مِنْ لَذْعَةِ الْحُزْنِ الشَّدِيْدِ الْمُعْتَمِدْ

وَقالَتْ –أَيْضاً–[2]:

نَحْنُ جَزَيْنَاكُمْ بِيَوْمِ بَدْرِ [١١٣/ظ]

الْحَرْبُ بَعْدَ الْحَرْبِ ذَاتُ سُعْرِ

مَا كَانَ عَنْ عُتْبَةَ لِي مِنْ صَبْرِ

وَلاَ أَخِي وَعَمِّهِ وَبِكْرِي

شَفَيْتُ نَفْسِي وَقَضَيْتُ نَذْرِي

شَفَيْتَ وَحْشِيٌّ غَلِيْلَ صَدْرِي

فَشُكْرُ وَحْشِيٍّ عَلَيَّ عُمْرِي

حَتَّى تُضَمَّ أَعْظُمِي فِي قَبْرِي

فَأَجَابَتْهَا هِنْدُ بِنْتُ أُثَاثَةَ بْنَ عَبَّادَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بن عَبْدِ مَنَافٍ فقالت[3]:

(١) انظر: السيرة النبوية ٣/٩٢.

(٢) انظر: السيرة النبوية ٣/٩١.

(٣) انظر: السيرة النبوية ٣/٩١–٩٢.

خَزِيْتِ فِي بَدْرٍ وَغَيْرِ بَدْرِ

يَا بِنْتَ وَقَّاعٍ عَظِيْمِ الْكُفْرِ

صَبَّحَكِ اللهُ غَدَاةَ الفَجْرِ

بِالْهَاشِمِيِّيْنَ الطِّوَالِ الزُّهْرِ

بِكُلِّ قَطَّاعٍ حُسَامٍ يَفْرِي

حَمْزَةُ لَيْثِي وَعَلِيٌّ صَقْرِي

إِذْ رَامَ شَيْبٌ وَأَبُوكِ غَدْرِي

فَخَضَّبَا مِنْهُ ضَوَاحِي النَّحْرِ

/وَنَذْرُكِ النَّذْرَ فَشَرُّ نَذْرِ [١٥٠]

أَعْطَيْتِ وَحْشِيّاً ضَمِيْرَ الصَّدْرِ

هَتَكَ وَحْشِيٌّ حِجَابَ السِّتْرِ

مَا لِلْبَغَايَا بَعْدَهَا مِنْ فَخْرِ

وقيل: إنَّ هِنْداً كانت بَذَلَتْ نَفْسها لِوَحْشِيٍّ إن قتل حَمْزَة، وكانت من العَواهِرِ. وفيها يقول حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ الأَنْصارِيُّ[1]:

لَعَنَ الإِلَهُ وَزَوْجَهَا مَعَهَا ... هِنْدَ الْهُنُودِ طَوِيْلَةَ الْبَظْرِ

أَخْرَجْتِ مُرْقِصَةً إِلَى أُحُدٍ ... بِأَبِيْكِ وَابْنِكِ يَوْمَ ذِيْ بَدْرِ

وَبِعَمِّكِ الْمَسْتُوْهِ فِي رَدَعٍ ... شُبَّانُ مَكَّةَ غَيْرُ ذِي سَتْرِ

(١) انظر: ديوانه ١/٣٨٤.

[١١٤/و] وقيل: إنَّ رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– لَمَّا وقف على حَمْزَة ورأى ما مثَّلوا به، قال: "مَا وَقَفْتُ مَوْقِفاً قَطّ أَغْيَظَ عَلَيَّ مِنْ هَذَا".

وهبط جَبْرَائِيْل –عليه السّلام–، فقال: "يَا مُحَمَّد؛ إنَّه مَكْتُوبٌ فِي أَهْلِ السَّمَوات [السَّبْعِ][1] أنَّ حَمْزَةَ أَسَدُ الله، وَأَسَدُ رَسُولِهِ".

ثُمَّ أمر به رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– فسجي بِبُرْدَة، ثُمَّ صلَّى عليه، فكبَّر سبع تكبيرات، ثُمَّ أُتِيَ بالقَتْلَى فكانوا يُوضعون إلى [جانب][2] حمزة –رضي الله عنه– فيصلِّي عليهم رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– وعلى حَمْزَة معهم، حتَّى صلَّى عليه اثنين وسبعين مرَّة.

وقيل لرسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ–: إنَّ صَفِيَّة بنت عبد الْمُطَّلب جاءت للنَّظر إلى أخيها حَمْزَة –عليه السّلام–، فقال –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– للزُّبير: "القهَا فَأَرْجِعْهَا، لاَ تَرَى مَا بِأَخِيْهَا فَيَشْتَدّ جَزَعُهَا".

فلقيها، فقال: يَا أُمَّهْ إنَّ رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– يَأْمُرُكِ أن تَرْجِعِي. قالت: وَلِمَ؛ وقد بلغني أنَّه مُثِّلَ بأخي، وذلك في مرضات الله –عزّ وجلّ– لأَحْتَسِبَنَّ ولأَصْبِرَنَّ إنْ شاء الله تعالى.

[١٥١] /فقال رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ–: "خَلُّوا بَيْنَهَا وَبَيْنَه". فأتت ونظرت إليه، فصلَّت عليه [١١٤/ظ] واستغفرت له، ورجعت.

ثُمَّ أمر به رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ–، فَدُفِنَ في مصرعه،

(١) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة.

(٢) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة.

وأمر بالقتلى فَدُفنوا كذلك في مصارعهم.

وقال: "أَنَا شَهِيْدٌ عَلَى هَؤُلاَءِ، مَا [مِنْ جَرِيْحٍ][1] يُجْرَحُ[2] فِي ذَاتِ الله، إلاَّ وَيَبْعَثُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ يَدْمَى جُرْحُهُ، اللَّوْنُ لَوْنُ دَمٍ، وَالرِّيْحُ رِيْحُ مِسْكٍ".

ورجع رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– إلى الْمَدينة، وانصرف النَّاس معه، فلَمَّا دخل الْمَدينة مرّ ببيوت الأنصار وهم يبكون قتلاهم، فذرفت عيناه، وقال: "ولكنّ حَمْزَة لا بَواكِي له".

فأمر الأنصار نساءهم أن يأتين المسجد فيبكين عليه. ففعلن.

وخرج رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– وهُنَّ يبكين حَمْزَة على باب المسجد، فقال لهنّ: "ارجعن يرحمكنَّ الله؛ فقد آسيتنّ بأنفسكنّ". ونهى عن النَّوح الله.

[غسل السُّيوف]

ولَمَّا دخل رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– إلى مَنْزله، فتلقَّته فاطمَة –عليها السّلام–، فدفع إليها سيفه، وقال: "اغْسِلِي يَا بُنَيَّة مَا فِيْهِ مِنْ الدَّم، فَلَقَدْ صَدَقَنِي اليَوْمَ".

وأعطاها عليّ –عليه السّلام– [١١٥/و] ذا الفِقَار، وقال لها مثله، وقال[3]:

(١) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة.

(٢) "آ" و "ب": + "أحَد" وارتأينا حذفها.

(٣) انظر: ديوانه ١٢٩–١٣٠.

أَفَاطِمَ هَاكِ السَّيْفَ غَيْرَ ذَمِيْمِ ... فَلَسْتُ بِرِعْدِيْدٍ وَلاَ بِمُلِيْمِ
لَعَمْرِي لَقَدْ قَاتَلْتُ فِي حُبِّ أَحْمَدَ ... وَطَاعَةِ رَبٍّ بِالْعِبَادِ رَحِيْمِ
وَسَيْفِي بِكَفِّي كَالشِّهَابِ أَهُزُّهُ ... أَجُزُّ بِهِ مِنْ عَاتِقٍ وَصَمِيْمِ
فَمَا زِلْتُ حَتَّى فَضَّ رَبِّي جُمُوعَهُمْ ... وَحَتَّى شَفَيْتُ نَفْسَ كُلِّ حَلِيْمِ

[خروج الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- في أثر العدوّ]

[١٥٢] /ولَمَّا كان اليوم الثَّاني من أُحُد يوم الأحد سادس عشر من شهر شوَّال، أذن رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- في النَّاس بطلب العدوِّ، وأن لا يخرج معه إلاَّ من خرج في اليوم الأوَّل، فلم يتخلَّف عنه أحد. وانتهى -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- إلى حَمْراء الأسَد وهي من الْمَدينة على ثمانية أميال، فأقام بها الاثنين والثّلاثاء والأربعاء، ثُمَّ رجع إلى الْمَدينة.

وقد مَرَّ به مَعْبَد بن أبي مَعْبَد الْخُزاعيّ، وكانت خُزاعَة مُشركهم ومُسلمهم نُصحاء رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ-، ومَعْبَد -يومئذٍ- مُشرك، فقال: يا مُحمَّد؛ أَمَا والله لقد عزَّ علينا ما أصابكَ في أصحابكَ.

ثُمَّ ساروا ورسول الله بحَمْراء الأسَد، حتَّى لقي [١١٥/ظ] أبا سُفْيان ابن حَرْب ومن معه بالرَّوْحاء، وقد أجمعوا الرَّجعة إلى رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- وأصحابه، وقالوا: أصبنا حَدَّ أصحابه وأشرافهم وقادتهم، ثُمَّ نرجع قبل أن نستأصلهم، لَنكرَّنَّ على بقيتهم فلنفرغنَّ منهم. فلَمَّا رأى أبو سُفْيان مَعْبَداً قال: ما وراءك يا مَعْبَد؟ قال: مُحمَّد قد خرج في أصحابه يطلبكم في جمع لم أر مثله قط، يتحرَّقون عليكم تحرُّقاً، وقد اجتمع معه مَنْ كان تخلَّف

عنه في يومكم، وندموا على ما صنعوا فيهم من الحنق عليكم شيء لم أر مثله قط. قال: ويلك! ما تقول؟ قال: والله ما أرى أن ترتحل حتَّى ترى نواصي الخيل. فقال: والله لقد أجمعنا الكَرَّة عليهم لنستأصل بقيتهم. قال: إنِّي أنهاك عن ذلك، والله لقد حملني ما رأيتُ على أن قلت فيهم أبياتاً من شِعْر. قال: وما قلت؟ قال: قلت[1]:

كَادَتْ تُهَدُّ مِنَ الأَصْوَاتِ رَاحِلَتِي ... إِذْ سَالَتِ الأَرْضُ بِالْجُرْدِ الأَبَابِيْلِ
تَرْدِي بِأُسْدٍ كِرَامٍ لا تَنابِلَةٍ ... عِنْدَ اللِّقَاءِ، وَلاَ مِيْلٍ مَعَازِيْلِ
فَظَلْتُ عَدْواً أَظُنُّ الأَرْضَ مائِلَةً / لَمَّا سَمَوْا بِرَئِيْسٍ غَيْرِ مَخْذُولِ [١١٦/و]
فَقُلْتُ: وَيْلَ ابْنِ حَرْبٍ مِنْ لِقَائِكُمُ ... إِذَا تَغَطْمَطَتِ الْبَطْحَاءُ بِالْجِيْلِ
إِنِّي نَذِيْرٌ لأَهْلِ الْبَسْلِ ضَاحِيَةً ... لِكُلِّ ذِي إِرْبَةٍ مِنْهُمْ وَمَعْقُولِ
مِنْ جَيْشِ أَحْمَدَ، لاَ وَخْشٍ تَنَابِلَةٍ ... وَلَيْسَ يُوصَفُ مَا أَنْذَرْتُ بِالْقِيْلِ

فثنى ذلك أبا سُفْيان ومن معه راجعين إلى مكَّة.

[١٥٣] /وقال النَّبيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- حين بلغه رجوعهم وهو بحَمْراء الأسَد: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ سُوِّمَتْ لَهُمْ حِجَارَةٌ، لَوْ صُبِّحُوا بِهَا لَكَانُوا كَأَمْسِ الذَّاهِبِ".

ولقي رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- في جهة ذلك مُعاوِيَة بن الْمُغيْرَة بن أبي العاص بن أُمَيَّة بن عبد شَمْس، وهو جدّ عبد الْمَلك بن مَرْوان أبو أُمِّه عائِشَة بنت مُعاوِيَة، فقال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ-: "يا زُبَيْر؛

(١) انظر: السيرة النبوية ٣/١٠٣.

اضْرِبْ عُنُقَهُ". فضرب عُنُقه الزُّبَيْر.

وقيل: إنَّ عُثْمان أراد أن يجيره، فأمر رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- زَيْد بن حارِثَة، وعَمَّار بن ياسر، فضربا عُنُقه. والله أعلم.

ورجع رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- إلى الْمَدينة.

والَّذين استشهدوا من المسلمين يوم أُحُد سبعون رَجُلاً، أربعة منهم [١١٦/ظ] من المهاجرين، فيهم حَمْزَة بن عبد الْمُطَّلِب -عليه السَّلام- "سيِّد الشُّهداء".

[ذكر من قتل من المشركين يوم أحد]

وقُتِلَ من المشركين اثنان وعشرون رَجُلاً:

قَتَلَ رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- عَمْرو بن عبد الله بن عُمَيْر ابن وَهْب بن حُذاقَة بن جُمَح صبراً.

وقتل -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- أُبَي بن خَلَف من بني جُمَح.

وقتل عليّ بن أبي طالِب -عليه السَّلام-:

طَلْحَة بن أبي طَلْحَة، وأبا سَعيد بن أبي طَلْحَة، وقيل: قتله سَعْد بن أبي وقَّاص، وهما من بني عبد الدَّار. وصُؤاب: غُلام لهما حَبَشِيّ قتله عليّ بن أبي طالِب -عليه السَّلام.

وأبو أُمَيَّة بن أبي حُذَيْفَة بن الْمُغِيْرَة من بني مَخْزُوم، قتله عليّ بن أبي طالِب -عليه السَّلام.

وعبد الله بن حُمَيْد بن زُهَيْر من بني أَسَد بن عبد العُزَّى بن قُصَيّ، قتله عليٌّ بن أبي طالِب -عليه السَّلام.

وأبو الْحَكَم بن الأَخْنَس من بني زُهْرَة بن كِلاب، قتله عليٌّ بن أبي طالِب -عليه السَّلام.

وعُثْمان بن أبي طَلْحَة، قتله حَمْزَة -عليه السَّلام-، وهو من بني عبد الدَّار.

وأَرْطَاة بن عبد شُرَحْبيل بن هاشِم بن عبد مَناف بن عبد الدَّار، قتله حَمْزَة بن عبد الْمُطَّلِب -عليه السَّلام. [١١٧/و]

وسِباع بن عبد العُزَّى حَليف لهم من خُزاعَة، قتله حَمْزَة -عليه السَّلام.

[١٥٤] /والباقون من قتلى المشركين:

مُسافِع والْجُلاس ابنا طَلْحَة بن عبد الدَّار، قتلهما عاصِم بن ثابِت بن أبي الأَقْلَح.

والْحَارِث بن طَلْحَة قتله رَجُل من الأنصار

وكِلاب بن طَلْحَة من بني عبد الدَّار، قتله عبد الرَّحمن بن عَوْف.

وأبو زَيْد بن عُمَيْر بن هاشِم، قتله قُزْمان، وقُزْمان -هذا- حَليف لبني ظفر من الأنصار.

والقاسِط بن شُرَيْح من بني عبد الدَّار قتله أبو دُجانَة الأنصاريّ.

وهشام بن [أبي أُمَيَّة] بن الْمُغِيْرَة قتله قُزْمان.

وخالد بن الأَعْلَم قتله أبو دُجَانَة الأنصاري.

وعُبَيْدَة بن جابر، قتله عبد الله بن مَسْعود.

وشَيْبَة بن مالك بن الْمُضَرِّب قتله قُزْمان.

[مقتل قُزْمان مُنافقاً كما حدَّث الرَّسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- بذلك]

قال في سيرة ابن هِشام(١):

[كان فينا رجل أتى لا يُدْرى مِمَّن هو، يُقال له: قُزْمان،](٢) وكان رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آله- يقول: "قُزْمان مِنْ أَهْلِ النَّارِ". قال: فَلَمَّا كان يوم أُحُد قاتل المشركين قِتالاً شديداً، فقتل وحده ثمانية أو سبعة من المشركين. وكان ذا بأس، فأثخنته الجراح، فاحْتُمِلَ إلى دار بني ظَفَر. قال: فجعل رِجالٌ من [١١٧/ظ] المسلمين يقولون له: والله لقد أَبْلَيْتَ اليوم يا قُزْمان، فأَبْشِر. قال: بماذا أُبَشَّر؟ فوالله ما قاتلتُ إلاّ عن أحساب قومي، ولولا ذلك ما قاتلت.

قال: فلَمَّا اشتدّت عليه جراحته، أخذ سَهْماً من كِنانته، فقتل به نفسه.

[ذكر ما قيل من الشِّعْر يوم أُحُد]

وقال عَلِيٌّ بن أبي طالب يوم أُحُد(٣):

الْحَمْدُ للهِ رَبِّي الْوَاحِدِ الصَّمَدِ ... فَلَيْسَ يُشْرِكُهُ فِي حُكْمِهِ أَحَدُ

(١) انظر: السِّيرة النَّبويَّة ٣/٨٨.

(٢) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة.

(٣) انظر: ديوانه ٥٩-٦٠.

هُوَ الَّذي عَرَّفَ الْكُفَّارَ كُفْرَهُمُ ... وَالْمُؤْمِنُونَ سَيَجْزِيْهِم بِمَا وُعِدُوا

/فَإِنْ تَكُنْ دَوْلَة كَانَتْ لَهُمْ عِظَةً ... فَهَلْ عَسَى أَنْ يُرَى فِي غَيِّهَا رَشَدُ [١٥٥]

وَيَنْصُرُ اللهُ مَنْ وَالاَهُ إِنَّ لَهُ ... نَصْراً وَيَمْكُرُ بِالْكُفَّارِ إِذْ عَنَدُوا

فَإِنْ نَطَقْتُمْ بِفَخْرٍ لا أَبَا لَكُمُ ... فِيمَنْ تَضَمَّنَ مِنْ إِخْوَانِنَا أُحُدُ

فَإِنَّ طَلْحَةَ غَادَرْنَاهُ مُنْجَدِلاً ... وَلِلصَّفَائِحِ نَارٌ بَيْنَنَا تَقِدُ

وَالْمَرْءُ عُثْمَانُ أَرْدَتْهُ أَسِنَّتُنا ... فَجَيْبُ زَوْجَتِهِ مِنْ فَقْدِهِ قِدَدُ

فِي تِسْعَةٍ وَلِوَاءٌ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ ... لَمْ يَنْكُلُوا عَنْ حِيَاضِ الْمَوْتِ إِذْ وَرَدُوا

كَانُوا الذُّؤَابَةَ مِنْ فِهْرٍ وَأَكْرَمَهَا ... حَيْثُ الأُنُوفُ وَحَيْثُ الْفَرْعُ وَالْعَدَدُ

وَأَحْمَدُ الْخَيْرِ قَدْ أَرْدَى عَلَى عَجَلٍ ... تَحْتَ الْعَجَاجِ أُبَيًّا وَهْوَ مُجْتَهِدُ

فَظَلَّتِ الطَّيْرُ وَالْعِقْبَانُ تَنْهَشُهُ / فَحَامِلٌ بِضْعَةً مِنْهُ وَمُقْتَعِدُ [١١٨/و]

وَمَنْ قَتَلْتُمْ عَلَى مَا كَانَ مِنْ عَجَبٍ ... مِنَّا فَقَدْ صَادَفُوا خَيْراً وَقَدْ سَعِدُوا

لَهُمْ جِنَانٌ مِنَ الْفِرْدَوْسِ طَيِّبَةٌ ... لاَ يَعْتَرِيْهِمْ بِهَا حَرٌّ وَلا صَرَدُ

صَلَّى الإِلَهُ عَلَيهِمْ كُلَّمَا ذُكِرُوا ... فَرُبَّ مَشْهَدِ صِدْقٍ قَبْلَهُ شَهِدُوا

قَوْمٌ وَفَوْا لِرَسُولِ اللهِ وَاحْتَسَبُوا ... شُمُّ الْعَرَانِيْنِ مِنْهُمْ حَمْزَةُ الأَسَدُ

وَمُصْعَبٌ ظَلَّ لَيْثاً دُونَهُ حَرِداً ... حَتَّى تَزَمَّلَ مِنْهُ ثَعْلَبٌ جَسَدُ

لَيْسُوا كَقَتْلَى مِنَ الْكُفَّارِ أَدْخَلَهُمْ ... نَارَ الْجَحِيمِ عَلَى أَبْوَابِهَا الرَّصَدُ

وقال -عليه السّلام- في ذلك -أيضاً-(١):

رَأَيْتُ الْمُشْرِكِيْنَ بَغَوا عَلَيْنَا ... وَلَجُّوا فِي الْغَوَايَةِ وَالضَّلالِ

(١) انظر: ديوانه ١١٦-١١٧.

وَقَالُوا نَحْــنُ أَكْثَــرُ إِذْ نَفَرْنَــا ... غَدَاةَ الــرَّوْعِ بِالأَسَــلِ النِّهَــالِ

فَــإِنْ يَبْغُــوا وَيَفْتَخِــرُوا عَلَيْنَــا ... بِحَمْزَةَ فَهْوَ فِي الْغُــرَفِ الْعَــوَالِي

فَقَــدْ أَوْدَى بِعُتْبَــةَ يَــوْمَ بَــدْرٍ ... وَقَــدْ أَبْلَــى وَجَاهَــدَ غَيْــرَ آلِ

وَقَدْ غَادَرْتُ كَبْشَــهُمُ جِهَــاراً ... بِحَمْدِ اللهِ طَلْحَةَ فِــي الْمَجَــالِ

فَنَــاءَ لِوَجْهِــهِ وَرَفَعْــتُ عَنْــهُ ... رَقِيقَ الْحَــدِّ حُــوْدِثَ بِالصِّــقَالِ

كَــأَنَّ الْمِلْــحَ خَالَطَــهُ إِذَا مَــا ... تَلَظَّى كَالْعَقِيْقَــةِ فِــي الظِّــلاَلِ

[١٥٦] /وقال حسَّان بن ثابت يذكر عدَّة أصحاب اللِّواء يوم أُحُد[1]: [١١٨/ظ]

مَنَعَ النَّوْمَ بِالعَشَــاءِ الْهُمُــومُ ... وَخَيَــالٌ إِذَا تَغُــورُ النُّجُــومُ

مِنْ حَبِيْبٍ أَصَابَ قَلْبَكَ مِنْــهُ ... سَــقَمٌ فَهْوَ دَاخِــلٌ مَكْتُــومُ

يَا لَقَوْمِي هَلْ يَقْتُلُ الْمَرْءَ مِثْلِي ... وَاهِنُ الْبَطْشِ وَالْعِظَامِ سَــؤُومُ

لَوْ يَدِبُّ الْحَوْلِيُّ مِنْ وَلَدِ الــذَّ ... رِّ عَلَيْهَــا لأَنْــدَبَتْهَا الْكُلُــومُ

شَأْنُهَا الْعِطْرُ وَالْفِرَاشُ وَيَعْلُــو ... هَا لُجَــيْنٌ وَلُؤْلُــؤٌ مَنْظُــومُ

لَمْ تَفُتْهَا شَمْسُ النَّهَارِ بِشَــيْءٍ ... غَيْرَ أَنَّ الشَّبَابَ لَــيْسَ يَــدُومُ

إِنَّ خَالِي خَطِيْبُ جَابِيَةِ الجَــوْ ... لاَنِ عِنْدَ النُّعْمَانِ حِيْنَ يَقُــومُ

وَأَنَا الصَّقْرُ عِنْدَ بَابِ ابْنِ سَلْمَى ... يَوْمَ نُعْمَانُ فِي الْكُبُولِ سَــقِيْمُ

وَأُبَيٌّ وَوَاقِــدٌ أُطْلِقَــا لِــي ... يَوْمَ رَاحَا وَكَــبْلُهُمْ مَخْطُــومُ

وَرَهَنْتُ الْيَدَيْنِ عَنْهُمْ جَمِيْعــاً ... كُلُّ كَفٍّ جُزْءٌ لَهَــا مَقْسُــومُ

وَسَطَتْ نِسْبَتِي الذَّوَائِبَ مِنْهُمْ ... كُلُّ دَارٍ فِيْهَا أَبٌ لِي عَظِــيْمُ

(١) انظر: ديوانه ١/٤٠-٤١.

وَأَبِي فِي سُمَيْحَةَ الْقَائِلُ الْفَــا ... صِلُ يَوْمَ الْتَقَتْ عَلَيْهِ الْخُصُومُ

تِلْكَ أَفْعَالُنَا وَفِعْــلُ الزِّبَعْــرَى ... خَامِلٌ فِي صَــدِيْقِهِ مَــذْمُومُ

رُبَّ حِلْمٍ أَضَاعَهُ عَــدَمُ الْمَــا ... لِ وَجَهْلٍ غَطَّى عَلَيْهِ النَّعِــيْمُ

لا تَسُبَّــنَّنِي فَلَسْــتَ بِسِــبِّي ... إِنَّ سِبِّي مِنَ الرِّجَالِ الْكَــرِيْمُ

مَا أُبَالِي أَنَبَّ بِــالْحَزْنِ تَــيْسٌ / أَمْ لَحَانِي بِظَهْرِ غَيْــبٍ لَئِــيْمُ [١١٩/و]

وَلِي الْبَأْسَ مِــنْكُم إِذْ رَحَلْــتُمْ ... أُسْرَةٌ مِنْ بَنِي قُصَــيٍّ صَــمِيْمُ

تِسْعَةٌ تَحْمِلُ اللِّوَاءَ وَطَــارَتْ ... فِي رَعَاعٍ مِنَ الْقَنَــا مَخْــزُومُ

وَأَقَامُوا حَتَّى أُبِيْحُوا جَمِيْعــاً ... فِي مَقَــامٍ وَكُلُّهُــمْ مَــذْمُومُ

بِدَمٍ عَاتِــكٍ وَكَــانَ حِفَاظــاً ... أَنْ يُقِيْمُوا، إِنَّ الْكَرِيْمَ كَــرِيْمُ

وَأَقَامُوا حَتَّى أُزِيْــرُوا شَــعُوباً ... وَالْقَنَا فِي نُحُورِهِمْ مَحْطُــومُ

وَقُــرَيْشٌ تَفِــرُّ مِنَّــا لِــوَاذاً ... أَنْ يُقِيْمُوا وَخَفَّ مِنْهَا الْحُلُومُ

لَمْ تُطِقْ حَمْلَهُ الْعَوَاتِقُ مِــنْهُمْ ... إِنَّمَا يَحْمِلُ اللِّــوَاءَ النُّجُــومُ

[١٥٧] /وقيل: إنَّ حسَّان بن ثابت قال هذه القصيدة: ["مَنَعَ النَّوْمَ بِالعَشَاءِ الْهُمُومُ"][1] لَيْلاً، فدعا قومه، فقال [لهم:][2] خشيت أن يدركني أجلي قبل أن أصبح فلا ترووها [عني.][3]

وقيل: إنَّها أفصح شعره.

(١) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة.

(٢) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة.

(٣) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة.

وقال –أيضا– حسَّان يبكي حَمْزَة بن عبد الْمُطَّلب[١]:

يَا مَيُّ قُومِي فَانْدُبِنَّ بِسُحْرَةٍ شَجْوَ النَّوَائِحْ
كَالْحَامِلاَتِ الْوِقْرَ بِالثِّقْلِ الْمُلِحَّاتِ الدَّوَالِحْ
الْمُعْوِلاَتِ الْخَامِشَاتِ وُجُوهَ حُرَّاتٍ صَحَائِحْ
وَكَأَنَّ سَيْلَ دُمُوعِهَا الأَنْصَابُ تُخْضَبُ بِالذَّبَائِحْ
[١١٩/ظ] يَنْقُضْنَ أَشْعَاراً لَهُنَّ هُنَاكَ بَادِيَةَ / الْمَسَائِحْ
وَكَأَنَّها أَذْنَابُ خَيْلٍ بِالضُّحَى شُمْسٍ رَوَامِحْ
مِنْ بَيْنِ مَشْرُورٍ وَمَجْزُورٍ يُذَعْذَعُ بِالْبَوَارِحْ
يَبْكِيْنَ شَجْوَ مُسَلَّبَاتٍ كَدَّحَتْهُنَّ الْكَوَادِحْ
وَلَقَدْ أَصَابَ قُلُوبَهَا مَجَلٌ لَهُ جُلَبٌ قَوَارِحْ
إِذْ أَقْصَدَ الْحَدَثَانُ مَنْ كُنَّا نُرَجِّي إِذْ نُشَائِحْ
أَصْحَابَ أُحُدٍ غَالَهُمْ دَهْرٌ أَلَمَّ لَهُ جَوَارِحْ
مَنْ كَانَ فَارِسَنَا وَحَامِيَنَا إِذَا بُعِثَ الْمَسَالِحْ
يَا حَمْزَ لا وَاللهِ لاَ أَنْسَاكَ مَا صُرَّ اللِّقَائِحْ
لِمُنَاخِ أَيْتَامٍ وَأَضْيَافٍ وَأَرْمَلَةٍ تُلاَمِحْ
وَلِمَا يَنُوبُ الدَّهْرُ فِي حَرْبٍ لِحَرْبٍ وَهْيَ لاَقِحْ
يَا فَارِساً يَا مِدْرَهاً يَا حَمْزَ قَدْ كُنْتَ الْمُصَامِحْ
[١٥٨] /عَنَّا شَدِيْدَاتِ الْخُطُوبِ إِذَا يَنُوبُ لَهُنَّ فَادِحْ
ذَكَّرْتَنِي أَسَدَ الرَّسُولِ وَكَانَ مِدْرَهَنا الْمُنَافِحْ

(١) انظر: ديوانه ١/٤٥٠-٤٥٢.

عَنَّا وَكَانَ يُعَدُّ إِذْ عُدَّ الشَّرِيْفُونَ الْجَحَاجِحْ
يَعْلُو الْقَمَاقِمَ جَهْرَةً سَبْطَ الْيَدَيْنِ أَغَرَّ وَاضِحْ
لاَ طَائِشٌ رَعِشٌ وَلاَ ذُو عِلَّةٍ بِالْحِمْلِ آنِحْ
بَحْرٌ فَلَيْسَ يُغِبُّ جَاراً مِنْهُ سَيْبٌ أَوْ مَنَادِحْ
أَوْدَى شَبَابُ أُولِي الْحَفَائِظِ وَالثَّقِيْلُونَ الْمَرَاجِحْ
الْمُطْعِمُونَ إِذَا الْمَشَاتِي مَا يُصَفِّقُهُنَّ نَاضِحْ
لَحْمَ الْجِلاَدِ وَفَوْقَهُ/مِنْ شَحْمِهِ شُطَبٌ شَرَايِحْ [١٢٠/و]
لِيُدَافِعُوا عَنْ جَارِهِمْ مَا رَامَ ذُو الضِّغْنِ الْمُكَاشِحْ
لَهْفِي لِشُبَّانٍ رُزِيْنَاهُمْ كَأَنَّهُمُ الْمَصَابِحْ
شُمٌّ، بَطَارِقَةٌ، غَطَارِفَةٌ، خَضَارِمَةٌ، مَسَامِحْ
الْمُشْتَرُونَ الْحَمْدَ بِالأَمْوَالِ، إِنَّ الْحَمْدَ رَابِحْ
وَالْجَامِزُونَ بِلُجْمِهِمْ يَوْماً إِذَا مَا صَاحَ صَائِحْ
مَنْ كَانَ يُرْمَى بِالنَّوَاقِرِ مِنْ زَمَانٍ غَيْرِ صَالِحْ
مَا إِنْ تَزَالُ رِكَابُهُ يَرْسِمْنَ فِي غُبْرٍ صَحَاصِحْ
رَاحَتْ تَبَارَى وَهْوَ فِي رَكْبٍ صُدُورُهُمُ رَوَاشِحْ
حَتَّى تَؤُوبَ لَهُ الْمَعَالِي لَيْسَ مِنْ فَوْزِ السَّفَائِحْ
يَا حَمْزَ قَدْ أَوْحَدْتَنِي كَالْعُودِ شَذَّبَهُ الْكَوَافِحْ
أَشْكُو إِلَيْكَ وَفَوْقَكَ التُّرْبُ الْمُكَوَّرُ وَالصَّفَائِحْ
مِنْ جَنْدَلٍ نُلْقِيْهِ فَوْقَكَ إِذْ أَجَادَ الضَّرْحَ ضَارِحْ
فِي وَاسِعٍ يَحْشُونَهُ بِالتُّرْبِ سَوَّتْهُ الْمَمَاسِحْ

فَعَزَاؤُنا أَنَّا نَقُولُ وَقَوْلُنَا بَرْحٌ بَوَارِحْ

مَنْ كَانَ أَمْسَى وَهْوَ عَمَّا أَوْقَعَ الْحَدَثَانُ جَانِحْ

فَلْيَأْتِنا فَلْتَبْكِ عَيْنَاهُ لِهَلْكَانَا النَّوافِحْ

الْقَائِلِيْنَ الْفَاعِلِيْنَ ذَوِي السَّمَاحَةِ وَالْمَمَادِحْ

مَنْ لا يَزَالُ نَدَى يَدَيْهِ لَهُ طَوَالَ الدَّهْرِ مَائِحْ

[١٥٩] [١٢٠/ظ] /وقال الحَجَّاجُ بن عِلاَط السُّلَميّ يمدح أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب –عليه السّلام–، ويذكر قتله طَلْحَة بن أبي طَلْحَة صاحب لواء المشركين(1):

لِلَّه أَيُّ مُذَبِّبٍ، عَنْ حُرْمَةٍ ... أَعْنِي ابْنَ فَاطِمَةَ الْمُعِمَّ الْمُخْوِلا

سَبَقَتْ يَدَاكَ لَهُ بِعَاجِلِ طَعْنَةٍ ... تَرَكَتْ طُلَيْحَةَ لِلْجَبِيْنِ مُجَنْدَلا

وَشَدَدْتَ شَدَّةَ بَاسِلٍ فَكَشَفْتَهُمْ ... بِالْجَرِّ إِذْ يَهْوُونَ أَخْوَلَ أَخْوَلا

وقال كَعْبُ بن مالك يرثي حَمْزَة –عليه السّلام–(2):

طَرَقَتْ هُمُومُكَ فَالرُّقَادُ مُسَهَّدُ ... وَجَزِعْتُ أَنْ سُلِخَ الشَّبَابُ الأَغْيَدُ

وَدَعَتْ فُؤادَكَ لِلْهَوَى ضَمْرِيَّةٌ ... فَهَوَاكَ غَوْرِيٌّ وَصَحْوُكَ مُنْجِدُ

فَدَعِ التَّمَادِيَ فِي الغَوايَةِ سَادِراً ... قَدْ كُنْتَ فِي طَلَبِ الْغَوايَةِ تُفْنَدُ

وَلَقَدْ أَنَى لَكَ أَنْ تَنَاهَى طَائِعاً ... أَوْ تَسْتَفِيقَ إِذا نَهَاكَ الْمُرْشِدُ

وَلَقَدْ هُدِدْتُ لِفَقْدِ حَمْزَةَ هَدَّةً ... ظَلَّتْ بَنَاتُ الْجَوْفِ مِنْهَا تَرْعَدُ

وَلَوَ اَنَّهُ فُجِعَتْ حِرَاءُ بِمِثْلِهِ ... لَرَأَيْتُ رَأْسي صَخْرِهَا يَتَبَدَّدُ

(1) انظر: السِّيرة النّبويّة ١٥١/٣.

(2) انظر: ديوانه ١٥٩-١٦١.

قَرْمٌ تَمَكَّنَ فِي ذُؤَابَةِ هَاشِمٍ ... حَيْثُ النُّبُوَّةُ وَالنَّدَى وَالسُّؤْدُدُ

وَالْعَاقِرُ الْكُومَ الْجِلاَدَ إِذَا غَدَتْ ... رِيْحٌ يَكَادُ الْمَاءُ مِنْهَا يَجْمُدُ

وَالتَّارِكُ الْقِرْنَ الْكَمِيَّ مُجَدَّلاً / يَوْمَ الْكَرِيْهَةِ وَالْقَنَا يَتَقَصَّدُ [١٢١/و]

وَتَرَاهُ يَرْفُلُ فِي الْحَدِيْدِ كَأَنَّهُ ... ذُو لِبْدَةٍ شَثْنُ الْبَرَاثِنِ أَرْبَدُ

عَمُّ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ وَصَفِيُّهُ ... وَرَدَ الْحِمَامَ فَطَابَ ذاكَ الْمَوْرِدُ

وَأَتَى الْمَنِيَّةَ مُعْلِماً فِي أُسْرَةٍ ... نَصَرُوا النَّبِيَّ وَمِنْهُمُ الْمُسْتَشْهِدُ

وَلَقَدْ إِخَالُ بِذَاكَ هِنْداً بُشِّرَتْ ... لِتُمِيْتَ دَاخِلَ غُصَّةٍ لاَ تَبْرُدُ

مِمَّا صَبَحْنَا بِالْعَقَنْقَلِ قَوْمَهَا ... يَوْماً تَغَيَّبَ فِيْهِ عَنْهَا الأَسْعَدُ

وَبِبِئْرِ بَدْرٍ إِذْ يَرُدُّ وُجُوهَهُمْ ... جِبْرِيْلُ تَحْتَ لِوَائِنَا وَمُحَمَّدُ

حَتَّى رَأَيْتُ لَدَى النَّبِيِّ سَرَاتَهُمْ ... قِسْمَيْنِ: يَقْتُلُ مَنْ نَشَاءُ وَيَطْرُدُ

فَأَقَامَ بِالْعَطَنِ الْمُعَطَّنِ مِنْهُمُ ... سَبْعُونَ: عُتْبَةُ مِنْهُمُ وَالأَسْوَدُ

/وَابْنُ الْمُغِيْرَةِ قَدْ ضَرَبْنَا ضَرْبَةً ... فَوْقَ الْوَرِيْدِ لَهَا رَشَاشٌ مُزْبِدُ [١٦٠]

وَأُمَيَّةُ الْجُمَحِيُّ قَوَّمَ مَيْلَهُ ... عَضْبٌ بِأَيْدِي الْمُؤْمِنِيْنَ مُهَنَّدُ

فَأَتَاكَ فَلُّ الْمُشْرِكِيْنَ كَأَنَّهُمْ ... وَالْخَيْلُ تَثْفِنُهُمْ نَعَامٌ شُرَّدُ

شَتَّانَ مَنْ هُوَ فِي جَهَنَّمَ ثاوِياً ... أَبَداً وَمَنْ هُوَ فِي الْجِنَانِ مُخَلَّدُ

وقال حسَّان بن ثابت يبكي حَمْزَة –عليه السّلام–(1):

هَلْ تَعْرِفُ الدَّارَ عَفَا رَسْمَهَا ... بَعْدَكَ صَوْبُ الْمُسْبِلِ الْهَاطِلِ

بَيْنَ السَّرادِيْحِ فَأُدْمَانَةٍ ... فَمَدْفَعِ الرَّوْحَاءِ فِي حَائِلِ

سَأَلْتُهَا عَنْ ذاكَ فَاسْتَعْجَمَتْ / لَمْ تَدْرِ مَا مَرْجُوعَةُ السَّائِلِ [١٢١/ظ]

(1) انظر: ديوانه ٣٢١/١-٣٢٢.

دَعْ عَنْكَ دَاراً قَدْ عَفَا رَسْمُهَا … وَابْكِ عَلَى حَمْزَةَ ذِي النَّائِلِ

الْمَالِئِ الشِّيْزَى إذا أَعْصَفَتْ … غَبْراءُ فِي ذِي السَّنَةِ الْمَاحِلِ

وَالتَّارِكِ الْقِرْنَ لَدَى قِرْنِهِ … يَعْثُرُ فِي ذِي الْخُرُصِ الذَّابِلِ

وَاللابِسِ الْخَيْلَ إذا أَحْجَمَتْ … كَاللَّيْثِ فِي غَابَاتِهِ الْبَاسِلِ

أَبْيَضُ فِي الذِّرْوَةِ مِنْ هَاشِمٍ … لَمْ يَمْرِ دُونَ الْحَقِّ بِالْبَاطِلِ

مَا لِشَهِيْدٍ بَيْنَ أَسْيَافِكُمْ … شَلَّتْ يَدا وَحْشِيٍّ مِنْ قَاتِلِ

إِنَّ امْرأً غُودِرَ فِي أَلَّةٍ … مَطْرُورَةٍ مَارِنَةِ الْعَامِلِ

أَظْلَمَتِ الأَرْضُ لِفِقْدَانِهِ … وَاسْوَدَّ نُورُ الْقَمَرِ النَّاصِلِ

صَلَّى عَلَيْهِ اللهُ فِي جَنَّةٍ … عَالِيَةٍ مُكْرَمَةِ الدَّاخِلِ

كُنَّا نَرَى حَمْزَةَ حِرْزاً لَنَا … فِي كُلِّ أَمْرٍ نَابَنَا نَازِلِ

وَكَانَ فِي الإِسْلاَمِ ذَا تُدْرَإٍ … لَمْ يَكُ بِالْوَانِي وَلاَ الْخَاذِلِ

لاَ تَفْرَحِي يَا هِنْدُ وَاسْتَحْلِبِي … دَمْعاً وَأَذْرِي عَبْرَةَ الثَّاكِلِ

وَابْكِي عَلَى عُتْبَةَ إِذْ قَطَّهُ … بِالسَّيْفِ تَحْتَ الرَّهَجِ الْجَائِلِ

إِذْ خَرَّ فِي مَشْيَخَةٍ مِنْكُمُ … مِنْ كُلِّ عَاتٍ قَلْبُهُ جَاهِلِ

[١٢٢/و] أَرْدَاهُمُ حَمْزَةُ فِي أُسْرَةٍ … يَمْشُونَ تَحْتَ الْحَلَقِ الْفَاضِلِ

غَدَاةَ جِبْرِيلُ وَزِيرٌ لَهُ … نِعْمَ وَزِيرُ الْفَارِسِ الْحَامِلِ

***

[١٦١]

[/ذكر يوم الرَّجِيْع في سنة ثلاث]

وقدم على رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- رَهْط من عَضَل والقارَة بعد وقعة أُحُد، -[وعَضَل][1] والقارَة من الْهُون بن خُزَيْمَة بن مُدْرِكَة- فقالوا: يا رسول الله؛ ابعث معنا من أصحابك من يُفقِّهنا في الدِّين، ويعلِّمنا القرآن، فإنَّ فينا إسلاماً.

فبعث رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- معهم ستَّة من أصحابه وهم: مَرْثَد بن أبي مَرْثَد الغَنَوِيّ، حليف حَمْزَة بن عبد الْمُطَّلب، وخالد بن البُكَيْر اللَّيْثِيّ، حَليف بني عَدِيّ بن كَعْب، وعاصِم بن ثابت بن أبي الأَقْلَح، أخو بني عَمْرو بن عَوْف [بن مالك][2] بن الأَوْس، وزَيْد بن الدَّثِنَّة [بن مُعاوِيَة،] أخو بني بَيَاضَة بن جُشَم بن الْخَزْرَج، وَخُبَيْب بن عَدِيّ، أخو بني جَحْجَبَى بن كُلْفَة، وعبد الله بن طارِق حَليف بني ظَفَر بن الْخَزْرَج بن عَمْرو ابن مالِك بن الأَوْس.

[غدر عَضَل والقارَة بالنَّفر الستَّة]

وأَمَّرَ رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- عليهم مَرْثَد بن أبي مَرْثَد الغَنَوِيّ، فخرج مع القوم حتَّى إذا كانوا على الرَّجِيع، بناحية الْحِجاز، غدروا بهم، فاستصرخوا عليهم هُذَيْلاً، فلم يَرُع القوم، وهم [١٢٢/ظ] في رِحالهم، إلاَّ الرِّجال بأيديهم السُّيوف، قد أَلَمُّوا بهم، فأخذوا سُيوفهم ليقاتلوهم، فقالوا

(١) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة.

(٢) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة.

[لهم:][1] إنا والله ما نُريد قتلكم، ولكنّا نُريد أن نُصيب بكم شيئاً من أهل مكّة، ولكم عهد الله وميثاقه أن لا نقتلكم.

فأما مَرْثَد بن أبي مَرْثَد، وخالد بن البُكَيْر، وعاصِم بن ثابت، فقالوا: [والله][2] لا نقبل من عهد المشرك.

وقال عاصِم بن ثابت[3]:

مَا عِلَّتِي، وَأَنَـا جَلْـدٌ نَابِـلُ
وَالْقَوْسُ فِيْهَـا وَتَـرٌ عُنَابِـلُ
/تَزِلُّ عَنْ صَـفْحَتِهَا الْمَعَابِـلُ [١٦٢]
الْمَوْتُ حَقٌّ، وَالْحَيَـاةُ بَاطِـلُ
وَكُلُّ مَا حَـمَّ الإِلَـهُ نَـازِلُ
بِـالْمَرْءِ وَالْمَـرْءُ إِلَيْـهِ آيِـلُ
إِنْ لَمْ أُقَاتِلْكُمْ فَـأُمِّي هَابِلُ

وقال أيضاً[4]:

أَبُو سُلَيْمَانَ وَرِيْـشُ الْمُقْعَـدِ
وَضَالَةٌ مِثْلُ الْجَحِـيْمِ الْمُوقَـدِ
إِذا النَّواجِي افْتُرِشَتْ لَمْ أُرْعَـدِ

(١) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة.
(٢) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة.
(٣) انظر: السِّيرة النَّبويّة ٣/١٧٠.
(٤) انظر: السِّيرة النَّبويّة ٣/١٧٠.

وَمُجْنَأً مِنْ جِلْدِ ثَـوْرٍ أَجْـرَدِ
وَمُؤْمِنٌ بِمَـا عَلَـى مُحَمَّـدِ

وكان العاصِم يُكَنَّى بأبي سُلَيْمان، فقاتل القوم حتَّى قُتِلَ، وقُتِلَ صاحباه -رحمة الله عليهم.

فلَمَّا قُتِلَ عاصِم أرادت هُذَيْل أخذ رأسه، ليبيعوه من سُلافَة بنت سَعْد [١٢٣/و] ابن شُهَيْد، وكانت قد نذرت حين أصاب ابنيها: لئن قَدرتْ على رأسه لَتَشْرَبَنَّ في قِحْفه الخمر. فمنعته الدَّبْر.

وكان عاصِم قد أعطى الله عهداً أن لا يمسَّه مشرك، ولا يمسّ مشركاً أبداً.

فقالوا: وقد حمته الدَّبْر، فإذا كان اللَّيل أخذناه، فأرسل الله سَيْلاً ملأ الوادي، واحتمل عاصِماً فذهب به.

وأما زَيْد بن الدَّثِنَّة، وخُبَيْب بن عَدِيّ، وعبد الله بن طارِق، [فلانوا ورقُّوا ورَغِبوا في الحياة،][1] فأعطوا بأيديهم، فأسروهم، ثُمَّ خرجوا [بهم] إلى مكَّة ليبيعوهم بها.

فلَمَّا كانوا بالظَّهْران انتزع عبد الله بن طارِق يده من القِرَان، وأخذ سيفه، واستأخر عنه القوم، فرموه بالحجارة حتَّى قتلوه، فقبره -رحمه الله- بالظَّهْران.

وقدموا بِخُبَيْب بن عَدِيّ، وزَيْد بن الدَّثِنَّة إلى مكَّة، فباعوهما من قُرَيش،

(١) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة ٣/١٧١.

فقتلتهما قُرَيش بعد أن صلبوهما –رحمة الله عليهما.

[١٦٣] /وكان خُبَيْبُ قال لَمَّا أرادوا قتله[1]:

لَقَدْ جَمَّعَ الأَحْزابُ حَوْلِي وَأَلَّبُوا ... قَبَائِلَهُمْ واستَجْمَعُوا كُلَّ مَجْمَعِ

وَكُلُّهُمْ مُبْدِي الْعَدَاوَةِ جَاهِدٌ ... عَلَيَّ لأَنِّي فِي وِثَاقٍ بِمَضْيَعِ

[١٢٣/ظ] وَقَدْ جَمَّعُوا أَبْنَاءَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ ... وَقُرِّبْتُ مِنْ جِذْعٍ طَوِيلٍ مُمَنَّعِ

إِلَى اللهِ أَشْكُو غُرْبَتِي ثُمَّ كُرْبَتِي ... وَمَا أَرْصَدَ الأَحْزَابُ لِي عِنْدَ مَصْرَعِي

فَذَا الْعَرْشِ، صَبِّرْنِي عَلَى مَا يُرَادُ بِي ... فَقَدْ بَضَّعُوا لَحْمِي وَقَدْ يَاسَ مَطْمَعِي

وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الإِلَهِ وَإِنْ يَشَأْ ... يُبَارِكْ عَلَى أَوْصَالِ شِلْوٍ مُمَزَّعِ

وَقَدْ خَيَّرُونِي الْكُفْرَ وَالْمَوْتُ دُونَهُ ... وَقَدْ هَمَلَتْ عَيْنَايَ مِنْ غَيْرِ مَجْزَعِ

وَمَا بِي حِذَارُ الْمَوْتِ، إِنِّي لَمَيِّتٌ ... وَلَكِنْ حِذَارِي جَحْمُ نَارٍ مُلَفَّعِ

فَوَاللهِ مَا أَرْجُو إِذَا مِتُّ مُسْلِماً ... عَلَى أَيِّ جَنْبٍ كَانَ فِي اللهِ مَصْرَعِي

فَلَسْتُ بِمُبْدٍ لِلْعَدُوِّ تَخَشُّعاً ... وَلاَ جَزَعاً إِنِّي إِلَى اللهِ مَرْجِعِي

وقال حسَّان بن ثابت يبكي خُبَيْباً وأصحابه[2]:

صَلَّى الإِلَهُ عَلَى الَّذِينَ تَتَابَعُوا ... يَوْمَ الرَّجِيعِ فَأُكْرِمُوا وَأُثِيبُوا

رَأْسُ السَّرِيَّةِ مَرْثَدٌ وَأَمِيرُهُمْ ... ابْنُ الْبُكَيْرِ أَمَامَهُمْ وخُبَيْبُ

وابْنٌ لِطَارِقٍ وابْنُ دَثْنَةَ مِنْهُم ... وَافَاهُ ثَمَّ حِمَامُهُ الْمَكْتُوبُ

وَالْعَاصِمُ الْمَقْتُولُ عِنْدَ رَجِيعِهِمْ ... كَسَبَ الْمَعَالِي إِنَّهُ لَكَسُوبُ

(١) انظر: السِّيرة النّبويَّة ٣/١٧٦-١٧٧.

(٢) انظر: ديوانه ١/١٧٩.

مَنَعَ الْمَقَاذِفَ أَنْ يَنَالُوا ظَهْرَهُ ... حَتَّى يُجَالِدَ إِنَّهُ لَنَجِيبُ

وقال حسَّان بن ثابت يهجو هُذَيْلاً[1]:

لَحَى اللّهُ لِحْيَاناً/فَلَيْسَتْ دِمَاؤُهُمْ ... لَنَا مِنْ قَتِيلَي غَدْرَةٍ بِوَفَاءِ [١٢٤/و]

هُمُ قَتَلُوا يَوْمَ الرَّجِيعِ ابْنَ حُرَّةٍ ... أَخَا ثِقَةٍ فِي وُدِّهِ وَصَفَاءِ

فَلَوْ قُتِلُوا يَوْمَ الرَّجِيعِ بِأَسْرِهِمْ ... بِذِي الدَّبْرِ مَا كَانُوا لَهُ بِكَفَاءِ

قَتِيلٌ حَمَتْهُ الدَّبْرُ حَوْلَ بُيُوتِهِمْ ... لَدَى أَهْلِ كُفْرٍ ظَاهِرٍ وَجَفَاءِ

/فَقَدْ قَتَلَتْ لِحْيَانُ أَكْرَمَ مِنْهُمُ ... وَبَاعُوا خُبَيْباً بَعْدَهُ بِلَفَاءِ [١٦٤]

فَأُفٍّ لِلِحْيَانٍ عَلَى كُلِّ حَالَةٍ ... عَلَى ذِكْرِهِمْ فِي الذِّكْرِ كُلَّ عَفَاءِ

قُبَيِّلَةٌ بِالْغَدْرِ وَاللُّؤْمِ تَعْتَزِي ... فَلَمْ تُمْسِ تُخْفِي لُؤْمَهَا بِخَفَاءِ

وَإِنْ قُتِلُوا لَمْ تُوفِ مِنْهُمْ دِمَاؤُهُمْ ... بَلَى إِنَّ قَتْلَ الْقَاتِلِينَ شِفَائِي

فَإِنْ لا أَمُتْ أَذْعَرْ هُذَيْلاً بِغَارَةٍ ... كَغَادِي الْجَهَامِ الْمُغْتَدِي بِإِفَاءِ

بِأَمْرِ رَسُولِ اللهِ وَالأَمْرُ أَمْرُهُ ... يَبِيتُ لِلِحْيَانَ الْخَنَا بِفِنَاءِ

فَيُصْبِحُ قَوْمٌ بِالرَّجِيعِ كَأَنَّهُمْ ... جِدَاءُ شِتَاءٍ بِتْنَ غَيْرَ دِفَاءِ

[حديث بِئْر مَعُونَة في صَفَر سنة أربع]

فأقام رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آله– بقية شَوَّال وذا القَعْدَة وذا الحِجَّة –وولي تلك الحجَّة المشركون والْمُحَرَّم–، ثُمَّ بعث رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه– أصحاب بِئْر مَعُونَة في صَفَر، على رأس أربعة أشهر من أُحُد.

(١) انظر: ديوانه ١/٤٠٦.

وذلك أنّه قدم أبو بَراء [١٢٤/ظ] عَامِر بن مالك بن جَعْفَر، مُلاَعِب الأَسنَّة على رسول الله -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- الْمَدينة، فعرض عليه رسول الله -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- الإسلام ودعاه إليه، فلم يسلم، ولم يَبْعُد من الإسلام، وقال: يا محمَّد لو بعثتَ رِجالاً من أصحابك إلى أهل نَجْد، فَدَعَوْهم إلى الله، رجوتُ أن يستجيبوا لك. فقال رسول الله -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ-: "إنِّي أخشى عليهم أهل نَجْد". قال أبو بَراء: أنا لهم جار، [فابْعَثْهم فَلْيَدْعُوا النَّاس إلى أمرك.][١]

فبعث رسول الله -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- الْمُنْذِر بن عَمْرو أخا بني ساعِدة الْمُعْنِق في أربعين. -وفي البخاري: في سبعين رَجُلاً- من [خيار][٢] المسلمين من أصحابه، فساروا حتَّى نزلوا ببئر مَعُونَة، وهي بين أرض بني عَامِر وحَرَّة بني سُلَيْم، كلا البلدين منها قريب، وهي أقرب إلى حَرَّة بني سُلَيْم.

فلَمَّا نزلوها بعثوا رَجُلاً منهم يُسَمَّى حَرام بن مِلْحان بكتاب رسول الله -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- إلى عدو الله عَامِر بن الطُّفَيْل بن مالك بن جَعْفَر ابن كِلاب، فـ[ـلَمَّا أتاه][٣] لم ينظر في كتابه /حتَّى عدا على الرَّجُل المسلم [١٦٥] فقتله، ثُمَّ استصرخ [عليهم][٤] بني عَامِر، [١٢٥/و] فأبوا أن يجيبوه إلى ما

(١) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة.

(٢) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة.

(٣) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة.

(٤) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة.

دعاهم [إليه،][١] وقالوا: لن نُخْفِر أبا بَراء. فاستصرخ عليهم قبائل من بني سُلَيْم من عُصَيَّة ورِعْل وذَكْوان، فأجابوه إلى ذلك، فخرجوا حتَّى غشوا القوم، فأحاطوا بهم في رحالهم، فلَمَّا رأوهم أخذوا سِلاحهم، فقاتلوهم حتَّى استشهدوا عن آخرهم -رحمة الله عليهم- إلا كَعْبَ بن زَيْد، أخا بني دينار ابن النَّجَّار، فإنَّهم تركوه وبه رَمَق، فبقي بالقتلى حتَّى انصرفوا، وعاش حتَّى قُتِلَ يوم الْخَنْدَق شهيداً.

وكان في سرح القوم عَمْرو بن أُمَيَّة الضَّمْرِيّ، ورَجُل من الأنصار، فلم يُنْبئهما بِمُصاب أصحابهما إلا الطَّير تحوم عليهم، فأقبلا لينظرا، فإذا القوم قتلى في مصارعهم، وخيل العدوّ واقفة عليهم، فتقدَّم الأنصاريّ فقاتل حتَّى قُتِلَ، بعد أن قال: لا أرغب عن ما وقع فيه أصحابي.

وأخذوا عَمْرو بن أميَّة أسيراً، فلَمَّا عَلِمُوا أنه من مُضَر أطلقه عامِر بن الطُّفَيْل، بعد أن جَزَّ ناصيته، وأعتقه عن رَقَبَة، زعم أنَّها [١٢٥/ظ] كانت على أُمِّه.

فخرج عَمْرو بن أُمَيَّة حتَّى إذا كان في طريقه قافلاً إلى رسول الله -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ-، أقبل رَجُلان من بني عامِر، فسألهما عن نسبهما، فأخبراه. وكان معهما عَقْدٌ من رسول الله -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ-، لم يعلم به عَمْرو، فأمهلهما حتَّى ناما، ثُمَّ عدا عليهما فقتلهما.

فلَمَّا قدم عَمْرو علىٰ رسول الله -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- وأخبره

(١) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة.

الخبر، قال له رسول الله –صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلهِ–: "لقد قتلت قَتِيلَيْنِ لأَدِيَنَّهُما". ثُمَّ قال –صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلهِ–: "هذا عمل أبي بَراء، لقد كنتُ لهذا كارِهاً".

وشَقَّ على أبي بَراء ما كان من إخْفارُ عَامِرٍ إيَّاه، وما أصاب أصحاب رسول الله –صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلهِ.

وقال حسَّان بن ثابت يحرِّض [بني][1] أبي بَراء على عَامر بن الطُّفَيْل[2]:

بَنِي أُمِّ الْبَنِينِ أَلَمْ يَرُعْكُمْ   وَأَنْتُمْ مِنْ ذَوَائِبِ أَهْلِ نَجْدِ
تَهَكُّمُ عَامِرٍ بِأَبِي بَرَاءٍ   لِيُخْفِرَهُ، وَمَا خَطَأٌ كَعَمْدِ
[١٦٦] /أَلاَ أَبْلِغْ رَبِيْعَة ذَا الْمَسَاعِي   فَمَا أَحْدَثْتَ فِي الْحَدَثَانِ بَعْدِي
أَبُوكَ أَبُو الْحُرُوبِ أَبُو بَرَاءٍ   وَخَالُكَ مَاجِدٌ حَكَمُ بْنُ سَعْدِ

وقال حسَّان بن ثابت يبكي قتلى بِئْر مَعُونَة –رحمة الله عليهم–[3]:

[١٢٦/و] عَلَى قَتْلَى مَعُونَةَ فَاسْتَهِلِّي / بِدَمْعِ الْعَيْنِ سَحّاً غَيْرَ نَزْرِ
عَلَى خَيْلِ الرَّسُولِ غَدَاةَ لاقَوْا   مَنَايَاهُمْ وَلاقَتْهُمْ بِقَدْرِ
أَصَابَهُمْ الفَنَاءُ بِعَقْدِ قَوْمٍ   تُخُوِّنَ عَقْدُ حَبْلِهِمْ بِغَدْرِ
فَيَا لَهْفِي لِمُنْذِرٍ اذْ تَوَلَّى   وَأَعْنَقَ فِي مَنِيَّتِهِ بِصَبْرِ
وَكَائِنْ قَدْ أُصِيبَ غَدَاةَ ذَاكُمْ   مِنَ أَبْيَضَ مَاجِدٍ مِنْ سِرِّ عَمْرو

(١) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة.
(٢) انظر: ديوانه ٢٣٢/١.
(٣) انظر: ديوانه ٢٠٧/١.

ثُمَّ كان إجلاء بني النَّضِيْر في سنة أربع من الهجرة:

وذلك أنَّ رسول الله –صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلهِ– خرج إليهم يستعينهم في دِيَة ذَيْنك القَتِيلَيْن [من بني عَامِر][1] اللَّذَيْن قَتَلَ عَمْرو بن أُميَّة الضَّمْرِيّ، للجوار الذي كان رسول الله –صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلهِ– عَقَدَ لهما، وكان بين بني النَّضِيْر وبين بني عَامِر عَقْد وحلف، فلَمَّا أتاهم رسول الله –صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلهِ– واستعانهم، قالوا: نعم، يا أبا القاسم؛ نُعينك على ما أردت فيما استعنت بنا عليه.

ثُمَّ خلا بعضهم ببعض، فقالوا: إنَّكم لن تجدوا الرَّجُلَ على مثل حاله هذه. [–ورسول الله إلى جَنْب جِدار من بيوتهم قاعد– فَمَنْ رَجُلٌ يعلو هذا البيت، فيلقي عليه صَخْرَةً، فيريحنا منه؟][2] ومع رسول الله –صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلهِ– أمير المؤمنين –عليه السّلام–، وجماعة قليلة من أصحابه.

فانتدب [لذلك][3] رَجُل من يهود يُقال له: عَمْرو بن جِحاش بن كَعْب، فقال لليهود: أنا أفتك به. فصعد [١٢٦/ظ] ليلقي على رسول الله –صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلهِ– صخرة من رأس جدار كان النَّبيّ –صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلهِ– مستظلاً بظلِّه، فأتى رسول الله –صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلهِ– الخبرُ من السَّماء بما أراد القومُ، فقام وخرج راجعاً إلى الْمَدينة، وتبعه أصحابه، فأعلمهم ما كانت أزمعت اليهود من الغدر به.

(١) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة ١٩٠/٣.
(٢) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة ١٩٠/٣.
(٣) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة ١٩٠/٣.

[١٦٧] /وأمر رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- بالتَّهيُّؤ لحربهم والسَّير إليهم، وذلك في شهر رَبِيْع الأوَّل، فحاصرهم ستّ ليال.

وقد تحصَّنوا منه في حصونهم، فأمر رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- بِقَطْع نخيلهم وتحريقها.

وقد كان عبد الله بن أُبَيّ بن سَلُول، وجماعة من المنافقين قد بعثوا إليهم: أن اثبتوا [وتمنَّعوا][1]. ووعدوهم: إنَّا لن نُسْلِمَكُمْ، إن قوتلتم قاتلنا معكم، وإن أُخْرِجْتُمْ خرجنا معكم.

وفي المنافقين نزلت آيات من "سورة الحشر".

وقذف الله الرُّعْب في قلوب المنافقين، فجبنوا عن ما وعدوهم به، وسأل بنو النَّضِيْر رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- أن يُجْلِيَهم ويكفّ عن دماءهم، فأعطاهم النَّبِيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- الأمان، وأنَّ لهم ما حملت الإبل إلاَّ الْحَلْقة. فاحتملوا من أموالهم ما أحسنوا حمله وخرجوا إلى خَيْبَر، ومنهم من خرج إلى [١٢٧/و] الشَّام، وحملوا معهم النِّساء والأبناء، خرجوا ومعهم الدُّفوف والْمَزامير، والقيان يَعْزِفن خَلْفهم، وهم في زهاء ما رُئِيَ مثله من حيّ [من الناس][2] في زمانهم.

وخلُّوا الأموال لرسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ-، فكانت لرسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- خاصَّةً، يضعها حيث يشاء، فقسَّمها رسول

(١) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة ١٩١/٣.

(٢) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة ١٩٢/٣.

الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- على المهاجرين الأوَّلين دون الأنصار. إلاَّ أنَّ سهل بن حُنَيْف وأبا دُجانة [سِماك بن خَرَشَة][1] شكوا إليه فَقْراً، فأعطاهما.

ولم يُسْلِمْ من بني النَّضِيْر إلا رَجُلان، فترك النَّبِيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- مالهما.

[ما قيل في بني النَّضِير من الشِّعْر]

وقال أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب -عليه السَّلام- يذكر إجلاء بني النَّضِيْر وقتل كَعْب بن الأَشْرَف، -وقد تقدَّم ذكر قتله- وكان لعليّ بن أبي طالب -عليه السَّلام- في حرب بني النَّضِيْر المقام المشهور، والفضل المذكور المعدود، وقوله -عليه السَّلام-[2]:

عَرَفْتُ وَمَنْ يَعْتَدِلْ يَعْرِفِ ... وَأَيْقَنْتُ حَقّاً وَلَمْ أَصْدِفِ

عَنِ الْكَلِمِ الْمُحْكَمِ الآيِ مِنْ ... لَدَى اللهِ ذِي الرَّأْفَةِ الأَرْأَفِ

رَسَائِلُ تُدْرَسُ فِي الْمُؤْمِنِيْنَ ... بِهِنَّ اصْطَفَى أَحْمَدَ الْمُصْطَفِي

[١٦٨] /فَأَصْبَحَ أَحْمَدُ فِينَا عَزِيْزاً ... عَزِيْزَ الْمَقَامَةِ وَالْمَوْقِفِ

[١٢٧/ظ] فَيَا أَيُّهَا الْمُوعِدُوهُ سَفَاهاً ... وَلَمْ يَأْتِ جَوْراً وَلَمْ يَعْنُفِ

أَلَسْتُمْ تَخَافُونَ أَدْنَى الْعَذَابِ ... وَمَا آمِنُ اللهَ كَالأَخْوَفِ

وَأَنْ تُصْرَعُوا تَحْتَ أَسْيَافِهِ ... كَمَصْرَعِ كَعْبٍ أَبِي الأَشْرَفِ

غَدَاةَ رَأَى اللهُ طُغْيَانَهُ ... وَأَعْرَضَ كَالْجَمَلِ الأَجْنَفِ

(١) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة ١٩٢/٣.

(٢) انظر: ديوانه ١٠١.

فَأَنْزَلَ جِبْرِيْلُ فِي قَتْلِهِ   بِوَحْيٍ إِلَى عَبْدِهِ مُلْطَفِ
فَدَسَّ الرَّسُولُ رَسُولاً لَهُ   بِأَبْيَضَ ذِي هَبَّةٍ مُرْهَفِ
فَبَاتَتْ عُيُونٌ لَهُ مُعْوِلاتٌ   مَتَى يُنْعَ كَعْبٌ لَهَا تَذْرِفِ
وَقُلْنَ لأَحْمَدَ ذَرْنَا قَلِيْلاً   فَإِنَّا مِنَ النَّوْحِ لَمْ نَشْتَفِ
فَخَلاَّهُمْ ثُمَّ قَالَ اظْعَنُوا   دُحُوراً عَلَى رَغْمِ الآنُفِ
وَأَجْلَى النَّضِيْرَ إِلَى غُرْبَةٍ   وَكَانُوا بِدَارِ ذَوِي زُخْرُفِ
إِلَى أَذْرِعَاتٍ رِدَافاً وَهُمْ   عَلَى كُلِّ ذِي دُبُرٍ أَعْجَفِ

وقال كَعْبُ بن مالك يذكر إجلاء بني النَّضِيْر(1):

لَقَدْ خَزِيَتْ بِغَدْرَتِهَا الْحُبُورُ   كَذَلِكَ الدَّهْرُ ذُو صَرْفٍ يَدُورُ
وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِرَبٍّ   عَزِيْزٍ أَمْرُهُ أَمْرٌ كَبِيْرُ
وَقَدْ أُوتُوا مَعاً فَهْماً وَعِلْماً   وَجَاءَهُمُ مِنَ اللهِ النَّذِيْرُ
نَذِيْرٌ صَادِقٌ أَدَّى كِتَاباً   وَآيَاتٌ مُبَيَّنَةٌ تُنِيْرُ   [١٢٨/و]
فَقَالُوا مَا أَتَيْتَ بِأَمْرِ صِدْقٍ   وَأَنْتَ بِمُنْكَرٍ مِنَّا جَدِيْرُ
فَقَالَ بَلَى لَقَدْ أَدَّيْتُ حَقّاً   يُصَدِّقُنِي بِهِ الْفَهِمُ الْخَبِيْرُ
فَمَنْ يَتْبَعْهُ يُهْدَ لِكُلِّ رُشْدٍ   وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ يُخْزَ الْكَفُورُ
فَلَمَّا أُشْرِبُوا غَدْراً وَكُفْراً   وَحَادَ بِهِمْ عَنِ الْحَقِّ النُّفُورُ
أَرَى اللهُ النَّبِيَّ بِرَأْيِ صِدْقٍ   وَكَانَ اللهُ يَحْكُمُ لاَ يَجُورُ
فَأَيَّدَهُ وَسَلَّطَهُ عَلَيْهِمْ   وَكَانَ نَصِيْرُهُ نِعْمَ النَّصِيْرُ

(1) انظر: ديوانه ١٦٨–١٧٠.

فَغُودِرَ مِنْهُمْ كَعْبٌ صَرِيْعاً   فَذَلَّتْ بَعْدَ مَصْرَعِهِ النَّضِيْرُ
/عَلَى الْكَفَّيْنِ ثُمَّ وَقَدْ عَلَتْهُ   بِأَيْدِيْنَا مُشَهَّرَةٌ ذُكُورُ   [١٦٩]
بِأَمْرِ مُحَمَّدٍ إِذْ دَسَّ لَيْلاً   إِلَى كَعْبٍ أَخَا كَعْبٍ يَسِيْرُ
فَمَاكَرَهُ فَأَنْزَلَهُ بِمَكْرٍ   وَمَحْمُودٌ أَخُو ثِقَةٍ جَسُورُ
فَتِلْكَ بَنُو النَّضِيْرِ بِدَارِ سَوْءٍ   أَبَارَهُمُ بِمَا اجْتَرَمُوا الْمُبِيْرُ
غَدَاةَ أَتَاهُمُ فِي الزَّحْفِ رَهْواً   رَسُولُ اللهِ وَهْوَ بِهِمْ بَصِيْرُ
وَغَسَّانُ الْحُمَاةُ مُوَازِرُوهُ   عَلَى الأَعْدَاءِ وَهْوَ لَهُمْ وَزِيْرُ
فَقَالَ السَّلْمُ وَيَحْكُمُ فَصَدُّوا   وَحَالَفَ أَمْرَهُمْ كَذِبٌ وَزُورُ
فَذَاقُوا غِبَّ أَمْرِهِمُ وَبَالاً   لِكُلِّ ثَلاَثَةٍ مِنْهُمْ بَعِيْرُ   [١٢٨/ظ]
وَأُجْلُوا عَامِدِيْنَ لِقَيْنُقَاعٍ   وَغُودِرَ مِنْهُمُ نَخْلٌ وَدُورُ

ثُمَّ كانت غَزْوة ذات الرِّقاع في سنة أربع:

أقام رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه– بالْمَدينة بعد غزو بني النَّضِيْر شهر رَبِيْع الآخر وبعض جُمادى الأُولى، ثُمَّ غزا نجداً يُريد بني مُحَارِب وبني ثَعْلَبة من غَطَفان.

وإنَّما قيل لها: "غَزْوة ذات الرِّقَاع" لأهم رقّعوا فيها راياتهم؛ ويُقال: "ذات الرِّقَاع" شجرة بذلك الموضع، يُقال لها: "ذات الرِّقَاع".

فلقي بها جمعاً من غَطَفَان، فتقارب النَّاس ، و لم يكن بينهم حرب، وقد خاف النَّاسُ بعضُهم بعضاً، حتَّى صلَّى رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه– بالنَّاس صلاةَ الْخَوْف، ثُمَّ انصرف بالنَّاس.

[ذِكْرُ صلاة الخوف]

عن جَعْفَر بن محمَّد، [عن أبيه، عن آبائه][1]:

"أنَّ رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– صلَّى صلاة الخوف بأصحابه في غَزْوة ذات الرِّقاع، ففرَّق أصحابه فريقين، أقام فرقة بإزاء العدوّ، [١٧٠] وفرقة خلفه، وكبَّر فكبَّروا، وقرأ /فأنْصَتُوا، وركع فركعوا، وسجد فسجدوا، ثُمَّ استَتَمَّ رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– [١٢٩/و] قائماً، وصلَّى الَّذين خلفه ركعةً أخرى لأنفسهم، وسلَّم بعضهم على بعض، ثُمَّ خرجوا إلى مقام أصحابهم فقاموا بإزاء العدوّ، وجاء أصحابهم فقاموا خلف رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ–، فكبَّر وكبَّروا، وقرأ فأنصتوا، وركع فركعوا، وسجد فسجدوا، وجلس وتشهَّد فجلسوا، ثُمَّ سلَّم، فقاموا فصلُّوا لأنفسهم ركعةً، ثُمَّ سلَّم بعضهم على بعض، وانصرفوا".

[خبر غَوْرَث بن الحارِث]

ويُقال: أنَّ رَجُلاً من بني مُحَارِب يقال له: غَوْرَث قال لقومه [من غَطَفان ومُحارِب:][2] ألا أَقْتُل لكم محمَّداً؟ قالوا: بلى؛ وكيف تقتله؟ قال: أفتك به.

فأقبل إلى رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– وهو جالس، وسيفُ رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– في حِجره، فقال: يا محمَّد أَنْظُر إلى

(١) انظر: دعائم الإسلام ١/٢٠٢.

(٢) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة ٣/٢٠٥.

سَيْفك هذا؟ قال: نعم –وكان مُحَلَّى بفضَّة–، [فأخذه][1] فاستلَّه، ثُمَّ جعل يهزّه، ويَهُمّ بالنَّبيّ فيكفّه الله، فقال: يا محمَّد؛ أما تخافني وفي يدي السَّيف؟ قال –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ–: "[لا؛] إنَّ الله يمنعني منك". فردَّ السَّيف، ففيه أنزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ [١٢٩/ظ] عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُواْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾[المائدة: ١١].

ورجع رسول الله إلى الْمَدينة، فأقام فيها بقيَّة جُمادى الأولى وجُمادى الآخرة ورَجَباً.

ثُمَّ كانت غَزْوة بَدْر الآخرة في شعبان من سنة أربع:

وَكَانَ قد واعد أَبُو سُفْيَان وكفّار قُرَيْش إلى هنالك للقاء، فخرج رَسُولُ الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– في شَعْبان لميعاد أبي سُفْيان، حتَّى نزل بَدْراً، وأقام ثماني لَيَالٍ [ينتظره،][2] وخرج أبو سُفْيان في أهل مكَّة حَتَّى نزل بناحية الظهْران، وقيل: عُسْفَانَ[3] <فَرَأَى فِي أصحابه فشلاً فرجع،>[4] ثُمَّ قال: يا معشر قُرَيْش؛ لا يُصْلحكم إلاَّ عام خِصْبٍ ترعون فِيْهِ الشَّجر، وتشربون فيه اللبن، وإنَّ عامكم هذا عام جدب، وإنِّي راجع فارجعوا. فرجع النَّاس فسمَّاهم أهل مكَّة: "جيش السَّوِيق". وقالوا: إنَّما خرجتم تشربون السَّوِيق.

(١) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة ٣/٢٠٥.

(٢) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة ٣/٢٠٥.

(٣) انظر: معجم البلدان ١/٦٧٣.

(٤) زيادة من "ب".

فأقام رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- ينتظر أبا سُفْيان حتَّى أتاه رجوعه، فرجع إلى الْمَدينة.

[١٧١] /وقالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ [١٣٠/و] رَوَاحَةَ في ذلك(١):

وَعَدْنَا أَبُو سُفْيَانَ بَدْراً وَلَمْ نَجِدْ ... لِمِيْعَادِهِ صِدْقاً وَمَا كَانَ وَافِيَا

فَأُقْسِمُ لَوْ وَافَيْتَنَا فَلَقِيْتَنَا ... لأُبْتَ ذَمِيْماً وَافْتَقَدْتَ الْمَوَالِيَا

تَرَكْنَا بِهِ أَوْصَالَ عُتْبَةَ وَابْنِهِ ... وَعَمْرًا أَبَا جَهْلٍ تَرَكْنَاهُ ثَاوِيَا

عَصَيْتُمْ رَسُولَ اللهِ أُفٌّ لِدِيْنِكُمْ ... وَأَمْرُكُمُ السَّوْءِ الَّذِي كَانَ غَاوِيَا

فَإِنِّي وَإِنْ عَنَّفْتُمُونِي لَقَائِلٌ ... فِدًى لِرَسُولِ اللهِ أَهْلِي وَمَالِيَا

أَطَعْنَاهُ لَمْ نَعْدِلْهُ فِيْنَا بِغَيْرِهِ ... شِهَاباً لَنَا فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ هَادِيَا

وكان رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آله- قد أوقع -قَبْلَ ذلك- ببني النَّضِيْرِ مِنْ يَهُود. وفشا الإسلام وأقام رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آله- بِالْمَدينة بعد انصرافه مِنْ بَدْرٍ لميعاد أبي سُفْيان سنةً ودخل في الأُخرى.

[غَزْوة دُومة الْجَنْدَل]

ولَمَّا انصرف رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آله- إلى الْمَدينة أقام بها [أَشْهُراً] حتَّى مضى شهر ذي الحِجَّة، وولي تلك الحِجَّة المشركون، ثُمَّ غزا رسول الله دُومة الْجَنْدَل، ورجع قبل أن يصل إليها، و لم يَلْقَ كيداً.

(١) انظر: السيرة النبوية ٣/٢١٠-٢١١، ونسبت لكعب بن مالك، انظر: ديوانه ٢٢٢، مغازي الواقدي ١/٣٨٩-٣٩٠.

[وفاة فاطِمَة بنت أَسَد]

وفي سنة أربع من الهجرة الطَّاهرة كانت وفاة فاطِمَة بنت أَسَد أمّ أمير المؤمنين -عليه السّلام-، وهي فاطِمَة بنت أَسَد بن هاشِم بن عبد مَناف.

قال الواقدي: وهي أوَّل امرأة أسلمت بعد خَدِيْجَة الكبرى -عليها السّلام-.

وقال الواقدي: وهي أوَّل امرأة هاجرت [١٣٠/ظ] إلى الْمَدينة من مكة ماشية حافية.

[١٧٢] /**وقال ابن عبَّاس** -رضي الله عنه-: كان رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- يزورها ويقيل عندها في بيتها، وكانت صالحة.

وفيما روى عليّ بن أحمد بن الحسين البَيْهَقِيّ، [بإسناده،](١) [عن أبي عبد الله](٢) قال:

"سَمِعَتْ فاطِمَة بنت أَسَد رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ-، يقول: "يُحْشر النَّاس يوم القيامة عُراة حُفاة". فقالت: واسَوءَتاه. فقال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ-: "إنِّي أَسْأَلُ الله -تعالى- أنْ يَبْعَثَكِ كاسيةً".

قال: وسمعته يذكر عذاب القبر، فقالت: واضعفاه. فقال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ-: "إنِّي أَسْأَلُ الله -تعالى- أنْ يَكْفِيكِ ذلك".

(١) زيادة من المحقق.

(٢) انظر: الكافي ١/٤٥٣، خصائص الأئمة ٦٤-٦٥، تنبيه الغافلين ١٩٠-١٩١.

وقال مجاهد[1]: وهي أوَّل امرأة هاشِميَّة ولدت خليفة هاشِمياً.

وقال عِكْرِمَة: كانت تطوف حول البيت وهي حامل بأمير المؤمنين –عليه السّلام–، فضربها الطَّلق، ففتح لها باب الكَعْبَة، فوضعته فيها. وقد ذكرنا ذلك.

وقال الواقدي: شهد رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– جنازتها، وأمرهم أن يكفّنوها بقميصه، ونزل –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– في حفرتها، فاضطجع فيها، وقال[2]: "أردت لئن يوسّعه الله –تعالى– عليها، إنَّه ما نفعني أَحَدٌ نَفْعَها، وَنَفْعَ أبي طالبٍ".

وسُمِعَ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– حين واراها –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– في حفرتها [١٣١/و] يقول[3]: "ابنكِ ابنك؛ عليّ عليّ. فَسُئِلَ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– عن ذلك، فقال: "سألها الملكان: مَنْ ربّكِ؟ فقالت: الله. [١٧٣] /فقالا: مَنْ نبيّكِ؟ فقالت: محمَّد رسول الله. فقالا لها: مَنْ إمامكِ؟ فتحيَّرت، فقلتُ لها: ابنك ابنك. فقالت: عَقِيْل. فقيل لها: عليّ علي".

وكانت غَزْوة الْخَنْدَق في شهر شَوَّال سنة خمس من الهجرة:

وذلك أنَّ نفراً من اليهود، منهم: سَلَّام بن أبي الْحُقَيْق النَّضَرِيّ، وحُيَيّ

(١) انظر: الإفادة في تاريخ أئمَّة الزَّيديَّة ٣٥.

(٢) انظر: دعائم الإسلام ٢/٣٦١، شرح الأخبار ٣/٢٠١.

(٣) انظر: كشف اليقين ١٩٤.

ابن أَخْطَب النَّضَرِيّ، وكِنَانَة بن الرَّبيع [ابن أبي الْحُقَيْق][1] النَّضَرِيّ، وهَوْذَة ابن قَيْس الوائِلِيّ، وأبو عمَّار الوَائِلِيّ، في جماعة من بني النَّضِيْر، وبني وائِل، خرجوا حتَّى قَدِموا على قُرَيْش بمكَّة، فدعوهم إلى حَرْب رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ–، وقالوا لهم: إنَّا سنكون معكم عليه، حتَّى نَسْتَأصله.

فقالت لهم قُرَيْش: يا معشر يهود؛ إنَّكم أهل الكِتاب الأَوَّل، والعِلْم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمَّد، أَفَدِيْنُنا خَيْرٌ أم دِينه؟

قالوا: بل دِينكم خيرٌ من دِينه، وأنتم أَوْلى بالحقِّ منه.

[تحريض اليهود لغَطَفان]

فلَمَّا قالوا ذلك لقُرَيْش، سرَّهم وأجابوا لِما دَعَوهم إليه، من حَرْب رسول الله [١٣١/ظ] –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ–، فاجتمعوا لذلك واتَّعدوا له.

ثُمَّ خرج أولئك الجماعة من يهود، –وهم الَّذين حزَّبوا الأحزاب،– فأتوا غَطَفَان، من قَيْس عَيْلان، فَدَعَوهم إلى حَرْب رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ–، وأخبروهم أنَّهم سيكونون معهم عليه، وأن قُرَيْشاً قد تابعوهم على ذلك، فاجتمعوا معهم فيه.

***

(١) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة ٣/٢١٤.

[خروج الأحزاب من المشركين]

فخرجت قُرَيْش، وقائدها أبو سُفْيان بن حَرْب، وخرجت غَطَفَان، وقائدها عُيَيْنَة بن حِصْن بن حُذَيْفَة بن بَدْر، في بني فَزارة، والْحَارِث بن عَوْف ابن أبي حارِثَة الْمُرِّيّ، في بني مُرَّة، ومِسْعَر بن رُخَيْلَة، فيمن تابعه من قومه من أَشْجَع بن رَيْث بن غَطَفَان.

[ذِكْرُ حفر الخندق]

[١٧٤] /فلمَّا سمع بهم رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه–، وما أجمعوا له من الأمر، ضَرَبَ الْخَنْدَق على الْمَدينة، فعمل فيه رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه– ترغيباً للمسلمين في الأجر، وعمل معه المسلمون فيه، وكان عليٌّ –عليه السَّلام– وشيعته أكثر النَّاس فيه عناءً وعملاً، وكان من قوم من المنافقين تقصير في العمل.

[ما ظهر من المعجزات: مُعْجزة الكُدْيَة]

واشتدَّت عليهم كُدْيَة في الْخَنْدَق، فَشَكَوْا ذلك إلى رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه–، فدعا بإناء [١٣٢/و] فيه ماء، فتفل فيه، ثُمَّ دعا بما شاء الله، ثُمَّ نَضَحَ بذلك الماء [على][1] تلك الكُدْيَة.

فقال جابر بن عبد الله الأنصاريّ فيما رُوِيَ عنه: فوالذي بعثه بالحقِّ نبياً، لانْهالت حتَّى عادت كالكَثيب، لا تردُّ فَأْساً ولا مِسْحاة.

(١) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة ٢١٧/٣.

[البركة في تمر ابنة بشير بن النُّعْمان]

وحكي عن أخت النُّعْمان بن بَشِير، قالت[1]:

"دعتني أُمّي فأعطتني حفنةً من تمر، ثُمَّ قالت: أي بُنيَّة؛ اذهبي إلى أبيك وخالك عبد الله بن رَوَاحَة بغدائهما. فلمَّا مرَّت برسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه– قال لها: "[تعالي يا بُنيَّة][2] هاتي ما معك"؟ فصببته في كفَّيه، فما ملأتهما.

فدعا بثوب فَبُسِطَ له، ثُمَّ دعا بالتَّمر فتبدَّد عليه، ثُمَّ أمر مُناديه، فنادى مَنْ في الْخَنْدَق، فحضروا وأكلوا حتَّى صدروا، فكلَّما أكلوا ازداد التَّمر، حتَّى أنَّه ليسقط من أطراف الثَّوب.

[البركة في طعام جابر بن عبد الله]

وعن جابر بن عبد الله، قال[3]:

"أمرت امرأتي فشوت شاة، وصنعت معها قليلاً من الطَّعام، ولَمَّا انصرف رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه– دعوته لينصرف معي، فنادى للنَّاس، فانصرفوا معه، فأتينا رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ /وَعَلَى آلِه– بالطَّعام [١٧٥] والشَّاة، [١٣٢/ظ] فبارك عليها، وسمَّى الله –تعالى–، ثُمَّ أكل، وتواردَها النَّاس، فكلَّما فرغ قومٌ قاموا، وجاء آخرون حتَّى صدر أَهْلُ الْخَنْدَق عنها.

(١) انظر: السِّيرة النَّبويَّة ٢١٨/٣.

(٢) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة ٢١٨/٣.

(٣) انظر: السِّيرة النَّبويَّة ٢١٨/٣–٢١٩.

[ما أرى الله –عزَّ وجلَّ– رسوله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– من الفتح]

وعن سَلْمان الفارِسِيّ –رضي الله عنه– قال[١]:

"ضربتُ المعول في ناحية من الْخَنْدَق، فَغَلُظَت عليَّ [صَخْرَةٌ،][٢] فأخذ رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– الْمِعْوَل من يدي، ثُمَّ ضرب بها ثلاث ضربات، فَلَمَعَتْ فيه ثلاث برقات، فقلت: ما هذا يا رسول الله؟ قال: "أورأيت ذلك يا سَلْمان؟" قلتُ: نعم؛ بأبي أنت وأُمّي.

قال: "أما الأُولى فإنَّ اللهَ فَتَحَ عليَّ بها اليَمَن، وأمَّا الثَّانية فإنَّ اللهَ فَتَحَ عليَّ بها الشَّام والمغرب، وأمَّا الثَّالثة فإنَّ اللهَ فَتَحَ عليَّ بها المشرق".

[نزول قُرَيْش المدينة]

ولَمَّا فرغ رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– من الْخَنْدَق، أقبلت قُرَيْش حتَّى نزلت بمجتمع الأسيال من رُومة، بين الْجُرُف وزَغابَة في عشرة آلاف من أحابيشهم، وأتباعهم من بني كِنانَة وأهل تِهامَة، وأقبلت غَطَفَان ومَنْ معهم من أهل نَجْد، حتَّى نزلوا [بِذَنَب نَقْمَى][٣] إلى جانب أُحُد.

وخرج رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– في ثلاثة آلاف من [١٣٣/و] المسلمين، حتَّى جعلوا ظهورهم إلى سَلْع، فضرب هنالك عَسْكَره، والْخَنْدَق بينه وبين القوم، وأمر –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– بالذَّراري والنِّساء

(١) انظر: السِّيرة النَّبويَّة ٣/٢١٩.
(٢) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة ٣/٢١٩.
(٣) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة ٣/٢٢٠.

فَجُعلوا في الآطام.

[حمل حُيَيّ بن أخطب كعباً بن أسَد على نقض عهد الرَّسول –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ–]

وخرج حُيَيّ بن أَخْطَب النَّضَرِيّ اليهوديّ، حتَّى أتى كَعْب بن أَسَد القُرَظِيّ، صاحب عقد بني قُرَيْظَة وعَهْدهم، وكان قد وادَع رسولَ الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– [على قومه، وعاقده على ذلك وعاهده][١].

/فقال لهم: إنِّي قد أتيتكم بعزِّ الدَّهر. ولم يزل بهم حتَّى أجابوه، [١٧٦] ونقضوا ما كان من العقد بينهم وبين رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ–، ومن الذِّمام.

[تحرّي الرَّسول –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– عن نقض كعب للعهد]

فدعا رسول الله سَعْد بن مُعاذ، سيِّد الأَوْس، وسَعْد بن عُبادة، سيِّد الخَزْرَج، وعبد الله بن رَوَاحَة، وخَوَّات بن جُبَيْر، أخا بني عَمْرو بن عَوْف، فقال: "اذهبوا حتَّى تنظروا، أَحَقٌّ ما بَلَغنا عن هؤلاء القوم أم لا؟".

فخرجوا حتَّى أتوهم، فوجدوهم على أخبث ما هم عليه، وقالوا: مَنْ رسول الله؟ لا عهد بيننا وبين محمَّد [ولا عَقْد.][٢] ونالوا من رسول الله، [فشتمهم سَعْدُ بن مَعاذ][٣] وشتموه.

(١) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة ٣/٢٢٠.
(٢) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة ٣/٢٢٢.
(٣) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة ٣/٢٢٢.

فرجع أصحاب رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ-، فأخبروه خبر القوم [١٣٣/ظ] وما هم عليه، فقال رسول الله : "الله أكبر، أبشروا يا معشر المسلمين".

[ما عَمَّ المسلمين من الخوف وظهور نفاق المنافقين]

وعظم عند ذلك البلاء، واشتدَّ الخوف، وأتاهم العدوّ من فوقهم ومن أسفل منهم، ونجم النِّفاق. وقال بعض المنافقين: كان محمَّد يَعِدنا أن نأكل كنوز كِسْرى وقَيْصَر، وها نحن الآن لا يأمن الواحد منَّا على نفسه أن يذهب إلى الغائط.

وأتى بعضهم إلى النَّبيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ-، فقال: إنَّ بيوتنا عورة [مِنَ العَدوّ.][1]

وزلزل المؤمنون زلزالاً شديداً، كما حكاه الله -تعالى- في "سورة الأحزاب"[2]، ووقف المشركون بضعاً وعشرين ليلة، ولم يكن القتال إلاَّ التَّرامي بالنَّبْلِ، ونظر المشركون إلى الْخَنْدَق، فقالوا: [إنَّ] هذه لحيلة ما كانت العرب تعرفها.

[عبور نفر من المشركين الخندق]

[١٧٧] /ثُمَّ إنَّه انْتدبَ من المشركين عَمْرو بن عَبْدِ وَدٍّ بن أبي قَيْس، أحد بني عَامِر بن لُؤَيّ، وكان مِنْ أشد القوم نجدة، ومن أعظمهم هيبة، ليعرف له ذلك

(١) زيادة من السِّيرة النبويَّة.

(٢) إشارة إلى الآية ١١: ﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيدًا﴾.

جمعهم، وكان قد شهد بَدْراً مع المشركين، وأثخن بجراحه، ونجا بنفسه، ولم يشهد أُحُداً، فأراد [١٣٤/و] أن يبين نفسه بين قُرَيْش بما يفعله، فتعلَّم بعلامة ليشتهر بها، وانتدب معه عِكْرِمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ، وَهُبَيْرَةُ بْنُ أَبِي وَهْبٍ الْمَخْزُومِيَّان، وَضِرَار بن الخَطَّابِ بن مِرْدَاس، أخو بني مُحَارِب بن فِهْر، قد لبسوا السِّلاح، واستعدُّوا للكفاح، ثُمَّ خرجوا على خيلهم، حتَّى نزلوا بمنازل بني كِنَانَة، فقالوا: تَهَيَّئوا للقتال يا بني كِنَانَة، فَسَتَعْلَمون مَنِ الفرسان اليوم.

ثُمَّ أقبلوا تُعْنِقُ بهم خيلهم، حتَّى انتهَوْا [إلى] الْخَنْدَق، فأتوا مكاناً ضيِّقاً من الْخَنْدَق، فاقتحمته خيلهم، وجالت في السَّبْخَةِ بين سَلْع وبين الْخَنْدَق، وكان عَمْرو بن عبد وُدّ أشدّ القوم بأساً، وأقومهم مراساً، فجعل يدعو للبراز، وأنشأ يَقُولُ[1]:

وَلَقَدْ بَحِحْتُ مِـنَ النِّـدا ... ءِ بِجَمْعِهِمْ: هَلْ مِنْ مُبَارِزْ

وَوَقَفْتُ حِـيْنَ دَعَـوْتُهُمْ ... فِي مَوْقِفِ الْقِرْنِ الْمُنَـاجِزْ

إِنِّي كَـذَلِكَ لَـمْ أَزَلْ ... مُتَسَـرِّعاً نَحْـوَ الْهَزَاهِـزْ

إِنَّ الشَّجَاعَةَ فِـي الْفَتَـى ... وَالْجُوْد مِنْ خَيْرِ الْغَرَائِـزْ

[قتل علي -عليه السّلام- لعمرو بن عبد ودّ وشعره في ذلك]

فقام عليّ بن أبي طالب -عليه السَّلام-، [١٣٤/ظ] فاستأذن رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- في الخروج إليه، فقال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى

(١) انظر: شرح الأخبار ٣٢٣/١، زهر الآداب ٢٩/١، من اسمه عمرو من الشّعراء ١٠٥، الارشاد للشيخ المفيد ١٠٠/١، رسائل الشريف المرتضى ١٢٢/٤، شرح نهج البلاغة ٢٩١/١٣-٢٩٢.

آله-: "يا عليّ؛ إنّه عَمْرو بن عبد ودّ". فقال عليّ -عليه السّلام-: أستعين بالله عليه يا رسول الله.

فأذن له رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ-، فدفع إليه سيفه ذا الفَقَار، ورفع رسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- الله يديه إلى السَّماء، وقال: "اللَّهُمَّ احفظه من بين يديه، ومن خلفه، وعن يمينه وعن شماله، ومن فوقه، ومن تحته".

وقال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ-: "بَرَزَ الإيْمان كلّه إلى الكفر كلّه".

ومضى عليّ -عليه السّلام-، وهو يقول[1]:

[١٧٨]

/أُثْبُتْ أَتَاكَ لِمَـا دَعَـوْ	تَ مُجِيْبُ صَوْتِكَ غَيْرُ عَاجِزِ
ذُو نِيَّـةٍ وَبَصِيْـرَةٍ	وَالصِّدْقُ يُنْجِي كُلَّ فَائِزِ
إِنِّي لأَرْجُو أَنْ تَقُو	مَ عَلَيْكَ نائِحَـةُ الْجَنَائِزِ
مِنْ ضَرْبَةٍ نَجْلاَءَ يَبْـ	ـقَى صِيْتُهَا عِنْدَ الْهَزَاهِزِ

فقال له عَمْرو: مَنْ أنتَ؟ فقال: أنا عليّ بن أبي طالِب. قال: كفؤٌ كريم، ولكن لست من رجالي. فقال له عليّ -عليه السّلام-: إنّه بلغني عنك يا عَمْرو أنّك لا تُدْعى إلى خصلتين إلاّ أجبت إلى إحداهما. قال: أجل. قال: فأنا أدعوك إلى الله وإلى رسوله وإلى الإسلام. قال: ما أبعدني عن ذلك. قال:

(١) انظر: شرح الأخبار ٣٢٣/١، شرح نهج البلاغة ٢٩٢/١٣، ٦٤/١٩، تفسير القمّي ١٨٣/٢، المناقب للخوارزمي ١٦٩، عيون الأثر ٩٣/٢، سبل الهدى والرشاد ٣٧٨/٤.

فإنّي أدعوك [١٣٥/و] إلى البراز. قال عَمْرو: إنّ أباك أبا طالِب كان لي خليلاً، وأنا أكره أن أقتلك. قال له عليّ -عليه السّلام-: أمّا أنا فأحبّ أن أقتلك، إذ لم تجب إلى الإسلام. فعندها حمي عَمْرو، واقتحم عن فرسه، فعقره وضرب وجهه، ثُمَّ أقبل [على] علي -عليه السّلام- فتنازلا، وتجاولا، وتصاولا، فثارت بينهما عجاجة لم يرهما أحد، وأشفق المسلمون على علي -عليه السّلام-، فضرب عَمْرو على رأس عليّ -عليه السّلام- فقدّ البَيْضَة، وأصاب هامته، وضربه عليّ -عليه السّلام- فأبان رأسه عن جسده، ولم تنجل العجاجة إلاّ وعليّ - عليه السّلام- يمسح سيفه في جنبه، ويقول[1]:

أَعَلَيَّ تَقْتَحِمُ الفَوَارِسُ هَكَـذَا	عَنِّي وَعَنْهُمْ أَخِّرُوا أَصْـحَابِي
نَصَرَ الْحِجَارَةَ مِنْ سَفَاهَةِ رَأْيِهِ	وَنَصَرْتُ رَبَّ مُحَمَّدٍ بِصَوَابِي
وَصَدَرْتُ حِيْنَ تَرَكْتُهُ مُتَجَدِّلاً	كَالْجِذْعِ بَيْنَ دَكَادِكٍ وَرَوَابِي
وَعَفَفْتُ عَنْ أَثْوَابِهِ وَلَوْ أَنَّنِـي	كُنْتُ الْمُجَدَّلَ بَزَّنِيْ أَثْـوَابِي
لاَ تَحْسَبَنَّ اللهَ خَـاذِلَ دِيْنِـهِ	وَنَبِيِّهِ يَا مَعْشَـرَ الأَحْـزَابِ

وخرجت خيل عَمْرو مُنْهزمة، حتَّى اقتحمت الْخَنْدَق، [١٣٥/ظ] وألقى عِكْرِمَة بن أبي جَهْل -يومئذٍ- رُمْحه وهو مُنهزم، فقال حسَّان بن ثابت[2]:

فَرَّ وَأَلْقَـى لَنَـا رُمْحَـهُ	لَعَلَّكَ عِكْرِمَ، لَـمْ تَفْعَـلِ
وَوَلَّيْتَ تَعْدُو كَعَدْوِ الظَّلِيْمِ	مَا إِنْ تَجورُ عَنِ الْمَعْـدِلِ

(١) انظر: ديوانه ٣٢-٣٣.

(٢) انظر: ديوانه ٥٠٩/١.

[١٧٩] /وَلَمْ تُلْقِ ظَهْرَكَ مُسْتَأْنِســاً   كَأَنَّ قَفَاكَ قَفَــا فُرْعُــلِ

وقَتَلَ عليٌّ -عليه السّلام- مع عَمْرو بن عبد ودّ: ابنه حِسْل بن عَمْرو، ونَوْفَل بن عبد الله الْمَخْزوميّ، وكان قد اقتحم الْخَنْدَق فتورَّط فيه مع عَمْرو. وسأل المشركون رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- أن يبيعهم جسده، فقال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ-: "لا حاجة لنا في جسده ولا قيمته". وخلَّى بينهم وبينه.

ولَمَّا كان من علي -عليه السّلام- ما كان، وفتح الله به على المسلمين ما فتحه، قويت قلوبهم، وعلموا أنَّ المشركين قد يئسوا أن يلجوا الْخَنْدَق عليهم، ووقع اليأس والخوف في المشركين.

[قراءة عبد الله بن مسعود: ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾]

وفي قراءة عبد الله بن مَسْعود[١]: ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾ بِعَلِيّ -عليه السّلام-، ﴿وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾[الأحزاب: ٢٥].

رواه فضل بن القاسم، [عن سُفْيان الثَّوْري][٢] عن زبيد، عن مُرَّة، عن عبد الله. أورد ذلك ابن ماكولا في "إكماله"[٣] في باب: الفَضْل.

(١) انظر: تأويل ما نزل من القرآن في النّبيّ وآله لابن الجحام ٢٦٠-٢٦١، شواهد التنزيل ٧/٢، تاريخ مدينة دمشق ٣٦١/٤٢.

(٢) زيادة من تأويل ما نزل من القرآن في النّبيّ وآله لابن الجحام.

(٣) انظر: إكمال الكمال ٦٧/٧.

[استشهاد سَعْد بن مُعاذ]

وأصيب سَعْد بن مُعاذ الأنصاريّ -رحمه الله- بسهم، فقطع منه الأكحل، [١٣٦/و] رماه رَجُل من بني عَامِر بن لُؤَيّ، فمات بعد الْخَنْدَق وبني قُرَيْظَة من ذلك السَّهم.

[صفيَّة وحسَّان بن ثَابت وما ذكرته من جبنه]

وكانت صَفِيَّة بنت عبد الْمُطَّلِب في فارِع حصن حسَّان بن ثابت مع النِّساء والصّبيان قد تحصَّنوا فيه، ومعهم حسَّان بن ثابت، فأتى رَجُل من اليهود، وجعل يُطيف بالْحِصْن، وقد حاربت بنو قُرَيْظَة وقَطَعَتْ ما بينها وبين رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ-، ورسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى [١٨٠] /آلِهِ- والمسلمون في نحور عدوهم. قالت صَفِيَّة -رحمها الله-: فقلت: يا حسَّان؛ إنَّ هذا اليهوديّ -كما ترى- يُطيف بالْحِصْن، وإنِّي ما آمَنه أن يدلَّ على عورتنا مَنْ وراءنا من يهود، ورسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- عنَّا في شغل، فانزل إليه فاقتله. قال: يا بنت عبد الْمُطَّلِب؛ لقد عرفتِ ما أنا بصاحبِ هذا.

قالت: فلَمَّا قال لي ذلك ولم أر عنده شيئاً، اعْتَجَرْتُ ثُمَّ أخذتُ عموداً ونزلت من الْحِصْن إليه، فضربته بالعمود حتَّى قتلته، فلَمَّا فرغتُ منه رجعت إلى الحصن، فقلت: يا حسَّان؛ انزل إليه فَاسْلُبْهُ فإنَّ النِّساء لا تسلب الرِّجال. قال: إنِّي أخاف أن يكون به [١٣٦/ظ] رَمَق.

ولَمَّا قُتِلَ عَمْرو بن عبد وُدّ تزلزلت أقدام المشركين، وفنيت أزوادهم.

[خبر نُعَيْم بن مَسْعود]

وأتى رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– نُعَيْم بن مَسْعود بن عَامِر ابن أُنَيْف –رَجُل من غَطَفَان– وكان مع المشركين، فقال: يا رسول الله؛ إنّي قد أَسْلَمْتُ و لم يعلم قومي بإسلامي، وقد جئتُ إليكَ، فَمُرْني بما شئتَ. فقال رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ–: "إنّما أَنْتَ فِينا رَجُلٌ واحِدٌ، فَمَا عَسَى أَنْ تغني عنّا، ولكن انصرف إلى قَوْمِكَ وخَذِّلْ عنّا إنْ استطعت، فَإنَّ الحَرْبَ خَدْعَةٌ".

فمضى على ذلك، وكان صديقاً لبني قُرَيْظَة، فأتاهم كالزَّائر لهم، ورحَّبوا به وقرَّبوه، فلَمَّا خلا بهم قال: قد عرفتم مودَّتي لكم، وقد جئتكم ناصحاً إنْ قبلتم منِّي. قالوا: جزاك الله خيراً، فإنَّا لا نتَّهمك، بل نحن نثق بمودَّتكَ، فنقبل نصيحتكَ.

قال: إنَّكم قد فعلتم فعلاً لم تمعنوا فيه النَّظر لأنفسكم؛ نقضتم حلف محمَّد وصرتم مع قُرَيْش وغَطَفَان، ولستم كمثلهم، إنَّ قُرَيْشاً وغطَفَان إنَّما جاؤوا لحرب محمَّد وأصحابه على ظهور دوابّهم، فإن أصابوا منه ما أرادوا انصرفوا عنه وتركوكم [١٣٧/و] معه، وأنتم تعلمون أنَّه لا طاقة لكم به ولا بأصحابه إن خلا بكم، وقد تداخل أصحابنا الفشل والاختلاف، وقد طال مقامهم، وخفَّت أزوادهم، وكان من عَمْرو بن عبد ودّ وأصحابه ما قد سمعتم وعرفتم، وإنَّما كان المعتمد عليهم، والنَّظر إلى ما يكون منهم عند اقتحامهم الْخَنْدَق، وإذ قد كان من ذلك ما كان فقد تداخل اليأس قلوب النَّاس، وأكثر ما يقيمون أيَّاماً قليلةً، فإن رأوا نُهْزة أصابوها، وإن كان غير ذلك انصرفوا

ولحقوا ببلادهم وتركوكم. قالوا: لقد صدقتَ، ونصحتَ فيما قلتَ، فجزاك الله خيراً، فما الحيلة بعد /هذا؟ قال: الحيلة أن لا تقاتلوا مع القوم حتَّى تأخذوا [١٨١] منهم رهائن من أشرافهم، يكونوا بأيديكم ثقة، لا ينصرفوا عنكم ويدعوكم. قالوا: لقد أشرتَ بالرَّأي، وأحسنتَ فأحسن الله جزاك.

ثُمَّ أتى عُيَيْنَة بن حِصْن وأبا سُفْيان، فقال: إنَّ بيني وبين بني قُرَيْظَة ما [١٣٧/ظ] قد علمتم، وقد بتّ عندهم واطَّلعت على سرِّهم. قالوا: وما هو؟ قال: إنَّ القوم قد ندموا على ما نقضوا من حِلْفِ محمَّد لَمَّا رأوا مقامنا و لم نصنع شيئاً، ونظروا ما كان من أمر عَمْرو بن عبد وُدّ وأصحابه، وخافوا أن ننصرف عنهم فيطأهم محمَّد، فأرسلوا إليه يرغبون في سِلْمِهِ، ويذكرون ندامتهم على ما كان منهم. وقالوا: نحن نرضيك؛ بأن نأخذ من القبيلتين رجالاً من أشرافهم، فنسلِّمهم إليك لتضرب أعناقهم، أو تفعل فيهم ما رأيتَ، ثُمَّ نكون معك على من بقي منهم، فإيَّاكما أن يخدعكما يهود، وأن يظفروا بأحد منكم.

فأرسل إليهم أبو سُفْيان إلى بني قُرَيْظَة: عُيَيْنَة بن حِصْن، وَعِكْرِمَة بن أبي جَهْل، في نفر من قُرَيْش وغَطَفَان، يستخبرون ذلك ويدعونهم إلى القتال، ويقولون: لسنا بدار مُقام، وقد هلك الْخُفُّ والحافر ونَفِدَ الزَّاد، وأبى محمَّد وأصحابه إلاَّ لزوماً لخندقهم، وأنتم أعلم بالموضع، فاخرجوا [١٣٨/و] إلينا بجماعتكم لنناجز محمَّداً وأصحابه، ونقتحم عليهم الْخَنْدَق بجماعتنا.

فلَمَّا جاء القوم بني قُرَيْظَة بذلك، قالوا: قد كنَّا مع محمَّد على حلف، و لم [نكن] نرَ منه إلاَّ خيراً، وقد نقضنا ما كان بينه وبيننا، ونحن نخشى إن ضرستكم

الحرب أن تنصرفوا عنّا، فلسنا مُقاتلين <معكم>(١) حتّى تعطونا رهائن من وجوه رجالكم؛ يكونون بأيدينا ثقة لنا، حتّى نُناجز محمّداً وأصحابه.

فلمّا انصرف القوم إلى أبي سُفْيان وعُيَيْنَة علما أنّ الأمر ما قاله نُعَيْم بن مَسْعود، وأبوا أن يدفعوا إليه أحداً، وقالت بنو قُرَيْظَة: هذا مصداق ما قاله نُعَيْم بن مَسْعود.

ولزموا مواضعهم، واستوحش بعضهم من بعض، وتنافرت قلوبهم، ولم يجد الأحزاب إلاّ الرَّحيل إلى بلادهم. وأرسل الله عليهم ريحاً شديدة فلم تدع لهم إناء ولا قِدْراً ولا بناء، فقام أبو سُفْيان لَمَّا جنّه اللّيل، فقال: يا معشر قُرَيْش؛ إنّكم –والله– ما أصبحتم بدار مُقام، ولقد هلك [١٣٨/ظ] الخفّ والحافر، وأخْلَفنا بنو قُرَيْظَة، ولقينا من شدّة الرِّيح ما ترون، فارتحلوا فإنّي مرتحل. ثُمَّ وثب إلى جمله وهو معقول، فجلس عليه، ثُمَّ ضربه فوثب به على ثلاث، فما أَطْلَقَ عِقاله إلاّ وهو قائم.

[١٨٢] /وانشَمرت قُرَيْش وغَطَفَان بجماعتهما راحلين، ولم يصبح عند الْمَدينة منهم أحد، وفرَّج الله عن المسلمين ببركة رسوله –صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ–، وبجهاد عليّ بن أبي طالب –عليه السَّلام.

[ما قاله حذيفة بن اليمان في مناقب أمير المؤمنين –عليه السّلام–]

وقد رُوِيَ عن أبي هارون العَبْدِيّ، عن رَبِيْعَة السَّعْدِيّ، قال(٢):

(١) زيادة من "ب".

(٢) انظر: شرح الأخبار ١/٢٩٩-٣٠٠.

"أتيتُ حُذَيْفَة <بن اليَمان،>(١) فقلتُ: يا أبا عبد الله؛ إنّا لَنُخبَّر عن عليّ –عليه السَّلام–، ومناقبه، فيقول لنا أهل البصرة: إنّكم تفرطون في عليّ –عليه السّلام– ومناقبه. فهل أنتَ بمحدِّثي في عليّ –عليه السّلام– بحديث؟ [قال:](٢) فقال لي حُذَيْفَة بن اليَمان: ما تسألني يا رَبِيْعَة عن رَجُلٍ –والّذي نفسي بيده–؛ لو وُضِعَ جميع أعمال أصحاب محمَّد –صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– في كفّة الميزان، ووضع عمل عليّ –عليه السّلام– في كفّة أخرى، لرجح عمله على أعمالهم. فقال رَبِيْعَة: فقلتُ: وأبو بَكْر وعمر؟ قال: نعم. فقلت: هذا [١٣٩/و] الّذي لا يُقام له ولا يُقعد ولا يُحمل [له. قال:](٣) فقال لي حُذَيْفَة: يا لُكَع؛ وكيف لا يُحمل؟ وأين كان أبو بَكْر وعمر –ثكلتكَ أمّك– وجميع أصحاب محمَّد –صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– يوم عَمْرو بن عبد وُدّ حين اقتحم الْخَنْدَق، ونادى للمبارزة، فأحجم النَّاس كلّهم عنه، ما خلا عليّ فإنّه برز إليه فقتله بيده، وفرَّق جميع الأَحْزاب بسببه. والّذي نَفْسي بيده؛ لعمله في ذلك اليوم أعظم أجْراً من أعمال جميع أُمَّة محمَّد –صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– إلى يوم القيامة".

[غَزْوة بني قُرَيْظَة في سنة خمس]

ولَمَّا أصبح رسول الله –صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– بعد رحيل

(١) زيادة من "ب".

(٢) زيادة من شرح الأخبار.

(٣) زيادة من شرح الأخبار.

الأَحْزاب، انصرف راجعاً عن الْخَنْدَق إلى الْمَدينة والمسلمون معه، ووضعوا السِّلاح، فلَمَّا كان وقت الظُّهر أتى جَبْرَائِيْل -عليه السّلام- إلى رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ-، فقال جَبْرَائِيْل: "أَوَقَدْ وَضَعْتَ السِّلاحَ يا مُحَمَّد؟" قال: "نَعَمْ". فقال: "مَا وَضَعَتِ المَلائِكَةُ السِّلاحَ بَعْدُ، وما رجعتُ الآن إلاَّ مِنْ طلب القوم، وإنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ بالمسير إلى بني قُرَيْظَةَ، فإنِّي عامدٌ إليهم فَمُزَلْزِلٌ أقدامهم".

[١٨٣] /فأمر رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- مُؤذِّنا فأذَّن في النَّاس: مَنْ كان سامعاً مُطيعاً، فلا يصلّينَّ [١٣٩/ظ] العصر إلاَّ في بني قُرَيْظَة.

[تقدّم عليّ -عليه السّلام- وتبليغه للرَّسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- ما سمعه من سُفهائهم]

وَقَدَّمَ رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- إلى بني قُرَيْظَةَ عليّ بن أبي طالب -عليه السّلام-، برايته، وابتدرها النَّاسُ. فسار عليّ -عليه السّلام-، حتَّى إذا دنا من الْحُصون سمع منهم مقالةً قبيحةً لرسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ-، فلَمَّا دنا رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- من حُصونهم، قال: "يا إخوان القِرَدَة، هل أخزاكم الله وأنزل بكم النِّقْمة؟" قالوا: يا أبا القاسم؛ ما كنت جهولاً.

ونزل رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- على بئْر [من آبارها من ناحية][1] أموال بني قُرَيْظَة، يُقال لها: بِئْر أنا. وقيل: بئر أُنَى.

(١) زيادة من السيرة النّبويّة.

[حصارهم ومقالة كَعْب بن أَسَد لهم]

وحاصرهم رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- خمساً وعشرين ليلة، فقذف الله في قلوبهم الرُّعب.

وكان حُيَيّ بن أَخْطب دخل معهم في حصنهم، حين رجعت عنهم قُرَيْش وغَطَفَان، [وفاءً لكَعْب بن أَسَد بما كان عاهده عليه. فلمَّا أيْقَنوا بأنَّ رسول الله غير مُنْصَرِف عنهم حتَّى يُناجزهم، قال كَعْب بن أَسَد لهم: يا معشر يهود؛ قد نزل بكم من الأمر ما ترون، وإنِّي عارض عليكم خلالا ثلاثاً، فخُذوا أيُّها شئتم. قالوا: وما هي؟ قال:][1] نُتابع هذا الرَّجُل على أمره، فوالله إنّكم لتعلمون أنَّه لنبيّ مُرْسَل، وأنَّه لَلَّذي تجدونه في كتابكم، فتأْمنون على دمائكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم. قالوا: لا نفعل، ولا نُفارق حكم التَّوراة أبداً، قال: فهلمّوا نقتل أبناءنا ونساءنا، ثُمَّ نخرج إلى محمَّد وأصحابه مُصْلتين السُّيوفَ، لم نترك [١٤٠/و] وراءنا ثَقَلاً، فتكون لنا أو له، فإن ظفرنا فلنجدنَّ النِّساء والأَبْناء. فقالوا: نقتل هؤلاء المساكين! فما خير العيش بعدهم؟! قال: فإن أبيتم ذلك، فهذه ليلة السَّبْت، وعسى أن يكون محمَّداً وأصحابه قد أمنونا فيها، فانزلوا فلعلَّنا نُصيب منهم غِرّة. قالوا: /نُفْسِد سَبْتنا علينا، ونُحدث فيه ما [١٨٤] لم يحدث من كان قبلنا، إلاَّ فأصابه ما قد علمت من المَسْخ! قال: ما باتَ رجُل منكم منذ ولدته أُمّه ليلة [واحدة من الدَّهْرِ][2] حازماً.

(١) زيادة ضرورية، وحذفنا محلها: "وخافهم وقال: يا بني قُرَيْظة"، انظر: السِّيرة النَّبويَّة ٢٣٥/٣.

(٢) زيادة من السيرة النّبويّة ٢٣٦/٣.

[نزول بني قُرَيْظَة على حكم الرَّسول –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– وتحكيم سَعْد]

ولَمَّا جهدهم الحصار، وقذف الله الرُّعْب في قلوبهم، طلبوا النُّزول على حكم رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– فتواثبتِ الأَوْس، فقالوا: يا رسول الله؛ إنَّهم موالينا دون الْخَزْرَج، وقد فعلتَ في موالي الْخَزْرَج بالأمس ما قد علمت.–يعنون بني قَيْنُقاع حين سأله إيَّاهم عبد الله بن أُبَيّ بن سَلُول.

فقال رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ–: "يا معشر الأَوْس؛ ألا ترضون أن يَحْكم فيهم رَجُل منكم؟" قالوا: بَلَى يا رسول الله. قال –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ–: "فذاك إلى سَعْد بن مُعاذ".

[١٤٠/ظ] فأتاه قومه فحملوه على حمار قد وطَّؤوا له بوسادة من آدَم، وكان رَجُلاً جسيماً جميلاً، وهو عليل للسَّهم الَّذي أصابه في الخندق، فلَمَّا انتهى سَعْد إلى رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– والمسلمين، قال رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ–: "قُوموا إلى سيِّدكم".

فقاموا إليه فقالوا له: أحسن في مواليك. فقال سَعْد: يا معشر الأنصار؛ عليكم عَهْدُ الله وميثاقه أن ترضوا حكمي؟ قالوا: نعم.

فقال يا رسول الله؛ فإنِّي أحكم فيهم أن تُقتل الرِّجالُ، وتُسبى النِّساء والذَّراري، وتُقَسَّم الأَمْوال.

فقال: قال رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– لسَعْد: "لَقَدْ حَكَمْتَ فِيهِمْ بِحُكْمِ اللهِ مِنْ فَوْقِ سَبْعَةِ أَرْقِعَةٍ"[1].

(١) انظر: السيرة النبوية ٣/٢٤٠، دعائم الإسلام ١/٣٨٥.

[سبب نزول بني قُرَيْظَة على حكم سَعْد]

وعن ابن هِشام، قال: حدثني بعض من أثق به [من أهل العِلْم][1]:

أنَّ بني قُرَيْظَة ما نزلوا حتَّى لبس علي بن أبي طالب –عليه السَّلام– لأمَتَهُ، وصاح: يا كَتيبة الإيمان. وتقدَّم وقال: والله لا أرجع حتَّى يفتح الله على رسوله، أو أذُوقَنَّ ما ذاق عمِّي حَمْزَة. [أَوْ لأفْتَحَنَّ حِصْنَهُم.] فلَمَّا عاينوا ذلك، قالوا: يا محمَّد؛ نَنْزل على حكم سَعْد بن مُعاذ.

[١٨٥] /فلَمَّا كان [١٤١/و] ذلك، وحكم سَعْد بن مُعاذ، حبسهم رسول الله بالْمَدينة في دار امرأة من بني النَّجَّار.

[مقتل بني قُرَيْظَة]

ثُمَّ خرج رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– إلى سوق الْمَدينة، فخَنْدَقَ بها خنادق، فبعث إليهم، فضربت أعناقهم في تلك الخنادق، يُخْرَج بهم إليه أرسالاً، وفيهم عدو الله حُيَي بن أَخْطب، وكَعْب بن أَسَد، رأس القوم، وهم ستّ مئة أو سبع مئة، وقيل: [كانوا][2] بين الثَّمان مئة والتِّسع مئة.

ولَمَّا أُتي بحُيَي بن أَخْطب أقبل وعليه حُلَّة له فُقَّاحِيَّة –ضرب من الوَشْي– قد شقَّها عليه من كلّ ناحية قدر أنملة لئلا يُسْلَبها، مجموعةً يداه إلى عُنُقه بحبل. فلَمَّا نظر إلى رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– قال: أما والله ما لُمْتُ نَفْسي في عداوتك، ولكنَّه من يَخْذل الله يُخْذَل.

(١) انظر: السيرة النَّبويّة ٣/٢٤٠.

(٢) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة.

ثُمَّ أقبل على النَّاس، فقال: [أَيُّهَا النَّاسُ؛ إِنَّهُ](١) لا بَأْس بأمر الله، كِتابٌ وقَدَرٌ ومَلْحمة كُتِبَت على بني إسرائيل. ثُمَّ جلس، فَضُرِبَتْ عُنُقه.

فقال جَبَلُ بن جَوَّال الثَّعْلَبي(٢):

لَعَمْرُكَ مَا لامَ ابْنُ أَخْطَبَ نَفْسَهُ ... وَلَكِنَّهُ مَنْ يَخْذُلِ اللهَ يُخْذَلِ

[١٤١/ظ] لَجَاهَدَ حَتَّى أَبْلَغَ النَّفْسَ عُذْرَهَا ... وَقَلْقَلَ يَبْغِي الْعِزَّ كُلَّ مُقَلْقَلِ

[وفاة سَعْد بن مَعاذ –رضي الله عنه–]

وقيل: إنَّ رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– لَمَّا فرغ من حرب بني قُرَيْظَة، انفجر جرح سَعْد بن مُعاذ، فمات شهيداً –رحمة الله عليه.

وقال رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ–: "إنَّ سَعْداً فُتِحَتْ له أبواب السَّماء، واهتزَّ له العَرْش".

ولَمَّا دُفِنَ سَعْد سبَّح رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ–، فسبَّح النَّاس، ثُمَّ كَبَّرَ وكبَّروا معه، وقالوا: يا رسول الله مِمَّ سبَّحت؟ فقال: "لقد تضايق على هذا العبد الصَّالح قبره، حتَّى فرَّجه الله عنه".

وكان سَعْد –رضي الله عنه– رَجُلاً بادناً جسيماً، وفيه يقول رَجُلٌ من الأنصار(٣):

---

(١) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة.

(٢) انظر: السِّيرة النَّبوية ٢٤١/٣.

(٣) انظر: السِّيرة النَّبويَّة ٢٥٢/٣، ونسب لحسَّان بن ثابت، انظر: الكامل في الأدب ١٤٧٠/٣، ديوان حسَّان ٣١١/١.

/وَمَا اهْتَزَّ عَرْشُ اللهِ مِنْ مَوْتِ هَالِكٍ ... سَمِعْنَا بِهِ إِلاَّ لِسَعْدٍ أَبِي عَمْرِو [١٨٦]

وأرسل رسول الله إلى سَعْد بن زَيْد، أخا بني عبد الأَشْهَل، بسبايا من سبايا بني قُرَيْظَة، فاشترى بها خَيْلاً وسِلاحاً، واصطفى لنفسه من نسائهم رَيْحانَة بنت عَمْرو بن خُنَافَة، إحدى نساء بني قُرَيْظَة.

[ما قيل من الشِّعر في أمر الْخَنْدَق وبني قُرَيْظَة]

وقال كَعْب بن مالك، أخو بني سلمة، يذكر يوم الْخَنْدَق، ويذكر قتل سَعْد بن مُعاذ [١٤٢/و](١):

وَسَائِلَة تُسَائِلُ مَا لَقِيْنَا ... وَلَوْ شَهِدَتْ رَأَتْنَا صَابِرِيْنَا

صَبَرْنَا لاَ نَرَى لِلَّهِ عِدْلاً ... عَلَى مَا نَابَنَا مُتَوَكِّلِيْنَا

وَكَانَ لَنَا النَّبِيُّ وَزِيْرَ صِدْقٍ ... بِهِ نَعْلُو الْبَرِيَّةَ أَجْمَعِيْنَا

نُقَاتِلُ مَعْشَراً ظَلَمُوا وَعَقُّوا ... وَكَانُوا بِالْعَدَاوَةِ مُرْصِدِيْنَا

نُعَاجِلُهُمْ إِذَا نَهَضُوا إِلَيْنَا ... بِضَرْبٍ يُعْجِلُ الْمُتَسَرِّعِيْنَا

تَرَانَا فِي فَضَافِضَ سَابِغَاتٍ ... كَغُدْرَانِ الْمَلا مُتَسَرْبِلِيْنَا

وَفِي أَيْمَانِنَا بِيْضٌ خِفَافٌ ... بِهَا نَشْفِي مِرَاحَ الشَّاغِبِيْنَا

بِبَابِ الْخَنْدَقَيْنِ كَأَنَّ أُسْداً ... شَوَابِكُهُنَّ يَحْمِيْنَ الْعَرِيْنَا

فَوَارِسُنَا إِذَا بَكَرُوا وَرَاحُوا ... عَلَى الأَعْدَاءِ شُوساً مُعْلِمِيْنَا

لِنَنْصُرَ أَحْمَداً وَاللهَ حَتَّى ... نَكُونَ عِبَادَ صِدْقٍ مُخْلِصِيْنَا

وَيَعْلَمَ أَهْلُ مَكَّةَ حِيْنَ سَارُوا ... وَأَحْزَابٌ أَتَوْا مُتَحَزِّبِيْنَا

---

(١) انظر: ديوانه ٢١٥-٢١٦.

بِأَنَّ اللهَ لَـيْسَ لَـهُ شَـرِيْكٌ   وَأَنَّ اللهَ مَـوْلَى الْمُؤْمِنِيْنَـا
فَإِمَّا تَقْتُلُوا سَـعْداً سَـفَاهاً   فَإِنَّ اللهَ خَيْـرُ الْقَادِرِيْنَـا
سَـيُدْخِلُهُ جِنَانـاً طَيِّبَـات   تَكُـونُ مُقَامَـةً لِلصَّـالِحِيْنَا
كَمَا قَدْ رَدَّكُمْ فَـلاًّ شَـرِيْداً   بِغَـيْظِكُمُ خَزَايَـا خَائِبِيْنَـا
خَزَايَا لَمْ تَنَالُوا ثَـمَّ خَيْـراً   وَكِدْتُمْ أَنْ تَكُونُوا دَامِرِيْنَـا [١٤٢/ظ]
بِرِيْحٍ عَاصِفٍ هَبَّتْ عَلَـيْكُمْ   فَكُنْتُمْ تَحْتَهَـا مُتَكَمِّهِيْنَـا

[١٨٧] /فأجابه حسّان بن ثابت(١):

هَلْ رَسْمُ دَارِسَةِ الْمَقَامِ يَبَـابِ   مُتَكَلِّمٌ لِمُحَـاوِرٍ بِجَـوَابِ
قَفْرٌ عَفَا رِهَمُ السَّحَابِ رُسُـومَهُ   وَهُبُوبُ كُلِّ مُطِلَّـةٍ مِرْبَـابِ
وَلَقَدْ رَأَيْتُ بِهَا الْحُلُولَ يَزِيْنُهُمْ   بِيْضُ الْوُجُوهِ ثَوَاقِبُ الأَحْسَابِ
فَدَعِ الدِّيَارَ وَذِكْرَ كُلِّ خَرِيْدَةٍ   بَيْضَاءَ آنِسَةِ الْحَدِيْثِ كَعَـابِ
وَاشْكُ الْهُمُومَ إِلَى الإِلَهِ وَمَا تَرَى   مِنْ مَعْشَرٍ ظَلَمُوا الرَّسُولَ غِضَابِ
سَارُوا بِأَجْمَعِهِمْ إِلَيْـهِ وَأَلَّبُـوا   أَهْلَ الْقُرَى وَبَوَادِيَ الأَعْـرَابِ
جَيْشٌ عُيَيْنَةُ وَابْنُ حَرْبٍ فِـيْهِمْ   مُتَخَمِّطُونَ بِحَلْبَةِ الأَحْـزَابِ
حَتَّى إِذَا وَرَدُوا الْمَدِيْنَةَ وَارْتَجَوْا   قَتْلَ الرَّسُولِ وَمَغْنَمَ الأَسْـلاَبِ
وَغَدَوْا عَلَيْنَا قَادِرِيْنَ بِأَيْـدِهِمْ   رُدُّوا بِغَيْظِهِمُ عَلَى الأَعْقَـابِ
بِهُبُوبِ مُعْصِفَةٍ تُفَرِّقُ جَمْعَهُـمْ   وَجُنُودِ رَبِّكَ سَـيِّدِ الأَرْبَـابِ

(١) انظر: ديوانه ١/٨٠. [يبدو أن المؤلف نسي أن ينقل قصيدة ابن الزِّبعرى التي جاءت قصيدةُ حسان هذه ردًّا عليها في السيرة ٣/٢٨٢، ٢٨٣ ومطلعها:
حَيِّ الديارَ مَحَا معارفَ رسمِها   طولُ البِلَى وتراوحُ الأحقابِ] م.ص.

فَكَفَى الإِلَهُ الْمُؤْمِنِيْنَ قِتَـالَهُمْ   وَأَثَابَهُمْ فِي الأَجْرِ خَيْرَ ثَـوَابِ
مِنْ بَعْدِ مَا قَنِطُوا فَفَرَّقَ جَمْعَهُـمْ   تَنْزِيْلُ نَصِّ مَلِيْكِنَا الْوَهَّـابِ
وَأَقَرَّ عَيْنَ مُحَمَّـدٍ وَصِـحَابِهِ   وَأَذَلَّ كُلَّ مُكَـذِّبٍ مُرْتَـابِ [١٤٣/و]
عَاتِي الْفُؤَادِ مُوَقَّعٍ ذِي رِيْبَـةٍ   فِي الْكُفْرِ لَيْسَ بِطَاهِرِ الأَثْوَابِ
عَلِقَ الشَّـقَاءُ بِقَلْبِـهِ فَفُـؤَادُهُ   فِي الْكُفْرِ آخِرَ هَذِهِ الأَحْقَابِ

وقال مُسافع بن عبد مَناف بن وَهْب بن حُذَافَة بن جُمَح يبكي عَمْرو ابن عَبْد وُدّ ويذكر قتل عليّ بن أبي طالب له(١):

عَمْرُو بْنُ عَبْدٍ كَانَ أَوَّلَ فَارِسٍ   جَزَعَ الْمَذَادَ وَكَانَ فَارِسَ يَلْيَلِ
سَمْحُ الْخَلاَئِقِ مَاجِدٌ ذُو مِـرَّةٍ   يَبْغِي الْقِتَالَ بِشِكَّةٍ لَمْ يَنْكُـلِ
وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ حِيْنَ وَلَّوْا عَـنْكُمُ   أَنَّ ابْنَ عَبْدٍ فِيْهِمُ لَـمْ يَعْجَـلِ
حَتَّى تَكَنَّفَهُ الْكُمَـاةُ وَكُلُّهُـمْ   يَبْغِي مَقَاتِلَهُ وَلَـيْسَ بِمُـؤْتَلِي
/وَلَقَدْ تَكَنَّفَت الأَسِنَّةُ فَارِسـاً   بِجُنُوبِ سَلْعٍ غَيْرَ نِكْسٍ أَمْيَـلِ [١٨٨]
تَسَلُ النِّزَالَ عَلَيٌّ فَارِسَ غَالِبٍ   بِجُنُوبِ سَلْعٍ لَيْتَهُ لَـمْ يَنْـزِلِ
فَاذْهَبْ عَلَيُّ فَمَا ظَفِرْتَ بِمِثْلِهِ   فَخْراً وَلاَ لاَقَيْتَ مِثْلَ الْمُعْضِلِ
نَفْسِي الْفِدَاءُ لِفَارِسٍ مِنْ غَالِبٍ   لاَقَى حِمَامَ الْمَوْتِ لَمْ يَتَحَلْحَلِ
أَعْنِي الَّذِي جَزَعَ الْمَذَادَ بِمُهْرِهِ   طَلَباً لِثَأْرِ مَعَاشِرٍ لَـمْ يَخْـذُلِ

وقال هُبَيْرَة بن أبي وَهْب يبكي عَمْرو بن عبد وُدّ، ويذكر قتل عليّ إيَّاه(٢):

(١) انظر: السِّيرة النّبويّة ٣/٢٦٦-٢٦٧، شرح نهج البلاغة ١٣/٢٨٨.
(٢) انظر: السِّيرة النّبويّة ٣/٢٦٨.

لَقَدْ عَلِمَتْ عُلْيَا لُؤَيِّ بْنِ غالِبٍ ... لَفارِسُهَا عَمْرٌو، إذا نَابَ نَائِبُ

[١٤٣/ظ] لَفارِسُهَا عَمْرٌو إذا مَا يَسُومُهُ ... عَلِيٌّ وَإِنَّ اللَّيْثَ لاَ بُدَّ طَالِبُ

عَشِيَّةَ يَدْعُوهُ عَلِيٌّ وَإِنَّهُ ... لَفَارِسُهَا إذْ خَامَ عَنْهُ الْكَتَائِبُ

فَيَا لَهْفَ نَفْسِي إنَّ عَمْراً تَرَكْتُهُ ... بِيَثْرِبَ لاَ زَالَتْ هُنَاكَ الْمَصَائِبُ

وقال حسَّان بن ثابت في بني قُرَيْظَة[1]:

لَقَدْ لَقِيَتْ قُرَيْظَةُ مَا سَآهَا ... وَحَلَّ بِحِصْنِهَا ذُلٌّ ذَلِيلُ

وَسَعْدٌ كَانَ أَنْذَرَهُمْ بِنُصْحٍ ... بِأَنَّ إِلَهَكُمْ رَبٌّ جَلِيلُ

فَمَا بَرِحُوا بِنَقْضِ الْعَهْدِ حَتَّى ... فَلاَهُمْ فِي بِلاَدِهِمُ الرَّسُولُ

أَحَاطَ بِحِصْنِهِمْ مِنَّا صُفُوفٌ ... لَهُ مِنْ حَرِّ وَقْعَتِهِمْ صَلِيلُ

ثُمَّ كان مقتل سَلام بن أبي الْحُقَيْق:

وذلك بأنَّه كان شديد العداوة لرسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ–، فاستأذن رسول الله جماعة من الْخَزْرَج في قتله، فأذن لهم، وأمَّرَ عليهم عبد الله ابن عَتِيك، فخرجوا حتَّى إذا قدموا خَيْبَر، أَتَوْا دار ابن أبي الْحُقَيْق ليلاً، فاستأذنوا عليه، فخرجت إليهم امرأته، فقالت: مَنْ أنتم؟ قالوا: قوم من العرب نُريد الْمِيْرَة. قالت: ذاكم صاحبكم. فدخلوا عليه، ووجدوه نائماً على فراشه، [١٨٩] فابتدروه /ضرباً بأسيافهم، فصاحت امرأته، وخرجوا مُجدِّين [١٤٤/و] السَّيْر، وأوقد اليهود النِّيران واتَّبعوهم، فنجَّاهم الله من شرِّهم، وأَتَوْا رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– فأخبروه بخبره.

(١) انظر: ديوانه ١/٣٢٧.

وقال حسَّان بن ثابت يذكر كَعْب بن الأَشْرَف –وقد ذكرنا قتله–، ويذكر قتل [ابن] أبي الْحُقَيْق[1]:

لِلّهِ دَرُّ عِصَابَةٍ لاَقَيْتَهُمْ ... يَابْنَ الْحُقَيْقِ وَأَنْتَ يابْنَ الأَشْرَفِ

يَسْرُونَ بِالْبِيْضِ الْخِفَافِ إِلَيكُمُ ... مَرَحاً كَأُسْدٍ فِي عَرِيْنٍ مُغْرِفِ

حَتَّى أَتَوْكُمْ فِي مَحَلِّ بِلاَدِكُمْ ... فَسَقَوكُمُ حَتْفاً بِبِيْضٍ ذُفَّفِ

مُسْتَبْصِرِيْنَ لِنَصْرِ دِيْنِ نَبِيِّهِمْ ... مُسْتَصْغِرِيْنَ لِكُلِّ أَمْرٍ مُجْحِفِ

وكان فتح بني قُرَيْظَة في ذي القَعْدَة، [وَصَدْر ذي الحجَّة][2].

ورجع رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– إلى الْمَدينة في ذي الحجَّة، وولي تلك الحجَّة المشركون.

[غَزْوة بني لِحْيان]

وأقام رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– بالْمَدينة شهر ذي الحجَّة والْمُحَرَّم وصَفَراً وشَهْرَي رَبِيْع، وغزا بني لِحْيان في جُمادى الأُولى على رأس ستَّة أشهر من فتح بني قُرَيْظَة، يَطلب بأصحاب الرَّجِيْع: خُبَيْب بن عَدِيّ وأصحابه –رحمة الله عليهم–، وأظهر أنَّه يُريد الشَّام، لِيُصيب من القوم غِرَّة.

فاتَّخذ السَّير سريعاً، حتَّى نزل على غُرَان[3]، [١٤٤/ظ] وهي منازل بني لِحْيان، فوجدهم قد حَذِروا وتَمنَّعوا في رؤوس الجبال. [فلمَّا نزلها رسول

(١) انظر: ديوانه ١/٢١١.

(٢) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة ٣/٢٧٩.

(٣) انظر: معجم البلدان ٣/٧٨١-٧٨٢.

الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- وأخطأَهُ من غرَّتهم ما أراد، قال: "لو أنَّا هَبَطْنا عُسْفان لَرأى أهلُ مكّة أنَّا قد جئنا مكّة،][1] فخرج في مئتي راكب من أصحابه، حتَّى نزل عُسْفان، ثُمَّ بعث فارسَيْن من أصحابه حتَّى بلغا كُراع الغَميم[2]، ورجع رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- قافلاً.

[١٩٠] /**[مقالة الرَّسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- في رجوعه]**

قال جابر بن عبد الله: سمعت رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- حين رجع يقول:

"آيبون تائبون، إن شاء الله لِرَبِّنا حامدونَ. أَعُوذُ بِاللهِ مِنْ وَعْثاءِ السَّفَر، وَكَآبَةِ الْمُنْقَلَب، وَسُوءِ الْمَنْظَرِ فِي الأَهْلِ وَالْمَالِ".

[شِعر كَعْب في غزوة بني لِحْيان]

وقال كعب بن مالك في غَزْوة بني لِحْيان[3]:

لَوْ أنَّ بَنِي لِحْيَانَ كَانُوا تَنَـاظَرُوا ... لَقُوْا عُصَباً فِي دَارِهِمْ ذَاتَ مَصْدَقِ
لَقُوْا سَرَعَاناً يملأُ السَّرْبَ رَوْعُـهُ ... أَمَامَ طَحُـونٍ كَالْمَجَرَّةِ فَيْلَـقِ
وَلَكِنَّهُمْ كَانُـوا وِبَاراً تَتَبَّعَـتْ ... شِعَابَ حِجَازٍ غَيْرِ ذِي مُتَنَفَّـقِ

(١) "أ" و "ب": "فرجع رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- مُغيراً على أهل مكّة" وما أثبتناه فهو من السِّيرة النَّبويَّة ٣/٢٨٠.

(٢) انظر: معجم البلدان ٤/٢٤٧.

(٣) انظر: ديوانه ٢٩٤.

ثُمَّ كانت غَزْوة ذي قَرَد:

وذلك أنّ عُيَيْنَة بن حِصْن بن حُذَيْفَة بن بَدْر الفَزاريّ، أغار في خيل من غَطَفَان على لِقاحٍ [١٤٥/و] لرسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- بالغابة، وفيها رَجُل من بني غِفار وامرأة له، فقتلوا الرَّجُل، واحتملوا المرأة، وساقوا اللِّقاح.

[بلاء ابن الأَكْوَع في هذه الغزوة]

وكان أوَّل من نَذَرَ من المسلمين بهم سَلَمَة بن عَمْرو بن الأَكْوَع، غدا يُريد الغابة، ومعه قوسه ونبله، فصاح بهم، وجعل يُعارضهم، ويرميهم [بالنَّبْلِ] ويقول إذا رمى[1]:

خُذْهَا وَأَنَا ابْـنُ الأَكْـوَعْ
اليَـــوْمَ يَـــوْمُ الرُّضَّـعْ

[وصول رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- إلى ذي قَرَد]

[١٩١] /وبلغ رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- صياحُ ابن الأَكْوَع، فأمر مناديه في الْمَدينة، <فنادى:>[2] الفَزع؛ الفَزَع. فترامت الخيول إلى رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ-، وكان أوَّل من انتهى إليه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- من الفُرْسان: الْمِقْداد بن الأَسْوَد، فأمر رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- ثمانية من الفُرْسان أن يلحقوا القوم، وأمَّر عليهم سَعْد بن زَيْد،

(١) انظر: السِّيرة النَّبويَّة ٣/٢٨٢.

(٢) زيادة من "ب".

وخرج في بقيَّة النَّاس بعدهم، ومعه وصيُّه عليّ بن أبي طالِب وأصحابه والمسلمون.

[ذكر القتلى]

فأوَّل من لحق بالقوم مُحْرِز بن نَضْلَة أخو بني أَسَد بن خُزَيْمَة، وكان يُقال له: الأَخْرَم. فوقف لهم بين أيديهم، ثُمَّ قال: قِفُوا بني اللَّكِيْعَة [١٤٥/ظ] حتَّى يأتيكم مِنَ القوم مَنْ ورائكم [من المهاجرين والأنصار.](١) فحمل عليه رَجُلٌ من غَطَفَان فقتله، وجال الفرس، فلم يقدر عليه حتَّى رجع إلى الْمَدينة.

قيل: وقُتِلَ معه من المسلمين وقَّاص بن مُجَزِّز الْمُدْلِجِيّ.

[القتلى من المشركين]

ولَمَّا تلاحقت الخيل حمل أبو قَتَادَة الْحَارِث بن رِبْعِي، أخو بني سَلَمَة، [على] حَبيب بن عُيَيْنَة بن حِصْن الفَزارِيّ، فقتله وغشَّاه بِبُرْدِهِ، ثُمَّ لحق بالقوم.

ولَمَّا وصل المسلمون مع رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- وجدوا حَبيب الفَزارِيّ مُسَجَّى بِبُرْدِ أبي قَتَادَة، فاسترجعوا، وقالوا: قُتِلَ أبو قَتَادَة. فقال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ-: "ليس هو بأبي قَتَادَة، ولكنه [قتيل لأبي قَتادة](٢) مُسجَّى بِبُرْدِه ليعرف أنَّه صاحبه(٣)."

وأدرك عُكَّاشَة بن مِحْصَن، أخو بني أَسَد بن خُزَيْمَة، أَوْباراً وابنه عَمْرو

(١) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة ٣/٢٨٣.
(٢) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة ٣/٢٨٤.
(٣) "آ" و "ب": "قاتله" وهو خطأ، انظر: السِّيرة النبوية.

ابن أَوْبار، من غَطَفَان، فانْتَظَمهما بالرُمْح، فقتلهما جميعاً، واستنقذ المسلمون بعض اللِّقاح.

/وسار رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- حتَّى نزل بالجبل من ذي قَرَد، وتلاحق به النَّاس، فقالوا: يا رسول الله؛ [١٤٦/و] لو أدركنا القوم، فقال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ-: "إنَّهُم الآن ليُغْبَقون في غَطَفَان". [١٩٢]

[تقسيم الفيْء بين المسلمين]

فقسم رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ-: في أصحابه في كل مئة رَجُل جزوراً. فأقاموا عليها، ثُمَّ رجع رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- بمَن معه قافلاً حتَّى قدم الْمَدينة.

[امرأة الغِفَارِيّ وما نذرت مع الرَّسول]

وأقبلت امرأة الغِفارِيّ -التي كانت غَطَفَان أخذتها مع الإبل- على ناقة من إبل رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ-، حتَّى قدمت عليه، فأخبرته الخبر، وقالت: يا رسول الله؛ إنِّي قد نذرت لله أن أنحر هذه النَّاقة إن نجوت عليها. فتبسَّم رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ-، ثُمَّ قال: "بِئْسَ مَا جَزَيْتِهَا أَنْ [حَمَلَكِ اللَّهُ عَلَيْهَا وَ](١) نَجَّاكِ اللَّهُ عَلَيْهَا، ثُمَّ تَنْحَرِيْنَهَا! إِنَّهُ لاَ نَذْرَ [فِي مَعْصِيَةِ اللهِ وَلاَ](٢) فِيمَا لا تَمْلِكِيْنَ، إِنَّمَا هِيَ نَاقَةٌ مِنْ إِبِلِي، فَارْجِعِي إِلَى أَهْلِكِ عَلَى بَرَكَةِ اللهِ".

(١) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة.
(٢) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة.

[شعر حسّان في غزوة ذي قَرَد]

وقال حسّان بن ثابت في أمر ذي قَرَد[1]:

لَوْلاَ الّذي لاَقَتْ ومسَّ نُسُورَها ... بجَنُوب سَايَةَ أمْسِ فِي التَّقْوَادِ
لَلقِيْنَكُمْ يَحْمِلْنَ كُلَّ مُدَجَّجٍ ... حَامِي الْحَقِيْقَةِ ماجِدِ الأجْدَادِ
وَلَسَرَّ أوْلاَدَ اللَّقِيطَةِ أَنَّنَا ... سِلْمٌ غَدَاةَ فَوَارِسِ الْمِقْدَادِ
كُنَّا ثَمَانِيَةً وَكَانُوا جَحْفَلاً ... لَجِباً فَشُكُّوا بالرِّمَاحِ بَدَادِ
[١٤٦/ظ] كُنَّا مِنَ الْقَوْمِ الّذِيْنَ يَلُونَهُمْ / وَيُقَدِّمُونَ عِنَانَ كُلِّ جَوَادِ
كَلاَّ وَرَبِّ الرَّاقِصَات إِلَى مِنىً ... يَقْطَعْنَ عُرْضَ مَخَارِمِ الأَطْوَادِ
حَتَّى نُبِيْلَ الْخَيْلَ فِي عَرَصَاتِكُمْ ... وَنَؤُوبَ بِالْمَلِكَاتِ وَالأَوْلاَدِ
[١٩٣] /رَهْواً بِكُلِّ مُقَلِّصٍ وَطِمِرَّةٍ ... فِي كُلِّ مُعْتَرَكٍ عَطَفْنَ وَوَادِ
أَفْنَى دَوَابِرَهَا وَلاَحَ مُتُونَهَا ... يَوْمٌ تُقَادُ بِهِ وَيَوْمُ طِرَادِ
فَكَذَاكَ إِنَّ جِيَادَنَا مَلْبُونَةٌ ... وَالْحَرْبُ مُشْعَلَةٌ بِرِيْحِ غَوَادِ
وَسُيُوفُنا بِيْضُ الْحَدَائِدِ تَجْتَلِي ... جُنَنَ الْحَدِيْدِ وَهَامَةَ الْمُرْتَادِ
أَخَذَ الإِلَهُ عَلَيْهِمُ لِحَرَامِهِ ... وَلِعِزَّةِ الرَّحْمَنِ بِالأَسْدَادِ
كَانُوا بِدَارٍ نَاعِمِيْنَ فَبُدِّلُوا ... أَيَّامَ ذِي قَرَدٍ وُجُوهَ عِبَادِ

[شعر كَعْب بن مالك في غزوة ذي قَرَد]

وقال كَعْب بن مالك في يوم ذي قَرَد[2]:

أَتَحْسَبُ أَوْلاَدُ اللَّقِيطَةِ أَنَّنَا ... عَلَى الْخَيْلِ لَسْنَا مِثْلَهُمْ فِي الْفَوَارِسِ

(١) انظر: ديوانه ١/٢٧٦-٢٧٧.
(٢) انظر: ديوانه ١٧٦-١٧٧.

وَإِنَّا أُنَاسٌ لاَ نَرَى الْقَتْلَ سُبَّةً ... وَلاَ نَنْثَنِي عِنْدَ الرِّمَاحِ الْمَدَاعِسِ
وإنا لَنَقْرِي الضَّيْفَ مِنْ قَمَعِ الذُّرَا ... وَنَضْرِبُ رأسَ الأَبْلَخِ الْمُتَشَاوِسِ
نَرُدُّ كُمَاةَ الْمُعْلِمِيْنَ إِذَا انْتَخَوْا ... بِضَرْبٍ يُسَلِّي نَخْوَةَ الْمُتَقَاعِسِ
بِكُلِّ فَتًى حَامِي الْحَقِيْقَةِ مَاجِدٍ ... كَرِيْمٍ كَسِرْحَانِ الْغَضَاةِ مُخَالِسِ
يَذُودُونَ عَنْ أَحْسَابِهِمْ وَتِلاَدِهِمْ ... بِبِيْضٍ تَقُدُّ الْهَامَ تَحْتَ الْقَوَانِسِ
فَسَائِلْ بَنِي بَدْرٍ إِذَا مَا لَقِيْتَهُمْ / بِمَا فَعَلَ الإِخْوَانُ يَوْمَ التَّمَارُسِ [١٤٧/و]
إِذَا مَا خَرَجْتُمْ فَاصْدُقُوا مَنْ لَقِيْتُمُ ... وَلاَ تَكْتُمُوا أَخْبَارَكُمْ فِي الْمَجَالِسِ
وَقُولُوا زَلَلْنَا عَنْ مَخَالِبِ خَادِرٍ ... بِهِ وَحَرٌ فِي الصَّدْرِ مَا لَمْ يُمَارِسِ

ثُمّ كانت غزْوة بني الْمُصْطَلِق بالْمُرَيْسِيع:

وأقام رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آله- بالْمَدينة بعض جُمادى الآخرة ورجباً، ثُمَّ غزا بني الْمُصْطَلِق من خزاعَة، في شَعْبان سنة ستّ من الهجرة.

وذلك أنّه بلغ رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آله- أنهم يجمعون لحربه، وقائدهم الْحَارث بن أبي ضِرار، أبو جُوَيْرِيَة بنت الْحَارث، زوج رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آله-، فلَمَّا سمع رسول الله -/صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [١٩٤] وَعَلَى آله- بهم، خرج من الْمَدينة إليهم، فلقيهم على ماء من مياههم يقال له: الْمُرَيْسيع من ناحية قُدَيْد إلى السَّاحل، فتوافوا واقتتلوا.

[شعار المسلمين]

وكان شعار المسلمين يوم بني الْمُصْطَلِق: "يا مَنْصُور؛ أَمِتْ أَمِتْ".

[قَتْلَى بَنِي الْمُصْطَلِقِ]

وحمل عليهم عليّ بن أبي طالب –عليه السّلام–، ففرّق جمعهم، وقتل مالكاً وابنه من رؤوسهم، وتبعهم المسلمون، فقتلوا منهم من قتلوا، ونفّل رسول الله –صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ–منهم كثيراً، فقسّم رسول الله –صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– في المسلمين.

[أَمْرُ جُوَيْرِيَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ]

وكانت جُوَيْرِيَة [١٤٧/ظ] بنت الْحَارِث بن أبي ضِرار، زوجة رسول الله –صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– في السَّبايا، ووقعت في السَّهم لثابت بن الشَّمَّاس، أو لابن عمّ له، فكاتبت على نفسها، واستعانت رسول الله –صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ–، فلمَّا قضت كتابتها تزوّجها رسول الله –صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ–، وخرج الخبر إلى النَّاس أنّ رسول الله –صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– قد تزوَّجها، فقال النَّاس: أصهار رسول الله –صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ–، فأرسلوا ما في أيديهم.

وذكر الرُّواة: "أنّه أعتق مئة أهل بيت من سبي بني الْمُصْطَلِق. فكانت أبرك امرأة على قومها.

[مَوْتُ ابن صُبَابَة]

وقتل في يوم بني الْمُصْطَلِق رَجُل من المسلمين من بني كلب بن عَوْف ابن عَامِر بن ليث بن بَكْر، يُقال له: هِشام بن صُبابَة، أصابه رَجُل من الأنصار من رَهْط عُبادة بن الصَّامت وهو يظنّه مُشركاً، فقتله خطأً.

[جَهْجَاه وسِنان وما كان من ابن أُبَيّ]

/فبينا النَّاس على الْمُرَيْسِيع في ماء بني الْمُصْطَلِق إذ ورده النَّاس، ومع [١٩٥] عمر بن الخطاب أجير له من بني غِفار يقال له: جَهْجاه بن مَسْعود يقود فرسه، فازدحم ورَجُل من جُهَيْنَة حَليف لبني [عَوْف بن][1] الْخَزْرَج على الماء، فصرخ الْجُهَني: يامعشر الأنصار. [١٤٨/و] وصرخ جَهْجاه: يا معشر المهاجرين. وكان بين عمر وبين عبد الله بن أُبَيّ بن سَلُول، وجماعة من المنافقين مُخاصمة ومحاورة، كادوا بها يفرِّقون بين المهاجرين والأنصار.

[سَيْرُ الرَّسول بالنَّاس لِيُشْغِلَهُمْ عن الْفِتْنَة]

فسار رسول الله –صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– بالنَّاس، ولم يقف بهم يومهم ذلك إلى اللَّيل،<حتّى>[2] أتعبهم السَّيْر، وآذتهم الشّمس، ثُمَّ نزل بهم. فلمَّا وجدوا مسّ الأرض، وقعوا نياماً، وإنّما فعل ذلك رسول الله –صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– ليشغل النَّاس عن الحديث الَّذي كان بينهم.

[الرَّسُول وَأُسَيْد وَمَقَالَة ابن أُبَيّ بن سَلُول]

وقد كان عبد الله بن أُبَيّ بن سَلُول قال: لئن رجعنا إلى الْمَدينة ليُخرجن الأعز منها الأذل، فإنّ هؤلاء قد وردونا في بلادنا.

فلَمَّا انتهى رسول الله –صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– في السَّيْر، لقيه أُسَيْد ابن حُضَيْر، فحيَّاه بتحيَّة النُّبوَّة، ثُمَّ قال: يا رسول الله؛ لقد رحت في ساعة

(١) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة.

(٢) زيادة من "ب".

منكرة ما كنت لتروح فيها. فقال له رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ–: "أما سمعت ما قال ابن أُبَيّ بن سَلُول؟" قال: وما قال يا رسول الله؟ قال: "إنَّه زعم أنَّه لئن رجع إلى الْمَدينة، ليخرجن الأعزّ منها الأذلّ". فقال: يا رسول [١٤٨/ظ] الله؛ والله تخرجه منها إن شئت، هو والله الأذلّ وأنت الأعزّ. [ثُمَّ قال:][1] يا رسول الله؛ ارفق به فوالله لقد جِئْتَ، وإنَّ قومه لينظمون له الخرز ليتوِّجوه، فإنه ليرى أنَّك قد استلبته ملكاً.

[مِقْيَسُ بن صُبَابَة وحيلته في الأَخْذ بِثَأْرِ أخيه وَشِعْرِه في ذلك]

[١٩٦] /وقدم مِقْيَس بن صُبَابَة بعد قتل أخيه من مكَّة يزعم أنَّه قد أسلم، فقال: يا رسول الله؛ جئتك أطلب دِيَة أخي. فأمر له رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– بدِيَة أخيه. فأقام عند رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– أيَّاماً، ثُمَّ عدا على قاتل أخيه فقتله، ثُمَّ خرج إلى مكَّة مُرْتَدًّا، وقال مقيس في ذلك:

وقال مِقْيَس [بن صُبابَة][2]:

جَلَّلْتُهُ ضَرْبَةً باءَتْ لَهَا وَشَلٌ ... مِنْ ناقِعِ الْجَوْفِ يَعْلُوهُ وَيَنْصَرِمُ

فَقُلْتُ وَالْمَوْتُ تَغْشَاهُ أَسِرَّتُهُ ... لاَ تَأْمَنَنَّ بَنِي بَكْرٍ إِذا ظُلِمُوا

[الوَلِيد بن عُقْبَة وبنو الْمُصْطَلِق وما نزل في ذلك من القُرْآن]

ولَمَّا كان ما بعد ذلك اليوم، أسلم بنو الْمُصْطَلِق، فبعث إليهم رسول

(١) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة.

(٢) انظر: السِّيرة النَّبويّة ٢٩٤/٣.

الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– بعد إسلامهم الوَلِيد بن عُقْبَة، فلَمَّا سمعوا به، ركبوا ليتلقّوه مُسْتبشرين به، إذ بعثه رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– إليهم، فرجع إلى رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ–، وزعم أنَّهم قد ارتدّوا وهمّوا بقتله، ومنعوه ما قِبَلهم من الصَّدقات، حتَّى همَّ رسول الله أن يغزوهم، فبينما هم على ذلك إذ قدم وفدهم على رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ–، فقالوا: [١٤٩/و] يا رسول الله؛ إنَّا على إسلامنا، وإنَّا سمعنا برسولك، فخرجنا لنتلقّاه ونُكرمه، ونُؤدِّي إليه ما لدينا من الصَّدقة، فانشمر راجعاً، وزعم أنَّا خرجنا إليه لنقتله! ووالله ما جئنا لذلك.

فأنزل الله –تعالى– في الوَلِيد بن عُقْبَة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ۞ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الأَمْرِ لَعَنِتُّمْ﴾[الحجرات: ٦-٧]. إلخ.

[خبر الإفْك في غَزْوة بني الْمُصْطَلِق]

وكانت عائشَة بنت أبي بَكْر مع رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– في سفره ذلك، وتخلَّفت وزعمت أنَّها ذهبت إلى الخلاء، فَرُفِعَ الهودج وليست فيه، وقيل فيها ما قيل. وقيل: إنَّه نزلت في ذلك آية في براءتها على الرَّسول –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ.

[١٩٧] /**[حديث: "أشبه النَّاس بالمسيح"]**

وعن سَلْمان الفارِسِيّ –رضي الله عنه– أنَّه قال[1]:

(١) انظر: شرح الأخبار ٤٦٦/٢-٤٦٧.

لَمَّا انصرف رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- من غَزْوَة بني الْمُصْطَلِق، كان في مقدّمة النَّاس، وأمر عليّاً -عليه السّلام- أن يكون في ساقتهم ليحفظهم، فلَمَّا وصل رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- إلى الْمَدينة أتى [١٤٩/ظ] [إلى][١] باب المسجد، فجلس ينتظر عليّاً -عليه السّلام- لم يدخل مَنْزله، فجعل[٢] يمسح العرق عن جبينه، ثُمَّ قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ-: "يأتيـ[ـكم][٣] هذه السَّاعة من هذا الشِّعْب [-وأشار بيده إلى بعض الشِّعاب-][٤] رَجُل أشبه النَّاس بالمسيح -عليه السّلام-، وهو أفضل النَّاس بعدي يوم القيامة، وأوَّل مَنْ يدخل الجنَّة".

فجعلنا ننظر إلى الشِّعب، وكان أوَّل مَنْ طلع مِنَ الشِّعْب عليّ بن أبي طالب -عليه السّلام-، فلَمَّا انتهى إلى رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ-، قام <إليه>[٥] فاعتنقه، وقبّل بين عينيه، ودخلا -عليهما السّلام-، فقال قوم من المنافقين: يشبّه ابن عمّه بالمسيح، ويمثله به. أفآلهتنا الّتي كنّا نعبدها خير أم عليّ؟

فأنزل الله -عزّ وجلّ- فيهم: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ۞ وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾"[الزخرف: ٥٧-٥٨].

(١) زيادة من شرح الأخبار.
(٢) "فرأيته" في شرح الأخبار.
(٣) زيادة من شرح الأخبار.
(٤) زيادة من شرح الأخبار.
(٥) زيادة من "ب".

ثُمَّ كانت بعد ذلك عُمْرَة الْحُدَيْبِيَّة:

<وأقام رسول الله شهر رمضان وشوّال،>[١] فخرج رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- في ذي القَعْدَة معتمراً لا يريد حرباً، واستنفر العرب ومن حوله من الأعراب، ليخرجوا معه، فأبطأ عنه كثير من الأعراب، وسار -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- بمن معه من المهاجرين والأنصار، ومن [١٥٠/و] /لحق به من العرب، وساق معه الْهَدْيَ، وأحرم بالعُمْرَة، ليعلم النَّاس أنّه إنّما خرج زائراً للبيت مُعظِّماً له، فكان الْهَدْيُ الذي ساقه رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- سبعين بَدَنَةً. [١٩٨]

وكان جابر بن عبد الله الأنصاريّ، يقول: كُنَّا أصحاب الْحُدَيْبِيَّة أربع عشرة مئة.

وكان إحرام رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- في ذي الْحُلَيْفَة، فأحرم وأحرم أصحابه، وقلدوا الْهَديَ وأشعروه.

[الرَّسُول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- وبِشْر بن سُفْيان الكَعْبيّ]

فلَمَّا صار رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- بعُسْفان لَقِيَهُ بِشْر بن سُفْيان الْكَعْبِيّ، -ويُقال: "بُسْر" بالسِّين-، فقال: يا رسول الله هذه قُرَيْش؛ قد سمعت بمسيرك، فخرجوا معهم العُوذُ الْمَطافِيْلُ قد لَبِسُوا جُلود النُّمور، وقد نزلوا بذي طَوَىً يعاهدون الله لا تَدْخُلُها عليهم أبداً، وهذا خالد بن الوَليد في خيلهم قد قدَّموها إلى كُراع الغَميم.

(١) زيادة من "ب".

فقال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ-: "يا وَيْحَ قُرَيْشٍ لَقَدْ أَكَلَتْهُمُ الْحَرْبُ، ماذا عَلَيْهِمْ لَوْ خَلُّوا بَيْنِي وَبَيْنَ سائرِ العَرَبِ، فَإِنْ هُمْ أَصابُونِي كَانَ الَّذي أَرادُوا، [١٥٠/ظ] وَإِنْ أَظْهَرَنِي اللهُ عَلَيْهِمْ دَخَلُوا فِي الإِسْلَامِ وَافِرِيْنَ، وَإِنْ لَمْ يَفْعَلُوا قَاتَلُوا وَبِهِمْ قُوَّةٌ، فَمَا تَظُنُّ قُرَيْشٌ؟ فَوَاللهِ لاَ أَزالُ أُجَاهِدُ عَلَى الَّذِي بَعَثَنِي اللهُ بِهِ حَتَّى يُظْهِرَهُ اللهُ -تعالى- أَوْ تَنْفَرِدَ هَذِهِ السَّالِفَةُ". -وأشار إلى مقدم عُنُقه-، وقال: "مَنْ يَخْرجُ بِنا [عَلَى طَرِيْقٍ][1] غَيْرِ طَرِيْقِهِمْ [الَّتِي هُمْ بِها"][2]؟.

[تَجَنّبُ الرَّسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- لِقَاءَ قُرَيْشٍ]

قال رَجُل من أَسْلَمَ: أنا يا رسول الله. فسلك بهم طريقاً وَعْراً بين شعاب، فلَمَّا انتهى رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- إلى ثنيَّة الْمُرار مَهْبِطِ الْحُدَيْبِيَّة، بركت ناقته، فقالوا: خَلأَتْ يا رسول الله. — و"الْخِلاءُ": حِران الإبل- قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ-: "ما خَلأَتْ وَمَا هُوَ لَها بِخُلُقٍ، وَلَكِنْ حَبَسَها حَابِسُ الفِيلِ عَنْ [عَنْ مَكَّةَ][3] لاَ تَدْعُونِي قُرَيْشٌ اليَوْمَ إِلَى خُطَّةٍ يَسْأَلُونَنِي فِيهَا صِلَةَ الرَّحِمِ إِلاَّ أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا".

[١٩٩] /ثُمَّ قال لهم: "انْزِلُوا". فقالوا: يا رسول الله: ما بالوادي ماء تَنْزل عليه. فأخرج سَهْماً من كِنانته، فأعطاه رَجُلاً من أصحابه -يُقال: إنَّه أمير

(١) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة.

(٢) يادة من السِّيرة النَّبويَّة.

(٣) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة.

المؤمنين،- فنزل به في قَلِيْب من تلك القُلُب، فَغَرَّزَهُ في جوفه، [١٥١/و] فَجَاشَ الماء، فشرب النَّاس واستقوا.

[عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ رَسُولٌ مِنْ قُرَيْش إلى رسول الله]

ومشت الرُّسل بين رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- وبين قُرَيْش، وأرسلت قُرَيْش إلى رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- عُرْوَة بن مَسْعود الثَّقَفيّ، فكلَّم رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ-، فأخبره رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ-، أنَّه لم يأت لحرب، إنَّما أتى لتعظيم البيت.

فعاد إلى قُرَيْش، وقد رأى تعظيم أصحاب رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- أصحابه، لا يتوضَّأُ إلا ابْتَدَروا وَضُوءَهُ، ولا يَبْصُقُ بُصاقاً إلا ابْتَدَرُوهُ، ولا يسقط من شَعْرِهِ شيء إلا أخذوه. فرجع إلى قُرَيْش، فقال: يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ؛ إنِّي قد رأيت كِسْرى في مُلْكه، وَقَيْصَرَ في ملكه، والنَّجاشيَّ في مُلْكه، وإنِّي والله ما رأيتُ ملكاً في قوم قطّ مِثْلَ محمَّدٍ في أصحابه، ولقد رأيتُ قوماً لا يُسْلمونه لشيء أبداً فَرَوْا رأيكم.

[النَّفرُ الَّذين أرسلتهم قُرَيْشٌ للعُدْوان]

وأمرت قُرَيْش منهم خمسين رَجُلاً أن يُطيفوا بعسكر رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- لينالوا منه غرَّة، فأُخذوا أَخْذاً، فأُتِيَ بهم رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ-، فعفا عنهم وخلَّى سبيلهم، وقد كانوا رموا في عسكر رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- بالنَّبل والحجارة.

وأرسل رسول الله رُسلاً [١٥١/ظ] إلى قُرَيْش، فاحتبسوهم وهمّوا بهم.

[ذِكْرُ بَيْعَة الرِّضْوان]

وبلغ رسول الله أنّهم قتلوا رسله، فبايع أصحابه بيعة الرِّضوان؛ [فكان النَّاسُ يقولون بايعهم رَسُولُ الله – صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ–] على الموت.

وكان جابر بن عبد الله يقول: إنّ رسول الله –صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– لم يُبايعنا على الموت، إنَّما بايعنا على أنْ لا نَفِرّ.

[٢٠٠] /**[ذِكْرُ أمر الهدنة]**

ورجع أصحاب النَّبيّ –صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– الذين أرسلهم إلى قُرَيْش، فوصل إليه سُهَيل بن عَمْرو أخو بني عَامِر بن لُؤَيّ، فلمَّا رآه رسول الله –صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– مُقبلاً، قال: قد أراد القوم الصُّلح. فتكلّم رسول الله –صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– وسُهَيْلاً مليّاً، ثُمَّ جرى الصّلح، ولم يبق إلاّ الكتاب، فقام عمر بن الخطّاب مُعْتَرِضاً على رسول الله –صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ–، –شاكّاً في الإسلام!– فقال: يا رسول الله؛ ألستَ برسول الله؟ قال: "بَلَى". قال: أوَلَسْنا بالمسلمين؟ قال: "بَلَى". قال: أوَلَيْسُوا بالمشركين؟ قال: "بَلَى". قال: فعلام نُعْطى الدَّنِيَّة من أنفسنا؟ فقال –صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ–: "أَنَا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، وَلَنْ أُخَالِفَ أَمْرَهُ، وَلَنْ يُضَيِّعَنِي".

[عليّ –عليه السّلام– يكتب شروط الصّلح]

ثُمَّ دعا رسولُ الله –صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– عليّ بن أبي طالب –عليه السّلام–، فقال: "اكْتُبْ: [١٥٢/و] بسم الله الرَّحمن الرَّحيم". فقال سُهَيْل: لا أَعْرِفُ هَذا، ولكن اكتب: باسْمِكَ اللَّهُمَّ. فقال رسول الله –صَلّى اللهُ عَلَيْهِ

وَعَلَى آلِهِ–: "اكْتُبْ: باسْمِكَ اللَّهُمَّ". فكتبها، ثُمَّ قال: "اكْتُبْ: هَذَا مَا صَالَحَ عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولَ الله سُهَيْلَ بْنَ عَمْرٍو". قال: فقال سُهَيْل: لو [شَهِدْتُ أنَّكَ][1] رسولُ الله لم أُقاتلك، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك. فقال –صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– لعلي –عليه السّلام–: "اكْتُبْ: هَذَا مَا صَالَحَ عَلَيْهِ مُحَمَّدُ ابْنُ عَبْدِ الله". فقال أمير المؤمنين: يا رسول الله؛ لا أمحو اسمك. فقال: "اكْتُبْ؛ فَإنَّكَ تُدْعَى إِلَى مِثْلِها".

فكان ذلك في أيّام مُعاوِيَة، وسنذكر ذلك.

[نُسْخَةُ عَهْد الصُّلح مع قُرَيْش عام الْحُدَيْبِيَّة]

وكتب عليٌّ –عليه السّلام–، بإملاء رسول الله –صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ–[2]:

"باسْمِكَ اللَّهُمَّ؛ هَذَا مَا صَالَحَ عَلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّه سُهَيْلَ بْنَ عَمْرٍو، اصْطَلَحَا عَلَى وَضْعِ الْحَرْبِ عَنْ النَّاسِ عَشْرَ سِنِينَ يَأْمَنُ فِيهِنَّ النَّاسُ وَيَكُفُّ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ عَلَى أَنَّهُ مَنْ أَتَى مُحَمَّدًا مِنْ قُرَيْشٍ [بِغَيْرِ إِذْنِ وَلِيِّهِ][3] رَدَّهُ عَلَيْهِمْ. وَمَنْ جَاءَ قُرَيْشاً مِمَّنْ مَعَ محمَّد لَمْ يَرُدُّوهُ عَلَيْهِ، وَأَنَّ بَيْنَنَا /"عَيْبَةً مَكْفُوفَةً"[4]، وَأَنَّهُ لا إِسْلاَلَ وَلا إِغْلاَلَ، وأَنَّهُ مَنْ [١٥٢/ظ] أَحَبَّ أَنْ يَدْخُلَ فِي عَقْدِ مُحَمَّدٍ وَعَهْدِهِ دَخَلَ فِيهِ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَدْخُلَ فِي عَقْدِ قُرَيْشٍ وَعَهْدِهِمْ دَخَلَ فِيهِ". [٢٠١]

(١) "آ" و "ب": "كنتَ"، ومـاأثبت فهو من السّيرة النّبويّة ٣/٣١٧.

(٢) انظر: السِّيرة النَّبويَّة ٣/٣١٧–٣١٨.

(٣) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة.

(٤) انظر: مجمع الأمثال ٦٧/١.

[دخول خُزاعَة في عهد محمَّد وبني بَكْر في عهد قُرَيْش]

فتواثبت خُزاعَة فقالوا: نحن في عَقْدِ محمَّدٍ وعَهْدِهِ. وتواثبت بنو بَكْرٍ، فقالوا: نحن في عَقْدِ قُرَيْشٍ وَعَهْدِهِمْ، وأنَّك تَرْجِعُ عنَّا عامَكَ هذا، فلا تدخل علينا مكّة، وأنّه إذا كان عام قابل خرجنا عنكَ فدخلتها بأصحابك، فأقمتَ بها ثلاثًا، معك سِلاحُ الرَّاكِبِ السُّيوفُ في القُرُبِ لا تدخلها بغيرها.

[ما أهمَّ النَّاس من الصّلح ومجيء أبي جَنْدَل]

فبينا رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– يكتب الكتاب هو وسُهَيْل ابن عَمْرو، إذ جاء أبو جَنْدل بن سُهَيْل بن عَمْرو يَرْسُف في قُيوده، وكان قد أسلم، ففعل به أبوه سُهَيْل ذلك لإسلامه، وقد انفلتَ إلى رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ–، فقال أبوه لرسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ–: ألم يتمّ الحديث بيني وبينك، قبل أن يجيء هذا؟ قال: "بَلَى". فقام سُهَيْل وأخذ بِتَلْبِيْبِهِ ويجرّه ليردّه إلى قُرَيْش، وجعل ابنه أبو جَنْدَل يصرخ بأعلى صوته: يا معشر المسلمين أَأُرَدّ إلى المشركين يفتنوني [١٥٣/و] عن الدِّين؟ فكاد المسلمون أن يهلكوا.

فقال رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ–: "يَا أَبَا جَنْدَلِ اصْبِرْ وَاحْتَسِبْ، فَإِنَّ اللهَ جَاعِلٌ لَكَ وَلِمَنْ مَعَكَ مِنَ الْمُسْتَضْعَفِيْنَ فَرَجًا وَمَخْرَجًا، إِنَّا قَدْ عَقَدْنَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ صُلْحًا، وَأَعْطَيْنَاهُمْ عَلَى ذَلِكَ وَأَعْطَوْنَا عَهْدَ اللهِ، وَإِنَّا لاَ نَغْدِرُ بِهِمْ".

فلَمَّا فرغ من الكتاب أشهد على الصّلح رِجالاً من المسلمين، ورِجالاً

من المشركين.

[نَحَرَ الرَّسُولُ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– وَحَلَقَ فَاقْتَدى به النّاسُ]

وقام رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– إلى هديه فَنَحَرَهُ، ثُمَّ جلس فَحَلَقَ رأسه، فلَمَّا رأى المسلمون أنَّ رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– قد نَحَرَ وَحَلَقَ، تواثبوا يَنْحَرونَ ويَحْلقونَ، فمنهم من قصَّر، فقال رسول الله –صَلَّى /[٢٠٢] اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ–: "يَرْحَمُ اللهُ الْمُحَلِّقِيْنَ". قالوا: والمقصِّرين يا رسول الله. قال –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ–: "يَرْحَمُ اللهُ الْمُحَلِّقِيْنَ". قالوا: والمقصِّرين يا رسول الله. قال –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ–: ""يَرْحَمُ اللهُ الْمُحَلِّقِيْنَ وَالْمُقَصِّرِيْنَ". في الثالثة.

[نُزُولُ سُورَة الْفَتْح]

ورجع رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– قافلاً، فلَمَّا كان بين مكّة والْمَدينة نزلت عليه سور الفتح.

[ما جرى عليه أمر قوم من المستضعفين بعد الصّلح]

ولَمَّا قدم رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– الْمَدينة أتاه أبو بَصِير عُتْبة بن أُسِيْد بن جارِيَة، وكان مِمَّن حُبِسَ بمكّة، فأتى [١٥٣/ظ] رَجُل من المشركين إلى رسول الله بكتاب منهم، وقالوا: ألم نعاهدك على أن لا يأتيكَ أحد مِمَّن معنا؟ قال: بلى. وقال رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ–: "يَا أَبَا بَصِيْرِ إِنَّا قَدْ أَعْطَيْنَا هَؤُلاَءِ الْقَوْمَ مَا قَدْ عَلِمْتَ وَلاَ يَصْلُحُ لَنَا فِي دِيْنِنَا الْغَدْرُ وَإِنَّ اللَّهَ جَاعِلٌ لَكَ وَلِمَنْ مَعَكَ مِنَ الْمُسْتَضْعَفِينَ فَرَجاً وَمَخْرَجًا، [فَانْطَلِقْ إِلَى

قَوْمِكَ"](١).

[إجتماع الْمُحْتَبَسِين إلى أَبي بصَيْر]

فرجع أبو بَصِيْر مع المشرك، حتَّى إذا كانوا بذي الْحُلَيْفَة عدا عليه أبو بَصير فقتله. ورحل أبو بَصير حتَّى نزل العِيْصَ من ناحية ذي الْمَرْوَة، على ساحل البحر، بطريق قُرَيْش الَّتي كانوا يأخذون عليها إلى الشَّام، وبَلَغَ المسلمين الَّذين كانوا احْتُبِسُوا بمكَّة قول رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آله– لأبي بَصير: "وَيْلُ أُمِّهِ مِحَشُّ حَرْبٍ لَوْ كَانَ مَعَهُ رِجَالٌ!". فخرجوا إلى أبي بَصير بالعِيْص من مكَّة، واجتمع إليه منهم قريبٌ من سَبْعين رَجُلاً، فضيَّقوا على قُرَيْش، لا يظفرون بأحد منهم إلا قتلوه، لا تَمُرُّ بهم عِيْرٌ إلا اقْتَطعوها، حتَّى كَتَبَتْ قُرَيْشٌ إلى رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آله– تسأله بأَرْحامها إلا آواهم، فلا حاجة لهم بهم. فآواهم رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آله– فقدموا عليه الْمَدينة.

وكان أبو بَصير من ثَقِيف.

[٢٠٣] /[أمر الْمُهاجرات بعد الهدنة]

وهاجرت إلى رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آله– [١٥٤/و] أم كُلْثوم بنت عُقْبَة بن أبي مُعَيط في تلك المدَّة، وأتى أخواها عُمَارَة والوَليد ابنا عُقْبَة يطلبان ردّها.

فأنزل الله –عزّ وجلّ– على رسوله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آله–: ﴿يَا

(١) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة ٣/٣٢٣.

أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلاَ تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لاَ هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلاَ هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُم مَّا أَنفَقُوا وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلاَ تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾[الممتحنة: ١٠].

فأبى الله –تعالى– أن يرجعن إلى الكفّار.

***

[ذكر المسير إلى خَيْبَر]

ثُمَّ أقام رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– بالْمَدينة حين رجع من الْحُدَيْبِيَّة، ذا الحِجَّة وبعض الْمُحَرَّم، وولي تلك الحجّة المشركون.

ثُمَّ خرج رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– إلى خَيْبَر، في بقيَّة الْمُحَرَّم سنة سبع، مع المهاجرين والأنصار ومن اتَّبعهم، ودفع الرَّاية إلى عليّ ابن أبي طالب –عليه السّلام–، وكانت بيضاء.

[ارتجاز عامر بن الأَكْوَع واستشهاده]

وخرج ابن الأَكْوَع وهو يرتجز بين يديّ رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ–، ويقول[1]:

والله لَوْلاَ اللهُ مَا اهْتَدَيْنَا
وَلاَ تَصَدَّقْنَا وَلاَ صَلَّيْنَا
إِنَّا إِذاً قَوْمٌ بَغَوْا عَلَيْنَا
وَإِنْ أَرادُوا فِتْنَةً أَبَيْنَا
فَأَنْزِلَنْ سَكِيْنَةً عَلَيْنَا
وَثَبِّتِ الأَقْدَامَ إِنْ لاَقَيْنَا

[٢٠٤] [١٥٤/ظ] /قال رسول الله: "يَرْحَمُكَ اللهُ". فقتل يوم خَيْبَر شهيداً، رجع سيفه عليه [وهو يُقاتل،] فَكَلَمه كَلْماً شديداً، فمات منه –رحمة الله عليه–؛

(١) انظر: السّيرة النّبويّة ٣/٣٢٨–٣٢٩.

فكان المسلمون قد شكُّوا فيه، وقالوا: إنما قتله سلاحه، حتَّى قال رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ–: "إِنَّهُ لَشَهِيْدٌ". وصلَّى عليه المسلمون.

[دعاء الرَّسول –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– لَمَّا أشرف على خَيْبَر]

ولَمَّا أشرف رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– على خَيْبَر قال لأصحابه: "قفُوا". ثُمَّ قال: "اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ وَمَا أَظْلَلْنَ وَرَبَّ الأَرَضِيْنَ وَمَا أَقْلَلْنَ وَرَبَّ الشَّيَاطِيْنِ وَمَا أَضْلَلْنَ وَرَبَّ الرِّيَاحِ وَمَا أَذْرَيْنَ، فَإِنَّا نَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ وَخَيْرَ أَهْلِهَا وَخَيْرَ مَا فِيهَا، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا وَشَرِّ أَهْلِهَا وَشَرِّ مَا فِيْهَا، أَقْدِمُوا بِسْمِ اللَّهِ". وكان يقولها لكلّ قرية دخلها.

[فرار أهل خَيْبَر لَمَّا رأوا الرّسول –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ–]

فنزل –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– خَيْبَر ليلاً فبات، حتَّى إذا أصبح ركب وركب معه المسلمون، فاستقبلهم أهل خَيْبَر قد خرجوا بِمَسَاحِيهم ومَكَاتِلهم، فلَمَّا رأوا رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– قالوا: هذا محمد والجيش معه! فأدبروا هُرَّاباً، فقال رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ–: "اللهُ أَكْبَرُ خَرِبَتْ خَيْبَرُ، إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِيْنَ".

[مَنَازِل الرَّسول –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– في طريقه إلى خَيْبَر]

وكان رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– حين خرج من الْمَدينة في تلك الغزاة سلك [١٥٥/و] على عِصْر،[1] فَبُنِيَ له فيها مسجد، [ثُمَّ على

(١) انظر: معجم البلدان ٣/٦٠٣.

الصَّهْباء،][1] ثُمَّ أقبل –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– بجيشه، حتَّى نزل بواد يُقال له: "الرَّجِيعُ"، بين أهل خَيْبَر وغَطَفَان، ليحول بينهم وبين غَطَفَان أن تُمِدَّهم.

[شأن عليّ –عليه السّلام– يوم خَيْبَر]

وأعطى رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آله– أبا بَكْر الرَّاية، وكانت بيضاء، ليقاتل أهل خَيْبَر. فرجع مُنهزماً ولم يكن فَتْحٌ. ثُمَّ بعث بالغداة عمر ابن الخطّاب بالرَّاية، فعاد مُنْهزماً، ولم يكن فتح، /فقال –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه–: "لأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غداً رَجُلاً يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ، كَرَّار غير فَرَّار، يَفْتَحُ اللهُ عَلَى يَدَيْهِ". [٢٠٥]

فاستشرف كلٌّ لها، فلَمَّا كان الصَّباح قال رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آله–:" أَيْنَ أَخِي عَلِيّ بن أبي طالب؟" فقيل: يا رسول الله هو أَرْمَد. فدعاه وتَفَلَ في عَيْنيه، وقال: "اللَّهُمَّ اذْهِبْ عَنْهُ الْحَرّ وَالْبَرْد". فلم يك –عليه السّلام– يُؤذيه الحرّ والبرد. وأعطاه الرَّاية، وقال: "خُذْها وامْضِ بها [حتَّى][2] يَفْتَح الله على يديك".

فخرج مُسرعاً والمسلمون بعده، حتَّى رَكَز رايته في رَضْمٍ من حِجارة تحت الحِصْن، فاطّلع إليه يهوديّ من رأس الحِصْن، فقال له: من أنتَ؟ [١٥٥/ظ] قال: أنا عليّ بن أبي طالب. فقال له اليهوديّ: عَلَوْتُم، وما أُنْزِلَ على مُوسى بن عِمْران. [فما رجع حتَّى فتح الله على يديه][3].

(١) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة ٣/٤٣٧.

(٢) زيادة من السّيرة النبوية ٣/٣٣٤.

(٣) زيادة من السّيرة النبوية ٣/٣٣٥.

[مقتل مَرْحَب اليهوديّ]

وخرج إليه مَرْحَب اليهوديّ من حصنهم، قد جمع عليه سِلاحه وهو يرتجز، ويقول[1]:

قَدْ عَلِمَتْ خَيْبَرُ أَنِّي مَرْحَبُ
شَاكِيْ السِّلاحِ بَطَلٌ مُجَرَّبُ
أَطْعُنُ أَحْيَاناً وَحِيْناً أَضْرِبُ
إِذَا اللُّيُوثُ أَقْبَلَتْ تَحَرَّبُ
إِنْ حِمَايَ لِلْحِمَى لاَ يُقْرَبُ

فأجابه عليّ –عليه السّلام– وهو يقول[2]:

أنا الَّذي سَمَّتْنِي أُمِّي حَيْدَرَهْ
أَكِيْلُكُمْ بِالسَّيْفِ كَيْلَ السَّنْدَرَهْ

/فتجاولا مليّاً وتصاولا، وحمل مَرْحَبُ على أمير المؤمنين فضربه في تُرْسه، فنحّاه عنه، فتناول عليّ –عليه السّلام– باباً كان عند الحصن، فترَّس به عن نفسه، وحمل على مَرْحَب، <فضربه>[3] فَقَدَّ هامته بعد البَيْضَة، فَخَرَّ صريعاً. [٢٠٦]

ولم يزل ذلك الباب في يديه يُقاتل به، حتَّى قتل جماعة من أبطال يهود،

(١) انظر: السِّيرة النبويّة ٣/٣٣٣.

(٢) انظر: ديوانه ٦٧.

(٣) زيادة من "ب".

وفتح الله على يديه، فألقى الباب من يديه، فاجتمع بعد ذلك ثمانية رِجال وقيل: أكثر، على أن يقلبوا ذلك الباب فلم يطيقوه.

[بلاء علي –عليه السّلام– في خيبر]

ومِمَّا يُؤثر عن عليّ –عليه السّلام–، أنّه قال(1):

"لَمَّا غزا رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– خَيْبَر تلقانا أهلها من اليهود بمثل الجبال [١٥٦/و] من الخيل والسِّلاح، وهم أمنع داراً، وأكثرها عدداً، كلّ يُنادي للبراز إلى اللِّقاء، فلم يبرز إليهم أحد من المسلمين إلاّ قتلوه، حتَّى احْمَرَّت الْحَدَقُ، ودُعيتُ للبراز، وهَمَّت كلّ امرئٍ نفسه، فأمضني رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– إلى برازهم، فلم يبرز إليّ أحد منهم إلاّ قتلته، و لم يثبت لي منهم فارس إلاّ طعنته، ثُمَّ شددت عليهم شدَّة اللَّيْث على فريسته، فأدخلتهم جوف مدينتهم يَكْسَعُ بعضهم بعضاً.

ووردتُ باب الْمَدينة، فوجدته مسدوداً عليهم، فاقتلعته بيدي، ودخلتُ عليهم مدينتهم وحدي، أقتل من يظهر لي من رِجالها، وأسبي من أحد [فيها](2) من نسائها، فاسفتحتها وحدي، لم يكن لي من معين إلاّ الله وحده".

وعن إِسْماعِيل بن مُحمَّد الكُوفيّ، بإِسْناده، عن جابِر بن عبد الله الأنصاريّ، أنّه قال(3):

(١) انظر: شرح الأخبار ٣٠١/١.

(٢) زيادة من شرح الأخبار.

(٣) انظر: شرح الأخبار ٣٨١/٢–٣٨٢، مناقب أمير المؤمنين ٢٤٩/١–٢٥١، مناقب علي لابن المغازلي ٢٣٧–٢٣٩، محاسن الأزهار ١٣٣–١٣٤.

لَمَّا قَدِمَ عليّ –عليه السّلام– إلى رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– بفتح خَيْبَر، قال –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– له –عليه السّلام–:

[٢٠٧] /"لَوْلاَ أنْ تقول فيكَ طائفة مِنْ أُمَّتِي ما قالت النَّصارى في المسيح، [١٥٦/ظ] لقلتُ فيكَ [اليوم](1) قولاً(2)، لا تَمُرُّ بِمَلأٍ مِنَ النَّاس إلاَّ أخذوا مِنْ تُراب تحت رِجْلَيْك، و[مِنْ](3) فَضَلِ طهورك، يستشفون بِهِـ[ـما](4). وَلَكِنْ حسبك بأنْ تكونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هارونَ مِنْ مُوسى إلاَّ أنَّهُ لاَ نَبِيّ بَعْدِي.

وإِنَّكَ لتبرئ ذمَّتي، وتُقاتل على سُنَّتِي، وإِنَّك في الآخرة غداً معي أقرب النَّاس مِنِّي، وإنَّكَ [غداً](5) على الحَوض خليفتي، وإِنَّك أوَّل مَنْ يَرِد عَلَيَّ الحَوض لأنَّك أوَّل مَنْ آمَنَ بي، [وإِنَّك أوَّل مَنْ يُكْسَى معي،](6) وإنَّك أوَّل مَنْ يدخل الجَنَّة من أُمَّتِي.

وإنَّ شِيْعتك على منابر مِنْ نُور مُبْيَضَّة وجوههم [حَوْلِي،](7) أشفع لهم حتَّى يكونوا في الجَنَّة جيراني. وإنَّ حَرْبَكَ حَرْبِي وإنَّ سِلْمكَ سِلْمي، وإنَّ سريرة صدرك كسريرة صدري، وإنَّ ولدك ولدي، وإنَّك تُنْجِز عِداتي، وإنَّ

(١) زيادة من شرح الأخبار.

(٢) "مقالا" في شرح الأخبار.

(٣) زيادة من مناقب علي لابن المغازلي.

(٤) زيادة من مناقب علي لابن المغازلي.

(٥) زيادة من مناقب علي لابن المغازلي.

(٦) زيادة من مناقب علي لابن المغازلي.

(٧) زيادة من مناقب علي لابن المغازلي.

الحَقَّ على لِسانك وفي قلبكَ وبين [يَدَيْكَ ونُصْب](1) عينيكَ، وإنَّ الإيمان مُخالط لحمكَ ودمكَ كما خالط لحمي ودمي، وإنَّه لن يَرِد عَلَيَّ الحَوض مُبْغِض لك، ولن يغيب عنه مُحِبٌّ لك حتَّى تراه معك".

قال: فَخَرَّ عليّ –عليه السّلام– ساجداً، وقال: الحمد لله [١٥٧/و] الذي أنعم عَلَيَّ بالإسلام، وعلَّمني القرآن، وحبَّبني إلى خير البريَّة؛ وخاتم النَّبيِّين، وسيِّد الْمُرْسَلين، [وصَفْوَة الله في جميع العالمين،](2) إحساناً منه إليَّ، وتَفَضُّلاً منه عَلَيَّ.

فقال [لَهُ](3) رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ–: "لولاكَ يا عليّ ما عُرِفَ المُؤمن [مِنْ](4) بَعْدِي".

[بقيّة أمر خَيْبَر]

[٢٠٨] /فافتتح رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– خَيْبَر، وأخذ حصونها، وقتل من شاء من الرِّجال، وأمَّن من شاء، وأسبى من ذراريهم، واصطفى لنفسه صَفيَّة بنت حُيَيّ بن أَخْطَب.

ونهى رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– عن أربع يوم خَيْبَر: إتْيان الحبالى من السَّبايا، وعن أكل الحمار الأهلي، وعن أكل كل ذي ناب من

(١) زيادة من شرح الأخبار.

(٢) زيادة من مناقب علي لابن المغازلي.

(٣) زيادة من شرح الأخبار.

(٤) زيادة من شرح الأخبار.

السِّباع، وعن بيع الغنائم حتَّى تقسم.

وعن جابر بن عبد الله –رضي الله عنه– أن النَّبيّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– [حين](1) نهى النَّاس عن أكل لحوم الحُمُر أذن لهم في أكل لحوم الخيل.

[نَهْي الرَّسول –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– يَوْمَ خَيْبَرَ عن أَشْياء]

وخطب رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– في خَيْبَر، فقال في خطبته(2):

"لاَ يَحِلُّ لامْرِىءٍ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَنْ يَسْقِي ماؤُهُ زَرْعَ غَيْرِه،– يعني إتْيانَ الْحَبالى من السَّبايا– وَلاَ يَحِلُّ لامْرِىءٍ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَنْ يُصِيبَ امْرَأَةً مِنْ السَّبْي حَتَّى يَسْتَبْرِئَهَا، وَلاَ يَحِلُّ لاِمْرِئٍ يُؤْمِنُ بِاللهِ [١٥٧/ظ] وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَنْ يَبِيعَ مَغْنَماً حَتَّى يُقْسَمَ، وَلاَ يَحِلُّ لاِمْرِئٍ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَنْ يَرْكَبَ دَابَّةً مِنْ فَيْءِ الْمُسْلِمِيْنَ حَتَّى إِذَا أَعْجَفَهَا رَدَّهَا فيه، وَلاَ يَحِلُّ لاِمْرِئٍ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَنْ يَلْبَسَ ثَوْباً مِنْ فَيْءِ الْمُسْلِمِيْنَ حَتَّى إِذَا أَخْلَقَهُ رَدَّهُ فِيْهِ ".

[مُصَالَحَةُ الرَّسُول –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– أَهْلَ خَيْبَر]

وصالح رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– أهل خَيْبَر وأهل فَدَك والعَوالي؛ على أن يزرعوا أرضها، ولهم نصف ما أخرجت، وأنَّه متَّى شاء أن يخرجهم من ذلك أخرجهم.

(١) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة.

(٢) انظر: السِّيرة النَّبويَّة ٣/٣٣١–٣٣٢.

[خبر الشّاة المسمومة]

ولَمَّا اطْمَأَنَّ رسول الله -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه- أهدت له زَيْنَبُ بنت الْحَارِث، امرأة سلاّم بن مِشْكَم، شاةً مَصْلِيَّةً، وقد سألتْ أيّ عُضْوٍ من الشّاة أَحَبُّ إلى رسول الله -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه-؟ فقيل لها: الذِّراع. فأكثرت فيها من السُّمّ، ثُمَّ جاءت بها، فوضعتها بين يدي رسول الله -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه-، فتناول الذّراع، فَلاَكَ منها مُضْغَةً ولم يُسغْها، ونادته: إنّي مَسْمُومة. ومعه بِشْر بن البَراء بن /مَعْرور قد أخذ منها، كما أخذ رسول [٢٠٩] الله -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه-، فأمّا بِشْر فأساغها، وأمّا رسول الله -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه- فلفظها، وقال: "إنَّ هَذَا الْعَظْمَ لَيُخْبِرُنِي أَنَّهُ [١٥٨/و] مَسْمُومٌ". ثُمَّ دعا بها فاعترفت، فقال: "مَا حَمَلَكِ عَلَى ذَلِكِ؟" قالت: بلغت من قومي ما لم يخف عليكَ، فقلت: إنْ كان مَلِكاً استرحتُ منه، وإنْ كان نبيّاً فَسَيُخَبّر.

فتجاوز عنها رسول الله -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه-، ومات بشر من أَكْلَتِه التي أكل.

وقيل: إنّ أم بِشْر بنت البَراء بن مَعْرور عادت رسول الله في مرضه الّذي توفّي فيه، فقال لها: " يا أُمّ بِشْرٍ؛ [إنَّ هَذَا](١) الأَوَانَ(٢) وَجَدْتُ [فِيهِ](٣) انْقِطَاعَ أَبْهَرِي مِنْ الأُكْلَةِ الَّتِي أَكَلْتُ مَعَ أَخِيكِ بِخَيْبَرِ".

---

(١) زيادة من السّيرة النّبويّة ٣٣٨/٣.

(٢) "آ" و "ب": "الآن". وما أثبت من السّيرة النّبويّة.

(٣) زيادة من السّيرة النّبويّة ٣٣٨/٣.

[رجُوع الرَّسول -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه- إلى المدينة]

ولَمَّا فرغ رسول الله -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه- من خَيْبَر انصرف إلى وادي القُرى، فحاصر أهله ليالي ثُمَّ رجع إلى الْمَدينة.

[شِعْرُ ابن لُقَيْم العَبْسِيّ في فَتْحِ خَيْبَر]

وقال ابن لُقَيْم العَبْسِيّ في فتح خَيْبَر -وكان في صَفَر-(١):

رُمِيَتْ نَطَاةُ مِنَ الرَّسُولِ بِفَيْلَقٍ ... شَهْبَاءَ ذَاتِ مَنَاكِبٍ وَفِقَارِ

وَاسْتَيْقَنَتْ بالذُّلِّ لَمَّا شُيِّعَتْ ... وَرِجَالُ أَسْلَمَ وَسْطَهَا وَغِفَارِ

صَبَحَتْ بَنِي عَمْرِو بْنِ زُرْعَةَ غُدْوَةً ... وَالشَّقُّ أَظْلَمَ أَهْلُهُ بِنَهَارِ

جَرَّتْ بِأَبْطَحِهَا الذُّيُولَ فَلَمْ تَدَعْ ... إلاّ الدَّجَاجَ تَصِيحُ فِي الأَسْحَارِ

وَلِكُلِّ حِصْنٍ شَاغِلٌ مِنْ خَيْلِهِمْ ... مِنْ عَبْدِ أَشْهَلَ أَوْ بَنِي النَّجَّارِ [١٥٨/ظ]

وَمُهَاجِرِينَ قَدْ أَعْلَمُوا سِيمَاهُمُ ... فَوْقَ الْمَغَافِرِلَمْ يَنُوا لِفِرَارِ

وَلَقَدْ عَلِمْتُ لَيَغْلِبَنَّ مُحَمَّدٌ ... وَلَيَثْوِيَنَّ بِهَا إِلَى أَصْفَارِ

فَرَّتْ يَهُودُ يَوْمَ ذَلِكَ فِي الوَغَى ... تَحْتَ العَجَاجِ غَمَائِمَ الأَبْصَارِ

/[أمر الحَجَّاج بن عِلاط السُّلْمِيّ] [٢١٠]

ولَمَّا فتحت خَيْبَر أتى الحَجّاج بن عِلاط السُّلْمِيّ إلى رسول الله -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه-، فقال: يا رسول الله؛ إنّ لي بمكّة مالاً عند أم شَيْبَة بنت أبي طَلْحَة، -وهي امرأته،- ومالي مُتفرِّق في تُجّار أهل مكّة، فَأْذَنْ لي يا رسول الله. فأذن له رسول الله -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه-، فقال: إنه لا بدَّ

---

(١) انظر: السّيرة النبويّة ٣٤١/٣.

لي يا رسول الله من أن أقول، فقال: "قُلْ".

فقدم الحَجَّاج مكَّة فوجد أهل مكَّة يتحسَّسون الأخبار، ويسألون الرّكبان عن أمر رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه-، وقد بلغهم مسيره إلى خَيْبَر، وقد علموا أنها قرية الْحِجاز رِيْفاً ومَنْعَة ورجالاً، ولَمَّا ورد الحَجَّاج مكَّة قالوا: هذا عنده الخبر. ولم يكونوا علموا إسلامه-، فقالوا: أخبرنا يا أبا محمَّد فإنَّه قد بلغنا أن القاطع قد سار إلى خَيْبَر وهي بلد يهود وريف الْحِجاز قال: قد بلغني ذلك وعندي من الخبر ما يسرّكم. فقالوا إيه يا حجَّاج؟ فقال: هُزِمَ هزيمةً لم تسمعوا بمثلها [١٥٩/و] قَطّ، وقُتِلَ أصحابه قَتْلاً لم تسمعوا بمثله قَطّ، وأُسِرَ محمَّدٌ أَسْراً. وقالوا: لا نَقْتُلُهُ حتَّى نبعث به إلى أهل مكَّة، فيقتلوه.

فقاموا وصاحوا بمكَّة، وقالوا: إنَّما ننتظر قدوم محمَّداً أسيراً، فنقتله بمن أصاب من رِجالنا. فقال الحجَّاج: أَعِيْنوني على جمع مالي بمكَّة وعلى غُرَمائي، فإنِّي أُريد أن أقدم خَيْبَر، فأصيبُ من فَلِّ محمَّد وأصحابه قبل أن يسبقني التُّجَّار [إلى ما هنالك.][1] فقاموا يجمعون ما كان له كأحَثّ جَمْعٍ.

[الْعَبّاسُ يَسْتَوْثِقُ مِنْ خَبَرِ الحَجّاجِ وَيُفَاجِئُ قُرَيْشًا]

ولَمَّا سمع العبَّاس بن عبد الْمُطَّلب الخبر جاء إلى الحجَّاج، وقال: ويحك ما هَذا الخبر؟ فقال: احفظ ما أودعتك من الحديث يا أبا الفضل، فإنِّي استعنتُ بهم على جمع مالي، وإنِّي أَخْشَى الطَّلب ثلاثاً. قال: أَفْعَل. قال: إنِّي والله لقد تركت ابن أخيكَ عَروساً على بنت مَلِكِهِمْ -يعني صفيَّة بنت حُيَيّ

(١) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة.

ابن أَخْطَب- ولقد افْتَتَحَ خَيْبَرَ وملك ما فيها، وصارت له ولأصحابه. فقال: أحقّاً ما تقولُ يا/حجَّاج؟ [قال:][1] قلتُ: إي والله، فاكتم عنِّي، ولقد [٢١١] أَسلمتُ وما جئتُ إلا لآخذ مالي، خوفاً من أن أُغْلَب [١٥٩/ظ] عليه، فإذا مضت ثلاثٌ بعد مسيري، فَأَظْهِرْ أمركَ، فإنَّه والله على ما تحبّ.

حتَّى إذا كان اليوم الثَّالث بعد مسير الحجّاج، لبس العبَّاس بن عبد الْمُطَّلب حُلَّةً له، وتَخَلَّقَ وأخذ عصاه، ثُمَّ خرج حتَّى أتى الكَعْبَة، فطاف بها، فلَمَّا رأوه، قالوا له: يا أبا الفَضْل؛ إنَّ هذا والله التَّجَلُّدُ لِحَرِّ الْمُصيبة. قال: كلاَّ؛ -والله- لقد افْتَتَحَ محمَّدٌ خَيْبَر وملكها عنوة، ونزل على بنت ملكهم حُيَيّ بن أَخْطَب عروساً، وصارت أموالهم وما فيها له ولأصحابه. قالوا: من جاءك بهذا الخبر؟ قال: الَّذي جاءكم بما جاءكم به، ولقد دخل عليكم مُسْلِماً، فأخذ ماله، فانطلق ليلحق بمحمَّد وأصحابه فيكون معهم. قالوا: يا لعباد الله! انْفَلَتَ عَدُوّ الله، أمَا والله لو عَلمنا لكان لنا وله شأن. [قال:][2] ولم يلبثوا أن جاءهم الخبر.

[شِعْرُ حَسَّان في يوم خَيْبَر]

وقال حسَّان بن ثابت في يوم خَيْبَر[3]:

بِئْسَ مَا قَاتَلَتْ خَيَابِرُ عَمَّا ... جَمَّعَتْ مِنْ مَزَارِعٍ وَنَخِيلِ
كَرِهُوا الْمَوْتَ فَاستَبِيحَ حِمَاهُمْ ... وَأَقَامُوا فِعْلَ اللَّئِيمِ الذَّلِيلِ

(١) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة.
(٢) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة.
(٣) انظر: ديوانه ١/٣٦٩.

[١٦٠/و] أَمِنَ الْمَوْتِ تَهْرُبُونَ فَإِنَّ الـْ / ـمَوْتَ مَوْتَ الْهُزَالِ غَيْرُ جَمِيْلِ

[شِعْرُ كَعْب في يوم خَيْبَر]

وقال كَعْب بن مالك في يوم خَيْبَر(١):

وَنَحْنُ وَرَدْنا خَيْبَـراً وَفُرُوضَـهُ	بِكُلِّ فَتى عَارِي الأَشَاجِعِ مِـذْوَدِ
جَوَادٍ لَدَى الْغَايَاتِ لاَ وَاهِنِ الْقُوَى	جَرِيءٍ عَلَى الأَعْدَاءِ فِي كُلِّ مَشْهَدِ
عَظِيْمِ رَمَادِ الْقِدْرِ فِي كُلِّ شَـتْوَةٍ	ضَرُوبٍ بِنَصْلِ الْمَشْرَفِيِّ الْمُهَنَّـدِ
يَرَى الْقَتْلَ مَدْحاً إِنْ أَصَابَ شَهَادَةً	مِنَ اللهِ يَرْجُوهَا وَفَـوْزاً بِأَحْمَـدِ
يَذُودُ وَيَحْمِي عَنْ ذِمَارِ مُحَمَّـدِ	وَيَدْفَعُ عَنْهُ بِاللِّسَـانِ وَبِالْيَـدِ
[٢١٢] /وَيَنْصُرُهُ مِنْ كُـلِّ أَمْـرٍ يَرِيْبُـهُ	يَجُودُ بِنَفْسٍ دُونَ نَفْسِ مُحَمَّـدِ
يُصَدِّقُ بِالأَنْبَاءِ بِالْغَيْبِ مُخْلِصـاً	يُرِيْدُ بِذَاكَ الْفَوْزَ وَالْعِزَّ فِـي غَـدِ

[ذكر قدوم جَعْفَر بن أبي طالِب]

وقدم جَعْفَر بن أبي طالب -عليه السّلام-، يوم فتح خَيْبَر، فَسَرَّ رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ-قدومه، وقال(٢): "ما أدْرِي بأَيِّهِمَا أنا أُسَرّ: أبِفَتْحِ خَيْبَرَ أم بِقُدُومِ جَعْفَر؟". وكانت معه امرأته أَسْماء بنت عُمَيْس، وابنه عبد الله بن جَعْفَر وكان ولد بأرض الحَبَشَة، وجماعة من المسلمين مِمَّن هاجر إلى الحَبَشَة.

(١) انظر: ديوانه ١٦٤.

(٢) انظر: السيرة النبوية ٣٥٩/٤، طبقات ابن سعد ٣٤/٤-٣٥، أنساب الأشراف ٢٢٣/١، شرح الأخبار ٢٠٤/٣، الخصال ٧٧، مقاتل الطالبيين ٣٠.

[عُمْرَة القَضاء في ذي القَعْدَة سنة سبع]

وأقام رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- بالْمَدينة بعد قدومه من خَيْبَر شهري رَبيْع وجُمادَيَيْنِ ورَجَباً وشَعْبانَ وشهر رَمَضان وشَوَّالاً.

ثُمَّ خرج مُعْتَمِراً [١٦٠/ظ] عُمْرَة القَضاء مكان العُمْرَة التي صدَّه عنها المشركون، وخرج معه المسلمون مِمَّن كان صُدَّ معه، فلمَّا سمع به أهل مكَّة خرجوا عنه، وتحدَّثت قُرَيْش بينها أنَّ محمَّداً وأصحابه في عُسْرةٍ وجَهْدٍ وشِدَّةٍ.

فصفُّوا له عند دار النَّدْوَة لِيَنْظُروا إليه وإلى أصحابه، فلَمَّا دخل رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- المسجد اضْطَبَعَ بردائه، وأَخْرَجَ عَضُدَهُ اليُمْنى، ثُمَّ قال: "رَحِمَ اللهُ امْرَأً أراهُمُ اليَوْمَ مِنْ نَفْسِهِ قُوَّةً". ثُمَّ استلم الرُّكْن، وخرج يُهَرْوِلُ و يُهَرْوِل أصحابه معه، حتَّى إذا واراهُ البيت منهم واستلم الرُّكْنَ اليَمانيّ، مشى حتَّى يستلم الرُّكن الأَسْوَد، ثُمَّ هَرْوَلَ كذلك ثلاثة أطْواف، ومشى سائرَها.

وظنَّ المسلمون أنَّ النَّبيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- إنَّما صنع ذلك لِيري قُرَيْش الشِّدَّة، فلَمَّا فعله في حِجَّة الوداع فلزمها، فمضت السَّنة بها.

[ارتجاز ابن رَوَاحَة وهو يقود ناقة الرَّسول]

/وقيل: إنَّ النَّبيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- دخل مكَّة في تلك العُمْرَة [٢١٣] وعبد الله بن رَوَاحَة آخذ بخطام ناقته، وهو يقول(١):

خَلُّوا بَني الْكُفَّارِ عَـنْ سَـبِيْلِهِ

(١) انظر: السّيرة النّبويّة ٣٧١/٤.

خَلُّوا فَكُلُّ الْخَيْرِ فِي رَسُــولِهِ

[١٦١/و] يا رَبُّ إنِّي مُؤْمِــنٌ بِقِيْلِــهِ

أَعْرِفُ حَــقَّ اللهِ فِــي قُبُولِــهِ

وأقام رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– بمكّة ثلاثاً، ثُمَّ سألته قُرَيْش الخروج، فخرج.

[ما نزل من القرآن في عُمْرَة القضاء]

وقيل: إنّها نزلت عليه الآية في تلك العُمْرَة: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾[الفتح: ٢٧].

يعني بـ"الفتح القريب": فتح خَيْبَر.

***

[ذكر غَزْوة مُؤْتَة في جُمادى الأُولى سنة ثمان]

وأقام رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– بعد رجوعه من العُمْرَة بالْمَدينة بقيَّة شهر ذي الحِجَّة، وولي تلك الحجَّة المشركون والْمُحَرَّم وصَفَر وشهري رَبِيْع.

وكانت غَزْوة مُؤْتَة في جُمادى الأُولى سنة ثمان، فبعث رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– جيشاً من المسلمين إلى مُؤْتَة، واستعمل عليهم ابن عمّه جَعْفَر بن أبي طالب، وقال:"إنْ أُصِيْبَ جَعْفَرٌ، فَزَيْدُ بْنُ حارِثَةَ عَلَى النَّاسِ، فَإِنْ أُصِيْبَ زَيْدٌ، فَعَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ عَلَى النَّاسِ".

[شِعْر عبد الله بن رَوَاحَة في توديع الرَّسول]

[٢١٤] أَنْتَ الرَّسُولُ فَمَنْ يُحْرَمْ نَوَافِلَــهُ ... وَالْوَجْهَ مِنْهُ فَقَدْ أَزْرَى بِهِ الْقَــدَرُ

فَثَبَّتَ اللهُ مَا آتاكَ مِنْ حَسَــنٍ ... فِي الْمُرْسَلِيْنَ وَنَصْراً كَالَّذِي نُصِرُوا

إنِّي تَفَرَّسْتُ فِيْكَ الْخَيْــرَ نَافِلَــةً ... فِراسَةً خَالَفَتْ فِيْكَ الَّذِي نَظَــرُوا

وهذه الأبيات في قصيدة له.

وخرج رسول الله – صلَّى اللهُ عليه وعلى آله – يُشَيِّع جعفرَ بنَ أبي طالب وأصحابَه، حتى إذا وَدَّعَهم وانصرَفَ عنهم، قال عبدُ الله بنُ رَوَاحَة[1]:

خَلَفَ السَّلامُ عَلَى امْرِئٍ وَدَّعْتُهُ ... فِي النَّخْلِ خَيْرَ مُشَيِّعٍ وَخَلِيْــلِ

[خَوْف النَّاس من لقاء هِرَقْل]

ثُمَّ مضوا حتّى نزلوا مُعَانَ، من أرض الشّام، فَبَلَغَ النّاسَ أنَّ هِرَقْلَ قد

(١) انظر: السيرة النبويّة ٤/٣٧٤.

نزل مَآبَ، من أرض البَلْقَاءِ، في مئة ألف من الرُّوم، وانْضَمَّ إليهم من لَخْمٍ وَجُذَامٍ وَالقَيْنِ وبَهْرَاءَ وَبِلِيٍّ مئة ألف منهم.

فلَمَّا بَلَغَ ذلك المسلمين أقاموا على مُعَانَ لَيْلَتَيْنِ ينظرون في أمرهم، وقالوا: نَكْتُبُ إلى رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- فنخبره الخبر، فإمَّا أنْ يُمِدّنا بالرِّجال وإمَّا أنْ يَأْمُرَنا بأمره فنمضي له.

[تَشْجِيعُ عبد الله بن رَوَاحَة النّاسَ على الْقِتَالِ]

فشجَّع النَّاس جَعْفَر ابن أبي طالب، وعبد الله بن رَوَاحَة، وقالوا: إنَّما خرجنا نطلب الشَّهادة، وما نُقاتل النَّاس بعدد ولا قوَّة ولا كثرة، وإنَّما نقاتلهم بهذا الدِّين الذي أكرمنا الله [١٦٢/و] به، فانطلقوا فإنَّما هي إحدى الْحُسْنَيَيْن إمَّا ظهور وإمَّا شهادة. ومضى النَّاس.

فقال عبدُ الله بنُ رَوَاحة[١]:

جَلَبْنَا الْخَيْلَ مِنْ أَجَأٍ وفَـــرْعٍ ... تُغَرُّ مِنَ الْحَشِيْشِ لَهَا الْعُكُومُ
حَذَوْنَاهَا مِنَ الصَّوَّانِ سِـبْتاً ... أَزَلَّ كَــأَنَّ صَــفْحَتَهُ أَدِيْـمُ
أَقَامَتْ لَيْلَتَيْنِ عَلَـى مَعَـانٍ ... فَأَعْقَبَ بَعْدَ فَتْرَتِهَـا جُمُـومُ
فَرُحْنَا وَالْجِيَـادُ مُسَـوَّمَاتٌ ... تَنَفَّسُ فِي مَنَاخِرِهَا السُّـمُومُ
فَلاَ وَأَبِي، مَـآبَ لَنَأْتِيَنْهَـا ... وَإِنْ كَانَتْ بِهَا عَـرَبٌ وَرُومُ
[٢١٥] فَعَبَّأْنَـا أَعِنَّتَهَـا فَجَـاءَتْ ... عَوَابِسَ وَالْغُبَارُ لَهَـا بَـرِيْمُ
بِذِي لَجَبٍ كَأَنَّ الْبَيْضَ فِيْـهِ ... إِذَا بَرَزَتْ قَوانِسُهَا النُّجُـومُ

(١) انظر: السيرة النبوية ٤/٣٧٥ –٣٧٦.

...رَاضِيَةُ الْمَعِيْشَـةِ طَلَّقْتَهَـا ... أَسِـنَّتُهَا فَتَـنْكِحُ أَوْ تَئِـيْمُ

[لقاء الرُّوم]

ثُمَّ مضى النَّاس حتَّى إذا كانوا بِتُخُومِ البَلْقَاءِ، لقيتهم جموع هِرَقْلَ من الرُّوم والعرب، بقرية من قرى البَلْقَاءِ يُقال لها: مَشارِفُ، ثُمَّ دنا العَدُوّ، وانحاز المسلمون إلى قرية يُقال لها: مُؤْتَةُ، فتعبَّأً لها المسلمون، فجعلوا على ميمنتهم رجلاً من بني عُذْرَة، يُقال له: قُطْبَةُ بن قَتَادَة، وعلى ميسرتهم رَجُلاً من الأنصار يُقال له: عُبَايَةُ بن مالِكٍ.

[... جعفر ومقتله]

ثُمَّ التقى النَّاسُ فقاتلوا، فأَخَذَ جعفر [١٦٢/ظ] بن أبي طالب – عليه السلام – اللِّواء، وقاتَلَ <به>[١] حتى إذا أَلحمَهُ القتال، واقتحَمَ عن فرسٍ له ثُمَّ قاتَلَ القوم، وهو يقول[٢]:

يَا حَبَّـذَا الْجَنَّـةُ وَاقْتِرَابُهَـا
طَيِّبَـةً وَبَـارِداً شَـرَابُهَا
وَالرُّومُ قَـدْ دَنَـا عَـذَابُهَا
كَـافِرَةٌ بَعِيْـدَةٌ أَنْسَـابُهَا
عَلَـيَّ إِذْ لاقَيْتُهَـا ضِـرَابُهَا

فما زال يُقاتل -عليه السَّلام- واللِّواء بيمينه، حتَّى قُطِعَتْ يده، فأخذه

(١) [illegible] بن أب".
(٢) [illegible] السيرة النبويّة ٤/٣٧٨.

بشماله، فَقُطِعت، فاحتضنه بعضديه، حتَّى قُتِلَ شهيداً -عليه السّلام والرضوان-، وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، فأثابه الله بذلك جناحين يطير بهما في الجنَّة حيث شاء.

ويُقال: إنَّ رَجُلاً من الرُّوم ضربه -يومئذ- ضربةً فقطعه نصفين.

[إمارة عبد الله بن رَواحَة ومقتله]

[٢١٦] /فلَمَّا استشهد جَعْفَر -عليه السّلام- أخذ الرَّاية زَيْد بن حارِثَة، وقاتل بها حتَّى شاط في رِماح القوم، وقُتِلَ -رحمة الله عليه-، فلَمَّا قُتِلَ أخذها عبد الله بن رَواحَة، ثُمَّ تقدَّم بها وهو على فرسه، فجعل يستنزل نفسه، ويتردَّد بعض التَّرَدُّد، ثُمَّ قال[1]:

أَقْسَمْتُ يَـا نَفْـسُ لَتَنْزِلَنَّـهْ

لَتَنْزِلَـنَّ أَوْ لَتُكْرَهِنَّـهْ

إِنْ أَجْلَبَ النَّاسُ وَشَدُّوا الرَّنَّهْ

مَا لِي أَرَاكِ تَكْرَهِيْنَ الْجَنَّـهْ

[١٦٣/و] قَدْ طَالَ مَا قَدْ كُنْتِ مُطْمَئِنَّهْ

هَلْ أَنْتِ إِلاَّ نُطْفَةٌ فِي شَنَّهْ

وقال أيضًا[2]:

يَا نَفْسُ إِلاَّ تُقْتَلِـي تَمُـوتِي

(١) انظر: السيرة النبوية ٣٧٩/٤.

(٢) انظر: السيرة النبوية ٣٧٩/٤.

هَذا حِمَامُ الْمَوْتِ قَدْ صَلِيْتِ

وَمَا تَمَنَّيْتِ فَقَـدْ أُعْطِيْـتِ

إِنْ تَفْعَلِي فِعْلَهُمَـا هُـدِيْتِ

-يريد صاحبيه زَيْداً وجَعْفَراً-، ثُمَّ تقدَّم وقاتل <حتَّى قُتِلَ -رضوان الله عليه->[1].

فأخذ الرَّاية ثابت بن أَقْرَم أخو بني العَجْلان، فأعطاها خالد بن الوَلِيد فانحاز بها، وانحيز عنه حتَّى انصرف بالنَّاس.

[تنبُّؤ الرَّسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- بما حدث للمسلمين مع الرُّوم]

ولَمَّا أُصيب القوم قال رسول الله – صلى الله عليه وعلى آلِهِ – لأصحابه[2]: "[أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدُ بنُ حارِثَة، فقاتَلَ بها حتَّى قُتِل شَهِيدًا.

[٢١٧] ثُمَّ أَخَذَها][3] جعفر بن أبي طالب [فَـ][4] ـقَاتَلَ [بِهَا][5] حتَّى قُتِلَ شَهِيدًا، فأَخَذَ الرَّايةَ زيدُ بن حارِثَة، فَـ[ـقَاتَلَ بها حَتَّى][6] قُتِل شَهِيدًا". ثُمَّ صَمَتَ رسولُ الله – صلى الله عليه وعلى آلِهِ –، حتى تَغَيَّرَتْ وُجوهُ الأَنْصَار،

(١) زيادة من "ب".

(٢) انظر: السيرة النبوية ٣٨٠/٤.

(٣) "آ" و "ب": "إنَّ" وما أثبت فهو من السيرة النبوية.

(٤) زيادة من السيرة النبويَّة.

(٥) زيادة من السيرة النبوية.

(٦) زيادة من السيرة النبوية.

وظنُّوا أنَّه قَدْ كانَ في عبد الله بنِ رَوَاحة بَعْضُ ما يكرَهون. ثُمَّ قال: "ثُمَّ أَخَذَهَا عَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ فَقَاتَلَ بهَا حَتَّى قُتِلَ شَهِيْداً". ثُمَّ قَالَ: "لَقَدْ رُفِعُوا إِلَيَّ في الْجَنَّةِ فِيْمَا يَرَى النَّائِمُ عَلَى سُرُرٍ مِنْ ذَهَبٍ، فَرَأَيْتُ فِي سَرِيْرِ عَبْدِ اللهِ بْنِ رَوَاحَةَ ازْوِرَاراً عَنْ سَرِيرَيْ صَاحِبَيْهِ فَقُلْتُ: عَمَّ هَذَا؟ فَقِيْلَ لِي: مَضَيَا وَتَرَدَّدَ عَبْدُ اللّهِ بَعْضَ التَّرَدّدِ، [١٦٣/ظ] ثُمَّ مَضَى".

[حزن الرّسول –صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– على جعفر ووصايته بآله]

وحين أُصِيب جَعْفَراً وأصحابه، دخل رسول الله –صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– على أسْماء بنت عُمَيْس، فقال لها: "ائْتِينِي بِبَنِي جَعْفَرٍ". فَأَتَتْهُ بهم فتشمَّمهم، ثُمَّ ذَرَفَتْ عَيْناه، فقالت له: بأبي أنت وأمي؛ يا رسول الله ما يُبْكيك؟ أَبَلَغَكَ عن جَعْفَر وأصحابه شيء؟ قال: "نَعَمْ؛ أُصِيْبُوا هَذَا الْيَوْمَ". فقامت أسْماء تصيح، واجتمعتْ إليها النِّساء.

وخرج رسول الله –صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آله– إلى أهله، فقال: "لا تُغْفِلُوا آلَ جَعْفَرٍ مِنْ أَنْ تَصْنَعُوا لَهُمْ طَعَاماً، فَإِنَّهُمْ قَدْ شُغِلُوا بِأَمْرِ صَاحِبِهِمْ".

وَلَمَّا أَتَى نَعْيُهُ مِنْ مُؤْتَة قال رسولُ الله — صلى الله عليه وعلى آله –[١]: "لَقَدْ سَرَى فِي مَلاءٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ لَهُ جَناحَانِ خَضِيْبَانِ أَبْيَضَا الْقَوَادِمِ يَطِيْرُ بِهِمَا حَيْثُ يَشاء".

وَحَزِنَ عليه حُزْناً شَدِيْداً، وكان يحبّه، وقال – صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وعَلَى

(١) انظر: طبقات ابن سعد ٣٩/٤، مغازي الواقدي ٧٦٢/٢، المناقب والمثالب [ورقة ٤٠/و]، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٢٤٢/١.

آلِهِ–[١]: "خُلِقَ النَّاسُ مِنْ شَجَرٍ شَتَّى، وَخُلِقْتُ أَنَا وَجَعْفَرُ مِنْ شَجَرَةٍ وَاحِدَةٍ".

[وقال في حديثٍ آخر[٢]: "إِنَّا آلَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ مِنْ شَجَرَةٍ واحِدَةٍ،] وَأَنَا وَجَعْفَرُ مِنْ غُصْنٍ مِنْ أَغْصَانِها، فأَشْبَهَ خَلْقُهُ خَلْقِي، وخُلُقُهُ خُلُقِي".

[خبر قُطْبَة بن قَتَادَة] [١٨

وكان قُطْبَة بن قَتَادَة العُذْرِيّ، الَّذي كان على ميمنة المسلمين، قد حمل على مالك [١٦٤/و] بن [زافلَة فقتله وهو في إزائه، وكان بعض قوّاد الكفّار يوم مُؤْتَة، فقال [قُطْبَة بن قَتَادَة][٣] العُذْرِيّ[٤]:

طَعَنْتُ ابْنَ زَافِلَةَ بْــنِ الإرَاشِ ... بِرُمْحٍ مَضَى فِيْهِ ثُمَّ انْحَطَــمْ
ضَرَبْتُ عَلَى جِيْـــدِهِ ضَــرْبَةً ... فَمَالَ كَمَا مَالَ غُصْنُ السَّلَمْ
وَسُقْنَا نِسَـــاءَ بَنِـــي عَمِّــهِ ... غَدَاةَ رَقُوقَيْنِ سَــوْقَ الـنَّعَمْ

[وممَّا قالته أَسْماء بنت عُمَيْس في بكاء جعفر –عليه السّلام–]

وَقالَتْ أَسْماء بِنْتُ عُمَيْسٍ تبكي جَعْفَراً — عليه السلام –[٥]:

يَا جَعْفَرَ الطَّيَّار خَيْــرَ مُضَــرِّبٍ ... لِلْخَيْلِ يَــوْمَ تَطَــاعُنٍ وَشِــيَاحِ

(١) انظر مقاتل الطالبين ٣٤، خصائص أمير المؤمنين ٢٢١–٢٣٢، شرح الأخبار ٣٠٥/٣، تاريخ مدينة دمشق (ج ٩٣) ١٥٨.

(٢) انظر: طبقات ابن سعد ٣٦/٤، الاستيعاب ٢٤٣/١.

(٣) زيادة من السيرة النبوية.

(٤) انظر: السيرة النبوية ٣٨١/٤.

(٥) انظر: شرح الأخبار ٢٠٧/٣، تهذيب الكمال ٦٣/٥، ونسبت الأبيات (٢–٥) لفاطمة بنت الأحجم الخُزاعيَّة. انظر: أمالي القالي ١/٢، الحماسة البصريّة ٦٧/٢–٦٧١.

قَدْ كُنْتَ لِي جَبَلاً أَلُوذُ بِظِلِّهِ فَتَرَكْتَنِي أَمْشِي بِأَجْرَدَ ضَاحِ
قَدْ كُنْتُ ذَاتَ حَمِيَّةٍ مَا عِشْتَ لِي أَمْشِي الْبَرَازِ وَكُنْتَ أَنْتَ جَنَاحِي
وَإِذَا دَعَتْ قُمْرِيَّةٌ شَجْواً لَهَا يَوْماً عَلَى فَنَنٍ دَعَوْتُ صَبَاحِي
فَالْيَوْمَ أَخْضَعُ لِلذَّلِيْلِ وَأَتَّقِي مِنْهُ، وَأَدْفَعُ ظَالِمِي بِالرَّاحِ

[شِعْرُ حَسّانَ فِي بُكَاءِ قَتْلَى مُؤْتَة]

وقال حسَّانُ بن ثابت يرثيه ويرثي أصحابه بِمُؤْتَة[1]:

تَأَوَّبَنِي لَيْلٌ بِيَثْرِبَ أَعْسَرُ وَهَمٌّ إذا مَا نَوَّمَ النَّاسُ، مُسْهِرُ
لِذِكْرَى حَبِيبٍ هَيَّجَتْ لِي عَبْرَةً سَفُوْحاً وَأَسْبَابُ الْبُكَاءِ التَّذَكُّرُ
بَلَى إِنَّ فِقْدَانَ الْحَبِيْبِ بَلِيَّةٌ وَكَمْ مِنْ كَرِيْمٍ يُبْتَلَى ثُمَّ يَصْبِرُ
رَأَيْتُ خِيَارَ الْمُسْلِمِيْنَ تَوَارَدُوا شَعُوْبَ وَخَلْفاً بَعْدَهُمْ يَتَأَخَّرُ
فَلاَ يُبْعِدَنَّ اللهُ قَتْلَى تَتَابَعُوا بِمُؤْتَةَ مِنْهُمْ ذُو الْجَنَاحَيْنِ جَعْفَرُ
[٢١٩][١٦٤/ظ] وَزَيْدٌ وَعَبْدُ اللهِ حِيْنَ تَتَابَعُوا جَمِيْعاً وَأَسْبَابُ الْمَنِيَّةِ تَخْطِرُ
غَدَاةَ مَضَوْا بِالْمُؤْمِنِيْنَ يَقُوْدُهُمْ إِلَى الْمَوْتِ مَيْمُونُ النَّقِيْبَةِ أَزْهَرُ
أَغَرُّ كَضَوْءِ الْبَدْرِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ أَبِيٌّ إِذَا سِيْمَ الظُّلاَمَةَ مِجْسَرُ
فَطَاعَنَ حَتَّى مَالَ غَيْرَ مُوَسَّدٍ بِمُعْتَرَكٍ فِيهِ الْقَنَا يَتَكَسَّرُ
فَصَارَ مَعَ الْمُسْتَشْهِدِينَ ثَوَابُهُ جِنَانٌ وَمُلْتَفُّ الْحَدَائِقِ أَخْضَرُ
وَكُنَّا نَرَى فِي جَعْفَرٍ مِنْ مُحَمَّدٍ وَفَاءً وَأَمْرًا حَازِمًا حِينَ يَأْمُرُ

(١) انظر: ديوانه ١/٩٨-٩٩.

فَمَا زَالَ فِي الإِسْلاَمِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ دَعَائِمُ عِزٌّ لاَ تَزَالُ وَمَفْخَرُ
هُمُ جَبَلُ الإِسْلاَمِ وَالنَّاسُ حَوْلَهُمْ رِضَامٌ إِلَى طَوْدٍ يَرُوقُ وَيَقْهَرُ
بَهَالِيْلُ مِنْهُمْ جَعْفَرٌ وَابْنُ أُمِّهِ عَلِيٌّ وَمِنْهُمْ أَحْمَدُ الْمُتَخَيَّرُ
وَحَمْزَةُ وَالْعَبَّاسُ مِنْهُمْ وَمِنْهُمُ عَقِيْلٌ، وَمَاءُ الْعُودِ مِنْ حَيْثُ يُعْصَرُ
بِهِمْ تُفْرَجُ اللأْوَاءُ فِي كُلِّ مَأْزِقٍ عَمَاسٍ إِذَا مَا ضَاقَ بِالنَّاسِ مَصْدَرُ
هُمُ أَوْلِيَاءُ اللهِ أَنْزَلَ حُكْمَهُ عَلَيْهِمْ، وَفِيْهِمْ ذَا الْكِتَابُ الْمُطَهَّرُ

[شِعْرُ كَعْبٍ فِي بُكاء قَتْلَى مُؤْتَة]

وقال كَعْب بن مالك في ذلك[1]:

نَامَ الْعُيُونُ وَدَمْعُ عَيْنِكَ يَهْمُلُ سَحًّا كَمَا وَكَفَ الطِّبَابُ الْمُخْضَلُ
فِي لَيْلَةٍ وَرَدَتْ عَلَيَّ هُمُومُهَا طَوْراً أَحِنُّ وَتَارَةً أَتَمَلْمَلُ
وَاعْتَادَنِي حُزْنٌ فَبِتُّ كَأَنَّنِي / بِبَنَاتِ نَعْشٍ وَالسِّمَاكِ مُوَكَّلُ [١٦٥/و]
وَكَأَنَّمَا بَيْنَ الْجَوَانِحِ وَالْحَشَى مِمَّا تَأَوَّبَنِي شِهَابٌ مُدْخَلُ
وَجْداً عَلَى النَّفَرِ الَّذِيْنَ تَتَابَعُوا يَوْماً بِمُؤْتَةَ أُسْنِدُوا لَمْ يُنْقَلُوا
صَلَّى الإِلَهُ عَلَيْهِمُ مِنْ فِتْيَةٍ وَسَقَى عِظَامَهُمُ الْغَمَامُ الْمُسْبِلُ
صَبَرُوا بِمُؤْتَةَ لِلإِلَهِ نُفُوسَهُمْ حَذَرَ الرَّدَى وَمَخَافَةً أَنْ يَنْكُلُوا
فَمَضَوْا أَمَامَ الْمُسْلِمِيْنَ كَأَنَّهُمْ فُنُقٌ عَلَيْهِنَّ الْحَدِيْدُ الْمُرْفَلُ
إِذْ يَهْتَدُونَ بِجَعْفَرٍ وَلِوَائِهِ قُدَّامَ أَوَّلِهِمْ فَنِعْمَ الأَوَّلُ
حَتَّى تَفَرَّجَتِ الصُّفُوفُ وَجَعْفَرٌ حَيْثُ الْتَقَى وَعْثُ الصُّفُوفِ مُجَدَّلُ

(١) انظر: ديوانه ٢٠٥-٢٠٦.

[٢٢٠] فَتَغَيَّـرَ الْقَمَـرُ الْمُنِيـرُ لِفَقْـدِهِ   وَالشَّمْسُ قَدْ كَسَفَتْ وَكَادَتْ تَأْفُلُ

قَرْمٌ عَـلاَ بُنْيَانُـهُ مِـنْ هَاشِـمٍ   فَرْعاً أَشَمَّ وَسُـؤْدُداً مَـا يُنْقَلُ

قَوْمٌ بِهِمْ عَصَـمَ الإِلَـهُ عِبَـادَهُ   وَعَلَيْهِمُ نَزَلَ الْكِتَـابُ الْمُنْزَلُ

فَضَلُوا الْمَعَاشِرَ عِـزَّةً وَتَكَرُّمـاً   وَتَغَمَّدَتْ أَحْلاَمُهُمْ مَـنْ يَجْهَلُ

لا يُطْلِقُونَ إِلَى السَّـفَاهِ حُبَـاهُمُ   وَيُرَى خَطِيـبُهُمُ بِحَـقٍّ يَفْصِلُ

بِيضُ الْوُجُوهِ تُرَى بُطُونُ أَكُفِّهِـمْ   تَنْدَى إِذَا اعْتَذَرَ الزَّمَانُ الْمُمْحِلُ

وَبِهَدْيِهِمْ رَضِـيَ الإِلَـهُ لِخَلْقِـهِ   وَبِجَدِّهِمْ نُصِرَ النَّبِـيُّ الْمُرْسَلُ

وقال رَجُل من المسلمين رجع من [١٦٥/ظ] غَزْوة مُؤْتَة(٢):

كَفَى حَزَناً أَنِّي رَجَعْتُ وَجَعْفَـرٌ   وَزَيْدٌ وَعَبْدُ اللهِ فِي رَمْـسِ أَقْبُرِ

قَضَوْا نَحْبَهُمْ لَمَّا مَضَوْا لِسَـبِيلِهِمْ   وَخُلِّفْتُ لِلْبَلْـوَى مَـعَ الْمُتَغَبِّرِ

ثَلاثَةُ رَهْـطٍ قُـدِّمُوا فَتَقَـدَّمُوا   إِلَى وِرْدِ مَكْرُوهٍ مِن الْمَوْتِ أَحْمَرِ

[تسمية من استشهد يوم مُؤْتَة]

وكان الذين استشهدوا من المسلمين في مُؤْتَة:

جَعْفَر بن أبي طالب –عليه السّلام– ابن عمّ رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آله.

وزَيْد بن حارِثَة مَوْلَى رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آله.

ومَسْعُود بن الأَسْوَد، من بني عَدِيّ بن كَعْب.

ووَهْب بن سَعْد [بن أبي سَرْح،] من بني مالِك بن حِسْل. فهؤلاء

(٢) انظر: السّيرة النّبوية ٤/٣٨٨.

الأربعة من المهاجرين.

ومن الأنصار:

عبد الله بن رَوَاحَة.

وعبَّاد بن قَيْس.

والْحَارِث بن النُّعْمان.

وسُراقَة بن عَمْرو.

وأبو كُلَيْب وجابِر ابنا عَمْرو بن زَيْد وهما لأب وأمّ.

[٢٢١] /وعَمْرو وعَامِر ابنا سَعْد.

فهؤلاء اثنا عشر رَجُلاً.

***

[ذكر الأسباب الموجبة المسير إلى مكَّة وفتحها في شهر رمضان سنة ثمان]

وأقام <رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ->(١) بعد بَعْثِه إلى مُؤْتَة جُمادى الآخِرة ورَجَباً.

ثُمَّ كان الأمر في نقض العَقْد بينه وبين قُرَيْش، وذلك أنَّ بني بَكْر بن عَبْدِ مَناة بن كِنانَة عَدَت على خُزاعَة.

وقد كانت خُزاعَة دخلت في عَقْد [رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وَعَهْدِه](٢) ، وبنو بَكْر دخلت في عهد قُرَيْش [وَعَهْدِهِم.]

وكانت بينهم إِحَن(٣) في الجاهليَّة وقتال، فحجز الإسلام بينهم، واشتغلوا بحرب رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ.

فلَمَّا [١٦٦/و] كانت الْهُدْنَة اغتنمتها بَنُو [الدِّئْلِ مِنْ بَنِي] بَكْر من خُزاعَة، وأرادوا أن يُصيبوا منهم ثَأْراً، وخُزاعَة على الوَتِيْر -ماءٌ لهم-، فأصابوا منهم رَجُلاً، وتحاوَزُوا واقتتلوا، ورَفَدَتْ بني بَكْر قُرَيْش بالسِّلاحِ، وقاتل معهم من قُرَيْش من قاتل باللَّيل مُسْتَخْفِياً، حتَّى انحازت خُزاعَة إلى الْحَرَمِ، فلَمَّا انتهت إليه، قالت بنو بَكْر لنَوْفَل بن مُعاوِيَة الدِّئْلِيّ، -وهو من بني بَكْر-: إنَّا قد دخلنا الْحَرَمَ، إِلَهَكَ إِلَهَكَ. فقال: لا إِلَهَ لَهُ اليَوْمَ، يا بني بَكْر؛ أَصِيبوا ثَأْرَكُمْ، فلعمري إنَّكم لَتَسْرِقُونَ في الْحَرَمِ، أَفَلا تُصيبون ثأركم فيه.

(١) زيادة من "ب".

(٢) ما بين الحاصرتين من السيرة النبوية ٣٨/٤.

(٣) "ب": "جنايات".

فلجأت خُزاعَة إلى دار بُدَيْل بن وَرْقاء، ودار مَوْلَى لهم يُقال له: رافِع، بعد أن أصابت قُرَيْش وبنو بَكْر منهم قتلاً.

[شعر عَمْرو بن سَالِم الْخُزاعِيّ للرَّسول - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- يستنصره]

فلَمَّا تظاهرت بنو بَكْر وقُرَيْش على خُزاعَة، وأصابوا منهم ما أصابوا، ونَقَضُوا ما كان بينهم وبين رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- من العَهْدِ والْمِيْثاق بما اسْتَحَلُّوا من خُزاعَة، وكانوا في عَقْدِهْ /وَعَهْدِهِ، خرج عَمْرو بن [٢٢٢] سَالِم الْخُزاعِيّ، حتَّى قَدِمَ على رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- [١٦٦/ظ] الْمَدينة، وهو جالس في مسجده بين المهاجرين والأنصار، فقال(١):

يَا رَبِّ إِنِّـــي نَاشِـــدٌ مُحَمَّـــدَا
حِلْـــفَ أَبِينَـــا وَأَبِيْـــهِ الأَتْلَـــدَا
قَدْ كُنْتُمُ وُلْـــداً وَكُنَّـــا وَالِـــدَا
ثُمَّتَ أَسْلَمْنَا فَلَـــمْ نَنْـــزِعْ يَـــدَا
فَانْصُرْ هَدَاكَ اللهُ نَصْـــراً أَعْتَـــدَا
وَادْعُ عِبـــادَ اللهِ يَـــأْتُوا مَـــدَدَا
فِيْهِمْ رَسُـــولُ اللهِ قَـــدْ تَجَـــرَّدَا
إِنْ سِيْمَ خَسْفاً وَجْهُـــهُ تَرَبَّـــدَا
فِي فَيْلَقٍ كَالْبَحْرِ يَجْرِي مُزْبِـــدَا
إِنَّ قُرَيْشاً أَخْلَفُـــوكَ الْمَوْعِـــدَا

(١) انظر: السِّيرة النَّبويّة ٣٩٤/٤-٣٩٥.

وَنَقَضُوا مِيْثَاقَكَ الْمُؤَكَّدَا

وَجَعَلُوا لِي فِي كَدَاءٍ رُصَّدَا

وَزَعَمُوا أَنْ لَسْتُ أَدْعُو أَحَدَا

وَهُمْ أَذَلُّ وَأَقَلُّ عَدَدَا

هُمْ بَيَّتُونَا بِالْوَتِيْرِ هُجَّدَا

وَقَتَلُونَا رُكَّعاً وَسُجَّدَا

فَانْصُرْ هَدَاكَ اللهُ نَصْراً أَيِّدَا

فقال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ-: "نُصِرْتَ يا عَمْرَو بْنُ سَالِمٍ".

ثُمَّ عَرَضَ له -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- عَنَانٌ من السَّماء، فقال: "إنَّ هَذِهِ السَّحابَةَ لَتَستَهِلّ بِنَصْرِ بَنِي كَعْبٍ".

[ذهاب بُدَيْل بن وَرْقاء إلى الرَّسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- شاكياً]

[٢٢٣] /ثُمَّ خرج بُدَيْل بن وَرْقاء في نَفَرٍ من خُزاعَة، حتَّى قَدِمُوا على رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- الْمَدينة، فأخبروه بما أُصيب منهم، وبمظاهرة قُرَيْش بني بَكْر عليهم. ثُمَّ انصرفوا راجعين إلى مكَّة، وقد قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- للنَّاس: [١٦٧/و] "كَأَنَّكُمْ بِأَبِي سُفْيَانَ قَدْ جَاءَكُمْ لِيَشُدَّ العَقْدَ، وَيَزِيْدَ فِي الْمُدَّةِ".

ومضى بُدَيْل بن وَرْقاء وأصحابه، حتَّى لقوا أبا سُفْيان بن حرب بعُسْفان، قد بعثته قُرَيْش إلى رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- ليشدَّ العَقْد، ويَزيد في الْمُدَّة، وقد رَهِبُوا الَّذين صَنَعوا.

[خروج أبي سُفْيان إلى المدينة للصُّلح وإخفاقه]

وجاءَ أبو سُفْيان [حتَّى قَدِمَ على رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ-](١) المدينة، فدخل على ابنته أمّ حَبِيْبَة بنت أبي سُفْيان، زوجة رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِه-، فلَمَّا ذَهَبَ ليجلس على فِراش رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِه- طَوَتْهُ عنه، فقال: يا بُنَيَّة؛ ما أَدْري أَرَغِبْتِ بي عن هذا الفراش أم رَغِبْتِ به عنِّي؟ قالت: بل هو فِراشُ رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِه- وأنتَ رَجُلٌ مُشْرِكٌ نَجِسٌ، ولم أُحِبَّ أن تجلس على فراش رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِه- قال: والله لقد أصابكَ يا بُنَيَّة بَعْدي شَرٌّ.

وكانت أم حَبِيْبَة بنت أبي سُفْيان قد هاجرت إلى الحَبَشَة مع بعلها، فمات عنها بالحَبَشَة، فأرسل رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِه- إلى النجاشي فخطبها به، ثُمَّ قدمت على رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِه- فكانت إحدى أزواجه.

فلمَّا خرج أبو سُفْيان أتى رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِه- فكلَّمه فلم يَرُدَّ عليه شيئاً.

ثُمَّ أتى أبا بَكْر، فكلَّمه أن يُكَلِّمَ [له](٢) رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِه- [١٦٧/ظ] فقال: ما أنا بفاعل.

---

(١) زيادة من السِّيرة النَّبويّة ٣٩٦/٤.

(٢) زيادة من السِّيرة النَّبويّة ٣٩٦/٤.

فأتى عُمَر بن الخطّاب فأجابه بمثل ذلك، وقال(١): لا نقدر أن نأتي رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آله– بما يكره.

[٢٢٤] /ثُمَّ خرج إلى عليّ بن أبي طالب –عليه السّلام–، وعنده فاطمَة بنت رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آله–، وعندها حسن بن عليّ غُلام يَدبّ بين يديها، فقال: يا عليّ؛ إنَّكَ أمَسُّ القوم بي رَحِماً، وإنّي قد جئتُ في حاجة، فلا أرْجِعَنَّ كما جئت خائباً، فاشفع لي إلى رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آله.

فقال: وَيْحكَ يا أبا سُفْيان! والله لقد عَزَمَ رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آله– على أمْرٍ ما نستطيع أن نُكَلِّمه فيه.

فَالْتَفَتَ إلى فاطِمَةَ –عليها السّلام–، فقال: يا ابنةَ محمَّد؛ هل لكِ أن تَأْمُري بُنَيَّكِ هذا –يعني الحسن –عليه السّلام–، فيُجيرَ بين النَّاسِ، فيكون سَيِّدَ العَرَبِ إلى آخر الدَّهر؟

قالت: والله ما بَلَغَ بُنَيّ [ذاك](٢) أن يُجيرَ بين النَّاس، وما يُجيرُ أحدٌ على رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آله.

فقال: يا أبا الحسن إنّي أرى الأُمُورَ قد اشْتَدَّتْ عَلَيَّ، فانْصَحْني.

(١) ولدى ابن هشام: "ثُمَّ أتى عمر بن الخطّاب فكلّمه، فقال: أأنا أشْفَعُ لَكُمْ إلَى رَسُولِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آله؟ فَوَاللهِ لو لم أجِدْ إلاّ الذَّرَّ لَجَاهَدْتُكُمْ به." وعبارة: "وقال: لا نقدر أن نأتي رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آله– بما يكره" لم أعثر على ذكر لها في المصادر المتوفّرة بين يدي!

(٢) زيادة من السّيرة النّبويّة ٤/٣٩٦.

قال: والله ما أَعْلَمُ بشيء يُغْني عنك شيئاً، ولكنَّك سيِّد بني كِنَانَة، فَقُمْ فَأجِرْ بين النَّاس، ثُمَّ الحق بِأرْضِكَ.

قال: أوَ ترَى [١٦٨/و] ذلك مُغْنياً عنّي شيئاً؟

قال: لاَ؛ والله ما أظُنّه، ولكنّي لا أجِدُ لكَ غير ذلك.

فقام أبو سُفْيان في المسجد بين النَّاس، فقال: أيُّها النَّاسُ؛ إنِّي قد أجَرْتُ بين النَّاس. ثُمَّ ركب بعيره فانطلق، فلَمَّا قَدِم مكّة على قومه، قالوا: ما وراءك؟ قال: جئتُ محمَّداً فكلّمته، فوالله ما ردَّ عَلَيَّ شيئاً، [جئتُ ابْنَ أبي قُحَافَة فلم أجِدْ فيه خَيْراً، ثُمَّ جئتُ ابن الخَطَّاب فوجدته أدْنَى العَدُوِّ.](١)

ثُمَّ جئتُ عَلِيّاً فوجدته ألْيَن القوم، و[قـد](٢) أشار عَلَيَّ بشيء صَنَعْتُهُ، فوالله ما أدري هل يغني ذلك شيئاً أم لا؟ قالوا: وَبِمَ أمَرَكَ؟ قال: أمرني أن أُجِيْرَ بين النَّاس، ففعلتُ. [قالوا: فهل أجاز ذلك محمَّدٌ؟ قال: لا.](٣) قالوا: ويلك! والله ما زاد عَلِيٌّ على أن لَعِبَ بعقلكَ. قال: والله ما وجدت غير ذلك.

[تجهيز الرّسول –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آله– لفتح مكّة]

[٢٢٥] /ثُمَّ إنَّ رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آله– أعلم النَّاس أنّه سائر إلى مكّة، وأمرهم أن يتجهّزوا، ويجدّوا إلى التَّهيُّؤ، وقال: "اللَّهُمَّ خُذِ العُيُونَ

(١) زيادة من السّيرة النّبويّة ٤/٣٩٦.

(٢) زيادة من السّيرة النّبويّة ٤/٣٩٧.

(٣) زيادة من السّيرة النّبويّة ٤/٣٩٧.

وَالأَخْبَارَ عَنْ قُرَيْشٍ ومن معها، [حتَّى نَبْغَتَها](1) فِي بِلاَدِها". فتجهَّز النَّاس.

[شِعْرُ حسَّان في تحريض النَّاس]

فقال حسَّان بن ثابت يحرِّض النَّاس ويذكر مُصاب رِجال خُزاعة(2):

عَنَانِي وَلَمْ أَشْهَدْ بِبَطْحَاءِ مَكَّـةٍ — رِجَالُ بَنِي كَعْبٍ تُحَزُّ رِقَابُهَا
[١٦٨/ظ] بِأَيْدِي رِجَالٍ لَمْ يَسُلُّوا سُيُوفَهُمْ / وَقَتْلَى كَثِيرٌ لَمْ تُجَنَّ ثِيَابُهَا
أَلاَ لَيْتَ شِعْرِي هَلْ تَنَالَنَّ نُصْرَتِي — سُهَيْلَ بْنَ عَمْرٍو وَخْزُهَا وَعِقَابُهَا
وَصَفْوَانُ عُوْداً حَنَّ مِنْ شُفْرِ اسْتِهِ — فَهَذَا أَوَانُ الْحَرْبِ شُدَّ عِصَابُهَا
فَلاَ تَأْمَنَنَّا يَا ابْنَ أُمِّ مُجَالِدٍ — إِذَا احْتُلِبَتْ صِرْفاً وَأَعْصَلَ نَابُهَا
وَلاَ تَجْزَعُوا مِنَّا فَإِنَّ سُيُوفَنَا — لَهَا وَقْعَةٌ بِالْمَوْتِ يُفْتَحُ بَابُهَا

[كتاب حاطب إلى قُرَيْش وعلم الرَّسول –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ– بأمره]

فلَمَّا أجمع رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ– المسير إلى مكَّة، كتب حاطبُ بن أبي بَلْتَعَة كتاباً إلى قُرَيْش، يُخْبِرُهُمْ بالَّذي أجمع عليه رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ– من السَّير إليهم. ثُمَّ أعطاه امرأة قيل: إنَّها من مُزَيْنَة، وقيل: إنَّها مَوْلاة لبعض بني عبد الْمُطَّلب، وجَعَلَ لها جُعْلاً على أن تُبَلِّغَهُ قُرَيْشاً، فجعلته في رأسها، ثُمَّ فَتَلَتْ عليه قُرونها، وخرجت به.

وأتى رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ– الخبر من السَّماء بما صنع حاطِب، فبعث عليّ بن أبي طالب والزُّبَيْر بن العوَّام، وقال: "أَدْرِكَا امْرَأَةً قَدْ

(1) زيادة من السّيرة النبويّة ٤/٣٩٧.

(2) انظر: ديوانه ٤/ ٢٩٦.

كَتَبَ مَعَهَا حَاطِبُ [ابْنُ أَبِي بَلْتَعَةَ](1) بِكِتَابٍ إِلَى قُرَيْش، يُحَذِّرُهُمْ بِمَا قَدْ أَجْمَعْنَا لَهُ [فِي أَمْرِهِمْ]"(2).

فخرجا حتَّى أدركاها بالْخَلِيْقَة –خَلِيقة بني أبي أحمد– فاستَنْزلاها، [١٦٩/و] فالتمسا في رَحْلها فلم يجدا شيئاً، فقال لها عليّ –عليه السَّلام–: واللهِ ما كَذَبْتُ ولا كُذِّبْتُ، ولَتُخْرِجِنَّ لنا هذا الكتاب أو /لَتُرِيَنَّ الَّذي [٢٢٦] تكرهين. فلَمَّا رأت الْجِدّ منه، قالت: أَعْرِض. فأعرض عنها، فحلَّت قُرون رأسها، فاستخرجت الكتاب منها، فدفعته إليه، فأتى به رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ.

فدعا حاطباً، فقال: "ما حَمَلَكَ عَلَى هَذَا؟".

فقال: يا رسول الله؛ إنِّي لمؤمنٌ [بالله ورسوله،](3) ما غيَّرتُ ولا بدَّلْتُ، ولكنِّي كنتُ في القوم امْرَأً ليس لي أهل ولا عشيرة، وكان لي بينهم أهل وولد فصانَعْتُهُم عليهم.

فقال عمر بن الخطَّاب: يا رسول الله؛ دَعْني فلأضْرِبُ عُنُقَهُ، فإنَّ الرَّجُلَ قد نافَقَ. فقال رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ–: "وَمَا يُدْرِيْكَ يَا عُمَرُ؟ لَعَلَّ اللهَ قَدْ اطَّلَعَ إِلَى أَهْلِ بَدْرٍ". فقال: "اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ، فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ".

فأنزل الله –عزَّ وجلَّ– في حاطب: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا

(1) زيادة من السّيرة النّبويّة ٤/٣٩٨.

(2) زيادة من السّيرة النّبويّة ٤/٣٩٨.

(3) "آ" و "ب": "بك" وما أثبت من السّيرة النّبويّة ٤/٣٩٩.

عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاء تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءكُم [١٦٩/ظ] مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاء مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ﴾ إلى قوله -تعالى-: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآء مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاء أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾[الممتحنة: ١-٤]. إلى آخر القصة.

ثُمَّ خرج رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- لفتح مكّة لعشر مَضَيْن من شهر رمضان.

[ذكر الصَّوم في السَّفر]

رُوِّينا عن جَعْفَر بن محمَّد الصَّادق، عن أبيه، عن آبائه - عليهم السّلام-[١]:

"أنّ رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- سافر في شهر رَمَضان، فأفطر وأَمَرَ مَنْ معه أنْ يُفْطِروا، فتوقَّف قومٌ عن الفطر، فسمَّاهم العُصاةَ. [وذلك][٢] لأنَّهُ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- أَمَرَهُمْ فلم يَأْتَمِروا لأمْرِه".

[٢٢٧] /[ذكر صلاة المسافر]

و[رُوِّينا عن جَعْفَر بن محمَّد -عليه السّلام-، عن أبيه،][٣] عن عليّ بن

(١) انظر: دعائم الإسلام ٢٨٣/١.

(٢) زيادة من دعائم الإسلام.

(٣) زيادة من دعائم الإسلام ١٩٧/١، وانظر: علل الشّرائع ٣٨٢/٢، الخصال ١٢-١٣، كتاب النّوادر للراوندي ٢١٣.

أبي طالب -عليه السّلام- أنَّ رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ-قال:

"إنَّ الله -عزّ وجلّ- أَهْدَى إلى أُمَّتي هَدِيَّةً لم يهدها إلى أحد من الأُمم تَكْرِمَةً لها من الله -عزّ وجلّ. [١٧٠/و] قالوا: وما هي يا رسول الله؟ قال: الإفطار وتقصير الصَّلاة في السَّفر، فمن لم يفعل فقد رَدَّ على الله هديَّته".

وعن عليّ -عليه السّلام- أنّه قال[١]:

"مَنْ قصَّر الصَّلاة في السَّفر وأفطر، فقد قبل تخفيف الله -جلّت أسماؤه- وَكَمُلت صلواته".

وعن أبي جَعْفَر محمَّد بن علي الباقر[٢]:

"أنّه سُئِلَ عن الصَّلاة في السَّفر كيف هي وكم هي؟ فقال: إنَّ الله -عزّ وجلّ- يقول: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُواْ مِنَ الصَّلاَةِ﴾[النساء: ١٠١]. قال: فالتَّقْصير في السَّفر واجب كوجوب التَّمام في الحضر. قيل له: يا ابن رسول الله؛ إنَّما قال الله -تعالى-: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾. و لم يقل: اقْصُرُوا. فكيف أوجب ذلك كما أوجب التَّمام؟ فقال: أَوَلَيْسَ قد قال الله -تعالى-: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ اللّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾[البقرة: ١٥٨]. أفلا ترى أنَّ الطَّواف بهما واجب مفروض؟ لأنَّ الله -عزّ وجلّ- ذكرهما في كتابه، وصنع ذلك رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ."

(١) انظر: دعائم الإسلام ١٩٧/١.

(٢) انظر: دعائم الإسلام ١٩٨/١.

وكذلك التَّقْصير في [١٧٠/ظ] السَّفر ذكره الله –تعالى–، وصنعه رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ.

وعن عليّ –عليه السّلام–[1]:

"أنَّ رسول الله نَهَى أنْ تُتَمّ الصَّلاة في السَّفَرِ".

[٢٢٨] /وقال جَعْفَر بن محمَّد الصَّادق –عليه السّلام–[2]:

"أنا بَرِيءٌ مِمَّنْ يُصَلِّي أَرْبعاً في السَّفَرِ".

والقول في ذلك يطول، وإنَّما أوردنا ذلك لما كان الاختلاف واقعاً في وجوب التَّقْصير في السَّفر، مع الإجماع أنَّ رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ– فعله، وبه القُدْوَة والأُسْوَة

[رجع القول: خروج الرَّسول في رمضان]

ثُمَّ مضى رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ– على الخروج إلى مكَّة في عَشَرَةِ آلاف من المسلمين، وَأَوْعَبَ مع رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ– المهاجرون والأنصار، فلم يتخلَّف عنه منهم أحدٌ.

وقد كانت سُلَيْم أسلمت وغيرها من قبائل العرب، فأجمع جميع المسلمين في السَّير مع رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ.

[إسلام أبي سُفْيان بن الْحَارِث وعبد الله بن أبي أُمَيَّة]

ولقيه أبو سُفْيان بن الْحَارِث بن عبد الْمُطَّلب، وعبد الله بن أبي أُمَيَّة بن

(١) انظر: دعائم الإسلام ١/١٩٨.

(٢) انظر: دعائم الإسلام ١/١٩٨.

الْمُغيْرَة بنِيْقِ العُقَاب[1] بين الْمَدينة ومكَّة، فَالْتَمسا الدُّخول عليه، فلم يأذن لهما، فكلَّمته أُمّ سَلَمَة بهما، وقالت: يا رسول الله؛ [١٧١/و] ابن عمّك وابن عمّتك [وصِهْرُكَ][2].

قال: "لاَ حَاجَةَ لِي بِهِمَا، أَمَّا ابْنُ عَمِّي فَهَتَكَ عِرْضِي وَأَمَّا ابْنُ عَمَّتِي [وَصِهْرِي][3] فَهُوَ الَّذِي قَالَ فِيَّ بِمَكَّةَ مَا قَالَ".

فلَمَّا خرج الخبر إليهما بذلك، ومع أبي سُفْيان بُنَيّ له، فقال: والله ليأذننَّ لي أو لآخُذَنَّ بيدي بُنَيّ هذا، ثُمَّ لنذهبنَّ في الأرض حتَّى نموت عطشاً وجُوعاً.

[٢٢٩] /فلَمَّا بلغ رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ– قوله، رَقَّ لهما، وأَذِنَ لهما في الدُّخول عليه، فسلَّمَا عليه، وأَسْلَما.

[شعر أبي سُفْيان في الاعتذار عمَّا كان فيه قبل إسلامه]

وأنشده أبو سُفْيان بن الْحَارِث في إسلامه، واعتذاره إليه عَمَّا كان مضى منه، فقال[4]:

لَعَمْرُكَ إِنِّي يَوْمَ أَحْمِـــلُ رَايَـــةً ... لِتَغْلِبَ خَيْلُ الْلاَّتِ خَيْلَ مُحَمَّدِ

لَكَالْمُدْلِجِ الْحَيْرَانِ أَظْلَـــمَ لَيْلُـــهُ ... فَهَذَا أَوَانِي حِيْنَ أُهْدَى وَأَهْتَدِي

(١) انظر: معجم البلدان ٤/٨٦٠-٨٦١.

(٢) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة ٤/٤٠٠.

(٣) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة ٤/٤٠٠.

(٤) انظر: السِّيرة النَّبويّة ٤/٤٠١، طبقات ابن سعد ٤/٥١.

هَدَانِيَ هَادٍ غَيْرُ نَفْسِي وَنَـالَنِي ... مَعَ اللهِ مَنْ طَرَّدْتُ كُلَّ مُطَـرَّدِ

أَصُدُّ وَأَنْأَى جَاهِداً عَنْ مُحَمَّـدٍ ... وَأُدْعَى وَإِنْ لَمْ أَنْتَسِبْ مِنْ مُحَمَّدِ

هُمُ مَا هُمُ مَنْ لَمْ يَقُلْ بِهَـوَاهُمُ ... وَإِنْ كَانَ ذَا رَأْيٍ يُلَـمْ وَيُفَنَّـدِ

أُرِيْدُ لِأُرْضِيَهُمْ وَلَسْـتُ بِلاَئِـطٍ ... مَعَ الْقَوْمِ مَا لَمْ أُهْدَ فِي كُلِّ مَقْعَدِ

[١٧١/ظ] فَقُلْ لِثَقِيْـفٍ لاَ أُرِيْـدُ قِتَالَهَـا / وَقُلْ لِثَقِيْفٍ تِلْكَ: غَيْرِيَ أَوْعِدِي

فَمَا كُنْتُ فِي الْجَيْشِ الَّذِي نَالَ عَامِراً ... وَمَا كَانَ عَنْ جَرَّا لِسَانِي وَلاَ يَدِي

قَبَائِلُ جَاءَتْ مِنْ بِـلاَدٍ بَعِيْـدَةٍ ... نَزَائِعَ جَاءَتْ مِنْ سِهَامٍ وَسُـرْدَدِ

[قصة إسلام أبي سُفْيان على يدّ العبَّاس]

ولقي العبَّاس بن عبد الْمُطَّلِب بالْجُحْفَة[١]، مُهاجراً بعياله، وكان قبل ذلك مُقيماً على سِقايته، ورسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- عنه راضٍ.

ولَمَّا نزل رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- مَرَّ الظَّهْران، قال العبَّاس: واصَبَاحَ قُرَيْشٍ! والله لئن دخل رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- مكّة عَنْوةً قبل أن يأتوه فيستأمنوه، إنَّهُ لَهَلاكُ قُرَيْشٍ إلى آخرِ الدَّهْرِ.

فركب على بغلة رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- البَيْضاء، ثُمَّ خرج حتَّى جاء الأَرَاكَ، وقال: لَعَلِّي أَجِدُ بَعْضَ الْحَطَّابَة أو صاحبَ لَبَنٍ أو ذا حاجةٍ يأتي مكّة، فيخبرهم بمكان رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ-، ليخرجوا إليه فَيَسْتَأْمِنُوهُ قبل أن يدخلها عليهم عَنْوَةً.

(١) انظر: معجم البلدان ٢/٣٥-٣٦.

/وكان <في>[١] تلك اللَّيلة قد خرج من مكَّة أبو سُفْيان بن حَرْب، [٢٣٠] وحَكِيْم بن حِزام، وبُدَيْل بن وَرْقاء، يَتَحَسَّسُونَ الأخبار، وينظرون هل يجدون خبراً أو يسمعون به، وقد عميت الأخبار [١٧٢/و] عن قُرَيْش، فلم يأتهم خبر عن رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ.

قال العبَّاس بن عبد الْمُطَّلِب -رضي الله عنه-: فوالله إنِّي لأَسِيْر على بغلة رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ-، وألتمس ما خرجت له، إذ سمعتُ كلام أبي سُفْيان وبُدَيل بن وَرْقاء، وهما يتناجيان، وأبو سُفْيان يقول: ما رأيتُ كاللَّيلةِ نيراناً قَطّ ولا عسكراً.

فيقول <له>[٢] بُدَيْل: هذه والله خُزاعَةُ حَمَشَتْهَا الْحَرْبُ.

فقال أبو سُفْيان: خُزاعَة أَذَلُّ وأَقَلّ من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها.

قال العبَّاس: فعرفتُ صوت أبي سُفْيان، فقلتُ: يا أبا حَنْظَلَةَ؟ فَعَرَفَ صَوْتِي، فقال: أبو الفَضْلِ؟ قلتُ: نَعَمْ. قال: ما لَكَ؟ فِدَاكَ أَبِي وأُمِّي!

قال: قلت: وَيْحَكَ يا أبا سُفْيان! هذا رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- في النَّاس، واسوء صَبَاحَ قُرَيْشٍ والله! قال: فَمَا الْحِيْلَةُ؟ بأبي أنت وأمّي. قال العبَّاس: قلتُ: والله لئن ظَفِرَ بكَ لَيَضْرِبَنَّ عُنُقَكَ، فَارْكَبْ في عَجُزِ هذه البَغْلَة حتَّى آتي بكَ رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ-، فَأَسْتَأْمِنَهُ لكَ.

قال: فركب خلفي، ورجع اللَّذان معه، فجئتُ به، فكلَّما مررتُ بنارٍ

(١) زيادة من "ب".
(٢) زيادة من "ب".

من نيران المسلمين قالوا: [مَنْ هذا؟ فإذا رأوا بغلة رسول الله –صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ– وأنا عليها قالوا:][١] عَمُّ [١٧٢/ظ] رسول الله –صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ– على بغلته، حتّى إذا مررت بنار عُمَر بن الخطاب قال: مَنْ هذا؟ وقام إليَّ. فلَمَّا عرف أبا سُفْيان على عَجُزِ البغلة، خرج يبتدر نحو رسول الله –صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ–، ورَكَضْتُ البغلة، فسبقته بما تسبق الدَّابة البطيئة الرَّجُل البطيء.

فاقتحمتُ فدخلتُ على رسول الله –صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ–، ودخل عليه عُمَر، فقال: يا رسول الله؛ هذا أبو سُفْيان قد أمْكَنَ اللهُ منه. فقلت: يا رسول الله؛ إنِّي قد أجَرْته. حتّى إذا أكثر عُمَر في شأنه، قلت: [مهلاً][٢] يا عُمَر؛ فوالله لو كان من رجال [بني][٣] عَديّ بن كَعْب ما قلتَ هذا القول، ولكنّك قد علمتَ أنّه من رجال بني عبد مَناف.

[٢٣١] /فقال رسول الله –صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ–: "إذْهَبْ بِهِ يا عبّاسُ إلى رَحْلِكَ، فَإذا أَصْبَحْتَ فَأْتِني بِهِ".

قال العبّاس: فذهبت به إلى رَحْلي، [فبات عندي،][٤] فلَمَّا أصبحتُ أتيتُ به إلى رسول الله –صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ–، فلَمَّا رآه قال: "وَيْحَكَ يَا أبَا سُفْيَانَ؛ أَلَمْ يَأْنِ لَكَ أنْ تَعْلَمَ أنَّهُ لاَ إِلَهَ إلاَّ اللهُ؟ قال: بأبي أنت وأُمِّي؛ ما

(١) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة ٤/٤٠٢.

(٢) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة ٤/٤٠٣.

(٣) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة ٤/٤٠٣.

(٤) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة ٤/٤٠٣.

أحلَمَكَ وأكرمكَ وأوصلكَ، [والله لقد ظننت أنْ][١] لو كان مع الله إله غيره لقد أغنى عنّي شيئاً [بَعْدُ].

قال: " وَيْحَكَ يَا أبَا سُفْيَانَ؛ [١٧٣/و] أَلَمْ يَأْنِ لَكَ أنْ تَعْلَمَ أنِّي رَسُولُ اللهِ؟" قال: بأبي أنت وأُمِّي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك! أمَّا هذه والله فإنَّ في النَّفْسِ منها حتّى الآن شيئاً!

فقال له العبّاس: وَيْحَكَ! أَسْلِمْ وَاشْهَدْ أنْ لاَ إِلَهَ إلاَّ اللهُ وَأنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ قَبْلَ أنْ تُضْرَبَ عُنُقُكَ.

فشهد بها أبو سُفْيان حين لم يجد إلاَّ هي أو السَّيف.

قال العبّاس: فقلتُ: يا رسول الله؛ إنَّ أبا سُفْيان رَجُلٌ يُحِبُّ الفَخْرَ، فاجْعَل له شيئاً.

قال –صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ–: "نَعَمْ؛ مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَغْلَقَ عَلَيْهِ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَهُوَ آمِنٌ".

فلَمَّا أراد أبو سُفْيان أن ينصرف، قال رسول الله –صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ– للعبّاس: "احْبِسْهُ بِمَضِيقِ الْوَادِي عِنْدَ خَطْمِ الْجَبَلِ حَتَّى تَمُرَّ بِهِ جُنُودُ اللّهِ فَيَرَاهَا".

قال العبّاس –رضي الله عنه–: ففعلت ما أمرني رسول الله –صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ–، ومرَّت القبائل على راياتها، فما مرَّت قبيلة من القبائل إلاَّ

(١) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة ٤/٤٠٣.

سأل عنها، وقال: مَنْ هذه؟ فأقول: سُلَيْم. فيقول: ما لي ولسُلَيْم. ثُمَّ تمرّ به القبيلة، فيقول: مَنْ هؤلاء؟ فأقول: مُزَيْنَة. [١٧٣/ظ] فيقول: ما لي ولمُزَيْنَة. <حتّى مرَّت القبائل ما تمرُّ به قبيلة إلا سألني عنها، فإذا أخبرته بهم، قال: ما لي ولبني فلان.>[١] حتّى مرَّ به رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- في كتيبته الخضراء فيها المهاجرون والأنصار، لا يُرَى منهم إلاّ الْحَدَقُ مِنَ الْحَدِيْد، فقال: سُبْحَانَ اللهِ يا عبَّاس؛ مَنْ هؤلاء؟ قلت: هذا رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- في المهاجرين والأنصار. قال: ما لأَحَدٍ بهؤلاء قِبَلٌ ولا طاقةٌ، والله يا أبا الفَضْلِ لقد أصبح مُلْكُ ابن أخيك الغَدَاةَ عظيماً!

قلت: إنَّها النُّبوَّةُ يا أبا سُفْيان. قال: فَنَعَمْ إذن إنَّها النُّبوَّة. ثُمَّ قلت له: النَّجاء إلى قومك.

[٢٣٢] /[رُجُوعُ أبي سُفْيان إلى أَهْلِ مَكَّة يُحَذِّرُهُمْ]

فلَمَّا جاءهم أبو سُفْيان صرخ بأَعْلى صوته: يا معشر قُرَيْشٍ؛ هذا مُحَمَّدٌ قَدْ جاءكم فيما لا قِبَلَ لكم به، فمن دخل دار أبي سُفْيان فهو آمِنٌ. فقامت إليه امرأته هِنْد بنت عُتْبَة، فأخذت بشاربه، ثُمَّ قالت: اُقْتُلوا الْحَمِيْتَ[٢] الدَّمِيْمَ الخائنَ قُبِّحَ مِنْ طَلِيْعَةِ قَوْمٍ. قال: وَيَحَكُمْ؛ لا تَغُرَّنَّكُمْ هذه مِنْ أَنْفسِكُمْ، فإنَّه قد جاءكم ما لا قِبَلَ لكم به، فمن دخل دار أبي سُفْيان فهو آمِنٌ.

قالوا: ويلك؛ وما تغني عنَّا دارك؟

(١) زيادة من "ب".

(٢) انظر: الكامل ٣٢٢/١-٣٢٣.

قال: ومَنْ أغلق عليه بابه فهو آمِنٌ، ومن دخل المسجد فهو آمِنٌ. [فَتَفرَّقَ النَّاسُ إلى دُورِهِمْ وإلى المسجد][١].

[وُصُول النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- إلى ذي طَوَى]

ولَمَّا انْتهى [١٧٤/و] رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- إلى ذي طَوَى وَقَفَ على راحلته مُعْتَجِراً بشُقَّة بُرْدٍ حِبَرَة حَمْراءَ، وإنَّ رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- لَيَضَعُ رَأْسَهُ تَواضعاً لله حين رأى ما أَكْرَمَهُ اللهُ به من الفَتْحِ، حتَّى إنَّ عُثْنُونَهُ لَيَكَادُ يَمَسّ واسِطَةَ الرَّحْلِ.

[دخول جيوش المسلمين مكَّة]

"ولَمَّا[٢] توجَّه رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- بجموع المسلمين، وقد أعزَّ اللهُ نصرهم وكثَّرهم إلى مكَّة، نظر أهلها من ذلك إلى ما ليس لهم به طاقة ولا قوَّة فاستكانوا وخضعوا، وسألوا الصَّفح عنهم، والدُّخول في السِّلْمِ.

وأقبل رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- يوم دخول مكَّة في عساكر لم ترَ العرب مثلها [عَدَداً وَعُدَّةً][٣] قد تَكَفَّروا في السِّلاح، فلا يُرى منهم غير الْحَدَق، وجعل الأنصار في الميمنة، ورايتهم مع سَعْد بن عُبادة، وجعل المهاجرين في الميسرة، ورايتهم مع الزُّبَيْر بن العوَّام، وقال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- لكلّ واحد منهما: ادخل من موضع كَذَاء.

(١) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة ٤٠٥/٤.

(٢) انظر: شرح الأخبار ٣٠٥/١.

(٣) زيادة من شرح الأخبار.

[٢٣٣] /[تخوُّف المهاجرين على قُرَيْش من سَعْد بن عُبادة]

وكان[١] رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- في جمهور المهاجرين والأنصار، وسائر النَّاس، ومع كلّ قوم من قبائل العرب عدد عظيم. فسمع عمر بن الخطّاب سَعْد بن عُبادة وبيده الرَّاية [١٧٤/ظ] لَمَّا أراد دخول مكّة، يقول[٢]:

اليَـــوْمَ يَـــوْمُ الْمَلْحَمَـــهْ
الْيَوْمَ تُسْــتَحَلُّ[٣] الْحُرْمَــهْ

فجاء عمر إلى رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- فأخبره [بِقَوْلِهِ]، وقال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- لعليّ بن أبي طالب -عليه السّلام-: "إِذْهَبْ فَخُذْ الرَّايَةَ مِنْهُ، وَكُنْ أَنْتَ الَّذِي تَدْخُلُ بِهَا". ففعل. وكان عليّ -عليه السّلام- موضع حَرْب الرَّسول، وموضع سِلْمه".

[أمر الرَّسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- بقتل نفر سمّاهم]

"وأَمَرَ[٤] رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- أُمَرَاء الكتائب، أنْ لا يقتلوا إلاّ مَنْ قاتلهم، إلاّ نفراً سمَّاهم [لَهُمْ،][٥] وأمر بقتلهم وإنْ كانوا[٦] تحت

(١) انظر: شرح الأخبار ٣٠٥/١-٣٠٦.
(٢) انظر: السِّيرة النّبويّة ٤٠٦/٤.
(٣) "ب": "هتك"، وكذا في شرح الأخبار، وما أثبت فهو من السِّيرة النّبويّة.
(٤) انظر: شرح الأخبار ٣٠٦/١-٣٠٧.
(٥) زيادة من شرح الأخبار.
(٦) "وُجِدوا" في شرح الأخبار.

أَسْتار الكَعْبَة، لِعَظيم جرائم كانت لهم، فترك كثيراً منهم مَنْ لقيه؛ مِمَّن كانت بينه وبينهم معرفة، وله به عناية، واستأمن بعضهم لبعض، وجسروا على رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ-، بردّ أمره فيهم.

[خَبَر عبد الله بن سَعْد]

وكان منهم[١]: "عبد الله بن سَعْد، أخو بني عَامِر بن لُؤَيّ، وكان أعظمهم جرما، ورسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- أشدّ عليه حنقاً، وكان قد بدأ باسمه في أوّل من نذر دمه -يومئذ-، وقال: اقتلوه ولو وجدتموه تحت أستار الكَعْبَة. وذلك أنّه قد كان أسلم، فاستكتبه رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ /وعَلَى آلِهِ-، وكان يكتب [له][٢] الوَحْي، فيملي [عليه رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ-:][٣] "غَفُورٌ رَّحِيمٌ"، فيكتب: "عَزِيزٌ حَكِيمٌ"، وما أشبه ذلك. [٢٣٤]

فارتدَّ كافراً، ولحق بالمشركين، وقال لهم: [١٧٥/و] "لقد أنزلتُ قرآناً، وأثبتّه عن نفسي!".

وفيه[٤] أنزل الله -تعالى-: ﴿وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾[الأنعام: ٩٣].

فلجأ إلى عُثْمان بن عفّان، فأتى به مستوراً، حتَّى دخل به على رسول

(١) انظر: انظر: أنساب الأشراف ٤٢٩/١-٤٣٠، فتوح البلدان ٥٨٢/٣، المناقب والمثالب [ورقة ٥٥/و].
(٢) زيادة من شرح الأخبار.
(٣) زيادة من شرح الأخبار.
(٤) انظر: تفسير الطبري ٥٣٣/١١-٥٣٤.

الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- وسأله فيه، فأعرض عنه رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- [مراراً،][1] وسكت أن يُجيبه بشيء، فألَحَّ عليه عُثْمان، فأخلى سبيله.

ثُمَّ قال لمن حضره من المسلمين: "لَقَدْ صَمَتّ طَوِيْلاً لَعَلَّ أَحَدَكُمْ يَقُومُ إِلَيْهِ فَيَضْرِبَ عُنُقَهُ، كَمِثْلِ مَا أَمَرْتُ، فَمَا فَعَلْتُم".

فقالوا: يا رسول الله؛ لو كنتَ أشرت إلينا بـ[ـمثل][2] ذلك.

فقال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ-: "إِنَّ النَّبِيَّ لاَ يَقْتُلُ بِالإِشَارَةِ".

[خبر الْحُوَيْرِث بن نُقَيْذ]

ولقي[3] علي بن أبي طالب -عليه السّلام- الْحُوَيْرِث بن نُقَيْذ، وكان ممَّن نذر رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- -يومئذ- دمه، وكان بين الْحُوَيْرِث وبين عليّ -عليه السّلام- معرفة، فقال له علي -عليه السّلام-: يا عدوّ الله؛ أنتَ هاهنا! فقال له الْحُوَيْرِثُ: أَبْقِ عَلَيَّ يا ابن أبي طالب. فقال عليٌّ -عليه السّلام-: لا أَبْقَى الله عَلَيَّ إنْ أَبْقَيْتُ عليكَ. فقتله عليّ -عليه السّلام.

[أم هانئ تُؤَمِّن رَجُلَيْن]

[٢٣٥] /"ودَخَلَ[4] -عليه السّلام- على أخته أم هانئ بنت أبي طالب، فأصاب

(١) زيادة من شرح الأخبار.

(٢) زيادة من شرح الأخبار.

(٣) انظر: شرح الأخبار ٣٠٧/١.

(٤) انظر: شرح الأخبار ٣٠٧/١-٣٠٨.

عندها اثنين ممَّن نَذَرَ [رسول الله][1] دمهما [من بني مَخْزُوم،][2] وقد استجارا بها لصهر كان بينهما، [١٧٥/ظ] فلمَّا رآهما عليّ -عليه السّلام- أخذ السَّيف وقام إليهما ليقتلهما، فقامت دونهما أمّ هانئ، وقالت: يا أخي؛ إنِّي قد أجرتهما. فقال -عليه السّلام-: إنَّ رسول الله قد أمر بقتلهما، ولو كانا تحت أستار الكَعْبَة. فقبضت على يده، -وكانت أيدة شديدة-، [فَلَوَتْها][3] فانتزعت السَّيف من يده، فأمسكته، وأمرت بهما، فَأُدْخِلا بيتاً وغلقت عليهما.

ومضت إلى رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ-، فلمَّا رآها رحَّبَ بها وسألها عن حالها وما جاءت له، فأخبرته الخبر، فضحك، وقال: "قَدْ أَجَرْنَا مَنْ أَجَرْتِ يَا أُمّ هانِىء".

فأرسل إلى عليّ -عليه السّلام- فأتاه، فضحك إليه، وقال: "غَلَبَتْكَ أُمّ هانِىء". فقال: يا رسول الله؛ والَّذي بعثكَ بالحقِّ [نبيّاً][4] لا قدرتُ على أن أمسكَ السَّيف حتَّى خَلَّصَتْهُ مِنْ يَدي. فضحك رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ-، وقال: "لَوْ أنَّ أبا طالب ولد النَّاس كلّهم لكانوا أقْوِياء أَشِدَّاء".

[إقرارُ الرَّسُول عثمان بن طَلْحَة على السِّدَانَة]

"وأخذ[5] عليّ -عليه السّلام- -يومئذٍ- مفاتيح الكَعْبَة، فأتى بها إلى

(١) زيادة من شرح الأخبار.

(٢) زيادة من شرح الأخبار.

(٣) زيادة من شرح الأخبار.

(٤) زيادة من شرح الأخبار.

(٥) انظر: شرح الأخبار ٣٠٨/١.

رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِه–، وقال: يا رسول الله؛ [هذا مفتاح الكَعْبَة][1] فإنْ رأيتَ أنْ تعطينا مفاتيح الكَعْبَة، لتجمع لنا السِّقاية والحجابة، فافعل. [١٧٦/و] فقال: "يَا عَلِيّ؛ أُعْطِيْكُمْ مَا هُوَ أفضل مِنْ ذَلِكَ؛ مَا أَعْطانا اللهُ مِنْ فَضْلِه، وَهَذا يَوْمُ بِرٍّ وَوَفاء، وَإِنَّمَا أُعْطِيْكُمْ مَا تُرْزَءُونَ لاَ مَا تَرْزَءُونَ. فادْفَع المفاتيح إلى عُثْمان بن طَلْحَة أخي بني شَيْبَة بن عبد الدَّار بن عبد مَناف".

فدفعها إليه، وقال: رضينا يا رسول الله ما رضيته لنفسك، وإنَّا معك يا رسول الله".

[فخره –عليه السّلام– بالسَّبق إلى الإيمان والجهاد في سبيل الله]

[٢٣٦] /وعن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب –عليه السّلام–، أنّه قال[2]:

"كنتُ أنا والعبَّاس بن عبد الْمُطَّلب وعُثْمان بن طَلْحَة أخي بني شَيْبَة في المسجد الحرام، ففخرا عليَّ، فقال عُثْمان بن طَلْحَة: أعطاني رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آله– السِّدانة –يعني مفاتيح الكَعْبَة–، وقال العبَّاس: أعطاني رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آله– السِّقاية –وهي مفاتيح زمزم. قالا: وَلَمْ يعطكَ شيئاً يا عليّ. فأنزل الله –عَزَّ وَجَلَّ– في ذلك عَلَيْه: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ

(١) زيادة من شرح الأخبار.

(٢) انظر: دعائم الإسلام ١٩/١، شرح الأخبار ٣٤٢/٢، مناقب الإمام ١٣٤/١–١٣٥، كتاب المناظرات ١٨، تفسير فرات الكوفي ١٦٥–١٦٩، تفسير القمي ٢٨٣/١، مناقب علي لابن مردويه ٢٥٦–٢٥٧، شواهد التّنزيل ١/ ٣٢٤، مناقب علي لابن المغازلي ٣٢١، فضائل الطالبين ٨٢، شواهد التنزيل١/٣٢٠–٣٣٠.

اللهِ لاَ يَسْتَوُونَ عِندَ اللهِ وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۞ الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللهِ [١٧٦/ظ] وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ۞ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ۞ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[التوبة: ١٩-٢٢]".

[خطبة رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِه– على باب الكَعْبَة]

وقام رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْه وعَلَى آله– خطيباً، فقال[1]:

"لاَ إِلَهَ إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ، صَدَقَ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الأَحْزَابَ وَحْدَهُ، أَلا كُلُّ مَأْثُرَة، أَوْ دَم، أَوْ مَال يُدَّعَى فَهْوَ تَحْتَ قَدَمَيَّ هاتَيْنِ إلاَّ سِدَانَةَ الْبَيْت وسِقَايَةَ الْحَاجِّ. أَلاَ وَقَتِيْلُ الْخَطَأ شِبْهِ الْعَمْد بالسَّوْط وَالْعَصَا، فَفِيْه الدِّيَةُ مُغَلَّظَةً، مِئَةٌ مِنَ الإِبْلِ، أَرْبَعُونَ مِنْها فِي بُطُونِها أَوْلاَدُها.

يا مَعْشَرَ قُرَيْش؛ إِنَّ اللهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ نَخْوَةَ الْجَاهِلِيَّة وَتَعَظُّمَهَا بِالآبَاء النَّاسُ مِنْ آدَمَ وَآدَمُ مِنْ تُراب. ثُمَّ تَلاَ هَذه الآيَةَ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾[الحجرات: ١٣]. ثُمَّ قَالَ: يا مَعْشَرَ قُرَيْش؛ ما تُرَوْنَ أَنِّي فَاعِلٌ فِيْكُمْ؟ قَالُوا: خَيْرًا، أَخٌ كَرِيْمٌ، وَابْنُ أَخٍ كَرِيْم. قَالَ: اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ الطُّلَقَاءُ".

[من خطبة للرَّسول –صَلَّى اللهُ عَلَيْه وعَلَى آله–]

[٢٣٧] /ثُمَّ قال[2]: "يا أَيُّهَا النَّاسُ؛ إِنَّ اللهَ قَدْ حَرَّمَ مَكَّةَ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَات

(١) انظر: السِّيرة النّبويّة ٤١٢/٤.

(٢) انظر: السِّيرة النّبويّة ٤١٦/٤–٤١٦.

وَالأَرْضَ، فَهِيَ حَرَامٌ مِنْ حَرَامٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَلاَ يَحِلُّ لامْرِئٍ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ، أَنْ يَسْفِكَ [١٧٧/و] فِيْها دَماً، ولا يَعْضِدَ فِيْها شَجَراً، لم تَحْلِلْ لأَحَدٍ كَانَ قَبْلِي، وَلاَ تَحِلُّ لأَحَدٍ يَكُونُ بَعْدِي، وَلَمْ تَحْلِلْ لِي إلاَّ هَذِهِ السَّاعَةَ غَضَبًا عَلَى أَهْلِهَا. أَلاَ، ثُمَّ قَدْ رَجَعَتْ كَحُرْمَتِهَا بِالأَمْسِ، فَلْيُبَلِّغْ الشَّاهِدُ مِنْكُمْ الْغَائِبَ، فَمَنْ قَالَ لَكُمْ إِنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَدْ قَاتَلَ فِيْها، فَقُولُوا: إِنَّ اللهَ قَدْ أَحَلَّهَا لِرَسُولِهِ وَلَمْ يُحْلِلْهَا لَكُمْ".

[مسير خالد بن الوَلِيد إلى بني جَذِيْمَة ومسير عليّ -عليه السّلام- لتلافي خطأ خالد]

ولَمَّا[١] فَتَحَ رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- مكّة، واستقرّ قرار أهلها، بعث قوماً يدعون العرب إلى الله -تعالى- وإلى رسوله، ليدخلوا فيما دخل فيه أهلُ مكّة، وكان في من بعثه خالد بن الوَلِيد، ولم يأمرهم بقتال أحد.

فأتى بني جَذِيْمَة بن عَامِر [بن عبد مَناة][٢] جاءهم ومعه كتيبة، فلَمَّا رأوه أخذوا السِّلاح، فقال لهم: ضعوا السِّلاح، فإنَّ النَّاس قد أسلموا ووضعت الحرب أوزارها، وإنَّما أَمَرَنا رسول الله لندعو النَّاس إلى الإسلام، ولم يأمرنا بقتال أحد. فوضعوا سِلاحهم خلا رَجُل منهم يُقال له: جَحْدَم، فإنَّه قال لهم: ويحكم! [١٧٧/ظ] إنَّه خالِد بن الوَلِيد! [والله][٣] ما بعد وضع السِّلاح إلا الأَسْر، وما بعد الأَسْر إلا ضرب الأعناق. فقاموا بأجمعهم عليه،

(١) انظر: شرح الأخبار ٣٠٩/١-٣١٠.
(٢) زيادة من شرح الأخبار.
(٣) زيادة من شرح الأخبار.

وقالوا: يا جَحْدَم؛ أتريد أن تسفك دماءنا؟ إنَّ النَّاس قد أسلموا ووضعوا السِّلاح. فقال: والله لا أضع سِلاحي. فغلبوا عليه، وانتزعوا سِلاحه [من يده،][١] فلَمَّا وضعوا سِلاحهم، أمر بهم خالد فَكُتِّفُوا، ثُمَّ عرضهم على السَّيف فقتل منهم جماعة.

وبلغ رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- الخبر، فقام قائماً، ورفع يديه إلى السَّماء وقال: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إليكَ مِمَّا صَنَعَ خالِد".

ثُمَّ دعا عليّاً -عليه السّلام- فقال: "يَا عَلِيّ؛ اخْرُجْ إِلَى هَؤُلاَءِ الْقَوْمِ فَانْظُرْ فِي أَمْرِهِمْ، وَاجْعَلْ أَمْرَ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمَيْكَ".

/ودفع إليه مالاً، وقال له: "اَعْقِلْ لَهُمْ مَنْ قُتِلَ مِنْهُمْ، وَادْفَعْ إِلَيْهِمْ ثَمَن مَا أُخِذَ مِنْهِمْ وَأَنْصِفْهم". [٢٣٨]

فخرج علي -عليه السّلام- فأدَّى إليهم عقل الدِّماء و[ثَمَن][٢] ما أُصيب لهم من الأموال، حتَّى إنَّه ليعطيهم [ثَمَن][٣] مِيْلَغَةِ الكَلْبِ، حتَّى إذا لم يَبْقَ شيءٌ مِنْ دَمٍ ولا مالٍ إلاَّ [١٧٨/و] أدَّاه إليهم. قال لهم: هل بقي لكم بقيَّة مِنْ دم أو مال لم يُوَدَّ لكم؟ قالوا: لا قال: فإنَّه قد بقيت معي بقيَّة من المال الذي وجَّهه رسول الله معي، فخذوها احْتِياطاً لرسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ-. ودفع إليهم ما كان قد بقي معه بعد الَّذي دفعه إليهم، فأخذوه، وشكروه، ودعوا له بالخير.

(١) زيادة من شرح الأخبار.
(٢) زيادة من شرح الأخبار.
(٣) زيادة من شرح الأخبار.

ثُمَّ أتى إلى رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ-، فأخبره الخبر، فقال: "أَحْسَنْتَ يَا عَلِيّ وَأَصَبْتَ؛ أَصَابَكَ اللهُ الْمَرَاشِدَ".

ثُمَّ توجَّه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- إلى القِبْلَة قائماً رافعاً يديه [إلى السَّماء][1] حتَّى إنَّه لَيُرَى ممَّا تحت منكبيه، يقول: "اللَّهُمَّ إنِّي أبرأ إليك ممَّا صَنَعَ خالِد بن الوَلِيد". ثلاث مرات.

وإنَّما فعل لهم ذلك خالد لأنَّهم قتلوا عمَّه الفاكِه بن الْمُغِيرَة في الجاهليَّة".

[شِعْرُ حَسَّان فِي فَتْحِ مَكَّةَ]

وقال حسَّان بن ثابِت يوم الفتح، بل قيل كان قالها قبل ذلك[2]:

عَفَتْ ذَاتُ الأَصَابِعِ فَالْجِوَاءُ ... إِلَى عَذْرَاءَ مَنْزِلُهَا خَلاَءُ
دِيَارٌ مِنْ بَنِي الْحَسْحَاسِ قَفْرٌ ... تُعَفِّيْهَا الرَّوَامِسُ وَالسَّمَاءُ
وَكَانَتْ لاَ يَزَالُ بِهَا أَنِيْسٌ ... خِلاَلَ مُرُوجِهَا نَعَمٌ وَشَاءُ
فَدَعْ هَذَا، وَلَكِنْ مَنْ لِطَيْفٍ ... يُؤَرِّقُنِي إِذَا ذَهَبَ الْعِشَاءُ
لِشَعْثَاءَ الَّتِي قَدْ تَيَّمَتْهُ ... فَلَيْسَ لِقَلْبِهِ مِنْهَا شِفَاءُ/ [١٧٨/ظ]
كَأَنَّ خَبِيْئَةً مِنْ بَيْتِ رَأْسٍ ... يَكُونُ مِزَاجَهَا عَسَلٌ وَمَاءُ
إِذَا مَا الأَشْرِبَاتُ ذُكِرْنَ يَوْماً ... فَهُنَّ لِطَيِّبِ الرَّاحِ الْفِدَاءُ
نُوَلِّيْهَا الْمَلاَمَةَ إِنْ أَلَمْنَا ... إِذَا مَا كَانَ مَغْثٌ أَوْ لِحَاءُ

---

(١) زيادة من شرح الأخبار.

(٢) انظر: ديوانه ١٧-١٨.

وَنَشْرَبُهَا فَتَتْرُكُنَا مُلُوكاً ... وَأُسْداً مَا يُنَهْنِهُنَا اللِّقَاءُ
/عَدِمْنَا خَيْلَنَا إِنْ لَمْ تَرَوْهَا ... تُثِيرُ النَّقْعَ مَوْعِدُهَا كَدَاءُ [٢٣٩]
يُنَازِعْنَ الأَعِنَّةَ مُصْغِيَاتٍ ... عَلَى أَكْتَافِهَا الأَسَلُ الظِّمَاءُ
تَظَلُّ جِيَادُنَا مُتَمَطِّرَاتٍ ... يُلَطِّمُهُنَّ بِالْخُمُرِ النِّسَاءُ
فَإِمَّا تُعْرِضُوا عَنَّا اعْتَمَرْنَا ... وَكَانَ الْفَتْحُ وَانْكَشَفَ الْغِطَاءُ
وَإِلاَّ فَاصْبِرُوا لِجِلاَدِ يَوْمٍ ... يُعِينُ اللهُ فِيهِ مَنْ يَشَاءُ
وَجِبْرِيلٌ رَسُولُ اللهِ فِيْنَا ... وَرُوحُ الْقُدْسِ لَيْسَ لَهُ كِفَاءُ
وَقَالَ اللهُ قَدْ أَرْسَلْتُ عَبْداً ... يَقُولُ الْحَقَّ إِنْ نَفَعَ الْبَلاَءُ
شَهِدْتُ بِهِ فَقُومُوا صَدِّقُوهُ ... فَقُلْتُمْ لاَ نَقُومُ وَلاَ نَشَاءُ
وَقَالَ اللهُ قَدْ سَيَّرْتُ جُنْداً ... هُمُ الأَنْصَارُ عُرْضَتُهَا اللِّقَاءُ
لَنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ مَعَدٍّ ... سِبَابٌ أَوْ قِتَالٌ أَوْ هِجَاءُ
فَنُحْكِمُ بِالْقَوَافِي مَنْ هَجَانَا ... وَنَضْرِبُ حِينَ تَخْتَلِطُ الدِّمَاءُ
أَلاَ أَبْلِغْ أَبَا سُفْيَانَ عَنِّي ... مُغَلْغَلَةً فَقَدْ بَرِحَ الْخَفَاءُ
بِأَنَّ سُيُوفَنَا تَرَكَتْكَ عَبْداً ... وَعَبْدُ الدَّارِ سَادَتُهَا الإِمَاءُ [١٧٩/و]
هَجَوْتَ مُحَمَّداً وَأَجَبْتُ عَنْهُ ... وَعِنْدَ اللهِ فِي ذَاكَ الْجَزَاءُ
أَتَهْجُوهُ وَلَسْتَ لَهُ بِكُفْءٍ ... فَشَرُّكُمَا لِخَيْرِكُمَا الْفِدَاءُ
هَجَوْتَ مُبَارَكاً بَرّاً حَنِيْفاً ... أَمِينَ اللهِ شِيْمَتُهُ الْوَفَاءُ
أَمَنْ يَهْجُو رَسُولَ اللهِ مِنْكُمْ ... وَيَمْدَحُهُ وَيَنْصُرُهُ سَوَاءُ؟
فَإِنَّ أَبِي وَوَالِدَهُ وَعِرْضِي ... لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وِقَاءُ
لِسَانِي صَارِمٌ لاَ عَيْبَ فِيْهِ ... وَبَحْرِي لاَ تُكَدِّرُهُ الدِّلاَءُ

[شِعْرُ بُجَيْر فِي يَوْمِ الْفَتْحِ]

وقال بُجَيْرُ بن زُهَيْرِ بن أبي سُلْمَى في يوم الفتح[1]:

نَفَى أَهْلَ الْحَبَلَّقِ يَوْمَ فَجٍّ — مُزَيْنَةُ غُدْوَةً وَبَنُو خِفَافِ
ضَرَبْنَاهُمْ بِمَكَّةَ يَوْمَ فَتْحِ النَّـ — ـبِيِّ الْخَيْرِ بِالْبِيْضِ الْخِفَافِ
صَبَحْنَاكُمْ بِسَبْعٍ مِنْ سُلَيْمٍ — وَأَلْفٍ مِنْ بَنِي عُثْمَانَ وَافِي
[٢٤٠] /نَطَا أَكْتَافَهُمْ ضَرْباً وَطَعْناً — وَرَشْقاً بِالْمُرَيَّشَةِ اللِّطَافِ
نَرَى بَيْنَ الصُّفُوفِ لَهَا حَفِيْفاً — كَمَا انْصَاعَ الْفُوَاقُ مِنَ الرِّصَافِ
فَرُحْنَا وَالْجِيَادُ تَجُولُ فِيهِمْ — بِأَرْمَاحٍ مُقَوَّمَةِ الثِّقَافِ
فَأُبْنَا غَانِمِينَ بِمَا اشْتَهَيْنَا — وَآبُوا نَادِمِيْنَ عَلَى الْخِلاَفِ
وَأَعْطَيْنَا رَسُولَ اللهِ مِنَّا — مَوَاثِقَنَا عَلَى حُسْنِ التَّصَافِي
[١٧٩/ظ] وَقَدْ سَمِعُوا مَقَالَتَنَا فَهَمُّوا / غَدَاةَ الرَّوْعِ مِنَّا بِانْصِرَافِ

[شِعْرُ العَبَّاسِ بن مِرْدَاسٍ فِي فَتْحِ مَكَّةَ]

وقال العبَّاس بن مِرداس في فتح مكّة[2]:

مِنَّا بِمَكَّةَ يَوْمَ فَتْحِ مُحَمَّدٍ — أَلْفٌ تَسِيلُ بِهِ الْبِطَاحُ مُسَوَّمُ
نَصَرُوا الرَّسُولَ وَشَاهَدُوا أَيَّامَهُ — وَشِعَارُهُمْ يَوْمَ اللِّقَاءِ مُقَدَّمُ
فِي مَنْزِلٍ ثَبَتَتْ بِهِ أَقْدَامُهُمْ — ضَنْكٍ كَأَنَّ الْهَامَ فِيهِ الْحَنْتَمُ
جَرَّتْ سَنَابِكَهَا بِنَجْدٍ قَبْلَهَا — حَتَّى اسْتَقَادَ لَهَا الْحِجَازُ الأَدْهَمُ
اللهُ مَكَّنَهُ لَهُ وَأَذَلَّهُ — حُكْمُ السُّيُوفِ لَنَا وَجَدٌّ مِزْحَمُ

(١) انظر: السِّيرة النَّبويّة ٤/٤٢٥-٤٢٦.
(٢) انظر: ديوانه ١٣٩.

عَوْدُ الرِّيَاسَةِ شَامِخٌ عِرْنِيْنُهُ — مُتَطَلِّعٌ ثُغَرَ الْمَكَارِمِ خِضْرِمُ

[إسْلام العبَّاس بن مِرْداس وشعْرِه في ذلك]

وكان ابن الزِّبَعْرَى قد لحق بِنَجْران، فرماه حسَّان بن ثابت ببيت قاله، وهو[1]:

لاَ تَعْدَمَنْ رَجُلاً أَحَلَّكَ بُغْضُهُ — نَجْرَانَ فِي عَيْشٍ أَحَذَّ لَئِيمِ

فخرج ابن الزِّبَعْرَى إلى رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِه-، فأسلم، وقال[2]:

مَنَعَ الرُّقَادَ بَلاَبِلٌ وَهُمُومُ — وَاللَّيْلُ مُعْتَلِجُ الرِّوَاقِ بَهِيْمُ
مِمَّا أَتَانِي أَنَّ أَحْمَدَ لاَمَنِي — فِيهِ فَبِتُّ كَأَنَّنِي مَحْمُومُ
يَا خَيْرَ مَنْ حَمَلَتْ عَلَى أَوْصَالِهَا — عَيْرَانَةٌ سُرُحُ الْيَدَيْنِ غَشُومُ
/إِنِّي لَمُعْتَذِرٌ إِلَيْكَ مِنَ الَّذِي — أَسْدَيْتُ إِذْ أَنَا فِي الضَّلاَلِ أَهِيْمُ [٢٤١]
أَيَّامَ تَأْمُرُنِي بِأَغْوَى خُطَّةٍ — سَهْمٌ وَتَأْمُرُنِي بِهَا مَخْزُومُ
وَأَمُدُّ أَسْبَابَ الرَّدَى وَيَقُودُنِي — أَمْرُ الْغُوَاةِ وَأَمْرُهُمْ مَشْؤُومُ [١٨٠/و]
فَالْيَوْمَ آمَنَ بِالنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ — قَلْبِي وَمُخْطِئُ هَذِهِ مَحْرُومُ
مَضَتِ الْعَدَاوَةُ وَانْقَضَتْ أَسْبَابُهَا — وَدَعَتْ أَوَاصِرُ بَيْنَنَا وَحُلُومُ
فَاغْفِرْ فِدًى لَكَ وَالِدَايَ كِلاَهُمَا — زَلَلِي فَإِنَّكَ رَاحِمٌ مَرْحُومُ
وَعَلَيْكَ مِنْ عِلْمِ الْمَلِيكِ عَلاَمَةٌ — نُورٌ أَغَرُّ وَخَاتَمٌ مَخْتُومُ
أَعْطَاكَ بَعْدَ مَحَبَّةٍ بُرْهَانَهُ — شَرَفاً وَبُرْهَانُ الإِلَهِ عَظِيمُ

(١) انظر: ديوانه: ١/٢٨٧.
(٢) انظر: ديوانه ٤٥-٤٦.

وَلَقَدْ شَهِدْتُ بِأَنَّ دِيْنَكَ صَادِقٌ ... حَقٌّ وَأَنَّكَ فِي الْعِبَادِ جَسِيْمُ

وَاللهُ يَشْهَدُ أَنَّ أَحْمَدَ مُصْطَفًى ... مُسْتَقْبَلٌ فِي الصَّالِحِيْنَ كَرِيْمُ

قَرْمٌ عَلاَ بُنْيَانُهُ مِنْ هَاشِمٍ ... فَرْعٌ تَمَكَّنَ فِي الذُّرَا وَأُرُومُ

[إنزال عليّ –عليه السّلام– الأصْنام من سقف الكعبة وتكسيرها]

وغدا رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– على ما جعل المشركون في الكَعْبَة من أصْنام يهشمها ويكسرها.

ورأى[1] رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– أصناماً فوق الكَعْبَة، فقال لعليّ بن أبي طالب: "يَا عَلِيّ؛ ارْقَ فَوْقَ كَتِفِي، وَكَسِّرْ هَذِهِ الأَصْنَام الَّتِي على سَقْفِ الكَعْبَة".

فقال: بل أنتَ يا رسول الله؛ فاعل على كتفي.

فقال –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ–: "يا عليّ؛ لَوْ اجْتَمَعَ أَهْلُ الأَرْضِ لِيَحْمِلُونِي مَا أَطَاقُوا ذَلِكَ، فَافْعَلْ [١٨٠ظ] مَا أَمَرْتُكَ".

قال عليٌّ –عليه السّلام–: فرقيت فوق كتفي النّبيّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ–، فَطَالَ بي حتَّى لو شئتُ أنْ أمسّ السَّماء، وأتناول نُجومها لفعلت.

فلَمَّا عَلا عليٌّ –عليه السّلام– على سطح الكَعْبَة، أَلْقَى الأصنام على الأرض، فهشمت. ثُمَّ إنَّه استحى من رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ–،

(١) انظر: شرح الأخبار ٢/٣٩٤–٣٩٥، مناقب علي لابن المغازلي ٢٠٢–٢٠٣، نهج الإيمان ٦٠٩.

فوثب من سطح البيت إلى الأرض، فوقع قائماً، وتبسَّم.

/فقال رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ–: "ما تبسُّمكَ يا عليّ؟" [٢٤٢]

قال: يا رسول الله؛ ما ظننتُ أنِّي أثب مثل هذا وأَسْلَم لطوله!

فقال النّبيّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ–: "إنَّكَ طَلعت على كتف محمَّد، ونزلتَ على كتف جَبْرَائِيْل".

[أمر الرّسول –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– بهدم العُزّى]

وَأَمَر رسول الله بكلّ صنم حول مكّة فهشم، وأمر إلى العُزَّى، وكانت بنَخْلَةَ، وكانت بيتاً يُعَظِّمه هذا الحي من قُرَيْش وبنو كِنَانَة [ومُضَر كلّها،][1] وكانت سَدَنَتُها وحُجَّابَها بني شَيْبان من بني سُلَيْم حلفاء بني هاشِم، فلَمَّا سمع صَاحبها السُّلَمِيّ بذلك، عَلّق عليها سيفه، وأسْنَدَ في الجبل [الّذي هو فيه،][2] وهو يقول[3]:

أَيَا عُزَّ شُدِّي شدَّةً لاَ شَوَى لَهَا ... عَلَى خَالدٍ أَلْقِي الْقِنَاعَ وَشَمِّرِي

يَا عُزَّ إِنْ لَمْ تَقْتُلِي الْمَرْءَ خَالِداً ... فَبُوئِي بِإِثْمٍ عَاجِلٍ أَوْ تَنَصَّرِي

يعني خالد بن الوَلِيد، وكان مع أولئك الذين بعثهم النّبيّ [١٨١/و] –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ–لهدمها، فلَمَّا أتوها هدموها.

وكان فتح مكّة لعشر ليال بَقين من شهر رمضان سنة ثمان من الهجرة،

(١) زيادة من السِّيرة النّبويَّة.

(٢) زيادة من السِّيرة النّبويَّة.

(٣) انظر: السّيرة النّبويّة ٤/٤٣٧.

فأقام رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- بمكّة خمس عشرة ليلة.

ثُمَّ كان يوم حُنَيْن بعد الفتح سنة ثمان من الهجرة:

وذلك أنّ هَوازِن لَمَّا سمعت برسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ-، وما فتح الله عليه من مكّة، جَمَعَها مالِك بن عَوْف النَّصْرِيّ، فاجتمع إليه مع هَوازِن ثَقِيف كلُّها، واجتمعت نَصْرٌ وجُشَمٌ كُلُّها، وسَعْد بن بَكْر، وناس من بني هِلال وهم قليلٌ، ولم يشهدها من قَيْس عَيْلان إلاّ هؤلاء، وغاب عنها فلم يحضرها من هَوازِن كَعْبٌ ولا كِلابٌ، ولم يشهدها منهم أحد له اسْمٌ.

[٢٤٣] /وكان في بني جُشَم دُرَيْد بن الصِّمَّة شَيْخٌ كبيرٌ، ليس منه شيء في الحرب إلاّ الرَّأْي، وكان شيخاً مُجَرِّباً عارفاً بالحرب، وكان في ثَقِيف سيِّدان لهم، [وفي الأحلاف](١) قارِبُ بن الأَسْوَد [بن مَسْعود بن مُعَتِّب،](٢) وفي بني مالِكٍ ذو الخِمَارِ سُبَيْعُ بن الْحَارِث بن مالِك، [وأخوه أَحْمَر بن الْحَارِث،] وجِماعُ أَمْرِ النَّاس إلى مالِك بن عَوْف النَّصْرِيّ.

فلَمَّا أجمع مالِك على السَّيْر إلى رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- سَيَّرَ مع النَّاس أَمْوالهم ونساءهم وأبناءهم، [١٨١/ظ] فلَمَّا نزل بأَوْطاس(٣) اجتمع إليه النَّاس، وفيهم دُرَيْد بن الصِّمَّة في شِجَارٍ له على بعير يُقاد به، فلَمَّا انتهى إلى أَوْطاس، قال: بأيِّ وَادٍ أنتم؟ قالوا: بأَوْطاس. فقال دُرَيْد: نِعْمَ مَجَالُ الْخَيْلِ! لا حَزْنٌ ضِرْسٌ، ولا سَهْلٌ دَهْسٌ، ما لي أَسمع رُغَاءَ البَعِيْرِ، ونُهاق

(١) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة.

(٢) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة.

(٣) انظر: معجم البلدان ١/٤٠٥.

الْحَمير، وبُكاءَ الصَّغير، ويُعَارُ الشَّاءِ؟ قالوا: ساق مالِك بن عَوْف مع النَّاس أموالهم ونساءهم وأبناءهم.

فقال: ادعوه لي. فدعوه له، فلَمَّا أتاه، قال: يا مالِك؛ إنَّك قد أصبحتَ رَئِيس قَوْمِكَ، وإنَّ هذا يوم كائنٌ له ما بَعْدَه من الأَيَّام. ما لي أسمع رُغاء البَعير، ونُهاق الْحَمير، وبكاء الصَّغير، ويُعارُ الشَّاء؟ قال: سُقْت مع النَّاس أموالهم وأبناءهم ونساءهم. قال له: يا مالِك؛ ولم ذاك؟ قال: أردت أن أجعل خَلْفَ كلِّ رَجُل منهم أَهْلَهُ وماله وولده ليُقاتل عنهم.

فقال دُرَيْد: راعي ضَأْنٍ واللهِ! وهل يَرُدُّ الْمُنْهَزِمَ شيءٌ؟ إنَّها إنْ كانت لكَ لم يَنْفَعْكَ إلاَّ رَجُلٌ بسَيْفِهِ ورُمْحِهِ، وإنْ كانت عليكَ، فُضِحْتَ في أهلكَ [١٨٢/و] ومالك.

ثُمَّ قال: ما فَعَلَتْ كَعْبٌ وكِلابٌ؟ قالوا: لم يَشْهَدْها منهم أحدٌ. قال: غابَ الْحَدُّ والْجِدُّ، ولو كان يومَ عَلاءٍ ورِفْعَةٍ لم تَغِبْ عنه كَعْبٌ ولا كِلابٌ، ولَوَدِدْتُ أنَّكم فعلتم ما فَعَلَتْ كَعْبٌ وكِلابٌ، فَمَنْ شَهِدَها منكم؟ قالوا: عَمْرُو بن عَامِر، وعَوْف بن عَامِر. قال: ذانِكَ الْجَذَعَانِ من عَامِرٍ لا يَنْفَعان ولا يَضُرَّان. يا مالِك؛ إنَّك لم تصنع بتقديم البَيْضَة بيضة هَوازِن إلى نحور الخيل شيئاً، -يريد بـ"بيضتهم": حوزتهم من المال والنِّساء-. ارْفَعْهُم إلى مُتَمَنَّع بلادهم وعُلْيا قومهم، ثُمَّ الْقَ الصُّبَّاءَ على مُتُونِ الخيل، فإنْ كانت لك لَحق بك مَنْ وراءك، وإنْ كانت عليكَ ألفاك ذلك قد أَحْرَزْتَ أهلك ومالك.

[٢٤٤] /قال مالِك: والله لا أفعل ذلك، إنَّك قد كَبِرْتَ وكَبِرَ عَقْلُكَ. والله

لتطيعُنّي يا معشر هَوازنَ أو لأتَّكِئَنَّ على هذا السَّيف حتَّى يَخرُجَ من ظَهْري. وَكَرِهَ أنْ يكون لدُرَيْدِ بن الصِّمَّة فيها ذِكْرٌ أو رَأْيٌ، فقالوا: أَطَعْنَاكَ.

فقال دُرَيْد بن الصِّمَّة: هذا يَوْمٌ لم أَشْهَدْهُ و لم يَفُتْني.

<وقال في ذلك:(١)>(٢)

يَا لَيْتَنِــي فِيْهَــا جَــذَعْ

أَخُبُّ فِيْهَا [١٨٢/ظ] وأَضَــعْ

أَقُــودُ وَطْفَــاءَ الزَّمَــعْ

كَأَنَّهَــا شَــاةُ صَــدَعْ

ثُمَّ قال مالِك للنَّاس: إذا رأيتموهم فاكْسِرُوا جُفُونَ سُيوفكم، ثُمَّ شُدُّوا شَدَّةَ رَجُلٍ واحد.

[سَأَلَ الرَّسُولُ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- صَفْوان أَدْرَاعَهُ وَسِلاحه]

[فَلَمَّا أَجْمَعَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- السَّيْرَ إلى هَوَازِن لِيَلْقاهم ذُكِرَ لَهُ أنَّ عند صَفْوان بن أُمَيَّة أَدْرُعاً لَهُ وَسِلاحًا](٣) فأرسل(٤) رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- إلى صَفْوان بن أُمَيَّة وهو -يومئذ- مُشْرِكٌ، فقال له: "يا صَفْوان؛ أَعِرْنا مَا مَعَكَ مِنَ السِّلاحِ لِنَلْقَى فيه عدوَّنا [غداً]".(٥)

(١) زيادة من "ب".

(٢) انظر: ديوانه ١٢٨.

(٣) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة ٤/٤٤٠.

(٤) في "آ" و "ب" تلت هذه الفقرة ما يليها فسبَّقناها ليستقيم السِّياق.

(٥) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة ٤/٤٤٠.

فقال صَفْوان: يا محمَّد؛ أَغَصْباً ذلك؟ قال النَّبيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ-: "بل عارِيَة ومَضْمُونة حتَّى نُؤَدِّيها إليكَ". قال: أمَّا هذا فلا بأس به. فيُقال أنَّه أَعار النَّبيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- مئة دِرْعٍ بما يكفيها من السِّلاح وما يحملها.

[خروج الرَّسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- بجيشه إلى هَوازِن]

[٢٤٥] /ولَمَّا بلغ رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آله- أمر مالِك بن عَوْف، وَما أجمع عليه، خَرَجَ رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- من مكَّة في اثني عَشَرَ ألفاً، ألفان من أهل مكَّة، وعشرة آلاف [من أصحابه](١) الَّذين ساروا معه لفتح مكَّة.

[قصيدة عبَّاس بن مِرْداس السُّلَمِيّ]

ولَمَّا سار رسول الله بمَن معه من المسلمين، قال العبَّاس بن مِرْداس السُّلَمِيّ(٢):

أَبْلِغْ هَوَازِنَ أَعْلاَهَـا وَأَسْـفَلَهَا   مِنِّي رِسَالَةَ نُصْحٍ فِيْـهِ تِبْيَـانُ

أَنِّي أَظُنُّ رَسُولَ اللهِ صَـابِحَكُمْ   جَيْشاً لَهُ فِي فَضَاءِ/ الأَرْضِ أَرْكَانُ [١٨٣/و]

فِيهِمْ أَخُوكُمْ سُلَيْمٌ غَيْرُ تَـارِكِكُمْ   وَالْمُسْلِمُونَ عِبَـادُ اللهِ غَسَّـانُ

وَفِي عِضَادَتِه الْيُمْنَى بَنُو أَسَـدٍ   وَالأَجْرَبَانِ بَنُو عَبْسٍ وَذُبْيَـانُ

تَكَادُ تُرْجِفُ مِنْـهُ الأَرْضَ رَهْبَتُـهُ   وَفِــي مُقَدَّمِــهِ أَوْسٌ وَعُثْمَــانُ

(١) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة ٤/٤٤٠.

(٢) انظر: ديوانه ١٥٥.

[أَمْرُ ذات أنْواط]

فلَمَّا انتهى المسلمون إلى موضع ذات أنْواط وهي شجرة كانت كفَّار قُرَيْش يعَظِّمونها ويأتونها كل سنة فيعلِّقون أسلحتهم عليها، ويذبحون عندها، ويقيمون عليها يوماً، فنادى النَّبيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه- قوم مِمَّنْ قد أسلم، وهم قريبو عهد بالشِّرْكِ، فقالوا: يا رسول الله؛ اجْعَلْ لنا ذات أنْواط.

فقال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه-: "اللهُ أَكْبَرُ؛ قُلْتُمْ وَالَّذي نَفْسُ مُحَمَّد بيَده، كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى لِمُوسَى: ﴿اجْعَل لَّنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾[الأعراف: ١٣٨]. إنَّها السُّنَنُ؛ لَتَرْكَبُنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ".

***

[غَزْوَة هَوَازِن يوم حُنَيْن وثبات الرَّسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه-]

ولَمَّا استقبل رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه- وادي حُنَيْن انْحَدَرَ المسلمون في واد من أَوْدية تِهامَةَ أَجْوَفَ مُتَّسِع، وذلك في عَمَايَةِ الصُّبْحِ، وكانت هَوازِن ومن انضاف إليها قد [١٨٣/ظ] سبقوهم إلى الوادي، فكمنوا في شِعابه وأَحْنائه ومَضايقه، وقد أجمعوا وتهيَّئوا وأعدُّوا، فوالله ما/راع [٢٤٦] المسلمين وهم في ذلك الوادي منحطُّون إلاّ الكتائب، قد شدّوا عليهم شَدَّةَ رَجُلٍ واحد، فانْشَمَرَ النَّاس راجعين لا يلوون على أحد.

وانْحازَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه- ذات اليمين، وهو يقول: "<أيُّها النَّاسُ؛>[1] هَلُمّوا إِلَيَّ، إِلَى أَيْنَ تَذْهَبُونَ؟ أَنَا رَسُولُ اللهِ، أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ".

فانطلق النَّاس مُنهزمين، وأبدى قوم من المنافقين ما في قلوبهم، فقال أبو سُفْيان: إنَّها هزيمة لا يردّها إلاّ البحر. وقال آخر رافعاً صوته: أَلاَ بَطَلَ السِّحْرُ اليَوْمَ.

[أسماء من ثبتَ مع الرَّسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه-]

وانْضَمَّ[2] إلى رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه- خمسة من بني عبد المُطَّلِب: عليّ بن أبي طالِب -عليه السّلام- شاهِراً سيفه [يحميه ويضرب

(١) زيادة من "ب".

(٢) انظر: شرح الأخبار ٣١٣/١-٣١٤.

دونه،][١] والعبَّاس بن عبد الْمُطَّلب آخذ بلجام بغلة رسول الله -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ-، وكان -يومئذٍ- راكباً على بغلته البيضاء، وأبو سُفْيان بن الْحَارِث بن عبد الْمُطَّلب، والفضل بن العبَّاس، <وقُثَم بن العبَّاس>[٢]. وقيل: لم يكن فيهم قُثَم بل جَعْفَر بن [١٨٤/و] أبي سُفْيان بن الْحَارِث.

فقال رسول الله -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- للعبَّاس، وكان رَجُلاً صَيِّتاً،: "نَادِ بالنَّاسِ وَعَرِّفهم مَكاني".

وقد أمعن النَّاس في الهزيمة كما أخبر الله -عزّ وجلّ- بقوله: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ۞ ثُمَّ أَنزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾[التوبة: ٢٥-٢٦]. يعني الّذين ثبتوا مع رسول الله -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- حين انهزم النَّاس.

[عجز شَيْبَة عن قتل الرّسول وقد همَّ به]

[٢٤٧] /وهَمَّ شَيْبَةُ بن عُثْمان بن أبي طَلْحَة بأن يقتل رسول الله -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ-، وقال: اليوم أُدْرِكُ ثأر أبي. وكان أبوه قُتِلَ يوم أُحُد، قال: فلَمَّا دنوت من رسول الله تَغَشَّى فُؤادي [شيء][٣] فلم أملك معه نفسي، فعلمت أنّه ممنوع منّي.

(١) زيادة من شرح الأخبار ١ /٣١٣.

(٢) زيادة من "ب".

(٣) زيادة من شرح الأخبار ٣١٣/١.

[بلاء عليّ -عليه السّلام-]

ونظر عليّ بن أبي طالب إلى صاحب لِواء المشركين، وهو على جمل والرَّاية معه يطعن بها في المسلمين، وقد تضايقوا في وَعْرٍ وهم مُنْهزمون، وهو أمام هَوازِن، وهم خَلْفه، فحمل عليه عليٌّ بن أبي طالب -عليه السّلام-، فضرب عُرْقُوبَيّ جمله بالسَّيف، [١٨٤/ظ] فألقاه على رأسه، ففلق هامته، وصار الجمل حَدّاً بين المسلمين والمشركين.

[رجوع النَّاس بنداء العبَّاس والانتصار بعد الهزيمة]

ونادى العبَّاس بأعلى صوته: يا معشر المسلمين، يا معشر المهاجرين، ويا معشر الأنصار، [يا أصحاب الشَّجرة، و][١] يا أهل بيعة الرِّضوان: هلمّوا إلى نبيّكم.

فجعلوا يُنادونه من كلّ ناحية: لبَّيك لبَّيك! ولم يكونوا ظنُّوا إلاّ أنّ رسول الله -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- قد قُتِلَ، أوْ رجع فيمن رجع، فجعل الرَّجُل منهم يريد أن يرجع إليه بفرسه أو [على][٢] بعيره، فلا يقدر لضيق المكان وازدحام النَّاس، فيأخذ سِلاحه ثُمَّ يرمي بنفسه عن مركبه ويدعه، ويأتي رسول الله -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ.

ولَمَّا أصيب صاحب لِواء المشركين ولم يمكنهم [على][٣] أن يُقيموا

(١) زيادة من شرح الأخبار ٣١٤/١.

(٢) زيادة من شرح الأخبار ٣١٤/١.

(٣) زيادة من شرح الأخبار ٣١٤/١.

غيره مكانه، وانْحَلَّ نظامهم، واضْطَرَبَ أمرهم، وضرب الله -عزّ وجلّ- في وجوههم، وأيَّدَ رسوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه- ﴿بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾[التوبة: ٤٠]. كما أخبر -سبحانه- في كتابه. فما رجع آخر النَّاس من الهزيمة إلاّ والأسرى مُكَتَّفُونَ بين يدي رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه-، والغنائم قد حضرت.

[٢٤٨] /وكان لعليّ بن أبي طالب -عليه السّلام- ذلك اليوم [من البلاء](١) ما لم يكن لأحد مثله. وقامت الأنصار لَمَّا رجعوا إلى رسول الله [١٨٥/و] مقاماً حسناً، وصبر المهاجرون، فأشرف رسول الله على النَّاس في ركائبه، فنظر إلى القوم وهم يجتلدون، فقال: "الآنَ حَمِيَ الوَطِيس".

والتفت رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه- إلى أبي سُفْيان بن الْحَارِث بن عبد الْمُطَّلِب حين وقعت الهزيمة، وهو آخذ بثَفَر بغلته، فقال: "مَنْ هَذَا؟". قال: أنا ابن عمِّك يا رسول الله. وصبر -يومئذٍ-، وكان حَسَن الإسلام حين أسلم.

[شأن أم سُلَيْم بنت مِلْحان]

ورَأَى -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه- أُمّ سُلَيْم بنت مِلْحَانَ، وكانت مع زوجها أبي طَلْحَة وهي حازِمَةٌ وسطها بِبُرْدٍ لها، وإنَّها لحامل بعبد الله بن أبي طَلْحَة، ومعها جَمَلُ أبي طَلْحَة، وقد خشيت أن يَعُزَّها الجمل، فأَدْنَتْ رأسه منها، فأدخلت يدها في خِزامَتِهِ مع الْخِطام، فقال لها رسول الله -صَلَّى اللهُ

(١) زيادة من شرح الأخبار ١/٣١٤.

عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه-: "أُمّ سُلَيْم؟" قالت: نعم؛ بأبي أنت وأُمِّي يا رسول الله، اقْتُلْ هؤلاء الَّذين ينهزمون عنكَ كما تَقْتُلُ الَّذين يُقاتلونك، فإنَّهم لذلك أَهْلٌ.

فقال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه-: "أَوْ يَكْفِي اللهُ يَا أُمّ سُلَيْم؟" قال: ومعها خنْجَرٌ فقال لها أبو طَلْحَة: ما هذا الخنجر معك يا أم سُلَيْم؟ قالت: خنجر أخذته، إنْ دَنا مِنِّي أَحَدٌ من المشركين بَعَجْته به. فقال أبو [١٨٥/ظ] طَلْحَة: ألا تسمع يا رسول الله ما تقول أم سُلَيْم الرُّمَيْصَاءُ.

و"الرَّمَصُ": وَسَخٌ يكون في الْمُؤْق.

[شعر مالك بن عَوْف في هزيمة النَّاس]

وكان رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه- [حين وَجَّهَ إلى حُنَيْنٍ،](١) قد ضَمَّ بني سُلَيْمٍ الضَّحَّاكِ بن سُفْيان الكِلابِيّ، فكانوا إليه ومعه، ولَمَّا انهزم النَّاس قال مالكُ بن عَوْف يرتجز بفرسه(٢):

أَقْدِمْ مُحَاجُ إِنَّهُ يَوْمٌ نُكُرْ
مِثْلِي عَلَى مِثْلِكَ يَحْمِي وَيَكُرْ
إِذَا أُضِيعُ الصَّفُّ يَوْماً وَالدُّبُرْ
/ثُمَّ احْزَأَلَّتْ زُمَرٌ بَعْدَ زُمَرْ [٢٤٩]
كَتَائِبٌ يَكِلُّ فِيهِنَّ الْبَصَرْ
قَدْ أَطْعُنُ الطَّعْنَةَ تَقْذِي بِالسُّبُرْ

(١) زيادة من السّيرة النّبويّة ٤/٤٤٧.

(٢) انظر: السّيرة النّبويّة ٤/٤٤٧.

حِيْنَ يُذَمُّ الْمُسْتَكِيْنُ الْمُنْجَحِرْ
وَأَطْعَنُ النَّجْلاَءَ تَعْوِي وَتَهِرْ
لَهَا مِنَ الْجَوْفِ رَشَاشٌ مُنْهَمِرْ
تَفْهَقُ تَارَاتٍ وَحِيْناً تَنْفَجِرْ
وَثَعْلَبُ الْعَامِلِ فِيْهَا مُنْكَسِرْ
يَا زَيْدُ يَا بْنَ هَمْهَمٍ أَيْنَ تَفِرّ
قَدْ نَفِدَ الضِّرْسُ وَقَدْ طَالَ الْعُمُرْ
قَدْ عَلِمَ الْبِيْضُ الطَّوِيْلاَتُ الْخُمُرْ
أَنِّي فِي أَمْثَالِهَا غَيْرُ غَمِرْ
إِذْ تُخْرَجُ الْحَاصِنُ مِنْ تَحْتِ السُّتُرْ

[خبر عن أَبِي قَتَادَةَ]

وقال أبو قَتَادَة الأنصاريّ: رأيتُ يوم حُنَيْنٍ رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلان؛ أحدهما مُسلم، والآخر مُشرك، وإذا رَجُلٌ من المشركين [١٨٦/و] يُرِيْدُ أن يُعِيْنَ صاحبه المشرك على المسلم. قال: فأتيته، فضربت يده فقطعتها، واعْتَنَقَني بيده الأُخْرَى، فوالله ما أَرْسَلَنِي حتَّى وَجَدْتُ رِيْحَ الدَّمِ، فكاد أن يقتلني، فلولا أنَّ الدَّم نَزَفَهُ لقتلني، فسقط فضربته فقتلته.

[هزيمة المشركين]

فلَمَّا هزم الله المشركين، وأمكن رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ-

منهم، قالت امرأة من المسلمين:[1]

قَدْ غَلَبَتْ خَيْلُ اللهِ خَيْلَ اللاَّتِ وَاللهُ أَحَقُّ بِالثَّبَاتِ

/فلَمَّا انهزمت هَوازن استَحَرَّ القتل من ثَقِيْفٍ في بني مالك، فقُتِلَ منهم [٢٥٠] سَبْعُونَ رَجُلاً تحت رايتهم، فيهم عُثْمان بن عبد الله بن رَبِيْعَة بن الْحَارث بن حَبيب، وكانت رايتهم مع ذي الخِمار، فلَمَّا قُتِلَ أخذها عُثْمان بن عبد الله، فقاتل بها حتَّى قُتِلَ. ولَمَّا قُتِلَ قال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ-: "أَبْعَدَهُ اللهُ! فَإِنَّهُ كَانَ يُبْغِضُ قُرَيْشاً".

[فرار قارب وقومه]

وكانت راية الأَحْلاَفِ مع قارب بن الأَسْوَد، فلَمَّا انهزم النَّاس أَسْنَدَ رايته إلى شجرة، وهرب هو وبنو عمّه وقومه من الأحلاف، فلم يُقْتَلْ مِنَ الأحلاف غير رَجُلَيْن: رَجُلٌ مِنْ غِيَرَةَ، يُقال له: وَهْبٌ، وآخر من بني كُبَّةَ، يُقال له: الْجُلاَحُ، فقال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- حين بلغه قتل الجُلاح: "قُتِلَ اليَوْمَ سَيِّدُ شَبَابِ ثَقِيْفٍ، [١٨٦/ظ] إلاَّ مَا كَانَ مِنْ ابْنِ هُنَيْدَةَ". يعني بـ"ابن هُنَيْدَة": الْحَارِث بن أُوَيْس.

[مقتل دُرَيْد بن الصِّمَّة]

ولَمَّا انهزم المشركون أَتَوْا الطَّائِفَ ومعهم مالك بن عَوْفٍ، وعسكر بعضهم بأَوْطاسٍ، وتوجَّه بعضهم نحو نَخْلَةَ، ولم يكن فيمن توجَّه نحو نَخْلَةَ إلاَّ بنو غِيَرَةَ مِنْ ثَقِيْفٍ، وتَبِعَتْ خَيْلُ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- مَنْ

(1) انظر: السّيرة النّبويّة ٤/٤٤٩.

سَلَكَ فِي نَخْلَةَ مِنَ النَّاسِ، و لم تَتْبَعْ مَنْ سَلَكَ الثَّنَايَا.

فَأَدْرَكَ رَبِيْعَةُ بن رُفَيْعِ السُّلَمِيّ دُرَيْد بن الصِّمَّة، فأخذ بخِطَامِ جمله، وهو يظنّه امرأة، وذلك أنّه في هودج له، فأناخ به فإذا هو شيخ كبير، ولا يعرفه، فقال له دُرَيْد: ماذا تُرِيْدُ بي؟ قال: أَقْتُلُكَ. قال: ومَنْ أَنْتَ؟ قال: أنا رَبِيْعَةُ بن رُفَيْعِ السُّلَمِيّ، ثُمَّ ضربه بسيفه، فلم يُغْنِ شيئاً، وقال له دُرَيْد: بِئْسَ ما سَلَّحَتْكَ أُمّكَ! خُذْ سيفي هذا من مُؤَخّرِ الْهَوْدَجِ واضرب به، وَارْفَعْ عن العظام، واخْفِضْ عن الدِّماغ، فإنّي كنتُ كذلك أَضْرِبُ الرِّجالَ، فإذا جِئْتَ أُمّكَ فأخبرها أنّك قتلتَ دُرَيْد بن الصِّمَّة، فَرُبَّ يوم قد مَنَعْتُ فيه نساءَكَ. فلمَّا وَقَعَ تَكَشَّفَ فإذا بِعِجانِه وبُطون فَخذيه مِثْلُ القِرْطاس، من ركوب الخيل [أَعْراءً][1].

فلمَّا [١٨٧/و] رَجَعَ رَبِيْعَةُ إلى أُمّه أخبرها بقتله إيَّاه، فقالت: أما والله لقد أَعْتَقَ أُمَّهات لكَ ثلاثاً.

[٢٥١] /**[مقتل أبي عَامِرِ الأَشْعَرِيِّ]**

وبَعَثَ رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– في آثار من توجَّه قِبَلَ أَوْطاسٍ أبا عَامِرِ الأَشْعَرِيّ، فأدرك بعض مَنْ انهزم من النَّاس، فناوشوه القِتال، فَرُمِي أبو عَامِرٍ بسهم فَقُتِلَ.

فأخذ الرَّاية أبو مُوسى الأَشْعَرِيّ، فقاتلهم، واستحرَّ القتل من بني نَصْر في بني رِئاب.

(١) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة ٤/٤٥٣.

[نهى الرَّسول –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– عن قتل الضُّعفاء]

وقد مَرَّ رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– بامرأة وقد قتلها خالد ابن الوَلِيد، والنَّاس مُزْدَحِمونَ عليها، فقال: "مَنْ قَتَلَ هَذِهِ؟".

قالوا: خالد بن الوَلِيد.

فقال –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– لبعض من معه: "أَدْرِكْ خَالِداً، فَقُلْ لَهُ: إنَّ رَسُولَ اللهِ يَنْهَاكَ أَنْ تَقْتُلَ وَلِيْداً أَوْ امْرَأَةً أَوْ عَسِيْفاً".

و"العَسِيْفُ": الأجير.

وكان للزُّبَيْر بن العَوَّام قِتال في ذلك اليوم، وكشف مالِك بن عَوْف ومَنْ معه عن الثَّنِيَّة، وقد وقفوا عليها ليمضي[1] ضعفاؤهم.

[شَأْنُ بِجَادٍ والشَّيْمَاءِ]

وقال النَّبِيُّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ–: "إنْ قَدَرْتُمْ عَلَى بِجَادٍ فَلاَ يُفْلِتَنَّكُمْ". –وهو رَجُل من بني سَعْد بن بَكْر– فأخذوه وأهله ومعه الشَّيْمَاءَ بنت الْحَارِث بن عبد العُزَّى أُخْتَ رسولِ الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– من الرَّضاعة، فَعَنُفُوا عليها في السِّيَاق، [١٨٧/ظ] فقالت: إنِّي أُخْتُ صاحبكم من الرَّضاعة. فلم يُصَدِّقوها، فلَمَّا انْتَهَتْ إلى رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ–، قالت: إنِّي أُختك من الرَّضاعة. قال: "وَمَا عَلاَمَةُ ذَلِكَ؟". قالت: عَضَّةٌ عَضَضْتَنِيهَا فِي ظَهْرِي وأنا مُتَوَرِّكَتُكَ. فَعَرَفَ رسولُ الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى

(١) "ب": "ليمنعوا".

[٢٥٢] آله- العَلامة، فَبَسَطَ لها رداءه، فأجلسها عليه، [وخَيَّرَها][١] وقال: إنْ /أَحْبَبْتِ وَقَفْتِ عِنْدِي [مُحَبَّةً مُكَرَّمَةً،][٢] وَإِنْ أَحْبَبْتِ أَنْ أُمَتِّعَكِ وَتَرْجِعِي إِلَى قَوْمِكِ فَعَلْتُ". <قالت: [بَلْ][٣] تُمَتِّعُنِي وَتَرُدُّنِي إِلَى قَوْمِي.>[٤] فمتَّعها رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ-، وردَّها إلى قومها.

[تَسْمية من استشهد يوم حُنَيْن من المسلمين]

من قُرَيْش:

[أَيْمَن بن عُبَيْد][٥].

يَزِيد بن زمعة بن الأَسْوَد بن الْمُطَّلب بن أَسَد بن عبد العُزَّى، جَمَحَ به فرس له يُقال له: "الجناح"، فَقُتِلَ.

ومن الأنصار:

سُرَاقَةُ بن الْحَارِث [بن عَدِيّ، من بني العَجْلان.][٦]

ومن الأَشْعَرِيِّين:

أبو عَامِر الأَشْعَرِيّ.

(١) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة ٤/٤٥٨.
(٢) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة ٤/٤٥٨.
(٣) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة ٤/٤٥٨.
(٤) زيادة من "ب".
(٥) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة.
(٦) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة ٤/٤٥٩.

[جمع سبايا حُنَيْن]

وجُمِعَت إلى رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- سبايا حُنَيْن وأموالها، فأمر رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- بالسَّبايا والأموال [أن تُساق][١] إلى الْجِعْرانَة، [فحبست بها][٢].

[شعر العبَّاس بن مِرْداس في هجاء قارب وقومه]

وقال العبَّاس بن مِرْداس السُّلَمِيّ يذكر قارب بن الأَسْوَد وفِراره يوم حُنَيْن، وذا الخِمار وحَبْسه قومَه للموت[٣]:

[٢٥٣] /أَلاَ مَنْ مُبْلِغٌ غَيْلاَنَ عَنِّي ... وَسَوْفَ -إِخَالُ- يَأْتِيهِ الْخَبِيْرُ
[١٨٨/و] وَعُرْوَةَ إِنَّمَا أُهْدِي جَوَاباً ... وَقَوْلاً غَيْرَ قَوْلِكُمَا يَسِيْرُ
بِأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدٌ رَسُولٌ ... لِرَبٍّ لاَ يَضِلُّ وَلا يَجُورُ
وَجَدْنَاهُ نَبِيّاً مِثْلَ مُوسَى ... فَكُلُّ فَتًى يُخَايِرُهُ مَخِيْرُ
وَبِئْسَ الأَمْرُ أَمْرُ بَنِي قَسِيٍّ ... بِوَجٍّ إِذْ تُقُسِّمَتِ الأُمُورُ
أَضَاعُوا أَمْرَهُمْ وَلِكُلِّ قَوْمٍ ... أَمِيْرٌ وَالدَّوائِرُ قَدْ تَدُورُ
فَجِئْنَا أُسْدَ غَابَاتٍ إِلَيْهِمْ ... جُنُودُ اللهِ ضَاحِيَةً تَسِيْرُ
يَؤُمُّ الْجَمْعَ جَمْعَ بَنِي قَسِيٍّ ... عَلَى حَنَقٍ نَكَادُ لَهُ نَطِيْرُ
وَأُقْسِمُ لَوْ هُمُ مَكَثُوا لَسِرْنَا ... إِلَيْهِمْ بِالْجُنُودِ وَلَمْ يَغُورُوا

(١) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة ٤/٤٥٩.
(٢) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة ٤/٤٥٩.
(٣) انظر: ديوانه ٦٨-٧١.

فَكُنَّا أُسْدَ لِيَّةَ ثَمَّ حَتَّى   أَبَحْنَاهَا وَأُسْلِمَتْ النُّصُورُ
وَيَوْمٌ كَانَ قَبْلُ لَدَى حُنَيْنٍ   فَأَقْلَعَ وَالدِّمَاءُ بِهِ تَمُورُ
مِنَ الأَيَّامِ لَمْ تَسْمَعْ كَيَوْمٍ   وَلَمْ يَسْمَعْ بِهِ قَوْمٌ ذُكُورُ
قَتَلْنَا فِي الْغُبَارِ بَنِي حُطَيْطٍ   عَلَى رَايَاتِهَا وَالْخَيْلُ زُورُ
وَلَمْ يَكُ ذُو الْخِمَارِ رَئِيسَ قَوْمٍ   لَهُمْ عَقْلٌ يُعَاقِبُ أَوْ مَكِيرُ
أَقَامَ بِهِمْ عَلَى سَنَنِ الْمَنَايَا   وَقَدْ بَانَتْ لِمُبْصِرِهَا الأُمُورُ
فَأُفْلِتَ مَنْ نَجَا مِنْهُمْ جَرِيضاً   وَقُتِّلَ مِنْهُمُ بَشَرٌ كَثِيرُ
وَلا يُغْنِي الأُمُورَ أَخُو التَّوَانِي   وَلاَ الْغَلِقُ الصُّرَيِّرَةُ الْحَصُورُ
[١٨٨/ظ] أَحَانَهُمُ وَحَانَ وَمَلَّكُوهُ / أُمُورَهُمُ وَأُفْلِتَتِ الصُّقُورُ
بَنُو عَوْفٍ تَمِيْحُ بِهِمْ جِيَادٌ   أُهِيْنَ لَهَا الْفَصَافِصُ وَالشَّعِيْرُ
فَلَوْلاَ قَارِبٌ وَبَنُو أَبِيْهِ   تُقُسِّمَتِ الْمَزَارِعُ وَالْقُصُورُ
وَلَكِنَّ الرِّيَاسَةَ عُمِّمُوهَا   عَلَى يُمْنٍ أَشَارَ بِهِ الْمُشِيْرُ
أَطَاعُوا قَارِباً وَلَهُمْ جُدُودٌ   وَأَحْلاَمٌ إِلَى عِزٍّ تَصِيْرُ
فَإِنْ يُهْدَوْا إِلَى الإِسْلاَمِ يُلْفَوْا   أُنُوفَ النَّاسِ مَا سَمَرَ السَّمِيْرُ
وَإِنْ لَمْ يُسْلِمُوا فَهُمُ أَذَانٌ   بِحَرْبِ اللهِ لَيْسَ لَهُمْ نَصِيْرُ
كَمَا حَكَمَتْ بَنِي سَعْدٍ وَجَرَّتْ   بِرَهْطِ بَنِي غَزِيَّةَ عَنْقَفِيْرُ
كَأَنَّ بَنِي مُعَاوِيَةَ بْنِ بَكْرٍ   إِلَى الإِسْلاَمِ ضَائِنَةٌ تَخُورُ
[٢٠٤] /فَقُلْنَا أَسْلِمُوا إِنَّا أَخُوكُمْ   وَقَدْ بَرَأَتْ مِنَ الإِحَنِ الصُّدُورُ
كَأَنَّ الْقَوْمَ إِذْ جَاؤُوا إِلَيْنَا   مِنَ الْبَغْضَاءِ بَعْدَ السِّلْمِ عُورُ

[قصيدة أُخرى لعبَّاس بن مِرْداس في يوم حُنَيْن]

وقال العبَّاس بن مِرْداس السُّلَمِيّ أيضاً يوم حُنَيْن[١]:

عَفَا مِجْدَلٌ مِنْ أَهْلِهِ فَمُتَالِعُ   فَمِطْلا أَرِيْكٍ قَدْ خَلاَ فَالْمَصَانِعُ
دِيَارٌ لَنَا يَا جُمْلُ إِذْ جُلُّ عَيْشِنَا   رَخِيٌّ وَصَرْفُ الدَّهْرِ لِلْحَيِّ جَامِعُ
حُبَيِّبَةٌ أَلْوَتْ بِهَا غُرْبَةُ النَّوَى   لِبَيْنٍ فَهَلْ مَاضٍ مِنَ الْعَيْشِ رَاجِعُ
فَإِنْ تَبْتَغِي الْكُفَّارَ غَيْرَ مَلُومَةٍ   فَإِنِّي وَزِيْرٌ لِلنَّبِيِّ وَتَابِعُ [١٨٩/و]
دَعَانَا إِلَيْهِمْ خَيْرُ وَفْدٍ عَلِمْتُهُمْ   خُزَيْمَةُ وَالْمَرَّارُ مِنْهُمْ وَوَاسِعُ
فَجِئْنَا بِأَلْفٍ مِنْ سُلَيْمٍ عَلَيْهِمُ   لَبُوسٌ لَهُمْ مِنْ نَسْجِ دَاوُدَ رَائِعُ
نُبَايِعُهُ بِالأَخْشَبَيْنِ وَإِنَّمَا   يَدَ اللهِ بَيْنَ الأَخْشَبَيْنِ نُبَايِعُ
فَجُسْنَا مَعَ الْمَهْدِيِّ مَكَّةَ عَنْوَةً   بِأَسْيَافِنَا وَالنَّقْعُ كَابٍ وَسَاطِعُ
عَلاَنِيَةً وَالْخَيْلُ يَغْشَى مُتُونَهَا   حَمِيْمٌ وَآنٍ مِنْ دَمِ الْجَوْفِ نَاقِعُ
وَيَوْمَ حُنَيْنٍ حِيْنَ سَارَتْ هَوَازِنٌ   إِلَيْنَا وَضَاقَتْ بِالنُّفُوسِ الأَضَالِعُ
صَبَرْنَا مَعَ الضَّحَّاكِ لاَ يَسْتَفِزُّنَا   قِرَاعُ الأَعَادِي مِنْهُمُ وَالْوَقَائِعُ
أَمَامَ رَسُولِ اللهِ يَخْفِقُ فَوْقَنَا   لِوَاءٌ كَخُذْرُوفِ السَّحَابَةِ لاَمِعُ
عَشِيَّةَ ضَحَّاكُ بْنُ سُفْيَانَ مُعْتَصٍ   بِسَيْفِ رَسُولِ اللهِ وَالْمَوْتُ كَانِعُ
نَذُودُ أَخَانَا عَنْ أَخِيْنَا وَلَوْ نَرَى   مَصَالاً لَكُنَّا الأَقْرَبِيْنَ نُتَابِعُ
وَلَكِنَّ دِيْنَ اللهِ دِيْنُ مُحَمَّدٍ   رَضِيْنَا بِهِ فِيْهِ الْهُدَى وَالشَّرَائِعُ
أَقَامَ بِهِ بَعْدَ الضَّلاَلَةِ أَمْرَنَا   وَلَيْسَ لأَمْرٍ حَمَّهُ اللهُ دَافِعُ

(١) انظر: ديوانه ١٠٧-١٠٩.

[شِعْرُ بُجَيْرِ بن زُهَيْرٍ يَوْمَ حُنَيْن]

وقال بُجَيْرُ بن زُهَيْرِ بن أبي سُلْمَى في يوم حُنَيْن(١):

[٢٥٥] /لَوْلا الإلـهُ وَعَبْـدُهُ وَلَّيْـتُمُ ... حِيْنَ اسْتَخَفَّ الرُّعْبُ كُلَّ جَبَانِ

بِالْجِزْعِ يَوْمَ حَبَا لَنَـا أَقْرَانُنَـا ... وَسَـوابِحٌ يَكْبُـونَ لِلأَذْقَـانِ

[١٨٩/ظ] مِنْ بَيْنِ سَاعٍ ثَوْبُهُ فِـي كَفِّـهِ ... وَمُقَطَّـرٍ بِسَـنَابِكٍ وَلَبَـانِ

واللهُ أَكْرَمَنَـا وَأَظْهَـرَ دِيْنَنَـا ... وَأَعَزَّنَـا بِعِبَـادَةِ الـرَّحْمَنِ

واللهُ أَهْلَكَهُمْ وَفَرَّقَ جَمْعَهُـمْ ... وَأَذَلَّهُـمْ بِعِبَـادَةِ الشَّـيْطَانِ

[قال ابن هشام: ويروي فيها بعض الرُّواة:](٢)

إِذْ قَامَ عَـمُّ نَبِـيِّكُمْ وَوَلِيُّـهُ ... يَدْعُونَ: يَا لَكَتِيْبَةِ الإِيْمَـانِ

أَيْنَ الَّذِيْنَ هُمُ أَجَابُوا رَبَّهُـمْ ... يَوْمَ الْعُرَيْضِ وَبَيْعَةِ الرِّضْـوانِ

[شِعْرُ مالكُ ابن عَوْفٍ في الاعْتِذَار مِنْ فِرَارِهِ]

وقال مالكُ بن عَوْفٍ وهو يعتذر –يومئذٍ– من فِراره(٣):

مَنَعَ الرُّقَادَ فَمَا أُغَمِّـضُ سَـاعَةً ... نَعَمٌ بِأَجْزَاعِ الطَّرِيْـقِ مُخَضْـرَمُ

سَائِلْ هَوَازِنَ هَلْ أَضُـرُّ عَـدُوَّهَا ... وَأُعِيْنُ غَارِمَهَـا إِذَا مَـا يَغْـرَمُ

وَكَتِيْبَـةٍ لَبَّسْـتُهَا بِكَتِيْبَـةٍ ... فِئَتَـيْنِ مِنْهَـا حَاسِـرٌ وَمُـلأَّمُ

(١) انظر: السّيرة النّبويّة ٤/٤٥٩–٤٦٠، والأبيات [١–٥] نُسبت للعبّاس بن مرداس، انظر: ديوانه ١٥٩.

(٢) انظر: زيادة من السّيرة النّبويّة ٤/٤٦٠.

(٣) انظر: السّيرة النّبويّة ٤/٤٧٤–٤٧٥.

وَمُقَدَّمٍ تَعْيَـا النُّفُـوسُ لِضِـيْقِهِ ... قَدَّمْتُهُ وَشُـهُودُ قَـوْمِي أَعْلَـمُ

فَوَرَدْتُهُ وَتَرَكْـتُ إِخْوَانـاً لَـهُ ... يَرِدُونَ غَمْرَتَـهُ وَغَمْرَتُـهُ الـدَّمُ

فَإِذَا انْجَلَـتْ غَمَرَاتُـهُ أَوْرَثْنَنِـي ... مَجْدَ الْحَيَاةِ وَمَجْدَ غُـنْمٍ يُقْسَـمُ

كَلَّفْتُمُـونِي ذَنْـبَ آلِ مُحَمَّـدٍ ... وَاللهُ أَعْلَمُ مَـنْ أَعَـقُّ وَأَظْلَـمُ

وَخَذَلْتُمُونِي إِذْ أُقَاتِـلُ وَاحِـداً ... وَخَـذَلْتُمُونِي إِذْ تُقَاتِـلُ خَـثْعَمُ

وَإِذَا بَنَيْتُ الْمَجْدَ يَهْدِمُ بَعْضُـكُمْ ... لاَ يَسْتَوِي بَـانٍ وَآخَـرُ يَهْـدِمُ [١٩٠/و]

وَأَقَبَّ مِخْمَاصِ الشِّتَاءِ مُسَـارِعٍ ... فِي الْمَجْدِ يَنْمِي لِلْعُـلا مُتَكَـرِّمٌ

أَكْرَهْـتُ فِيْـهِ أَلَّـةً يَزَنِيَّـةً ... سَحْمَاءَ يَقْدُمُهَا سِـنَانٌ سَـلْجَمُ

وَتَرَكْـتُ حَنَّتَـهُ تُـرَدُّ وَلِيَّـهُ ... وَتَقُولُ لَيْسَ عَلَى فُلاَنَـةَ مَقْـدَمُ

وَنَصَبْتُ نَفْسِي لِلرِّمَاحِ مُـدَجَّجًا ... مِثْلَ الدَّرِيْئَـةِ تُسْـتَحَلُّ وَتُشْـرَمُ

/**[شِعْرٌ لِهَوَازِنِيّ يذكر إسْلام قومه]** [٢٥٦]

وقال قائل في هَوازن أيضاً يذكر مسيرهم إلى رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– مع مالك بن عَوْف بعد إسلامه(١):

أَذْكُرْ مَسِيْرَهُمُ لِلنَّاسِ إِذْ جَمَعُـوا ... وَمَالِكٌ فَوْقَهُ الرَّايَـاتُ تَخْتَفِـقُ

وَمَالِكٌ مَالِكٌ مَا فَـوْقَهُ أَحَـدٌ ... يَوْمَ حُنَيْنٍ عَلَيْـهِ التَّـاجُ يَـأْتَلِقُ

حَتَّى لَقُوا الْبَأْسَ حِيْنَ الْبَأْسُ يَقْدُمُهُمْ ... عَلَيْهِمُ الْبِيْضُ وَالأَبْدَانُ وَالـدَّرَقُ

فَضَارَبُوا النَّاسَ حَتَّى لَمْ يَرَوْا أَحَداً ... حَوْلَ النَّبِيِّ وَحَتَّى جَنَّـهُ الْغَسَـقُ

ثُمَّتَ نُـزِّلَ جِبْرِيْـلٌ بِنَصْـرِهِمُ ... مِنَ السَّـمَاءِ فَمَهْـزُومٌ وَمُعْتَنِـقُ

(١) انظر: السّيرة النّبويّة ٤/٤٧٥، ونسبت لمدرك بن الحارث بن حبيب بن دهمان، (٨ أبيات). انظر: الإصابة (ترجمة رقم ٦٤٢٧).

مِنَّا وَلَوْ غَيْرُ جِبْرِيْلٍ يُقَاتِلُنَا ... لَمَنَّعَتْنَا إِذَنْ أَسْيَافُنَا الْعُتُقُ

وَفَاتَنَا عُمَرُ الْفَارُوقُ إِذْ هُزِمُوا ... بِطَعْنَةٍ بَلَّ مِنْهَا سَرْجَهُ الْعَلَقُ

ثُمَّ كانت غزوة الطَّائِف:

فسار رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- إلى الطَّائِف حين رجع من حُنَيْن، فكانت ثَقِيف لَمَّا قدمت الطَّائِف بعد الفَلِّ، غلقوا عليهم أبواب مدينتها، وصنعوا الصَّنائع [١٩٠/ظ] للقتال.

[شِعْر كَعْب بن مالِك]

فقال كَعْب بن مالِك حين أجمع رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- السَّير إلى الطَّائف[١]:

قَضَيْنَا مِنْ تِهامَةَ كُلَّ رَيْبٍ ... وَخَيْبَرَ ثُمَّ أَجْمَمْنَا السُّيُوفَا

نُخَيِّرُها وَلَوْ نَطَقَتْ لَقَالَتْ ... قَواطِعُهُنَّ: دَوْساً أَوْ ثَقِيْفَا

فَلَسْتُ لِحَاضِنٍ إِنْ لَمْ تَرَوْها ... بِسَاحَةِ دارِكُمْ مِنَّا أُلُوفَا

وَنَنْتَزِعُ الْعُرُوشَ بِبَطْنِ وَجٍّ ... وَتُصْبِحُ دُوْرُكُمْ مِنْكُمْ خُلُوفَا

وَيَأْتِيكُمْ لَنَا سَرَعَانُ خَيْلٍ ... يُغَادِرُ خَلْفَهُ جَمْعاً كَثِيْفَا

إِذا نَزَلُوا بِسَاحَتِكُمْ سَمِعْتُمْ ... لَهَا مِمَّا أَنَاخَ بِهَا رَجِيْفَا

[٢٥٧] /بِأَيْدِيْهِمْ قَوَاضِبُ مُرْهَفَاتٌ ... يُزِرْنَ الْمُصْطَلِيْنَ بِهَا الْحُتُوفَا

كَأَمْثَالِ العَقَائِقِ أَخْلَصَتْهَا ... قُيُونُ الْهِنْدِ لَمْ تُضْرَبْ كَتِيْفَا

تَخَالُ جَدِيَّةَ الأَبْطَالِ فِيْهَا ... غَدَاةَ الزَّحْفِ جَادِيّاً مَدُوفَا

[١] انظر: ديوانه ١٨٨-١٩٠.

أَجِدَّهُمُ أَلَيْسَ لَهُمْ نَصِيْحٌ ... مِنَ الأَقْوَامِ كَانَ بِنَا عَرِيْفَا

يُخَبِّرُهُمْ بِأَنَّا قَدْ جَمَعْنَا ... عِتَاقَ الْخَيْلِ والنُّجُبَ الطُّرُوفَا

وَأَنَّا قَدْ أَتَيْنَاهُمْ بِزَحْفٍ ... يُحِيْطُ بِسُورِ حِصْنِهِمُ صُفُوفَا

رَئِيْسُهُمُ النَّبِيُّ وَكَانَ صُلْباً ... نَقِيَّ الْقَلْبِ مُصْطَبِراً عَزُوفَا

رَشِيْدَ الأَمْرِ ذُو حُكْمٍ وَعِلْمٍ ... وَحِلْمٍ لَمْ يَكُنْ نَزِقاً خَفِيْفَا [١٩١/و]

نُطِيْعُ نَبِيَّنَا وَنُطِيْعُ رَبّاً ... هُوَ الرَّحْمَنُ كَانَ بِنَا رَؤُوفَا

فَإِنْ تُلْقُوا إِلَيْنَا السِّلْمَ نَقْبَلْ ... وَنَجْعَلْكُمْ لَنَا عَضُداً وَرِيْفَا

وَإِنْ تَأْبَوْا نُجَاهِدْكُمْ وَنَصْبِرْ ... وَلاَ يَكُ أَمْرُنَا رَعِشاً ضَعِيْفَا

نُجَالِدُ مَا بَقِيْنَا أَوْ تُنِيْبُوا ... إِلَى الإِسْلاَمِ إِذْعَاناً مُضِيْفَا

نُجَاهِدُ لاَ نُبَالِي مَنْ لَقِيْنَا ... أَأَهْلَكْنَا التِّلاَدَ أَمِ الطَّرِيفَا

وَكَمْ مِنْ مَعْشَرٍ أَلَبُوا عَلَيْنَا ... صَمِيْمَ الْجِذْمِ مِنْهُمْ وَالْحَلِيْفَا

أَتَوْنَا لا يَرَوْنَ لَهُمْ كِفَاءً ... فَجَدَّعْنَا الْمَسَامِعَ وَالأُنُوفَا

بِكُلِّ مُهَنَّدٍ لَيْنٍ صَقِيْلٍ ... يَسُوقُهُمُ بِهَا سَوْقاً عَنِيْفَا

لأَمْرِ اللهِ وَالإِسْلاَمِ حَتَّى ... يَقُومَ الدِّيْنُ مُعْتَدِلاً حَنِيْفَا

وَتُنْسَى اللاَّتُ والعُزَّى وَوَدٌّ ... وَنَسْلُبُهَا الْقَلاَئِدَ وَالشُّنُوفَا

فَأَمْسَوْا قَدْ أَقَرُّوا وَاطْمَأَنُّوا ... وَمَنْ لاَ يَمْتَنِعْ يَقْبَلْ خُسُوفَا

[شِعْرُ شَدَّاد بن عارِض الْجُشَمِيّ فِي المسير إِلَى الطَّائِف]

وقال شَدَّادُ بن عارِض الْجُشَمِيّ في مَسِير رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- إلى الطَّائِف[١]:

[١] انظر: السِّيرة النبويّة ٤/٤٨١-٤٨٢.

لا تَنْصُرُوا اللاَّتَ إِنَّ اللهَ مُهْلِكُهَـــا ... وَكَيْفَ يُنْصَرُ مَنْ هُو لَيْسَ يَنْتَصِرُ
إِنَّ الَّتِي حُرِّقَتْ بِالسُّدِّ فَاشْـتَعَلَتْ ... وَلَمْ يُقَاتِلْ لَدَى أَحْجَـارِهَا هَدَرُ
إِنَّ الرَّسُولَ مَتَى يَنْـزِلْ بِلاَدَكُـمُ ... يَظْعَنْ وَلَيْسَ بِهَا مِنْ أَهْلِهَا بَشَـرُ

[٢٥٨] [١٩١/ظ] /**[الطَّريق إلى الطَّائف]**

وسار رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- على نَخْلَةَ اليَمانِيَّة، ثُمَّ على قَرْنٍ، ثُمَّ على الْمُلَيْحِ، ثُمَّ على بُحْرَةِ الرُّغاءِ من لِيَّةَ، فَابْتَنَى بها مسجداً فصلى فيه.

وأقاد -يومئذٍ- من رَجُلٍ من بني لَيْثٍ قَتَلَ رَجُلاً من هُذَيْلٍ، وهو أوَّل دم أُقِيْدَ به في الإسلام.

وأمر رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- وهو بلِيَّةَ، بِحِصْنِ مالك بن عَوْف فَهُدِمَ، وانتهى حتَّى نزل -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- تحت سِدْرَةٍ يُقال لها: الصَّادِرَةُ، قريباً من مَالِ رَجُلٍ من ثَقِيْف، فَأَرْسَلَ إليه رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ-: إمَّا أَنْ تسلم، وإلاَّ خربنا عليك حائطك. فامتنع من الإسلام، فأمر رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ-بإخراب حائطه.

[بدْء القتال عند جِدار الطَّائف]

ثُمَّ مضى رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- حتَّى نزل قريباً من الطَّائف، فضرب به عسكره، فَقُتِلَ به ناس مِمَّن مع رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ-، وذلك أنَّ العسكر دنوا من حائط الطَّائف، فكانت النَّبْل تنالهم، فلَمَّا وقع النَّبْل فيهم، وضع عسكره عند مسجده الَّذي بالطَّائف اليوم،

فحاصرهم رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- بضعاً وعِشْرين ليلةً. ويقال: سَبْعَ عَشْرَةَ ليلةً.

وكان معَ رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- اثنتان من نسائه، إحداهما [١٩٢/و] أمّ سَلَمَةَ، فضرب لهما قُبَّتَيْنِ، فكان يُصلِّي بين القبَّتين. فلَمَّا أسلمت ثَقِيف بَنَى على مُصَلَّى رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- [عَمْرو بن أُمَيَّة بن وَهْب بن مُعَتِّب بن مالك][1] مسجداً. وقاتل رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- ثَقِيفاً أيَّام حِصاره عليهم، قِتالاً شديداً، وتراموا بالنَّبْل.

وأمر رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- بعمل مَنْجَنيق، فرمى به أهل الطَّائف، فلَمَّا أثرت الحجارة وأخربت في الجدار بالطائف، دخل نفر من أصحاب رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- تحت دَبَّابَة ثُمَّ زحفوا بها إلى جدار الطَّائف ليخرقوه، فأرسلت عليهم ثَقِيف سِكَكَ الْحَدِيْد مُحْمَاةً بالنَّار، فخرجوا من تحتها، فقتلت منهم ثَقِيف جماعة. فأمر رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- بِقَطْعِ أَعْنَاب ثَقِيْفٍ، فقطعها المسلمون.

[٢٥٩] /**[ارتحال المسلمين وسبب ذلك]**

وقد قال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- وهو محاصر ثَقِيْفاً: "إِنَّهُ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ فِي الطَّائِف". فلَمَّا فشى ذلك في المسلمين سألوه، قال: "نَعَمْ". فقالوا: يا رسول الله؛ فلو رحلتَ. فأمر رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ-

(١) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة.

مُناديه، فنادى بالرَّحيل.

[عُيَيْنَةُ وما كان يُخْفِي مِنْ نِيَّتِه]

فقال عُيَيْنَة بن حِصْن الفَزاريّ: إنَّ ثَقيفاً مَجَدَةٌ كِراماً. فقال له [١٩٢/ظ] بعض المسلمين: أتمدح المشركين وقد جئتَ تَنْصُرُ رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آله-! فقال: ما جئتُ لأقاتل ثَقيفاً معكم، إنَّما أردتُ أنْ يَفْتَحَ محمَّد الطَّائف، فَأُصِيْبَ من ثَقِيْفٍ جارية [أَتَّطِئُها][1] لعلَّها تَلِدُ لي غُلاماً، فإنَّ ثَقيفاً قَوْمٌ مناكير.

[عُتَقاء ثَقِيْفٍ]

ونزل على رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه- وهو مُحاصِر للطَّائف عَبِيدٌ، فَأَسْلَمُوا، فَأَعْتَقَهُمْ رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه.

[مُناجاة الرَّسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه- لعليّ -عليه السَّلام-]

ورَوَى[2] إسْماعِيل بن أبان، [بإسناده،][3] عن جابر بن عبد الله الأنصاريّ، أنَّه قال:

"ناجى رسول الله عَلِيّاً [بحجرته][4] -وهو مُحاصِر للطَّائف-، فَأَطَالَ النَّجْوَى، والنَّاس ينظرون إليهما، فحسد عليّاً كثير من النَّاس على ما اخْتَصَّهُ

(١) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة.

(٢) انظر: شرح الأخبار ٢/٢٨١-٢٨٢.

(٣) زيادة من شرح الأخبار.

(٤) زيادة من شرح الأخبار.

الله ورسوله، و[تقدَّم][1] أبو بَكْر وعمر، فقالا : يا رسول الله؛ لقد طالت [منذ][2] اليوم مُناجاتك لِعَلِيّ. فقال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه-: "مَا أَنَا انْتَجَيْتُهُ، وَلَكِنَّ اللهَ انْتَجَاهُ."

[٢٦٠] /وقد عرف جميع النَّاس اختصاص رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه- لوصيّه علي بن أبي طالب -عليه السَّلام-، وتقريبه له دون أصحابه، فلم يكن لأحد فضله في عهد رسول الله.

وفي إسناد أبي غسَّان، عن عليّ -عليه السَّلام-، أنَّه قال[3]:

"لَمَّا أنزل الله -تعالى-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً﴾[المجادلة: ١٢]. [١٩٣/و] قال عليٌّ -عليه السَّلام-: كان عندي دينار فصرفته بعشرة دراهم، وكنتُ إذا أردتُ أن أُناجي رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آله- فأدفع منها[4] حتَّى فنيت، و لم يفعل ذلك أحد غيري من المسلمين، فأنزل الله -عزّ وجلّ-: ﴿أَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ﴾[المجادلة: ١٣]. إلى آخر الآية. فلم يعمل بآية النَّجْوى أحد غيري".

وذلك بإجماع من المسلمين، وقد ذكر الزَّمَخْشَرِيّ والثَّعْلَبِيّ ذلك في تفسيريهما هذه الآية، وأنَّه لم يقم بآية النَّجْوَى من المسلمين غير عليّ بن أبي

(١) زيادة من شرح الأخبار.

(٢) زيادة من شرح الأخبار.

(٣) انظر: شرح الأخبار ٢/٨٢٨.

(٤) شرح الأخبار: "تصدقت بدرهم".

طالب –عليه السّلام.

وفضائله كثيرة مشهورة، والجاحدون لفضله <بها مقرُّون،>(١) غير منكرين لأكثرها، ولم يُشْهَر لأبي بَكْر وعمر وغيرهما من الصَّحابة في آية النَّجْوى أَمْر، ولا ظهر لهما ذِكْر.

وقد قال عليّ بن أبي طالب –عليه السّلام–(٢):

وضع رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– فاه على أذني ففتح لي من العلوم ألف باب، انفتح لي من كلّ باب منها ألف باب.

ولم يُرْوَ ذلك في أحد من الصَّحابة، بل قال أبو بَكْر: وَلِيْتُكُمْ وَلَسْتُ بِخَيْرِكُمْ. وفيكم من <هو>(٣) أفقه منّي.

[٢٦١] /وقال عُمَر:(٤) لا تُغالوا [١٩٣/ظ] في صَدُقات النِّساء، ما أصدق رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– امرأة من نسائه أكثر من اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أُوقِيَّةً. فقالت له امرأة ليست من أعلم النِّساء: يا أمير المؤمنين؛ لِمَ تَمْنَعُنا حَقًّا أَوْجَبَهُ اللهُ لنا؟ فقال –تعالى–: ﴿وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلاَ تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْئًا﴾[النساء: ٢٠]. إلى آخر الآية. فخجل عمر بن الخطّاب، والتفت إلى من لديه، فقال: أتسمعون منّي مثل هذا ولا تُنْكِرونَهُ، حتّى تردّه عَلَيَّ امرأة ليست من أعلم

(١) زيادة من "ب".

(٢) انظر: بصائر الدرجات ٣٢٤، الخصال ٦٤٣–٦٤٨، ترجمة الإمام علي لابن عساكر ٤٨٣/٢–٤٨٥، فرائد السّمطين ١٠١/١، الطرائف لابن طاووس ٥١٨

(٣) زيادة من "ب".

(٤) انظر: طبقات ابن سعد ١٦١/٨، دعائم الإسلام ٨٥/١.

النِّساء.

ومثل هذا كثير لو تقصَّيناه ما أَحْصَيْناه، لكنَّا لم نرد ذكر ذلك، وإنَّما ذكرنا مُناجاة رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آله– لابن عمّه، واختصاصه إيّاه، وإنكار مَنْ أنكر ذلك طَعْناً على الرَّسول، وتجرُّؤًا عليه في تفضيله من هو من أهل التَّفْضيل.

[شُهَدَاءُ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَ الطَّائِفِ]

والذين استشهدوا في الطَّائف من المسلمين اثْنا عَشَرَ رَجُلاً: من قُرَيْش سبعة، ومن الأنصار أربعة، ومن بني لَيْثٍ واحد.

[شِعْرُ بُجَيْرٍ في حُنَيْنٍ وَالطَّائِف]

ولَمَّا انصرف رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– عن الطَّائف بعد القتال والْحِصار، قال بُجَيْر بن زُهَير يذكر حُنَيْنا والطَّائف(١): [١٩٤/و]

كَانَتْ عُلالَةُ يَوْمَ بَطْنِ حُنَيْنِ   وَغَدَاةَ أَوْطَاسٍ وَيَوْمَ الأَبْرَقِ
جَمَعَتْ بِإِغْوَاءِ هَوَازِنُ جَمْعَهَا   فَتَبَدَّدُوا كَالطَّائِرِ الْمُتَمَزِّقِ
لَمْ يَمْنَعُوا مِنَّا مَقَاماً وَاحِداً   إِلاَّ جِدَارَهُمُ وَبَطْنَ الْخَنْدَقِ
وَلَقَدْ تَعَرَّضْنَا لِكَيْمَا يَخْرُجُوا   فَتَحَصَّنُوا مِنَّا بِبَابٍ مُغْلَقِ
تَرْتَدُّ حَسْرَاناً إِلَى رَجْرَاجَةٍ   شَهْبَاءَ تَلْمَعُ بِالْمَنَايَا فَيْلَقِ
مَلْمُومَةٍ خَضْرَاءَ لَوْ قَذَفُوا بِهَا   حَضَناً لَظَلَّ كَأَنَّهُ لَمْ يُخْلَقِ
مَشْيَ الضِّرَاءِ عَلَى الْهِرَاسِ كَأَنَّنَا   قُدُرٌ تُفَرِّقُ فِي الْقِيَادِ وَتَلْتَقِي

(١) انظر: السِّيرة النَّبويّة ٤٨٧/٤–٤٨٨.

فِي كُلِّ سَابِغَة إِذَا مَا استَحْصَنَتْ ... كَالنَّهْيِ هَبَّتْ رِيحُـهُ الْمُتَرَقْـرِقِ
جُدُلٌ تَمَـسُّ فُضُـولُهُنَّ نِعَالَنَـا ... مِنْ نَسْـجِ داوُودٍ وَآلِ مُحَـرِّقِ

[٢٦٢] /**[مَنّ الرَّسول –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه– على هَوازِن]**

وسار رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آله– من ثَقِيف، وقد قيل له: ادْعُ يا رسول الله على ثَقِيْف. فقال –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه–: "اللَّهُمَّ اهْدِ ثَقِيفاً وَأْتِ بِهِمْ".

ولَمَّا انتهى رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه– إلى الْجِعْرانَة وَصَلَ وَفْدُ هَوازِن، وسألوه رجوع نسائهم وأبنائهم، وقالوا: يا رسول الله؛ إنَّما السَّبايا عَمَّاتُكَ وَخَالاتُكَ وحَواضِنُكَ اللاتي كُنَّ يَكْفُلْنَكَ، ولو أنَّا مَلَحْنا للحارث بن أبي شِمْرٍ، [١٩٤/ظ] أو للنُّعمان بن الْمُنْذِرِ، ثُمَّ نَزَلَ مِنَّا بِمِثْلِ الَّذي نَزَلْتَ به، رَجَوْنا عَطْفَهُ، وأَنْتَ خَيْرُ الْمَكْفُولِيْنَ، وقد أتيناك مسلمين.

فقال رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه–: " أَمْوَالُكُمْ أَحَبُّ إِلَيْكُمْ أَمْ نِسَاؤُكُمْ وَأَوْلاَدُكُمْ؟".

فقالوا: يا رسول الله، خيَّرتنا بين أموالنا وأحسابنا، بل تردّ إلينا نساءنا وأبناءنا، فهو أحبّ إلينا.

وكان سَبْي هَوازِن سِتَّة آلاف من الذَّراري والنِّساء، ومن الإِبْلِ والشَّاء ما لا يُدْرى عدده.

فقال رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه–: "أَمَّا مَا كَانَ لِي وَلِبَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَهْوَ لَكُمْ، وَإِذَا مَا أَنَا صَلَّيْتُ الظُّهْرَ بِالنَّاسِ، فَقُومُوا فَقُولُوا: إِنَّا

نَسْتَشْفِعُ بِرَسُولِ اللهِ إِلَى الْمُسْلِمِينَ، وَبِالْمُسْلِمِينَ إِلَى رَسُولِ اللهِ فِي أَبْنَائِنَا وَنِسَائِنَا، فَسَأُعْطِيكُمْ عِنْدَ ذَلِكَ، وَأَسْأَلُ لَكُمْ المسلمين".

فلَمَّا صلَّى رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آله– بالنَّاس الظُّهر، قاموا فتكلَّموا بالذي أمرهم به، فقال رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آله–: "وَأَمَّا مَا كَانَ لِي وَلِبَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِب فَهْوَ لَكُمْ". فقال المهاجرون والأنصار: وما كان لنا فهو لرسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آله. فقال الأَقْرَعُ بن حابس: أمَّا أنا وبنو تَمِيمٍ فَلاَ. وقال عُيَيْنَةُ بن حِصْن: أمَّا أنا وبنو فَزارَةَ فَلاَ. وقال عبَّاس بن مِرْداسٍ: [١٩٥/و] أمَّا أنا وبنو سُلَيْم فَلاَ. فقالت بنو سُلَيْمٍ: بَلَى، ما كان لنا فهو لرسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه. فقال العبَّاس بن مِرْداس لقومه من [بني](1) سُلَيْم: وَهَّنْتُمُوني.

فقال رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه–: "أَمَّا مَنْ تَمَسَّكَ مِنْكُمْ بِحَقِّهِ مِنْ هَذَا السَّبْيِ فَلَهُ بِكُلِّ إِنْسَانٍ سِتُّ فَرَائِضَ، مِنْ أَوَّلِ سَبْيٍ أُقَسِّمُهُ".

[٢٦٣] /فَرَدَّ النَّاس ما عندهم من النِّساء والأَبْناء، إلاَّ عُيَيْنَة بن حِصْن، كانت عنده امرأة عجوزة، فقال: إنِّي لأَحْسَبُ لها في الْحَيِّ نَسَباً، وعسى أنْ يَعْظُمَ فداؤها.

فقال له أبو صُرَد زُهَيْرُ بن صُرَد: خُذْها عَنْكَ، فَوالله ما فُوها بِبَارِدٍ، ولا ثَدْيُها بِنَاهِدٍ، ولا بَطْنُها بِوَالِدٍ، ولا زَوْجُها بِوَاجِدٍ، ولا دَرُّهَا بِمَاكِدٍ.

فردَّها بِسِتّ فَرائِضَ حين قال له زُهَيْر ما قال. فزعموا أن عُيَيْنَة لقي

(١) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة.

الأَقْرَع بن حابس، فشكا إليه ذلك، فقال: إنَّكَ والله ما أَخَذْتَهَا بَيْضَاءَ غَرِيْرَةً، ولا نَصَفاً وَثِيْرَةً.

[إِسْلامُ مَالِك بن عَوْفٍ النَّصْرِيِّ]

فقال رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آله–: "أَخْبِرُوا مالِكاً أَنَّهُ إِنْ أَتَانِي مُسْلِماً رَدَدْتُ عَلَيْهِ أَهْلَهُ وَمَالَهُ، وَأَعْطَيْتُهُ مِئَةً مِنَ الإِبْلِ".

فأتى مالكٌ بذلك، فخرج إليه من [١٩٥/ظ] الطَّائف. وقد كان مالكٌ خاف ثَقِيْفاً على نفسه أن يَعْلَمُوا ذلك، فيحبسوه، فخرج ليلاً، ثُمَّ أتى رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آله– وأدركه بالْجِعْرانة أو بمكّة، فأسلم، فَرَدَّ عليه رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آله– أهله وماله، وأعطاه مِئَةً من الإِبْلِ.

وقال مالكُ بن عَوْفٍ حين أسلم[1]:

مَا إِنْ رَأَيْتُ وَلاَ سَمِعْتُ بِمِثْلِهِ … فِي النَّاسِ كُلِّهِمْ بِمِثْلِ مُحَمَّدِ
أَوْفَى وَأَعْطَى لِلْجَزِيْلِ إِذَا اجْتُدِي … وَمَتَى تَشَأْ يُخْبِرْكَ عَمَّا فِي غَدِ
وَإِذَا الْكَتِيْبَةُ عَرَّدَتْ أَنْيَابُهَا … بِالسَّمْهَرِيِّ وَضَرْبِ كُلِّ مُهَنَّدِ
فكأَنَّهُ لَيْثٌ عَلَى أَشْبَالِهِ … وَسْطَ الْهَبَاءَةِ خَادِرٌ فِي مَرْصَدِ

فاستعمله رسولُ الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آله– على من أَسْلَمَ من قَوْمِه؛ وتلك القَبائلُ: ثُمَالَةُ وَسَلِمَةُ وَفَهْمُ، فكان يُقاتل بهم ثَقِيْفاً، لا يخرج لهم سَرْحٌ إلا أَغارَ عليه، حتَّى ضَيَّقَ عليهم، فقال أبو مِحْجَنِ بن حَبِيْبِ بن عَمْرو

(١) انظر: السِّيرة النبويّة ٤/٤٩١، المغازي ٣/٩٥٦.

ابن عُمَيْر الثَّقفيّ"[1]:

هَابَتِ الأَعْدَاءُ جَانِبَنَا … ثُمَّ تَغْزُونَا بَنُو سَلِمَهْ
وَأَتَانَا مَالِكٌ بِهِمُ … نَاقِضاً لِلْعَهْدِ وَالْحُرُمَهْ
وَأَتَوْنَا فِي مَنَازِلِنَا … وَلَقَدْ كُنَّا أُولِي نَقِمَهْ

/[قسم الفَيْءِ] [٢٦٤]

وَلَمَّا فرغ رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آله– من رد [١٩٦/و] سبايا حُنَيْن إلى أهلها، ركب، واتَّبعه النَّاس يقولون: يارسول الله؛ اقْسِمْ علينا فَيْئَنا من الإِبْلِ وَالغَنَمِ، حتَّى أَلْجَؤُوهُ إلى شجرة، فاختطفت عنه رِداءه، فقال: "أَدُّوا عَلَيَّ رِدَائِي أَيُّهَا النَّاسُ، فَوَاللهِ أَنْ لَوْ كَانَ لَكُمْ بِعَدَدِ شَجَرِ تِهَامَةَ نَعَماً لَقَسَمْتُهُ عَلَيْكُمْ، ثُمَّ مَا أَلْفَيْتُمُونِي بَخِيْلاً وَلاَ جَبَاناً وَلاَ كَذَّاباً". وقام إلى بعير فأخذ وَبْرَةً مِنْ سنامه فَجَعَلَهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ ثُمَّ رَفَعَهَا، ثُمَّ قَالَ: "أَيُّهَا النَّاسُ؛ والله مَا لِي مِنْ فَيْئِكُمْ وَلاَ هَذِه الوَبَرَةَ إِلاَّ الْخُمُسَ وَالْخُمُسُ مَرْدُودٌ عَلَيْكُمْ. فَأَدُّوا الْخِيَاطَ وَالْمِخْيَطَ فَإِنَّ الغُلُولَ يَكُونُ عَلَى أَهْلِهِ عَاراً وَنَاراً وَشَنَاراً يَوْمَ القِيَامَةِ".

قالوا[2]: وكان عَقِيْلُ بن أبي طالبٍ دَخَلَ يوم حُنَيْنٍ على امرأته فاطِمَةَ بنت شَيْبَةَ بن رَبِيْعَةَ، وسيفه مُتَلَطِّخٌ بالدَّم، فقالت: إنِّي قد عرفت أنَّكَ قد قاتلتَ، فماذا أَصَبْتَ من غنائم المشركين؟ فقال: ما عندي غير هذه الإِبْرَةِ. ودفعها إليها، ثُمَّ سمع مُنادي رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آله– يقول: مَنْ أَخَذَ شيئاً فليردّه، أدّوا الخياطَ [١٩٦/ظ] والمخيط. فقال عَقِيْل لامرأته: ما

(١) انظر: السِّيرة النبويّة ٤/٤٩١–٤٩٢، المغازي ٣/٩٥٥–٩٥٦.
(٢) انظر: السِّيرة النبويّة ٤/٤٩٢.

أظنّ إبرتك إلاّ قد فاتتك. ثُمَّ أخذها منها، وذهب وألقاها في الغنائم.

[عطاء الْمُؤَلَّفة قلوبهم]

وَأَعْطَى رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- الْمُؤَلَّفَة قُلوبهم -لم يُسْلِمُوا إلاَّ طمعاً في الدُّنيا وطلباً لها- فتألَّفهم على الإسلام، فَأَعْطَى أبا سُفْيَانَ [بن حَرْب](١) مِئَةَ بَعِيْر، وَأَعْطَى ابنه مُعاوِيَةَ مِئَةَ بَعِيْر، [وأعطى حَكِيْم بن حِزامٍ مِئَةَ بَعِيْر،](٢) وَأَعْطَى الْحَارِثَ [بن الْحَارِث](٣) بن كَلَدَةَ مِئَةَ بَعِيْرٍ، [وأعطى] أخَا بني عبد الدَّار مِئَةَ بَعِيْرٍ، وَقِيْلَ: هو نُصَيْر بن الْحَارِث بن كَلَدَة.

وأعْطَى الْحَارِثَ بن هِشامٍ مِئَةَ بَعِيْرٍ، وَأَعْطَى سُهَيْلَ بن عَمْرٍو مِئَةَ بَعِيْر، وَأَعْطَى حُوَيْطِبَ بن عبد العُزَّى مِئَةَ بَعِيْر، وَأَعْطَى العَلاَءَ بن جَارِيَةَ الثَّقَفِيَّ حَلِيْفَ بني زُهْرَةَ مِئَةَ بَعِيْر، وأَعْطَى عُيَيْنَةَ /بن حِصْنِ بن حُذَيْفَةَ بن بَدْر مِئَةَ بَعِيْرٍ، وَأَعْطَى الأَقْرَعَ بن حَابِسٍ التَّمِيْمِيَّ مِئَةَ بَعِيْر، وَأَعْطَى مَالِكَ بن عَوْف النَّصْرِيَّ مِئَةَ بَعِيْر، وَأَعْطَى صَفْوانَ بن أُمَيَّةَ مِئَةَ بَعِيْر، وَأَعْطَى رِجَالاً مِنْ قُرَيْشٍ دُونَ الْمِئَة. [٢٦٥]

[شِعْرُ ابن مِرْدَاسٍ يَسْتَقِلّ مَا أَخَذَ وَإِرْضَاءُ الرَّسُولِ لَهُ]

وَأَعْطَى عبَّاس بن مِرْداس أَبَاعِرَ دُونَ الْمِئَة، فَسَخِطَهَا وقال يُعَاتِبُ

(١) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة.

(٢) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة.

(٣) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة.

رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ-(١):

وَكَانَتْ نِهَاباً تَلاَفَيْتُهَا ... بِكَرِّي عَلَى الْمُهْرِ فِي الأَجْرَعِ [١٩٧/و]

وَإِيْقَاظِي الْقَوْمَ أَنْ يَرْقُدُوا ... إِذَا هَجَعَ النَّاسُ لَمْ أَهْجَعِ

فَأَصْبَحَ نَهْبِي وَنَهْبُ الْعُبَيْـ ... ـدِ بَيْنَ عُيَيْنَةَ وَالأَقْرَعِ

وَقَدْ كُنْتُ فِي الْحَرْبِ ذا تُدْرَأٍ ... فَلَمْ أُعْطَ شَيْئاً وَلَمْ أُمْنَعِ

إِلاَّ أَفَائِلَ أُعْطِيْتُهَا ... عَدِيْدَ قَوَائِمِهَا الأَرْبَعِ

وَمَا كَانَ حِصْنٌ وَلاَ حَابِسٌ ... يَفُوقَانِ شَيْخِي فِي الْمَجْمَعِ

وَمَا كُنْتُ دُونَ امْرِئٍ مِنْهُمَا ... وَمَنْ تَضَعِ الْيَوْمَ لاَ يُرْفَعِ

وقال النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ-: "اذْهَبُوا [بِهِ،](٢) فَاقْطَعُوا عَنِّي لسانه". فأعطوه حتَّى رَضِي.

[سُؤال الرَّسُول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- عن عدم إعطائه جُعَيْلاً]

وقال(٣) قائلٌ لرسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ-: أَعْطَيْتَ الأَقْرَعَ بن حَابِس، وعُيَيْنَة بن حِصْن مِئَةً مِئَةً، وتَرَكْتَ جُعَيْل بن سُرَاقَة الضَّمْرِيّ.

فقال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ-: "أَمَا وَالَّذي نَفْسُ مُحَمَّد بِيَده؛ لَجُعَيْلُ بْنُ سُرَاقَة خَيْرٌ مِنْ طِلاَعِ الأَرْضِ كُلِّهِمْ، لاَ مِثْلَ عُيَيْنَةَ بْنِ حِصْنٍ، وَالأَقْرَعَ ابْنِ حَابِسٍ، وَلَكِنِّي تَأَلَّفْتُهُما لِيُسْلِمَا، وَوَكَلْتُ جُعَيْلَ بْنَ سُرَاقَةَ إِلَى إِسْلاَمِهِ".

(١) انظر: ديوانه ١١١-١١٢.

(٢) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة.

(٣) انظر: شرح الأخبار ٣١٧/١، أنساب الأشراف ١٨/٤، السيرة النبوية ٤٩٦/٤.

[٢٦٦] /[اعتراض ذي الْخُوَيصرة التَّميميّ]

وَجاء(١) ذُو الْخُوَيْصِرَةِ إلى رَسُولِ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- وهو من بني تَميم- فوقف على رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- وهو يُعْطِي النَّاس، فقال: يَا مُحَمَّدَ؛ ما عَدَلْتَ فيما قسمت!

فَغَضِبَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ-، وقال: [١٩٧/ظ] "وَيْحَكَ؛ إِذْ لَمْ يَكُنِ العَدْلُ عِنْدِي فَعِنْدَ مَنْ يَكُونُ؟"(٢).

وقالَ رسولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ-: "إِنَّهُ سَيَكُونُ لَهُ شِيْعَةٌ يَتَعَمَّقُونَ فِي الدِّيْنِ حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهُ كَمَا يَخْرُجُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، يُنْظَرُ فِي النَّصْلِ فَلاَ يُوْجَدُ شَيْءٌ، ثُمَّ فِي القِدْحِ فَلاَ يُوْجَدُ شَيْءٌ، ثُمَّ فِي الفُوْقِ فَلاَ يُوْجَدُ شَيْءٌ، سَبَقَ الفَرْثَ وَالدَّمَ".

[وقال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- فيهم](٣): "وإِنَّهُمْ لَشَرّ الْخَلْقِ وَالْخَلِيْقَةِ، يقتلهم خير الخلق والخليقة".

فكان أولئك الخوارج الذين خرجوا على أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب -عليه السّلام-، فقتلهم في النَّهْرَوان.

[شعر حسَّان بن ثابت في حرمان الأنصار]

ولَمَّا أعطى رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- مَنْ أَعْطى؛ من

(١) انظر: السيرة النبوية ٤/٤٩٦.

(٢) "آ" و "ب" +: "وأنا أَعْدَلُ مَنْ فِي السَّماء" وارتأيت حذفها.

(٣) زيادة يقتضيها السِّياق.

قُرَيْش وقبائل العرب، ولم يعط الأنصار شيئاً، قال حسَّان بن ثابت يُعاتِبه في ذلك(١):

زادَتْ هُمُومٌ فَمَاءُ الْعَيْنِ مُنْحَدِرُ ... سَحّاً إِذَا حَفَلَتْهُ عَبْرَةٌ دِرَرُ

وَجْداً بِشَمَّاءَ إِذْ شَمَّاءُ بَهْكَنَةٌ ... هَيْفَاءُ لاَ دَنَسٌ فِيْهَا وَلاَ خَوَرُ

دَعْ عَنْكَ شَمَّاءَ إِذْ كَانَتْ مَوَدَّتُهَا ... نَزْراً وَشَرُّ وِصَالِ الْوَاصِلِ النَّزِرُ [١٩٨/و]

وَأْتِ الرَّسُولَ فَقُلْ يَا خَيْرَ مُؤْتَمَنٍ ... لِلْمُؤْمِنِيْنَ إِذَا مَا عُدِّدَ البَشَرُ

عَلاَمَ تُدْعَى سُلَيْمٌ وَهْيَ نَازِحَةٌ ... قُدَّامَ قَوْمٍ هُمُ آوَوْا وَهُمْ نَصَرُوا

سَمَّاهُمُ اللهُ أَنْصَاراً بِنَصْرِهِمِ ... دِيْنَ الْهُدَى وَعَوَانُ الْحَرْبِ تَسْتَعِرُ

/وَسَارَعُوا فِي سَبِيْلِ اللهِ وَاعْتَرَفُوا ... لِلنَّائِبَاتِ وَمَا خَامُوا وَمَا ضَجِرُوا [٢٦٧]

وَالنَّاسُ أَلْبٌ عَلَيْنَا فِيْكَ لَيْسَ لَنَا ... إِلاَّ السُّيُوفَ وَأَطْرَافَ الْقَنَا وَزَرُ

نُجَالِدُ النَّاسَ لاَ نُبْقِي عَلَى أَحَدٍ ... وَلاَ نُضَيِّعُ مَا تُوحِي بِهِ السُّوَرُ

وَلاَ تَهِرُّ جُنَاةُ الْحَرْبِ نَادِيَنَا ... وَنَحْنُ حِيْنَ تَلَظَّى نَارُهَا سُعُرُ

كَمَا رَدَدْنَا بِبَدْرٍ دُوْنَ مَا طَلَبُوا ... أَهْلَ النِّفَاقِ وَفِيْنَا يُنْزَلُ الظَّفَرُ

وَنَحْنُ جُنْدُكَ يَوْمَ النَّعْفِ مِنْ أُحُدٍ ... إِذْ حَزَّبَتْ بَطَراً أَحْزَابَهَا مُضَرُ

فَمَا وَنِيْنَا وَمَا خِمْنَا وَمَا خَبَرُوا ... مِنَّا عِثَاراً وَكُلُّ النَّاسِ قَدْ عَثَرُوا

[وَجَدَ الأَنْصَارُ لِحِرْمَانِهِمْ فَاسْتَرْضَاهُمْ الرَّسُولُ]

ووجدت الأنصار في أنفسها حين أعطى رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- من أعطى من الغنائم، وتركهم ولم يعطهم شيئاً، حتَّى كثر في ذلك القول منهم، وقالوا: لَقِيَ رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- قَوْمَهُ.

(١) انظر: ديوانه: ٢٦٥.

فدخل[١] سَعْد بن عُبَادَة الأنصاريّ على رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ-، فقال: يا رَسُولَ الله؛ إنَّ هذا الحَيَّ مِنَ الأَنْصار [١٩٨/ظ] قد وجدوا عليكَ فِي أَنْفُسِهِمْ، لِمَا صَنَعْتَ فِي هذا الفَيْءِ الَّذي قَسَّمْتَ في قَوْمِكَ، وأعطيتَ عطايا عِظَاماً في قبائل العرب، ولم يكن في هذا الحيّ من الأنْصار منها شَيْءٌ.

فقال [له رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آله-:][٢] "فَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ ذَلِكَ يَا سَعْدُ؟". قال: يا رسول الله ما أنا إلاَّ [رَجُلٌ][٣] مِنْ قومي. قال: "فَاجْمَعْ لِي قَوْمَكَ فِي هَذِهِ الْحَظِيْرَةِ".

فلَمَّا اجتمعوا أَتَى سَعْد إلى رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آله-، فقال: هذه الأَنْصار قد اجتمعت. فأتاهم رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ-، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ بما هو أهله، ثُمَّ قَالَ[٤]:

"يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ؛ مَا مَقَالَةٌ بَلَغَتْنِي عَنْكُمْ، وَمَوْجِدَةٌ وَجَدْتُمُوهَا عَلَيَّ فِي أَنْفُسِكُمْ، أَلَمْ آتِكُمْ ضُلاَّلاً فَهَدَاكُمُ اللهُ، وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمُ اللهُ، وَأَعْدَاءً فَأَلَّفَ اللهُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ؟ فَقَالُوا: بَلَى؛ لِلَّهِ وَلِرَسُوْلِهِ الْمَنُّ وَالفَضْلُ. ثُمَّ قَالَ: أَلاَ تُجِيْبُونِي يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ؟ قَالُوا: وَبِمَا نُجِيْبُكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ لِلَّهِ /وَلِرَسُوْلِهِ الْمَنُّ [٢٦٨] وَالفَضْلُ. قَالَ: أَمَا واللهِ لَوْ شِئْتُمْ لَقُلْتُمْ فَلَصَدَقْتُمْ وَلَصُدِّقْتُمْ: أَتَيْتَنَا مُكَذَّباً

(١) انظر: شرح الأخبار ١/٣١٧-٣١٨، السيرة النبوية: ٤/٤٩٨-٤٩٩.

(٢) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة.

(٣) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة.

(٤) انظر: السيرة النبوية: ٤/٤٩٩-٥٠٠.

فَصَدَّقْنَاكَ، وَمَخْذُوْلاً فَنَصَرْنَاكَ، وَطَرِيْداً فَآوَيْنَاكَ، [١٩٩/و] وَعَائِلاً فَآسَيْنَاكَ. أَوَجَدْتُمْ -يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ- فِي لُعَاعَةٍ مِنَ الدُّنْيَا تَأَلَّفْتُ بِهَا قَوْماً لِيُسْلِمُوا، وَوَكَلْتُكُمْ إِلَى إِسْلاَمِكُمْ، أَفَلاَ تَرْضَوْنَ يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاءِ وَالبَعِيْرِ، وَتَرْجِعُونَ بِرَسُولِ اللهِ فِي رِحَالِكُمْ؟ فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ؛ لَوْلاَ الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ رَجُلاً مِنَ الأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ شِعْباً، وَسَلَكَ الأَنْصَارُ شِعْباً، لَسَلَكْتُ شِعْبَ الأَنْصَارِ، اللَّهُمَّ ارْحَمِ الأَنْصَارَ، وَأَبْنَاءَ الأَنْصَارِ، وَأَبْنَاءَ أَبْنَاءِ الأَنْصَارِ".

[قَال:][١] فبكى الأنصار حَتَّى اخضلَّت لحَاهُمْ، وقالوا: رَضِيْنا برسول الله [قَسْماً وَحَظّاً][٢]. وَتَفَرَّقُوا عنه <راضِينَ>[٣].

[عُمْرَة الرَّسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- من الْجِعْرانَة]

وخرج رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- من الْجِعْرانَةِ مُعْتَمِراً، وأمر ببقايا الفَيْءِ فَحُبِسَ بِمَجَنَّة، بناحية مَرّ الظَّهْران، فلَمَّا فَرَغَ رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- من عُمْرَتِهِ انْصَرَفَ راجعاً إلى الْمَدينة، واسْتَخْلَفَ عتَّاب بن أَسِيْد على مكَّة، وخَلَّفَ معه مُعاذ بن جَبَل، يعلِّم النَّاس القرآن، ويفقّههم فِي الدِّين، واتُّبِعَ رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- بِبَقايا الفَيْء.

وكانت عُمْرَةُ رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- في ذي [١٩٩/ظ] القَعْدَة، فَقَدِمَ الْمَدينة في ليالٍ بقين من ذي القَعْدَة. وحج بالنَّاس تلك السَّنة

(١) زيادة من السيرة النبوية.

(٢) زيادة من السيرة النبوية.

(٣) زيادة من "ب".

عَتَّابُ بن أَسِيْدٍ.

[أمر كَعْب بن زُهَيْر بعد الانصراف عن الطَّائِف]

وَقَدِمَ على رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– كَعْب بن زُهَيْر بن أبي سُلْمَى بعد انصرافه من الطَّائِف.

وقد كان يهجو رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– ويُؤذيه، فلَمَّا افتتح مكَّة، كتب إلى أخيه بُجَيْر بن زُهَير، وقال[١]:

مَنْ مُبْلِغٌ عَنِّي بُجَيْراً رِسَالَةً ... فَهَلْ لَكَ فِيمَا قُلْتُ بِالْخَيْفِ هَلْ لَكَا

[٢٦٩] /شَرِبْتَ مَعَ الْمَأْمُونِ كَأْساً رَوِيَّةً ... فَأَنْهَلَكَ الْمَأْمُونُ مِنْهَا وَعَلَّكَا

وَخَالَفْتَ أَسْبَابَ الْهُدَى وَاتَّبَعْتَهُ ... عَلَى أَيِّ شَيْءٍ وَيْبَ غَيْرِكَ دَلَّكَا

عَلَى خُلُقٍ لَمْ تُلْفِ أُمّاً وَلاَ أَباً ... عَلَيْهِ وَلَمْ تُدْرِكْ عَلَيْهِ أَخاً لَكَا

فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَفْعَلْ فَلَسْتُ بِآسِفٍ ... وَلاَ قَائِلٍ إِمَّا عَثَرْتَ: لَعاً لَكَا

يعني بـ"الْمَأْمُون": رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ.

فأجابه أخوه بُجَيْر، وكتب إليه بُجَيْر بن زُهَيْر يُخوِّفه، ويُشير عليه بالإسلام، وقال له: إنَّ رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– لا يقتل من جاءه مُسْلِماً. فأقبل كَعْب حتَّى دخل على النَّبِيّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ.

[وقال بُجَيْر لكَعْب][٢] :

[٢٠٠/و] مَنْ مُبْلِغٌ كَعْباً فَهَلْ لَكَ فِي الَّتِي ... تَلُومُ عَلَيْهَا بَاطِلاً وَهْيَ أَحْزَمُ

---

(١) انظر: شرح ديوان كعب بن زُهير ٣-٤.

(٢) انظر: السّيرة النّبويّة ٤/٥٠٢.

إِلَى اللهِ لاَ الْعُزَّى وَلاَ اللاَّتِ وَحْدَهُ ... فَتَنْجُو إِذَا كَانَ النَّجَاءُ وَتَسْلَمُ

لَدَى يَوْمٍ لاَ يَنْجُو وَلَيْسَ بِمُفْلِتٍ ... مِنَ النَّاسِ إِلاَّ طَاهِرُ الْقَلْبِ مُسْلِمُ

فَدِيْنُ زُهَيْرٍ وَهْوَ لاَ شَيْءَ دِيْنُهُ ... وَدِيْنُ أَبِي سُلْمَى عَلَيَّ مُحَرَّمُ

وأنشده قصيدته المعروفة التي يقول فيها[١]:

أُنبِئْتُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ أَوْعَدَنِي ... وَالْعَفْوُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ مَأْمُولُ

فَقَدْ أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ مُعْتَذِراً ... والعُذْرُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ مَقْبُولُ

مَهْلاً هَدَاكَ الَّذِي أَعْطَاكَ نَافِلَةَ الْـ ... قُرْآنِ فِيهَا مَوَاعِيْظٌ وَتَفْصِيْلُ

لاَ تَأْخُذَنِّي بِأَقْوَالِ الْوُشَاةِ وَلَمْ ... أُذْنِبْ وَلَوْ كَثُرَتْ فِيَّ الأَقَاوِيْلُ

لَقَدْ أَقُومُ مَقَاماً لَوْ يَقُومُ بِهِ ... أَرَى وَأَسْمَعُ مَا لَوْ يَسْمَعُ الفِيْلُ

لَظَلَّ يَرْعَدُ مِنْ وَجْدٍ بَوَادِرُهُ ... إِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ رَسُولِ اللهِ تَنْوِيْلُ

حَتَّى وَضَعْتُ يَمِيْنِي مَا أُنَازِعُهُ ... فِي كَفِّ ذِي نَقِمَاتٍ قَوْلُهُ الْقِيْلُ

فَلَهْوَ أَخْوَفُ عِنْدِي إِذْ أُكَلِّمُهُ ... وَقِيْلَ إِنَّكَ مَنْسُوبٌ وَمَسْؤُولُ

مِنْ ضَيْغَمٍ بِضَرَاءِ الأَرْضِ مَخْدَرُهُ ... فِي بَطْنِ عَثَّرَ غِيْلٌ دُونَهُ غِيْلُ

يَغْدُو فَيَلْحَمُ ضِرْغَامَيْنِ عَيْشُهُمَا ... لَحْمٌ مِنَ النَّاسِ مَعْفُورٌ خَرَاذِيْلُ

/إِذَا يُسَاوِرُ قِرْناً لاَ يَحِلُّ لَهُ ... أَنْ يَتْرُكَ الْقِرْنَ إِلاَّ وَهْوَ مَفْلُولُ [٢٠٠/ظ][٢٧٠]

مِنْهُ تَظَلُّ حَمِيْرُ الْوَحْشِ نَافِرَةً ... وَلاَ تُمَشِّي بِوَادِيْهِ الأَرَاجِيْلُ

وَلاَ يَزَالُ بِوَادِيْهِ أَخُو ثِقَةٍ ... مُطَرَّحُ الْبَزِّ وَالدِّرْسَانِ مَأْكُولُ

إِنَّ الرَّسُولَ لَنُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ ... مُهَنَّدٌ مِنْ سُيُوفِ اللهِ مَسْلُولُ

فِي عُصْبَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَالَ قَائِلُهُمْ ... بِبَطْنِ مَكَّةَ لَمَّا أَسْلَمُوا زُولُوا

---

(١) انظر: شرح ديوان كعب بن زُهير ١٩– ٢٥.

زَالُوا فَمَا زَالَ أَنْكَاسٌ وَلاَ كُشُفٌ   عِنْدَ اللِّقَاءِ وَلاَ مِيْلٌ مَعَازِيْلُ

يَمْشُونَ مَشْيَ الْجِمَالِ الزُّهْرِ يَعْصِمُهُمْ   ضَرْبٌ إِذَا عَرَّدَ السُّودُ التَّنَابِيْلُ

شُمُّ الْعَرَانِيْنِ أَبْطَالٌ لَبُوسُهُمُ   مِنْ نَسْجِ دَاوُدَ فِي الْهَيْجَا سَرَابِيْلُ

بِيْضٌ سَوَابِغُ قَدْ شُكَّتْ لَهَا حَلَقٌ   كَأَنَّهَا حَلَقُ الْقَفْعَاءِ مَجْدُولُ

لَيْسُوا مَفَارِيْحَ إِنْ نَالَتْ رِمَاحُهُمُ   قَوْماً وَلَيْسُوا مَجَازِيْعاً إِذَا نِيْلُوا

لا يَقَعُ الطَّعْنُ إِلاَّ فِي نُحُورِهِمُ   وَمَا لَهُمْ عَنْ حِيَاضِ الْمَوْتِ تَهْلِيْلُ

قال أبو بَكْر الأَنْبَارِيّ: حدَّثني أبي –رحمة الله عليه–، عن أشياخه، قالوا: لَمَّا أنشد كَعْب بن زُهَير بهذه القصيدة –التي ذكرنا بعضها في الكتاب، قال: وأوَّلها:

بَانَتْ سُعَادُ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَتْبُولُ   مُتَيَّمٌ إِثْرَهَا لَمْ يُفْدَ مَكْبُولُ

غضبت الأنصار، وقالوا: لم يَمْتدحنا مع إخواننا المهاجرين.

قال أبو خالِد: وأخبرني [٢٠١/و] أبو الوَلِيد أحمد بن عبد الله بن طَرِيف، عن أبي القاسم حاتِم بن محمَّد بن عبد الرَّحمن، بإسناده، عن أبي سَعِيد ابن عبد الرَّحِيم البَرْقِيِّ، عن عبد الْمَلِك بن هِشام، قال: ويُقال إنَّ رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ–، قال –حين أنشده "بَانَتْ سُعَادُ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَتْبُولُ"– : "لَوْلاَ ذَكَرْتَ الأَنْصَارَ بِخَيْرٍ، فَإِنَّهُمْ[1] لِذَلِكَ أَهْلٌ".

فقال كَعْب بن زُهَير وساق القَصِيدة على ما رَوَى الأَنْبَارِيّ[2]:

(١) "آ" و "ب" فإنَّ الأنصار" وما أُثبت فهو من السِّيرة النَّبويَّة.

(٢) انظر: شرح ديوان كعب بن زُهير ٢٥-٤١

مَنْ سَرَّهُ كَرَمُ الْحَيَاةِ فَلا يَزَلْ   فِي مِقْنَبٍ مِنْ صَالِحِي الأَنْصَارِ

[تَزِنُ الْجِبَالَ رَزَانَةً أَحْلاَمُهُمْ   وَأَكُفُّهُمْ خَلَفٌ مِنَ الأَمْطَارِ][1]

الْمُكْرِهِيْنَ السَّمْهَرِيَّ بِأَذْرُعٍ   كَصَوَاقِلِ الْهِنْدِيِّ غَيْرِ قِصَارِ

/وَالنَّاظِرِيْنَ بِأَعْيُنٍ مُحْمَرَّةٍ   كَالْجَمْرِ، غَيْرِ كَلِيْلَةِ الإِبْصَارِ [٢٧١]

وَالذَّائِدِيْنَ النَّاسَ عَنْ أَدْيَانِهِمْ   بِالْمَشْرَفِيِّ وَبِالقَنَا الْخَطَّارِ

وَالْبَاذِلِيْنَ نُفُوسَهُمْ لِنَبِيِّهِمْ   يَوْمَ الْهِيَاجِ وَسَطْوَةِ الْجَبَّارِ

دَرِبُوا كَمَا دَرِبَتْ أُسُودُ خَفِيَّةٍ   غُلْبُ الرِّقَابِ مِنَ الأُسُودِ ضَوَارِي

وَهُمُ إِذَا خَوَتِ النُّجُومُ فَإِنَّهُمْ   لِلطَّائِفِيْنَ السَّائِلِيْنَ مَقَارِي

فَإِذَا هُمُ انقَلَبُوا كَأَنَّ ثِيَابَهُمْ   مِنْهَا تَضَوَّعُ فَأْرَةَ العَطَّارِ

[وَالْمُطْعِمُونَ الضَّيْفَ حِيْنَ يَنُوبُهُمْ   مِنْ لَحْمِ كُوْمٍ كَالْهِضَابِ عِشَارِ][2]

وَالْمُنْعِمُونَ الْمُطْعِمُونَ إِذا شَتَوْا / وَالضَّارِبُونَ عِلاَوَةَ الْجَبَّارِ [٢٠١/ظ]

[رُمِيَتْ نَطَاةُ مِنَ الرَّسُولِ بِفَيْلَقٍ   شَهْبَاءَ ذَاتِ مَنَاكِبٍ وَفَقَارِ][3]

بِالْمُرْهَفَاتِ كَأَنَّ لَمْعَ ظُبَاتِهَا   لَمْعُ السَّوَارِي فِي الصَّبِيْرِ السَّارِي

لاَ يَشْتَكُونَ الْمَوْتَ إِنْ نَزَلَتْ بِهِمْ   شَهْبَاءُ ذَاتُ مَعَاقِمٍ وَأُوَارِ

وَإِذا نَزَلْتَ لِيَمْنَعُوكَ إِلَيْهِمُ   أَصْبَحْتَ عِنْدَ مَعَاقِلِ الأَغْفَارِ

وَرِثُوا السِّيَادَةَ كَابِراً عَنْ كَابِرٍ   إِنَّ الْكِرَامَ هُمُ بَنُو الأَخْيَارِ

[لِلصُّلْبِ مِنْ غَسَّانَ فَوْقَ جَرَاثِمٍ   تَنْبُو خَوَالِدُهَا عَنِ الْمِنْقَارِ][4]

(١) زيادة من شرح ديوان كعب بن زُهير.

(٢) زيادة من شرح ديوان كعب بن زُهير.

(٣) زيادة من شرح ديوان كعب بن زُهير.

(٤) زيادة من شرح ديوان كعب بن زُهير.

لَوْ يَعْلَمُ الأَعْدَاءُ عِلْمِيَ فِيْهِمُ ... حَقّاً لَصَدَّقَنِي الَّذِيْنَ أُمَارِي

صَدَمُوا عَلِيّاً يَوْمَ بَدْرٍ صَدْمَةً ... دانَتْ عَلِيٌّ بَعْدَها لِنِزَارِ

يَتَطَهَّرُونَ كَأَنَّهُ نُسُكٌ لَهُمْ ... بِدِمَاءِ مَنْ عَلِقُوا مِنَ الكُفَّارِ

وَإِلَيْهِمُ اسْتَقْبَلْتُ كُلَّ وَدِيْقَةٍ ... شَهْبَاءَ يَسْفَعُ حَرُّهَا كَالنَّارِ

وَمَرِيْضَةٍ مَرَضَ النُّعَاسِ ذَعَرْتُهَا ... بَادَرْتُ عِلَّةَ نَوْمِهَا بِغِرَارِ

وَعَرَفْتُ أَنِّي مُصْبِحٌ بِمَضِيْعَةٍ ... غَبْرَاءَ تَعْزِفُ جِنُّهَا مِذْكَارِ

وَكَسَوْتُ كَاهِلَ حُرَّةٍ مَنْهُوكَةٍ ... بِالفَجْرِ حَارِيَاً عَدِيْمَ شَوَارِ

سَلِسَتْ عَرَاقِيْهِ فَكُلُّ قَبِيْلَةٍ ... مِنْ حِنْوِهِ قَلِقَتْ إِلَى مِسْمَارِ

وَسَدَتْ مُهَمْلِجَةً عُلالَةَ مُدْمَجٍ ... مِنْ فَالِقٍ حَصِدٍ مِنَ الإِمْرَارِ

حَتَّى إِذا اكْتَسَتِ الأَبَارِقُ نُقْبَةً ... مِثْلَ الْمُلاءِ مِنَ السَّرَابِ الْجَارِي

[٢٧٢] /وَرَضِيْتُ عَنْهَا بِالرِّضَاءِ وَسَامَحَتْ ... مِنْ بَعْدِ عُسْرَةِ <ضِغْنِهَا>(١)

[٢٠٢/و] تَنْجُو بِهَا عُنُقٌ كِنَازٌ لَحْمُهَا / حَفَزَتْ فَقَاراً لاَحِقاً بِفَقَارِ

فِي كَاهِلٍ وَشَجَتْ إِلَى أَطْبَاقِهِ ... دَأَيَاتُ مُنْتَفِخٍ مِنَ الأَزْوَارِ

وَتُدِيْرُ لِلْخَرْقِ الْبَعِيْدِ نِيَاطَهُ ... بَعْدَ الْكَلاَلِ وَبَعْدَ نَوْمِ السَّارِي

عَيْناً كَمِرْآةِ الصَّنَاعِ تُدِيْرُهَا ... بِأَنَامِلِ الْكَفَّيْنِ كُلَّ مُدَارِ

بِجَمَالِ مَحْجِرِهَا وَتَعْلَمُ مَا الَّذِي ... تُبْدِي لِنَظْرَةِ زَوْجِهَا وَتُوَارِي

أوردتُ هذه القَصيدة في هذه النّسخة؛ ممَّا رُوِيَ عن الأَنْبَارِيّ الكاتب، لما كانت مختصرة في السِّيَر، واختَصَرْتُ الأُولَى لِكَوْنها مِمَّا ظَهَرَ واشْتَهَرَ.

* * *

(١) زيادة من "ب".

ثُمَّ كانت غزوة تَبُوك

وأقام رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- بالْمَدينة ما بين شهر ذي الحِجَّة إلى رَجَب.

ثُمَّ كانت غزوة تَبُوك، فأمر رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- بالتَّهَيُّؤ لغزو بلاد الرُّوم، فلَمَّا جدّ عزم رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- أتاه سَبْعَةُ نَفَرٍ من الأنصار، وغيرهم من بني عَمْرِو بن عَوْف: سالم بن عُمَيْر، وعُلْبَةُ بن زَيْد، أخو بني حارِثَة، وأبو لَيْلَى عبد الرَّحمن بن كَعْب، أخو بني مازن بن النَّجَّار، وعَمْرُو بن حُمَامِ بن الْجَمُوح، أخو بني سَلِمَةَ، وعبد الله بن الْمُغَفَّلِ الْمُزَنِيّ، وقيل: بل هو عبد الله بن عَمْرٍو الْمُزَنِيّ، وهَرَمِيُّ بن عبد الله، أخو [٢٠٢/ظ] بني واقف، وعِرْبَاضُ بن سارِيَةَ الفَزارِيّ، فَاسْتَحْمَلُوا رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- وكانوا أهل حاجَة، فقال: ﴿لاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا وأعينهم تفيض من الدَّمع حَزَناً ألاَّ يجدوا ما يُنفقون﴾[التوبة: ٩٢]. فَهُمْ الَّذين نزلت فيهم الآية.

[شأن أمير المؤمنين -عليه السَّلام-]

واستخلف رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- عليّ بن أبي طالب -عليه السَّلام- مكانه في الْمَدينة، وأمره فيها، وكبر ذلك في قلوب المنافقين، وقالوا: ما خلَّفه إلا اسْتِثْقالاً له. فأخذ علي بن أبي طالب -عليه السَّلام- سلاحه، ثُمَّ خرج حتَّى أتى رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- وهو نازل بالجُرْف، /فقال: يا رسول الله؛ زعم المنافقون أنَّك إنَّما خلَّفتني اسْتِثْقالاً لي. [٢٧٣]

فقال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ-: "كَذبوا، إِنَّمَا تَرَكْتُكَ لِمَا خلَّفتُ مِنْ بَعْدِي، أَفَلاَ تَرْضَى أَنْ تكونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هارون مِنْ مُوسَى إلاَّ أَنَّهُ لاَ نَبِيَّ بَعْدِي؟"

فرجع عليّ بن أبي طالب إلى الْمَدينة، ومضى رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- على سفره.

وقوله: "أَفَلا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هارُونَ مِنْ مُوسَى" مُجمع عليه، وقد ذكره ابن هِشام في سيرته[1].

ولم يكن عليّ -عليه السّلام- لرسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- بأخٍ في النَّسَب يدلّ على أنّه [٢٠٣/و] وَصِيّ محمَّد وخليفته من بعده، كما قال الله -تعالى- في قصَّة مُوسى: ﴿اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي﴾[الأعراف: ١٤٢]. فإذا كان خليفة رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- في قومه، فهل مَنْ خَالَفَهُ إلاَّ كَالسَّامِرِيّ الَّذي خَالَفَ مُوسَى واتَّخَذَ العِجْلَ؟

وقد قال النَّبِيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ-[2]: "كَائِنٌ فِي أُمَّتِي مَا كَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيْلَ؛ حَذْوَ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ وَالقُذَّةِ بِالقُذَّةِ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ".

وقوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- حقّ، ووعده صدق.

(١) انظر: السّيرة النّبوية ٤/٥٢٠.

(٢) انظر: دعائم الإسلام ١/١، كتاب العين ٤/٣٩٤، المجالس المؤيَّديَّة ١/١٠٢، ١٢٧.

[ناقة الرَّسول ضلَّت وحديث ابن اللُّصَيْت]

ولَمَّا انتهى -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- في بعض الطَّريق ضلَّت ناقته، فخرج في طلبها أصحابه، فقال زَيْد بن اللُّصَيْت القَيْنُقاعِيّ -وكان مُنافقاً-: إنّ محمَّداً يزعم أنَّه يأتيه خبر ما في السَّماء، وهو لا يدري أين ناقته؟ فقال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ-: إنَّ رَجُلاً مِنَ الْمُنافقيْنَ قال: "كيت و"كيت"، "وَإِنِّي وَاللهِ مَا أَعْلَمُ إلاَّ مَا عَلَّمَنِي اللهُ وَقَدْ دَلَّنِي اللهُ عَلَيْهَا، وَهْيَ فِي هَذَا الوادي، فِي شِعْبِ "كذا" و"كذا"، وَقَدْ حَبَسَتْهَا شَجَرَةٌ بِزِمَامِهَا".

فانطلقوا فوجدوا النَّاقة كما قال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- وسأل المسلمون عمَّن قال ذلك من المنافقين، فدلُّوا عليه، وكان في رَحْل عُمارَة بن حَزْم، وكان [٢٠٣/ظ] من الأنصار عَقَبِيّاً بَدْرِيّاً، فجعل عُمارَة يَجَأُ ابن اللُّصَيت في عُنُقِه، ويقول: يا معشر المسلمين؛ إنَّ في رَحْلي لَداهِيَةً وأنا لا أشعر.

[شأن أبي ذَرّ الغفاريّ]

[٢٧٤]

ثُمَّ مضى رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- [سائراً،][1] فجعل يتخلَّفُ عنه الرَّجُل بعد الرَّجُل، فيقولون: يا رسول الله؛ تَخلَّفَ "فُلان". فيقول: "دَعُوهُ، فَإِنْ يَكُ فِيْهِ خَيْرٌ فَسَيُلْحِقُهُ اللهُ -تعالى- بِكُمْ، وَإِنْ يَكُ غَيْرَ ذَلِكَ فَقَدْ أَراحَكُمْ اللهُ مِنْهُ".

حتَّى قِيل: يا رسول الله؛ قد تخلَّف أبو ذَرّ، وأبْطَأَ به بعيره. فقال:

(١) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة.

"دَعُوهُ، إنْ يَكُ فِيهِ خَيْرٌ فَسَوْفَ يَلْحَقُكُمْ". وكان بعير أبي ذرّ قد أبْطأَ عليه، فأخذ متاعه، وأقبل يحمله على ظهره، وهو يسير.

ونزل رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– في [بعض منازله][(١)] فقيل: يا رسول الله؛ إنَّ هذا الرَّجُل يمشي على الطَّريق وحده. فقال رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ–: "كُنْ أبا ذَرّ".

فلَمَّا تأمَّله النَّاس قالوا: هو أبو ذَرّ يا رسول الله. فقال رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ–: "رَحِمَ اللهُ أَبَا ذَرٍّ، يَمْشِي وَحْدَهُ، وَيَمُوتُ وَحْدَهُ، وَيُبْعَثُ وَحْدَهُ".

فكان كما قال رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ–، ومات أبو ذَرّ وحده بالرَّبَذَة، بعد أن نفاه عُثْمان بن عفَّان إليها، ونسبه [٢٠٤/و] إلى الكذب، وقد قال رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ–[(٢)]: "مَا أَظَلَّتِ الخَضْرَاءُ، وَلاَ أَقَلَّتِ الغَبْرَاءُ عَلَى ذِي لَهْجَة أَصْدَقَ مِنْ أبي ذَرّ".

[الصّلح بين الرَّسول –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– ويُحَنَّة]

ولَمَّا انْتهى رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آله– إلى تَبُوكَ، أتاهُ يُحَنَّةُ ابْنُ رُؤْبَةَ صاحب أَيْلَةَ، فصالح رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ–، وأعطاه

(١) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة.

(٢) انظر: أنساب الأشراف ١٧٣/٥، المسائل والأجوبة ٣١٣، تهذيب الآثار "مسند علي" ١٥٨، الغيبة للنعماني ٨٤، أمالي الطوسي ٥٣، ٧١٠، الاختصاص ١٣، تقريب المعارف ٢٦٩، المناقب للخوارزمي ٨٤، فرائد السّمطين ١٦٦/١.

الجزْيَة، وأتاه أَهْلَ جَرْباءَ[(١)] وأَذْرُحَ، فأعطوه الجزْيَة، فكتب رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– [لهم] كِتاباً بالذِّمَّة.

[حديث أسر أُكَيْدِر ثُمَّ مصالحته]

/وبعث رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– مَنْ أَسَرَ أُكَيْدِر دُوْمَةَ، [٢٧٥] وقتل أخاه، وقال: "إِنَّكُمْ سَتَجِدُونَهُ يَصِيْدُ البَقَرَ".

وأُكَيْدِر هذا: هو أُكَيْدِرُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ، رَجُلٌ مِنْ كِنْدَةَ كان مَلِكاً عليها، وكان نَصْرانيّاً.

ولَمَّا وصل أُكَيْدِرُ إلى رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ–، حَقَنَ دمه، وصالحه على الْجِزْيَة.

وفي ذلك يقول بُجَيْرُ بْنُ بُجْرَةَ الطَّائيّ، لقول رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ–: "إِنَّكُمْ سَتَجِدُونَهُ يَصِيْدُ البَقَرَ"[(٢)]:

تَبَارَكَ سَائِقُ الْبَقَرَاتِ إِنِّي ... رَأَيْتُ اللهَ يَهْدِي كُلَّ هَادِ
فَمَنْ يَكُ حَائِداً عَنْ ذِي تَبُوكِ ... فَإِنَّا قَدْ أُمِرْنَا بِالْجِهَادِ

[الرُّجُوعُ إلى الْمَدِينَة]

وأقام رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– بتَبُوك بضع عشرة ليلة، ثُمَّ انصرف قافلاً إلى الْمَدينة.

(١) انظر: معجم البلدان ٤٦/٢.

(٢) انظر: السّيرة النّبوية ٥٢٧/٤.

[حديثُ وادي الْمُشَقَّقِ ومائِهِ]

وكان في الطَّريق ماء يخرج من وَشَلٍ، ما يروي [٢٠٤/ظ] الرَّاكِبَ والرَّاكِبَيْنِ والثَّلاثَةَ، بواد يُقال له: وادي الْمُشَقَّقِ. فقال رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ–: "مَنْ سَبَقَنَا إِلَى ذَلِكَ الوادِي، فَلاَ يَسْتَقِيَنَّ[١] مِنْهُ شَيْئاً حَتَّى نَأْتِيَهُ".

فسبقه إليه نفر من المنافقين، فاستقوا [ما فيه،][٢] فلَمَّا ورد رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– لم يجد ماء، فقال: "من سَبقنا إلى هذا الماء؟" فقالوا: "فُلانٌ" و"فلان" و"فلان"، وجعلوا يعدُّونهم. فَلَعَنَهُمْ رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ–، ثُمَّ نَزَلَ فوضع يده تحت الوَشَلِ، فجعل يَصُبّ في يده ما شاء الله أن يصب من الوَشَلِ، ومَسَحَهُ بيده، ودَعا رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ–، فَذُكِرَ أنَّه انْخَرَقَ من الوَشَلِ مايسمع له حِسّ كَحِسِّ الصَّواعِقِ، فشرب النَّاس واسْتَقَوْا حاجتهم منه، فقال رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ–: "لَئِنْ بَقِيتُمْ أَوْ مَنْ بَقِيَ مِنْكُمْ لَتَسْمَعُنَّ بِهَذا الوادِي وَهُوَ أَخْصَبُ مَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَمَا خَلْفَهُ".

[٢٧٦] /**[أمر مسجد الضِّرار عند القفول من غزوة تَبُوك]**

ثُمَّ أقبل رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– حَتَّى نزل بذِي أَوَانَ، بَلَدٍ بينه وبين الْمَدينة ساعة،– فوجد فيه مسجداً قد بناه المنافقون ليجتمعوا

(١) "ب": "فلا يأخذن".

(٢) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة.

فيه، فأمر رسول الله به فَانْخَرَقَ.

وفيه أنزل الله –تعالى–: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَاراً وَكُفْراً [٢٠٥/و] وَتَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَاداً لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾[التوبة: ١٠٧].

[أمر الذين تخلَّفوا وأمر المعذرين في غزوة تَبُوك]

وقد كان تخلَّف عن رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– كَعْبُ بْنُ مالك، ومُرارَةُ بن الرَّبِيْعِ، وهِلالُ بن أُمَيَّةَ، من غير نفاق، ففيهم أنزل الله –عزّ وجلّ– ما أنزل، وذلك بعد أن أتوا إلى النَّبِيّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ–، وقالوا: ما لنا عذر عن التَّخلُّف إلاّ أن يعفو الله عنَّا، وتستغفر يا رسول الله لنا، فأنزل الله –عزّ وجلّ–: ﴿وَعَلَى الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّواْ أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُواْ إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[التوبة: ١١٨].

ورجع رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– إلى الْمَدينة، وقيل: لم يشهد قتالاً في تلك الغزوة.

وبعض الرُّواة من أهل العلم ذكر أنَّها اجتمعت جموع أهل الرُّوم، وكان بينهم وبين رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– قتال شديد، وأنَّ النَّبِيّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– نادى وصيّه عليّ بن أبي طالب –عليه السَّلام– وهو بالْمَدينة، فسمع صوته ولَبَّاهُ وأَسْرَعَ إليه، فشهد ذلك القتال، وذبَّ عن رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ–، وقاتل المشركين، فهزمهم الله بيده، وعاد إلى الْمَدينة.

[٢٠٥/ظ] وليس بمستذكر ذلك في فضل رسول الله -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- وعليّ -عليه السّلام-، فإنّ الفضل لهم.

وهم يزعمون أنّ عمر نادى سارية وهو أمير في بعض الغزوات: يا سارية؛ "الجبل الجبل". وقد انهزم المسلمون، <فألقاها الله في سمعه، فمال إلى الجبل فتحصّن المسلمون>(١).

[٢٧٧] /وليس دعوة عمر كدعوة النّبيّ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ-، ولا سارية بأسمع من عليّ بن أبي طالب -عليه السّلام-، والله أعلم بذلك، ومعجزات أنبياء الله في أوصيائهم وخلفائهم عظيمة، وأياديه على عباد ربّهم كريمة.

***

(١) زيادة من "ب".

[أمر وفد ثَقِيف وإسلامها في شهر رمضان سنة تسع]

وكان قدوم رسول الله -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- إلى الْمَدينة في شهر رمضان، وقَدِمَ عليه في ذلك الشّهر وفد ثَقِيف فأسلموا.

وقد كان رسول الله -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- قال: "يا أهل الطّائف؛ لتقيمنّ الصّلاة، وتُؤتُنّ الزّكاة أَوْ لأَبْعَثَنَّ عليكم رَجُلاً كَنَفْسِي، يَعْصَاكُمْ بالسَّيْف". ثُمَّ أخذ بيد عليّ -عليه السّلام- فرفعها، فقال عمر: بَخٍ؛ بَخٍ. إنّ هذه الفضيلة.

وأقام وفد ثَقِيف مع النّبيّ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- إلى سلخ شهر رمضان، وأمر رسول الله -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- الْمُغيْرَة بن شعبة، وأبا سفيان بن حَرْب يهدمان اللات وهي صنم ثَقِيف، وكانت تُسَمَّى الطّاغية، يهدمها الْمُغيْرَة، وأبو سُفْيان [٢٠٦/و] يتوجّع لها، ويقول: واهاً لكِ، آهاً لكِ.

[حديث: "لا يُؤَدِّي عنكَ إلاّ رَجُل منكَ"]

وأرسل رسول الله -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- ببراءة مع أبي بَكْر، فلَمّا انتهى إلى الطّريق، نزل جَبْرَائِيْل على النّبيّ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ-، فقال: لا يبلّغ عنك إلاّ عليّ. فأمره رسول الله -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ-، فأخذ السّورة من أبي بَكْر، فقال أبو بَكْر: أسخطة هي. قال: لا؛ ولكن نزل عليه جبرائيل أن لايبلّغ عنه إلاّ رَجُل منه. فرجع أبو بَكْر، فقال: يا رسول الله؛ هل نزل عليّ سخطة؟ قال: لا؛ ولكن لا يبلّغ عنّي إلاّ عليّ.

وقد احتجّ من احتجّ من الشّيعة، فقالوا: كيف يصلح لخلافة رسول الله مَنْ لم يُؤمَّن على سورة يُؤدِّيها، كما أمر رسول الله؟

وذكر ابن هشام أنّ ذلك كان في سنة تسع؛ أعني حديث "براءة". وقد قيل: إنّ ذلك كان قبل فتح مكّة.

[٢٧٨] /[فمِمَّا][1] رواه ابن سلام، و[بإسناده][2] عن عليّ –عليه السّلام–، أنّه قال[3]:

"لَمَّا توجّه رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– لفتح مكّة أحبّ أن يعذر إليهم، و[أن][4] يدعوهم إلى الله –عزّ وجلّ– آخرا كما دعاهم أوّلاً، فكتب إليهم كتاباً يحذّرهم وينذرهم عذاب الله، ويعدهم [مِنَ الله][5] الصَّفْح عنهم، ونسخ [فيه][6] لهم [٢٠٦/ظ] [مِنْ][7] <أوّل>[8] "سورة براءة" لتقرأ عليهم، ثُمَّ ندب أبا بَكْر إليه [ليوجّهه بها به][9].

فهبط عليه جَبْرَائيل –عليه السّلام–، فقال: يا محمّد؛ لا يُؤَدِّي عنكَ إلاّ

(١) زيادة من شرح الأخبار.

(٢) زيادة من شرح الأخبار.

(٣) انظر: شرح الأخبار ٣٠٤/١.

(٤) زيادة من شرح الأخبار.

(٥) زيادة من شرح الأخبار.

(٦) زيادة من شرح الأخبار.

(٧) زيادة من شرح الأخبار.

(٨) زيادة من "ب".

(٩) "ب": "لذلك"، وما أثبت زيادة من شرح الأخبار.

رَجُل منكَ، فأنبأني رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– عن ذلك، ووجّهني في طلب أبي بَكْر بعد أن أنفذه بالصَّحيفة، فلحقته، فأخذتها منه، وأتيت إلى أهل مكّة؛ وليس منهم –يومئذ– رَجُل إلاّ وقد وترته بحميم [له،][1] فلو قدروا أن يجعلوا على كلّ جبل منّي جزءاً[2] لفعلوا، وأنّ كلّ واحد ليبذل في ذلك نفسه، وأهله، وماله، وولده، فأبلغتهم كتاب رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ–، وقرأت عليهم ﴿بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ۞ فَسِيحُواْ فِي الأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾[التوبة: ١-٢]. –عشرين من ذي الحجّة، والْمُحَرَّم، وصَفَر، ورَبِيْع الأوّل، وعشراً من رَبِيْع الآخر–، وقال: لا يَطُوفُ بالبيت عُرْيانٌ ولا عُرْيانة، ولا مُشرك ولا مُشركة. وكلّ يلقاني بالتّهديد والوعيد، ويُبْدي لي البغضاء، ويُظْهِر لي الشَّحْناء، فلم يرعني ذلك حتّى أنفذت ما أمرني به رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ–".

[ذكر سنة تسع وتسميتها سنة الوفود]

[٢٧٩] /وفي سنة تسع قدم الوفود [٢٠٧/و] على رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ–، والعرب تسمّيها سنة الوفود.

[قدوم وفد بني تَمِيم]

وقَدِمَ وفد تَمِيم عليهم عُطارِد بن حاجب بن زُرارَة التَّمِيْمِيّ، فأسلموا، ولَمَّا قدموا نادوا رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– من وراء حجراته: أن

(١) زيادة من شرح الأخبار.

(٢) "إربا" في شرح الأخبار.

اخرج إلينا يا محمَّد. ففيهم نزلت هذه الآيات: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاء الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ﴾[الحجرات: ٤].

[قصة عَامِر بن الطُّفَيْل]

وقدم عَامِر بن الطُّفَيْل على رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- في وفد بني عَامِر، وقد قال لرسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ-: أما والله لأَمْلأنَّها عليك خَيْلاً ورجالاً. فقال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ-: "ويكفيك الله". فلَمَّا كان ببعض الطَّريق، بعث الله عليه الطَّاعون في عُنُقه، فقتله في بيت امرأة من بني سَلُول، فجعل يقول: يا بني عَامِر؛ أَغُدَّةً كغدَّة البعير(1)، وموتاً في بيت سَلُولِيَّة!

[قدوم ضِمام بن ثَعْلَبَة]

وَقَدِمَ ضِمام بن ثَعْلَبَة وافداً على رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- في بني سَعْد بن بَكْر، فأسلم، ورجع إلى قومه، فدعاهم إلى الإسلام، فأسلموا.

[قدوم الْجارُود في وفد عبد قَيْس]

وقَدِمَ الْجَارُود بن عَمْرو بن حَنَش على رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- وقومه من بني عبد القَيْس.

[قدوم وفد بني حَنيفة ومعهم مسيلمة الكذاب]

[٢٨٠] /وقَدِمَت بنو حَنيفة فيهم مُسَيْلِمَة الكَذّاب، فأسلموا، ورجع مُسَيْلِمَة

(١) "الإبل" في السِّيرة النبوية ٤/٥٦٩.

[٢٠٧/ظ] فادَّعى النُّبوَّة مع محمّد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ-، وجعل يستعمل السَّجْع ويقول: لأنَّني نبيّ مع محمَّد.

وفيما قال مُسَيْلَمَة اللَّعين: "لقد أنعم الله على الحبلى، أخرج منها نسمة تسعى، من بين صِفاق وحَشَى".

[قدوم زَيْد الخيل في وفد طَيِّئ]

وقدم زَيْد الخيل في وفد طَيِّيء، فأسلموا وحسن إسلامهم، وقال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ-: ما ذُكِرَ لي رَجُلٌ من العرب بفضل، ثُمَّ جاءني، إلا ورأيته دون ما يُقال فيه، إلاَّ زَيْد الخيل. وسمّاه رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ-: زَيْد الخير، فلَمَّا رجع أصابته الْحُمَّى وهو في طريقه بماء من مياه نَجْد يُدْعى فَرْدَة، فمات. ولَمَّا أيقن بالموت قال(1):

أَمُرْتَحِلٌ قَوْمِي الْمَشَارِقَ غُدْوَةً ... وَأُتْرَكُ فِي بَيْتٍ بِفَرْدَةَ مُنْجِدِ
أَلاَ رُبَّ يَوْمٍ لَوْ مَرِضْتُ لَعَادَنِي ... عَوَائِدُ مَنْ لَمْ يُبْرَ مِنْهُنَّ يَجْهَدِ

[قدوم عَدِيّ بن حاتم]

وأمَّا عَدِيّ بن حاتم فيروى عنه أنَّه قال: كنت في نفسي على دِين، وكنتُ ملكا في قومي [لِمَا كان يُصنع بي.](2) فلَمَّا سمعتُ برسول الله كرهته، وقلتُ لغُلام كان لي -عربيّا يرعى إبلي-: لا أبا لك، أَعْدُدْ لي من إبلي أجمالاً ذُلُلاً سِماناً، واجعلها قريباً منِّي، فإذا سمعتَ بجيش لمحمَّد قد وَطِئ [٢٠٨/و]

(١) انظر: السِّيرة النَّبويَّة ٤/٥٧٨، ديوانه ٥٢.

(٢) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة.

هذه البلاد فآذنِّي. ففعل.

ثُمَّ إنَّه أتاني ذات غداة، فقال: يا عَدِيّ؛ ما كنتَ صانعاً فاصنع، فإنِّي قد رأيت رايات، فسألت عنها، فقالوا: هذه جيوش محمَّد. فقلت: قَرِّب إليَّ أجمالي. فقرَّبها.

فاحتملت بأهلي وولدي، ثُمَّ قلت: أَلْحَقُ بأهل دِيني من النَّصارى بالشَّام. فسلكت الْجَوْشِيَّة[١]، وخلَّفت بنتاً لحاتم في الحاضر؛ فلَمَّا قَدِمْتُ الشَّام أقمت بها.

وتُخَالفني خيل لرسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ–، فأصابت ابنة حاتم فيمن أصابت، فجيءَ بها على رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– في سبايا، فَجُعِلَتْ بنت حاتم في حظيرة عند باب المسجد، [٢٨١] /كانت السَّبايا يُحْبَسْنَ فيها، فمرَّ بها رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ–، فقامت إليه، وكانت امرأة جَزْلَة، فقالت: يا رسول الله؛ هَلك الوالد، وغاب الوافد، فَامْنُنْ عَلَيَّ مَنَّ اللهُ عليك.

قال: وَمَنَّ وافدك؟ قالت: عَدِيّ بن حاتم. قال: الفَارُّ من الله ورسوله؟ [قالت:][٢] ثُمَّ مضى [رسول الله][٣] –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– وتركني. حتَّى إذا كان من الغد مَرَّ بي، فقلت له مثل ذلك، وقد يئستُ منه، ومعه عليّ

(١) كذا في "آ" و "ب"، و قال ابن هشام: الجوشيَّة"، ويُقال: الحوشيَّة". انظر: السِّيرة النَّبويَّة ٤/ ٥٧٩، ولعللها: "الجوشنيَّة". كما جاء في معجم البلدان ٢/ ١٥٦.

(٢) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة.

(٣) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة.

ابن أبي طالب –عليه السَّلام–، [٢٠٨/ظ] فأشار إليَّ عليّ من خَلْفه أن قومي، فكلمي رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ. فقمت إليه، وقلت له كما كنت قلت: مُنَّ عَلَيَّ مَنَّ اللهُ عليكَ.

فقال –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ–: "إنِّي قد فعلتُ، فلا تَعْجلي بخروج حتَّى تجدي من قومك من يكون لك ثِقةً، [حتَّى][١] يبلِّغك [إلى][٢] بلادك، ثُمَّ آذنيني". فمكثت حتَّى قَدِمَ وفد من بَلِيّ أو قُضاعَة، [قالت:][٣] وإنما أُريد أن آتي أخي بالشَّام، فأتيت رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– وقلت: يا رسول الله؛ قد قَدِمَ رَهْط من قومي، لي فيهم ثِقة وبلاغ. قالت: فكساني رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ–، وحملني وأعطاني نفقة، فخرجت معهم حتَّى قَدِمْتُ الشَّام.

قال عَدِيّ: فوالله إنِّي لَقاعد في أهلي، إذ نظرتُ [إلى ظَعِينة،][٤] تصوب إليَّ، فلَمَّا وَقَفَتْ عليَّ اجترأت عليَّ بالكلام تقول: القاطِعُ الظَّالم! احتملتَ بأهلك وولدك، وتركت بقيَّة أبيك عورتك! قال: قلت: أيْ أُخَيَّة؛ لا تقولي إلاَّ خيراً، فوالله ما لي من عُذْر أعتذر به، لقد صنعتُ ما ذكرتِ.

[قال:][٥] ثُمَّ نزلتْ فأقامتْ عندي، فقلت لها –وكان امرأة حازمة–:

(١) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة.

(٢) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة.

(٣) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة.

(٤) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة.

(٥) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة.

ماذا ترين في أمر هذا الرَّجُل؟

قالت: أرى والله أنْ تَلْحق به سريعاً، [٢٠٩/و] فإن يكن الرَّجُل نبيّاً فللسَّابق إليه فضل بسبقه، وإنْ يكن أمره أمر الملوك، فلن تَذِلَّ في عزِّ اليمن. [قال:][1] فقلت: والله إن هذا الرَّأيُ.

فشخصتُ حتَّى إذا قَدِمْتُ على رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه- الْمَدينة، فدخلت عليه، وهو في المسجد، فسلَّمتُ عليه، فقال: مِمَّن الرَّجُل؟ فقلت: عَديّ بن حاتم.

[٢٨٢] /فقام رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه-، وانطلق بي إلى بيته، فوالله إنَّه لَعامدٌ بي إليه، إذْ لَقيته امرأةٌ ضعيفة كبيرة فاستوقفته، فوقف لها طويلاً تُكلِّمه في ما أرادت. قال: فقلتُ في نفسي: والله ما هذا بملك.

قال: ثُمَّ مضى بي رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه- حتَّى إذا دخل بي بيته، تناول وسادة من أَدَم مَحْشُوَّة ليفاً، فقذفها إليَّ، فقال: "اجلس على هذه". قال قلت: بل أنت فاجلس عليها. فقال: "بل أنت".

فجلست عليها، وجلس رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه- على الأرض، فقلت [في نفسي:][2] والله إنَّه تواضع النُّبوَّة، وليس هو بأمر ملك.

ثُمَّ قال: "لعلَّك يا عَديّ إنَّما يمنعك من الدُخول في هذا الدِّين ما أنت تراه من حاجتهم، فوالله لَيُوشِكَنَّ المال أنْ يفيض فيهم حتَّى لا يوجد من

(١) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة.

(٢) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة.

يأخذه، [٢٠٩ظ] ولعلَّك إنَّما يمنعك من الدُّخول فيه ما ترى من كثرة عدوّهم وقِلَّة عددهم، فوالله لَيُوشِكَنَّ أنْ تسمع بالمرأة تخرج من القادسيَّة على بعيرها حتَّى تزور هذا البيت، لا تخاف، ولعلَّك إنَّما يمنعك من الدُّخول فيه أنَّك ترى أن الْمُلْك والسُّلْطان في غيرهم، وأَيْمُ الله لَيُوشِكَنَّ أنْ تسمع بالقُصور البيض من أرض بابل قد فُتِحَت عليهم".

قال: فأسلمت، وقُلْتُ: يا رسول الله؛ البَيْعَة. فخلا بي، فبايعني، وتلى عَلَيَّ رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه- من الآية بعد ذكر النَّصارى: ﴿اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ﴾[التوبة: ٣١].

فقلتُ: يا رسول الله؛ والله ما عبدناهم ولا صلَّينا إليهم. قال: "أفلم يحلُّوا لكم حراماً، فتستحلُّوه، ويحرِّموا عليكم حلالاً، فتحرِّموه؟". قلتُ: أمَّا ذلك فقد كان. قال: "فتلك عبادتكم لهم".

وكان عَدِيّ بن حاتم من خير التَّابعين، وشيعة عليّ أمير المؤمنين -عليه السَّلام.

[قدوم فَرْوَة بن مُسَيْك الْمُراديّ]

ووفد فَرْوَة بن مُسَيْك الْمُراديّ على رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه- مُفارقاً لملوك كِنْدَة، ومُباعداً لهم إلى رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه-، فقال[1]:

لَمَّا رَأَيْتُ مُلُوكَ كِنْدَةَ أَعْرَضَتْ / كَالرِّجْلِ خَانَ الرِّجْلَ عِرْقُ نَسَائِهَا [٢١٠/و]

(١) انظر: السِّيرة النَّبوية ٤/٥٨٢.

[٢٨٣] /قَرَّبْتُ رَاحِلَتِي أَؤُمُّ مُحَمَّداً أَرْجُو فَوَاضِلَهَا وَحُسْنَ ثَرائِهَا

واستعمله رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- على مُراد وَزُبَيْد ومَذْحِج، وبعث معه عاملاً على الصَّدقة.

[قدوم عَمْرو بن معد يَكْرِب]

ووفد عَمْرو بن مَعْد يكْرِب على رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- وقيل: إنَّه لم يَفِدْ، وإنَّه كان حَرْب بينه وبين رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ-، فأسره أمير المؤمنين عليّ -عليه السّلام- بعد كِفاح وضرب بالصِّفاح.

[قدوم الأَشْعَث بن قَيْس في وفد كِندة]

ووفد الأَشْعَث بن قَيْس في ثمانين راكباً من كِنْدة.

[قدوم صُرَد بن عبد الله الأَزْدِيّ]

وقَدِمَ على رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- صُرَدُ بن عبد الله الأَزْدِيّ، فأسلم في وفد من الأزد، فأَمَّرَهُ رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- على مَنْ أَسْلَمَ مِنْ قَوْمِهِ، وأَمَرَهُ أن يُجاهِد بِمَنْ كان أسلم مَنْ كان يَلِيه من أهل الشِّرْك، من قبائل اليمن.

فخرج صُرَدُ بن عبد الله يسير بأمر رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ-، حتَّى نزل بِجُرَشَ، وهي -يومئذ- مدينة مُغَلَّقَةٌ، وبها قبائل من قبائل اليمن، وقد انحازت إليهم خَثْعَمُ، [فدخلوها معهم][١] حين علموا بمسير

(١) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة.

المسلمين إليهم، فحاصروهم فيها قريباً من شهر، وامْتَنَعُوا فيها منه، [٢١٠/ظ] ثُمَّ إنَّه رجع عنهم قافلاً، حتَّى إذا كان إلى جبل لهم يُقال له: شَكْرٌ، ظنَّ أهل جُرَش أنَّه إنَّما وَلَّى عنهم مُنْهَزِماً، فاتَّبعوه حتَّى إذا أدركوه عَطَفَ عليهم فقتلهم قتلاً شديداً.

وقد كان أهل جُرَش بعثوا رَجُلَيْنِ منهم إلى رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آله- ليأتينَّهم بخبره، فقال لهما رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ-: "بِأَيِّ بِلاَدِ اللهِ شَكْرٌ؟". فقالا: يا رسول الله؛ ببلادنا جَبَلٌ /<يُقال له: كَشْرٌ.>[١] فقال: "إِنَّهُ لَيْسَ بِكَشْرَ، وَلَكِنَّهُ شَكْرٌ". [قالا: فما شأنه يا رسول الله؟][٢] قال: "إِنَّ بُدْنَ اللهِ لَتُنْحَرُ عِنْدَهُ الآنَ". [٢٨٤]

ورجعا إلى قومهما، فوجدا ذلك اليوم الّذي قال لهما رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- <هو>[٣] أوان قتل صُرَد بن عبد الله لأصحابهم في ذلك الجبل، فأعلماهم، فأتوا رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- وافدين مسلمين.

[قدوم رسول ملوك حِمْيَر بكتابهم]

وقَدِمَ كتابُ ملوك حِمْيَر على رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آله-، ورسولهم إليه بإسلامهم الْحَارِثُ بن عبد كُلاَل، ونُعَيْمُ بن عبد كُلاَل، والنُّعْمَانُ قَيْلُ ذِي رُعَيْنٍ، ومَعافِرَ وهَمْدانَ، وبعث إليه زُرْعَةَ ذُو يَزَن مالِك بن

(١) زيادة من "ب".

(٢) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة.

(٣) زيادة من "ب".

مُرَّة الرَّهاويّ بإسلامهم، ومُفارقتهم الشِّرْك وأهله.

فأرسل رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- ابن عمّه علي بن أبي طالب -عليه السّلام-، وكتب(1):

"بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْمِ

[٢١١/ظ] مِنْ مُحَمَّد رَسُولِ اللهِ النَّبيِّ، إِلَى الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ كُلاَلٍ، وَإِلَى نُعَيْمِ بْنِ عَبْدِ كُلاَلٍ، وَإِلَى النُّعْمَانِ قَيْلِ ذِي رُعَيْنٍ وَمَعَافِرَ وَهَمْدَانَ، أَمَّا بَعْدَ ذَلِكُمْ، فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكُمْ اللهَ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ. <أَمَّا بَعْدُ:>(2) فَإِنَّهُ قَدْ وَقَعَ بِنَا رَسُولُكُمْ مُنْقَلَبَنَا مِنْ أَرْضِ الرُّومِ، فَلَقِيَنَا بِالْمَدِيْنَةِ، فَبَلَّغَ مَا أَرْسَلْتُمْ بِهِ، وَخَبَّرَ ما قِبلَكُمْ، وَأَنْبَأَنَا بِإِسْلاَمِكُمْ وَقَتْلِكُمْ الْمُشْرِكِيْنَ، وَأَنَّ اللهَ قَدْ هَدَاكُمْ بِهُدَاهُ، إِنْ أَصْلَحْتُمْ وَأَطَعْتُمْ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَأَقَمْتُمْ الصَّلاَةَ، وَآتَيْتُمْ الزَّكَاةَ، وَأَعْطَيْتُمْ مِنْ الْمَغَانِمِ خُمُسَ اللهِ، وَسَهْمَ الرَّسُولِ وَصَفِيَّهُ، وَمَا كُتِبَ عَلَى الْمُؤْمِنِيْنَ فِي الصَّدَقَةِ مِنْ الْعَقَارِ عُشْرُ مَا سَقَتْ الْعَيْنُ وَسَقَتْ السَّمَاءُ، وَعَلَى مَا سَقَى الْغَرْبُ نِصْفُ الْعُشْرِ، وَأَنَّ فِي الإِبِلِ الأَرْبَعِيْنَ ابْنَةَ لَبُونٍ، وَفِي ثَلاَثِيْنَ مِنْ الإِبِلِ ابْنُ لَبُونٍ ذَكَرٍ، وَفِي كُلِّ خَمْسٍ مِنْ الإِبْلِ شَاةٌ، وَفِي كُلِّ عَشْرٍ مِنْ الإِبِلِ شَاتَانِ، وَفِي كُلِّ أَرْبَعِيْنَ مِنْ البَقَرِ بَقَرَةٌ، وَفِي كُلِّ ثَلاَثِيْنَ مِنْ البَقَرِ تَبِيْعٌ جَذَعٌ [٢٨٥] أَوْ جَذَعَةٌ، وَفِي كُلِّ أَرْبَعِيْنَ مِنْ الغَنَمِ سَائِمَةٌ /وَحْدَهَا: شَاةٌ، وَأَنَّهَا [٢١١/ظ] فَرِيْضَةُ اللهِ الَّتِي فَرَضَ عَلَى الْمُؤْمِنِيْنَ فِي الصَّدَقَةِ، فَمَنْ زَادَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ.

(١) انظر: السّيرة النّبويّة ٤/٥٨٩-٥٩٠.

(٢) زيادة من "ب".

وَمَنْ أَدَّى ذَلِكَ وَأَشْهَدَ عَلَى إِسْلاَمِهِ، وَظَاهَرَ الْمُؤْمِنِيْنَ عَلَى الْمُشْرِكِيْنَ، فَإِنَّهُ مِنَ الْمُؤْمِنِيْنَ، لَهُ مَا لَهُمْ، وَعَلَيْهِ مَا عَلَيْهِمْ، وَلَهُ ذِمَّةُ اللهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ، وإِنَّهُ مَنْ أَسْلَمَ مِنْ يَهُودِيٍّ أَوْ نَصْرانِيٍّ، فَإِنَّهُ مِنَ الْمُؤْمِنِيْنَ، لَهُ مَا لَهُمْ، وَعَلَيْهِ مَا عَلَيْهِمْ.

وَمَنْ كَانَ عَلَى يَهُودِيَّتِهِ أَوْ نَصْرانِيَّتِهِ فَإِنَّهُ لاَ يُرَدُّ عَنْهَا، وَعَلَيْهِ الْجِزْيَةُ، عَلَى كُلِّ حَالِمٍ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى حُرٍّ أَوْ عَبْدٍ، دِيْنَارٌ وَافٍ، مِنْ قِيْمَةِ الْمَعَافِرِ أَوْ عِوَضُهُ ثِيَاباً. فَمَنْ أَدَّى ذَلِكَ إِلَى رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- فَإِنَّ لَهُ ذِمَّةَ اللهِ وذِمَّةَ رَسُولِهِ، وَمَنْ مَنَعَهُ فَإِنَّهُ عَدُوٌّ للهِ وَلِرَسُولِهِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ مُحَمَّداً النَّبِيَّ أَرْسَلَ إِلَى زُرْعَةَ ذِي يَزَنَ: أَنْ إِذَا أَتَاكُمْ رُسُلِي فَأُوْصِيْكُمْ بِهِمْ خَيْراً: مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ زَيْدٍ، وَمَالِكُ ابْنُ عُبَادَةَ، وَعُقْبَةُ بْنُ نَمِرٍ، وَمَالِكُ بْنُ مُرَّةَ وَأَصْحَابُهُمْ، وَأَنْ اجْمَعُوا مَا عِنْدَكُمْ مِنَ الصَّدَقَةِ وَالْجِزْيَةِ مِنْ مَخَالِيْفِكُمْ، وَأَبْلِغُوهَا رُسُلِي، وَأَنَّ أَمِيْرَهُمْ مُعَاذُ [٢١٢/و] ابْنُ جَبَلٍ، فَلاَ يَنْقَلِبَنَّ إِلاَّ رَاضِياً.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ مُحَمَّداً يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنَّهُ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. ثُمَّ إِنَّ مَالِكَ بْنَ مُرَّةَ الرَّهَاوِيَّ قَدْ حَدَّثَنِي أَنَّكَ أَسْلَمْتَ مِنْ أَوَّلِ حِمْيَرَ، وَقَتَلْتَ الْمُشْرِكِيْنَ، فَأَبْشِرْ بِخَيْرٍ، وَآمُرُكَ بِحِمْيَرَ خَيْراً، وَلاَ تَخُونُوا وَلاَ تَخَاذَلُوا، فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ هُوَ مَوْلَى غَنِيِّكُمْ وَفَقِيْرِكُمْ، وَإِنَّ الصَّدَقَةَ لاَ تَحِلُّ لِمُحَمَّدٍ وَلاَ لأَهْلِ بَيْتِهِ، وَإِنَّمَا هِيَ زَكَاةٌ يُزَكَّى بِهَا عَلَى فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِيْنَ وَابْنِ السَّبِيْلِ، وَإِنَّ مَالِكاً قَدْ بَلَّغَ الْخَبَرَ، وَحَفِظَ الغَيْبَ، فَآمُرُكُمْ بِهِ خَيْراً، وَإِنِّي قَدْ أَرْسَلْتُ إِلَيْكُمْ مِنْ صَالِحِي أَهْلِي وَأُولِي دِيْنِهِمْ وَأُولِي عِلْمِهِمْ، فَآمُرُكَ بِهِمْ خَيْراً، فَإِنَّهُمْ مَنْظُورٌ

إِلَيْهِمْ، وَالسَّلاَمُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ".

[وصيَّة الرَّسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- مُعاذاً حين بعثه إلى اليمن]

وأوصى رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- مُعاذ بن جَبَل، حين بعثه إلى اليمن، وعهد إليه، وقال له:"يَسِّرْ وَلاَ تُعَسِّرْ، وَبَشِّرْ وَلاَ تُنَفِّرْ، وَإِنَّكَ سَتَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، يَسْأَلُونَكَ: مَا مِفْتَاحُ الْجَنَّةِ؟ فَقُلْ: شَهَادَةُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ [٢١٢/ظ] اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ".

فخرج مُعاذ بن جَبَل بمن معه، حتَّى قدم اليمن.

[رواية آل البيت في زكاة المواشي]

[٢٨٦] /وهذه الرِّواية في كتاب رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- مع مُعاذ ابن جَبَل، عن ابن هِشام، وذكر فيها[١]: " أنَّ في الأربعين من الإبل ابنة لَبون، وفي الثَّلاثين من الإبل ابن لَبون".

وقد رَوى القاضي النُّعمان بن محمَّد -رضي الله عنه-[٢]:

"[رُوينا][٣] عن الصَّادق جَعْفَر بن محمَّد بن علي بن الحسين، عن أبيه، عن آبائه، عن عليّ بن أبي طالب -عليهم السَّلام-، أنَّهم قالوا:

إذا بلغت الإبل مئة وعشرين، و[إن][٤] زادت عليها، ففي كلِّ أربعين

(١) انظر: السِّيرة النَّبويَّة ٥٨٩/٤.

(٢) انظر: دعائم الإسلام ٢٥٩/١-٢٦٠.

(٣) زيادة من دعائم الإسلام.

(٤) زيادة من دعائم الإسلام.

ابنةُ لَبونٍ، وفي كلِّ خمسين حقَّةٌ، وابنة مخاض."

ولم يذكروا الثَّلاثين. وقالوا:

"فإذا كانت خمساً وعشرين ففيها ابنةُ مَخاضٍ، فإن لم تكن ابنةُ مَخاض فابنُ لَبون ذكرٌ، إلى خمس وثلاثين، فإن زادت واحدة ففيها ابنة لَبون ذكر".

فإن قيل: هذا قول رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ-، وهو واجب.

قلنا لهم: لم يُوردوا قولهم إلاَّ عن رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- وروايتهم أثبت من رواية ابن هِشام وأصوب، لكونهم قُرَناء [٢١٣/و] القرآن، لقول رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ-: "إِنِّي مُخَلِّفٌ فِيْكُمْ الثَّقَلَيْنِ؛ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا: كِتَابَ اللهِ وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي، فَإِنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ".

فقولهم أوجب، ومذهبهم خير مذهب.

[رواية عليّ -عليه السَّلام- في الْجِزْيَة]

وكذلك أورد ابن هِشام في هذا الكتاب[١]، عن الرَّسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ-:

"أنَّ على كلِّ حالِمٍ من اليهود والنَّصارى، ذكرٍ أو أُنثى، حُرٍّ أو عَبْدٍ، دينار".

(١) انظر: السِّيرة النَّبويَّة ٥٨٩/٤.

[٢٨٧] /وقد ورد غير ذلك عن عليّ بن أبي طالب -عليه السّلام-[(١)]:

"إنّ الْجِزْيَة على أحرار أهل الذِّمَّة الرِّجال البالغين، وليس على العبيد منهم، ولا على الأطفال ولا على النِّساء جِزْيَة".

وقال -عليه السّلام-: "وتُؤخذ من الدَّهَاقين وأمثالهم من أهل السَّعة في المال؛ عن كلّ رَجُلٍ منهم ثمانية وأربعون درهماً في كلّ عام، ومن الطَّبقة الوسطى أربعة وعشرون دِرهماً، ومن أهل الطَّبقة السُّفْلى اثنا عشر درهماً".

فرواية أهل البيت أثبت وعليها يُعْتَمَد، وقولهم الّذي لا يُنْتَقَد، فإنَّهم ما أتوا بشيء في الدِّين إلاّ عن رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ-، عن جَبْرَائِيْل "الرُّوح الأمين".

ولم نقصد هذا الباب فنطيل [٢١٣/ظ] القول، ونكملُه ونستقصيه، وإنَّما نبَّهْنا على ما قاله أهل البيت عن رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ-، لئلاّ يُظنّ بنا الغفلة عن ما ورد عن أهل البيت -عليهم السّلام-، ممَّا عليه الاعْتِماد، وإنْ أنكره أهل الزَّيْغ والعِناد.

[إسلام فَرْوَة بن عَمْرو الْجُذَامِيّ]

وأسلم فَرْوَة بن عَمْرو النَّافِرة الجُذَامِيّ، وكان عاملاً للرُّوم على مُعَان وما يليها من بلاد العرب، وما حولها من بلاد الشَّام. وأرسل لرسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- بغلة بيضاء أهداها إليه. فلَمَّا بلغ الرُّوم إسلامه،

(١) انظر: دعائم الإسلام ٣٨٩/١.

طلبوه حتَّى أخذوه، فحبسوه عندهم، فقال وهو في حبسه[(١)]:

طَرَقَتْ سُلَيْمَى مَوْهِناً أَصْحَابِي ... وَالرُّوْمُ بَيْنَ البَابِ وَالْقِرْوَانِ
صَدَّ الْخَيَالُ وَسَاءَهُ مَا قَدْ رَأَى ... وَهَمَمْتُ أَنْ أُغْفِي وَقَدْ أَبْكَانِي
لاَ تَكْحَلِنَّ الْعَيْنَ بَعْدِيَ إِثْمِداً ... سَلْمَى وَلاَ تَدِيَنَّ لِلإِتْيَانِ
وَلَقَدْ عَلِمْتَ أَبَا كُبَيْشَةَ أَنَّنِي ... وَسْطَ الأَعِزَّةِ لاَ يُحَصُّ لِسَانِي
فَلَئِنْ هَلَكْتُ لَتَفْقِدُنَّ أَخَاكُمُ ... وَلَئِنْ بَقِيْتُ لَتَعْرِفُنَّ مَكَانِي
وَلَقَدْ جَمَعْتُ أَجَلَّ مَا جَمَعَ الفَتَى ... مِنْ جَوْدَةٍ وَشَجَاعَةٍ وَبَيَانِ

[٢٨٨] /ولَمَّا أجمعت الرُّوم لصلبه على ماء لهم يقال له: عِفْرَى[(٢)] بفلسطين قال[(٣)]:

[٢١٤/و]

أَلاَ هَلْ أَتَى سَلْمَى بِأَنَّ / خَلِيْلَهَا ... عَلَى مَاءِ عِفْرَى فَوْقَ إِحْدَى الرَّوَاحِلِ
عَلَى نَاقَةٍ لَمْ يَضْرِبِ الْفَحْلُ أُمَّهَا ... مُشَذَّبَةٍ أَطْرَافُهَا بِالْمَنَاجِلِ

ولَمَّا قدَّموه ليقتلوه قال[(٤)]:

بَلِّغْ سَرَاةَ الْمُسْلِمِيْنَ بِأَنَّنِي ... سِلْمٌ لِرَبِّي أَعْظُمِي وَمَقَامِي

ثُمَّ ضربوا عُنُقه وصلبوه على ذلك الماء رحمة الله عليه.

(١) انظر: السِّيرة النبوية ٥٩١/٤.

(٢) انظر: معجم البلدان ٦٨٨/٣-٦٨٩.

(٣) انظر: السِّيرة النبوية ٥٩٢/٤.

(٤) انظر: السِّيرة النبوية ٥٩٢/٤.

[إسلام بني الْحَارِث بن كَعْب وعهد رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– إليهم]

وأسلم بنو الْحَارِث بن كَعْب أهل نَجْران، وقَدِمَ وفدهم على رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ–، فبعث معهم عَمْرو بن حَزْم ليفقّههم في الدِّين ويعلّمهم السُّنَّة، وكَتَبَ له كِتاباً وهو(١):

"بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْمِ

هَذَا بَيَانٌ مِنْ اللهِ وَرَسُولِهِ؛ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ﴾[المائدة: ١]: عَهْدٌ مِنْ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ رَسُولِ اللهِ لِعَمْرِو بْنِ حَزْمٍ، حِيْنَ بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ، أَمَرَهُ بِتَقْوَى اللهِ فِي أَمْرِهِ كُلِّهِ، فَـ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾[النحل: ١٢٨]، وَأَمَرَهُ أَنْ يَأْخُذَ بِالْحَقِّ كَمَا أَمَرَهُ اللهُ، وَأَنْ يُبَشِّرَ النَّاسَ بِالْخَيْرِ، وَيَأْمُرَهُمْ بِهِ، وَيُعَلِّمَ النَّاسَ الْقُرْآنَ، وَيُفَقِّهَهُمْ فِيْهِ، وَيَنْهَى النَّاسَ، فَلاَ يَمَسّ الْقُرْآنَ إِنْسَانٌ إِلاَّ وَهُوَ طَاهِرٌ، وَيُخْبِرَ النَّاسَ بِالَّذِي لَهُمْ، وَالَّذِي عَلَيْهِمْ، وَيَلِيْنَ لِلنَّاسِ فِي الْحَقِّ، وَيَشْتَدَّ عَلَيْهِمْ فِي الظُّلْمِ، فَإِنَّ [٢١٤/ظ] اللهَ كَرِهَ الظُّلْمَ، وَنَهَى عَنْهُ، فَقَالَ: ﴿أَلاَ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾[هود: ١٨]. وَيُبَشِّرَ النَّاسَ بِالْجَنَّةِ وَبِعَمَلِهَا، وَيُنْذِرَ النَّاسَ النَّارَ وَعَمَلَهَا، وَيَتَأَلَّفَ(٢) النَّاسَ حَتَّى يُفَقَّهُوا فِي الدِّيْنِ، وَيُعَلِّمَ النَّاسَ مَعَالِمَ الْحَجِّ وَسُنَّتَهُ وَفَرِيْضَتَهُ، وَمَا أَمَرَ اللهُ بِهِ، وَالْحَجَّ الأَكْبَرَ: الْحَجّ الأَكْبَر، وَالْحَجّ الأَصْغَرَ: هُوَ الْعُمْرَةُ، وَيَنْهَى النَّاسَ أَنْ يُصَلِّيَ [٢٨٩] أَحَدٌ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ صَغِيْرٍ، إِلاَّ أَنْ يَكُونَ ثَوْباً يُثْنِي /طَرَفَيْهِ عَلَى عَاتِقَيْهِ، وَيَنْهَى النَّاسَ أَنْ يَحْتَبِيَ أَحَدٌ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ يُفْضِي بِفَرْجِهِ إِلَى السَّمَاءِ، وَيَنْهَى أَنْ

(١) انظر: السِّيرة النَّبويَّة ٤/٥٩٤–٥٩٦.

(٢) في "ب": ويستألف.

يُعَقِّصَ أَحَدٌ شَعْرَ رَأْسِهِ فِي قَفَاهُ، وَيَنْهَى إِذَا كَانَ بَيْنَ النَّاسِ هَيْجٌ عَنْ الدُّعَاءِ إِلَى القَبَائِلِ وَالعَشَائِرِ، وَلْيَكُنْ دَعْوَاهُمْ إِلَى اللهِ –عَزَّ وَجَلَّ– وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ، فَمَنْ لَمْ يَدْعُ إِلَى اللهِ، وَدَعَا إِلَى القَبَائِلِ وَالعَشَائِرِ فَلْيُقْطَفُوا بِالسَّيْفِ، حَتَّى تَكُونَ دَعْوَاهُمْ إِلَى اللهِ وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ، وَيَأْمُرُ النَّاسَ بِإِسْبَاغِ الوُضُوءِ وُجُوهَهُمْ وَأَيْدِيَهُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَأَرْجُلَهُمْ إِلَى الكَعْبَيْنِ وَيَمْسَحُونَ بِرُؤُوْسِهِمْ كَمَا أَمَرَهُمُ اللهُ، وَأَمَرَ بِالصَّلاَةِ لِوَقْتِهَا، وَإِتْمَامِ الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ وَالْخُشُوعِ، وَيُغَلِّسُ بِالصُّبْحِ، وَيُهَجِّرُ بِالْهَاجِرَةِ [٢١٥/و] حِيْنَ تَمِيْلُ الشَّمْسُ، وَصَلاَةُ العَصْرِ وَالشَّمْسُ فِي الأَرْضِ مُدْبِرَةٌ، وَالْمَغْرِبُ حِيْنَ يقبل اللَّيْلُ، لاَ يُؤَخِّرُ حَتَّى تَبْدُوَ النُّجُومُ فِي السَّمَاءِ، وَالعِشَاءُ أَوَّلُ اللَّيْلِ، وَأَمَرَ بِالسَّعْيِ إِلَى الْجُمُعَةِ إِذَا نُوْدِيَ لَهَا، وَالغُسْلِ عِنْدَ الرَّوَاحِ إِلَيْهَا، وَأَمَرَ أَنْ يَأْخُذَ مِنْ الْمَغَانِمِ خُمُسَ اللهِ، وَمَا كُتِبَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَةِ مِنْ العَقَارِ عُشْرَ مَا سَقَتْ العَيْنُ وَسَقَتْ السَّمَاءُ، وَعَلَى مَا سَقَى الغَرْبُ نِصْفَ العُشْرِ، وَفِي كُلِّ عَشْرٍ مِنْ الإِبْلِ شَاتَانِ، وَفِي كُلِّ عِشْرِيْنَ أَرْبَعُ شِيَاهٍ، وَفِي كُلِّ أَرْبَعِيْنَ مِنْ البَقَرِ بَقَرَةٌ، وَفِي كُلِّ ثَلاَثِيْنَ مِنْ البَقَرِ تَبِيْعٌ، جَذَعٌ أَوْ جَذَعَةٌ، وَفِي كُلِّ أَرْبَعِيْنَ مِنْ الغَنَمِ سَائِمَةٌ وَحْدَهَا، شَاةٌ، فَإِنَّهَا فَرِيْضَةُ اللهِ الَّتِي افْتَرَضَ عَلَى الْمُؤْمِنِيْنَ فِي الصَّدَقَةِ، فَمَنْ زَادَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ، وَأَنَّهُ مَنْ أَسْلَمَ مِنْ يَهُودِيِّ أَوْ نَصْرَانِيِّ إِسْلاَماً خَالِصاً مِنْ نَفْسِهِ، وَدَانَ بِدِيْنِ الإِسْلاَمِ، فَإِنَّهُ مِنَ الْمُؤْمِنِيْنَ، لَهُ مِثْلُ مَا لَهُمْ، وَعَلَيْهِ مِثْلُ مَا عَلَيْهِمْ، وَمَنْ كَانَ عَلَى نَصْرَانِيَّتِهِ أَوْ يَهُودِيَّتِهِ فَإِنَّهُ لاَ يُرَدُّ عَنْهَا، [وَعَلَى كُلِّ حَالِمٍ: ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى حُرٌّ أَوْ عَبْدٍ، دِيْنَارٌ وَافٍ أَوْ عِوَضُهُ ثِيَاباً](١).

(١) "آ" و "ب": + "وعليه الجزية" وما أثبت من السِّيرة النَّبويَّة ٤/٥٩٦.

فَمَنْ أدّى [٢١٥/ظ] ذَلِكَ، فَإِنَّ لَهُ ذِمَّةَ اللهِ وَذِمَّةَ رَسُولِه، وَمَنْ مَنَعَ ذَلِكَ، فَإِنَّهُ عَدُوٌّ للهِ وَلِرَسُولِه وَلِلْمُؤْمِنِيْنَ جَمِيْعاً، صَلَوَاتُ اللهِ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَالسَّلامُ عَلَيْهِ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ".

[قدوم رِفاعة بن زَيْد الْجُذَامِيّ]

وقد كان قَدِمَ على رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه- رِفاعة بن زَيْد الْجُذَامِيّ ثُمَّ الضُّبَيْبِيّ، في هُدْنَة الْحُدَيْبِيَّة قبل فتح خَيْبَر، وأهدى لرسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه- غُلاماً.

[قدوم وفد هَمْدان]

[٢٩٠] /وقَدِمَ وفد هَمْدان على رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه- وفيهم: مالكُ بن نَمَط، أبو ثَوْر، وهو ذُو الْمِشْعَار، ومالكُ بن أَيْفَعَ، وضِمَامُ بن مالك السَّلْمَانِيّ، وعَمِيْرَةُ بن مالكٍ الْخَارِفِيّ، فلقوا رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه- حين مَرْجِعِه من تَبُوكَ، وعليهم مُقَطَّعَاتُ الْحِبَرات، والعَمَائمُ العَدَنِيَّةُ، بِرِحَالِ الْمَيْسِ على الْمَهْرِيَّة والأَرْحَبِيَّة، ومالك بن نَمَطٍ ورَجُل آخَرَ يرتجزان بالقوم، ويقول أحدهما(١):

هَمْدَانُ خَيْرٌ سُوقَةً وَأَقْيَالْ
لَيْسَ لَهَا فِي الْعَالَمِيْنَ أَمْثَالْ
مَحَلُّهَا الْهَضْبُ وَمِنْهَا الأَبْطَالْ
لَهَا إِطَابَاتٌ بِهَا وَآكَالْ

(١) انظر: السّيرة النّبوية ٤/٥٩٧.

ويقول الآخر(١):

إِلَيْكَ جَاوَزْنَ سَوَادَ الرِّيْفِ
فِي هَبَوَاتِ الصَّيْفِ وَالْخَرِيْفِ
مُخَطَّمَاتٍ بِحِبَالِ اللِّيْفِ

فقام مالكُ بن نَمَط بين يدي [٢١٦/و] رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه-، ثُمَّ قال: يا رسول الله؛ نَصِيَّةٌ من هَمْدانَ، من كُلِّ حاضرٍ وبادٍ، أَتَوْكَ على قُلُصٍ نَواجٍ، مُتَّصِلَةٌ بحبائل الإسلام، لا تأخذهم في الله لَوْمَةُ لائمٍ، من مِخْلافِ خارِفٍ ويَامٍ وشاكِرٍ أهل السُّودِ والقود، أجابوا دعوة الرَّسول، وفارقوا آلهاتِ الأَنْصابِ، عهدهم لا يُنْقَضُ ما أقامت لَعْلَعٌ وما جرى اليَعْفُورُ بِصُلَّعٍ(٢).

فكتب لهم رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه- عهدهم بعد أن أسلموا وحسن إسلامهم.

وقال مالك بن نَمَط بعد ارتحالهم عن رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه-(٣):

ذَكَرْتُ رَسُولَ اللهِ فِي فَحْمَةِ الدُّجَى ... وَنَحْنُ بِأَعْلَى رَحْرَحَانَ وَصَلْدَدِ
وَهُنَّ بِنَا خُوصٌ قَلَائِصُ تَغْتَلِي ... بِرُكْبَانِهَا فِي لَاحِبٍ مُتَمَدِّدِ
/عَلَى كُلِّ فَتْلَاءِ الذِّرَاعَيْنِ جَسْرَةٍ ... تَمُرُّ بِنَا مَرَّ الْهِجَفِّ الْخَفَيْدَدِ [٢٩١]

(١) انظر: السّيرة النّبوية ٤/٥٩٧.
(٢) انظر: معجم البلدان ٣/٤٤٢.
(٣) انظر: السّيرة النّبوية ٤/٥٩٨-٥٩٩.

حَلَفْتُ بِرَبِّ الرَّاقِصَاتِ إِلَى مِنًى ... صَوَادِرَ بِالرُّكْبَانِ مِنْ هَضْبِ قَرْدَدِ

بِأَنَّ رَسُولَ اللهِ فِينَا مُصَدَّقٌ ... رَسُولٌ أَتَى مِنْ عِنْدِ ذِي الْعَرْشِ مُهْتَدِي

فَمَا حَمَلَتْ مِنْ نَاقَةٍ فَوْقَ رَحْلِهَا ... أَشَدَّ عَلَى أَعْدَائِهِ مِنْ مُحَمَّدِ

وَأَعْطَى إِذَا مَا طَالِبُ الْعُرْفِ جَاءَهُ ... وَأَمْضَى بِحَدِّ الْمَشْرَفِيِّ الْمُهَنَّدِ

***

[ذكر جملة الغزوات]

[٢١٦/ظ] وأمَّا غزوات رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- غير ما ذكرنا ممَّا سَفَّرَ فيها أمراء:

فغزوة غالب بن عبد الله اللَّيْثي بني الْمُلَوَّح:

فقد أَمَرَهُ رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- بِشَنِّ الغارة على بني الْمُلَوَّح بالكَدِيْد، فلَمَّا انتهى إلى الكَدِيْد عند غروب الشَّمس، كمن في ناحية الوادي، وبعث جُنْدَب بن مَكِيْث الْجُهَنِيَّ رَبِيْئَة لهم، قال جُنْدَب: فخرجت حتَّى أتيتُ تلاًّ مُشرفاً على الحاضر، فأسندتُ فيه، فعلوتُ على رأسه، فنظرتُ إلى الحاضر، قال: فإنِّي لَمُشْرِف على التَّلّ، إذ خرج رَجُل منهم من خبائه، فقال لامرأته: إنِّي أرى على التَّلّ سواداً ما رأيته [في أوَّل يومي،][1] فانظري [إلى][2] أَوْعِيَتِكِ هل تفقدين منها شيئاً، لا تكون الكلاب جرَّتْ بعضها. قال: فَنَظَرَتْ، فقالت: [لا؛][3] والله ما أَفْقِدُ شيئاً. قال: فَنَاوِلِيْني قَوْسِي وَسَهْمَيْن. فناولته، قال: فأرسل سهماً، فوالله ما أخطأ جنبي، فنزعتُه، ووضعته، وثَبَتُّ مكاني، ثُمَّ أرسل الآخَرَ، فوضعه في مَنْكِبي، فقال لامرأته: لو كان رَبِيْئَةً لِقَوْمٍ لقد تحرَّكَ، لقد خَالَطَهُ سَهْمايَ لا أبا لك، إذا أصبحتِ فابتغيهما، فَخُذِيهما، [٢١٧/و] لا يَمْضُغُهُما عَلَيَّ الكِلاب. قال: ثُمَّ دخل.

(١) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة.

(٢) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة.

(٣) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة.

وأمهلناهم، حتَّى إذا اطمأنُّوا وناموا، فلمَّا كان في وجه السَّحَرِ، شَنَنَّا عليهم الغارة، فقتلنا، واستَقْنا النَّعَمَ، وخرج صَريخ القوم، فجاءنا دَهْمٌ لا قِبَلَ لنا به، ودنا القوم منَّا، مابيننا وبينهم إلاَّ وادي قُدَيْدٍ، فأرسل الله الوادي بالسَّيْلِ من حيث شاء تبارك وتعالى، من غير سحابة ولا مطر نراهما، فجاء بشيء ليس لأحد به قُوَّة، ولا يَقْدِرُ على [أن][1] يُجاوِزَهُ، فوقفوا ينظرون إلينا، وإنَّا/لَنَسُوقُ نَعَمَهُمْ، ما يستطيع رَجُل منهم أن يجوز إلينا، ونحن نَحْدوها سِراعاً، حتَّى فُتْناهم، وقدمنا على رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ. [٢٩٢]

وغزوة عليّ بن أبي طالِب –عليه السّلام– بني عبد الله بن سَعْد من أهل فَدَك:

وذلك أنَّ رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– لَمَّا أتاه جَبْرَائِيل بأمر فَدَك، أخذ لأُمَتَهُ، وسار في اللَّيل ومعه عليّ بن أبي طالِب وجماعة من المهاجرين والأنصار، فلَمَّا أتوا فَدَكاً وجدوه ممتنعاً، فأمر رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– عليّاً –عليه السّلام–، فصعد على درب فَدَك، فلَمَّا علاه كَبَّر، فابتدر إليه أهل فَدَك مُقاتلين له، [٢١٧/ظ] فحمل عليهم عليّ –عليه السّلام–، فقيل: إنَّه قتل منهم ثمانية عشر رَجُلاً.

وخرجوا فاستقبلهم رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– والمسلمون، فألقوا بأنفسهم إلى النَّبيّ، وحاز أموالهم فَيْئاً، فأعطى ابنته فاطمَة –عليها السّلام– أرض فَدَك، وأشهد على ذلك عليّاً –عليه السّلام– وأمّ أيمن –رحمة

(١) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة.

الله عليها–، وأخذ رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ–من ذراري أهل فَدَك الْخُمُس وما شاء، وفرَّق باقيها على المسلمين.

وقد روى ذلك أبو عُبَيْدَة بإسناده.

وغزوة زَيْد بن حارِثَة إلى جُذَام:

وذلك قبل مُؤْتَة، فأصاب زَيْد بن حارِثَة قوماً منهم قد أسلموا، وأصاب زَيْد منهم سبايا، فأقبل جماعة منهم إلى رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– وناوله رِفاعة بن زَيْد الْجُذَامِيّ كتاباً كان كتبه رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– لمن أسلم منهم ، فأرسل رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالِب –عليه السّلام–، وأعطاه سيفه، وأمره أن يركب على راحلته، فجعل عليّ –عليه السّلام– كلَّما لقيه أحد من جيش زَيْد، أخذ ما كان معه، وأرجعه لأهله، حتَّى أرجع ما كان لهم جميعاً.

وقد تقدَّم ذِكْر استشهاد زَيْد بن حارِثَة –رحمه الله–، وإنَّما ذكرنا هذه الغَزْوَة –هاهنا– إذ لم نذكرها من قبل.

/[٢١٨/و] وقال في ذلك أَبو جعال[1]: [٢٩٣]

وَعَاذِلَةٍ وَلَـمْ تَعْـذِلْ بِطِـبٍّ ... وَلَوْلاَ نَحْنُ حُشَّ بِهَا السَّعِيْرُ
تُدَافِعُ فِي الأَسَارَى بِابْنَتَيْهَـا ... وَلاَ يُرْجَى لَهَا عِتْقٌ يَسِيْرُ
وَلَوْ وُكِلَتْ إِلَى عُوصٍ وَأَوْسٍ ... لَحَارَ بِهَا عَنِ الْعِتْقِ الأُمُورُ
وَلَوْ شَهِدَتْ رَكَائِبَنَا بِمِصْرٍ ... تُحَاذِرُ أَنْ يُعَلَّ بِهَا الْمَسِيْرُ

(١) انظر: السِّيرة النَّبويَّة ٤/٦١٦.

وَرَدْنَا مَاءَ يَثْرِبَ عَنْ حِفَــاظٍ ... لِرَبْــعٍ إِنَّــهُ قَــرَبٌ ضَــرِيْرُ

بِكُلِّ مُجَرَّبٍ كَالسِّيدِ نَهْــدٍ ... عَلَى أَقْتَــادِ نَاجِيَــةٍ صَــبُورُ

فِدًى لأَبِي سُلَيْمَى كُلُّ جَــيْشٍ ... بِيَثْرِبَ إِذْ تَنَاطَحَــتِ النُّحُــورُ

غَدَاةَ تَرَى الْمُجَرَّبَ مُسْــتَكِيْناً ... خِلاَفَ الْقَوْمِ هَامَتُــهُ تَــدُورُ

وغزوة زَيْد بن حارِثَة -أيضاً- بني فَزارَة:

فأصيب من أصحابه جماعة، وارْتُثَّ زَيْد من بين القتلى، فآلى على نفسه أن [لا يمسّ رأسَه غُسل من جَنابة حتّى](١) يغزوهم، فأرسله رسول الله -صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ-، فقتلهم بوادي القُرى.

وغزوة عبد الله بن رَوَاحة خَيْبَر:

قبل فتحه في نفر من أصحابه؛ منهم عبد الله بن أُنَيْس، فقتله اليُسَيْر بن رِزام وجماعة من يهود معه.

وغزوة عبد الله بن أُنَيْس:

دعاه رسول الله -صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ-، وقال له: "إِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّ خَالِدَ [٢١٨/ظ] بْنَ سُفْيَانَ بْنِ نُبَيْحٍ الْهُذَلِيَّ يَجْمَعُ لِي النَّاسَ لِيَغْزُونِي، وَهُوَ بِنَخْلَةَ أَوْ بِعُرَنَةَ، فَأْتِهِ فَاقْتُلْهُ".

قال عبد الله بن أُنَيْس: فلَمَّا انتهيت إليه، قال: مَنْ أنتَ؟ قلتُ: رَجُل من العرب سمع بك وبجمعك لهذا الرَّجُل، فجاءك لذلك. فقال: نعم أنا

(١) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة.

[لِـ](١) ـفي ذلك. قال ابن أُنَيْس: فمشيت معه شيئاً، حتَّى إذا أمكنني حملت عليه بالسَّيف، فقتلته، وتركت ظعائنه مُنْكَبَّات عليه.

[٢٩٤] /ثُمَّ رجعتُ إلى رسول الله -صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ-، فأخبرته، فناولني عصاً، وقال -صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ-: "هَذِهِ آيَةٌ بَيْنِي وَبَيْنَكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ". فقرنها عبد الله بن أُنَيْس بسيفه، [فلم تزل معه](٢) حتَّى مات، وأمر بها أن تدفن معه، فدفنت معه.

وقال عبد الله بن أُنَيْس في ذلك(٣):

تَرَكْتُ ابْنَ ثَوْرٍ كَالْحُوَارِ وَحَوْلَــهُ ... نَوَائِحُ تَفْرِي كُلَّ جَيْــبٍ مُقَــدَّدِ

تَنَاوَلْتُهُ وَالظُّعْنُ خَلْفِــي وَخَلْفَــهُ ... بِأَبْيَضَ مِنْ مَاءِ الْحَدِيْــدِ مُهَنَّــدِ

عَجُومٍ لِهَــامِ الــدَّارِعِيْنَ كَأَنَّــهُ ... شِهَابُ غَضًى مِنْ مُلْهَبٍ مُتَوَقِّــدِ

أَقُوْلُ لَهُ وَالسَّيْفُ يَعْجُــمُ رَأْسَــهُ ... أَنَا ابْنُ أُنَيْسٍ فَارِساً غَيْــرَ قُعْــدُدِ

أَنَا ابْنُ الَّذِي لَمْ يُنْزِلِ الدَّهْرَ قِدْرَهُ ... رَحِيْبُ فِنَاءِ الدَّارِ غَيْــرُ مُزَنَّــدِ [٢١٩/و]

وَقُلْتُ لَهُ خُذْهَا بِضَــرْبَةِ مَاجِــدٍ ... حَنِيْفٍ عَلَى دِيْنِ النَّبِــيِّ مُحَمَّــدِ

وَكُنْتُ إِذَا هَــمَّ النَّبِــيُّ بِكَــافِرٍ ... سَبَقْتُ إِلَيْهِ بِاللِّسَــانِ وَبِالْيَــدِ

وغزوة عُيَيْنَة بن حِصْن بني العَنْبَر:

بعثه رسول الله -صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- إليهم، فأغار عليهم،

(١) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة.

(٢) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة.

(٣) انظر: السِّيرة النَّبويَّة ٤/٦٢٠-٦٢١.

فأصاب منهم أُناساً وسَبَى منهم سَبايا.

وكان مِمَّن قُتِلَ -يومئذ- من بني العَنْبَرِ: عبد الله وأخَوانِ له، بنو وَهْبٍ، وشَدَّادُ بن فِراسٍ، وحَنْظَلَةُ بن دارِمٍ.

وكان مِمَّن سُبِيَ من نسائهم -يومئذ-: أَسْمَاءُ بنت مالك، وكَاسٍ بِنْتُ أَرِيّ، ونَجْوَةُ بِنْتُ نَهْد، وجُمَيْعَةُ بِنْتُ قَيْسٍ، وعَمْرَةُ بِنْتُ مَطَرٍ. فأعتق رسول الله بعضاً، وأفدى بعضاً.

وقالت سَلْمَى بِنْتُ عَتَّابٍ في ذلك[1]:

لَعَمْرِي لَقَدْ لاَقَتْ عَدِيُّ بْنُ جُنْدَبٍ ... مِنَ الشَّرِّ مَهْوَاةً شَـدِيْداً كَؤُودُهَـا
تَكَنَّفَهَا الأَعْدَاءُ مِنْ كُـلِّ جَانِـبٍ ... وَغُيِّبَ عَنْهَـا عِزُّهَـا وَجُـدُودُهَا

[٢٩٥] /قال ابن هِشام: وقال الفرزدق في ذلك[2]:

وَعِنْدَ رَسُولِ اللهِ قَامَ ابْنُ حَـابِسٍ ... بِخُطَّةِ سَوَّارٍ إِلَى الْمَجْـدِ حَـازِمِ
لَهُ أَطْلَقَ الأَسْرَى الَّتِي فِي حِبَالِـهِ ... مُغَلَّلَةً أَعْنَاقُهَا فِـي الشَّـكَائِمِ
كَفَى أُمَّهَـاتِ الْخَالِفِيْنَ عَلَـيْهِمُ ... غِلاَءَ الْمُفَادِي أَوْ سِهَامَ الْمُقَاسِـمِ

وغزوة غالِب بن عبد الله أرض بني مُرَّة:

[٢١٩/ظ] فأصاب بها مِرْداسَ بن نَهِيك، حَلِيفاً لهم من الْحُرَقَة، من جُهَيْنَةَ فقتله أُسَامَةُ بن زَيْدٍ، وهو يقول: [أَشْهَدُ][3] أنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ. فلامه

(١) انظر: السِّيرة النَّبويَّة ٤/٦٢٢، وفي تاريخ المدينة [٢/٣٨٠]: "قال سَلَمَة بن عتَّاب"؟

(٢) انظر: السِّيرة النَّبويَّة ٤/٦٢٢.

(٣) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة ٤/٦٢٣.

رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- في ذلك، فآلى على نفسه أُسَامَة أن لا يقاتل مَنْ يقول: لا إله إلاّ الله.

وغزوة عَمْرو بن العاصِ ذات السَّلاسِل من أرض بني عُذْرَة:

بعثه رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ-، فانتهى إلى ماء [بأرض جُذام][1] يُقال له: السَّلْسَلُ، وكان معه أبو بَكْر وعمر وأبو عُبَيْدَة بن الجرَّاح، وكان عَمْرو بن العاصِ يَؤُمّهم في الصَّلاة جميعاً، وهم من تحت أمره.

[احتجاج علماء الشِّيعة على من قدَّم أبا بكر]

وبذلك احتجَّت عُلماء الشِّيْعَة على مَنْ قَدَّمَ أبا بَكْر، واحْتُجَّ بما زعموا أنَّ رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- أَمَرَ النَّاس بالصَّلاة معه. فقالت علماء الشِّيعة: فعَمْرو بن العاصِ إذاً أحَقّ منه بالإمامة، لكونه قد صلَّى به، وإنّ رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- لم يُؤَمِّر أحداً على عليّ بن أبي طالب، ولا عرف ذلك، ولا صلَّى به غير رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ.

وكانت لأبي بَكْر عباءة فَدَكِيَّة كان يلبسها في تلك الغزاة، فقال أهل نجد لَمَّا تأمَّروا: والله لا نُبايع لصاحب العباءة أبداً.

وقال رافع بن أبي رافِع الطَّائيّ -وهو رافع [٢٢٠/و] بن عَمِيْرَة-:

[٢٩٦] /صحبت أبا بَكْر في تلك الغزاة، وكان يعظني، ويقول: أنصحك، وقال فيما قال لي: أن لا تتأمَّر على رَجُلَيْنِ من المسلمين أبداً. فقلت له: يا أبا بَكْر؛

(١) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة ٤/٦٢٣.

أَمَّا الإمارة [فَـ](1)ـإِنَّـ[ـي رَأَيْتُ](2) النَّاس لا يَشْرُفُون عند رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- وعند النَّاس إلا بها، فَلِمَ تَنْهاني عنها؟

ولَمَّا ولي، واختاره النَّاس، أتيته، فقلتُ: يا أبا بَكْر؛ أَلَمْ تَكُ نَهَيْتَنِي [عَنْ](3) أنْ أَتَأَمَّرَ على رَجُلَيْنِ من المسلمين؟ قال: بَلَى؛ وأنا الآن أنهاكَ عن ذلك. قال: فقلتُ له: فما حملكَ على أن تلي أَمْرَ النَّاس وَتَتَأَمَّرَ عليهم؟ قال: لاَ أجد من ذلك بُدّاً، وخشيت على أُمَّة محمَّدٍ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- الفُرْقَة.

هذه رواية ابن أبي رافع أنَّ أبا بَكْر أمره ولم يأتمر، ونصح له ولم ينصح نفسه.

وأمَّا قول أبي بَكْر أنَّه خشي الفُرْقَة على أمَّة محمَّد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آله-، فلعمري إنَّه سَبَّبَ الفُرْقَة، ولو ترك الولاية والإمارة لمن أَمَّره رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- على المؤمنين، وقال: "أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هارُونَ مِنْ مُوسَى". وما اختلف اثنان.

ولكنَّه كما قال النَّبيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آله-: "لَتَسْلُكُنَّ سُبُلَ بني إسْرائيل". وفي موضع آخر(4): "لَتَسْلُكُنَّ سُبُلَ الأُمَمِ قَبْلَكُمْ حَذْوَ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ

(1) زيادة من السّيرة النّبويّة ٤/٦٢٤.

(2) زيادة من السّيرة النّبويّة ٤/٦٢٤.

(3) زيادة من السّيرة النّبويّة ٤/٦٢٥.

(4) انظر: دعائم الإسلام ١/١، اختلاف أصول المذاهب ٣٠، كتاب العين ٤/٣٩٤، المجالس المؤيَّديَّة ١/١٠٢، ١٢٧.

وَالقُذَّة [٢٢٠/ظ] بالقُذَّة، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ". يعني -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ-: في خلافهم على الأوصياء، وادِّعائهم الأمر بغير أمر الأنبياء.

وغزوة ابن أبي حَدْرد بَطْنَ إضَمَ:

وذلك قبل الفتح، فلَمَّا انتهى في نفر من المسلمين إلى بَطْنِ إضَم، أقبل عَامِرُ بن الأَضْبَطِ الأَشْجَعِيّ على قَعود له، فلَمَّا مَرَّ على المسلمين حَيَّاهم بتحيَّة الإسلام، فحمل عليه مُحَلِّم بن جَثَّامَةَ، فقتله لشيء كان بينهما في الجاهليَّة، وفي ذلك أنزل الله -تعالى جَدّه-: ﴿وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلاَمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[النساء: ٩٤].

[٢٩٧] /ولَمَّا كان بعد حرب حُنَيْن، قام الأَقْرَعُ بن حابس، وعُيَيْنَة بن حصْن، يختصمان إلى رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- في عَامِر بن الأَضْبَط الأَشْجَعِيّ: عُيَيْنَة يطلب بدم عَامِر، وهو -يومئذ- رئيس غَطَفان، والأَقْرَع يدفع عن مُحَلِّم بن جَثَّامَة، لمكانه من خِنْدَف، فقضى رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- بدِيَة عَامِر بن الأَضْبَط، فقبل قومه الدِّيَة.

وأمَّا مُحَلِّم بن جَثَّامَة فأتى إلى رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آله- يستغفر له، فرفع رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آله- يديه، وقال: "اللَّهُمَّ لاَ تغفر لِمُحَلِّمِ بْنِ جَثَّامَةَ". [٢٢١/و] يُكررها ثلاثاً، فما مكث مُحَلِّم بن جَثَّامَة بعد ذلك إلاَّ سبعة أيَّام، حتَّى مات.

وعن الحسن البصريّ، أنَّه قال: لفظت الأرض مُحلِّماً، ثُمَّ عادوا،

فلفظته الأرض، ثُمَّ عادوا له فلفظته الأرض، فعمد قومه إلى صُدَّيْنِ، فَسَطَحوه بينهما، ثُمَّ رَضَموا عليه الحجارة، حتَّى واروه. قال: فبلغ رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- شأنه، فقال: "وَاللهِ إِنَّ الأَرْضَ لَتُطَابِقُ عَلَى مَنْ هُوَ شَرٌّ مِنْهُ، وَلَكِنَّ اللهَ أَرَادَ أَنْ يَعِظَكُمْ فِي حُرُمِ مَا بَيْنَكُمْ بِمَا أَرَاكُمْ مِنْهُ".

وغزوة ابن أبي حَدْرَد: -أيضا- لقتل رِفاعة بن قَيْس الْجُشَمِيّ في الغابة.

قال ابن أبي حَدْرَد: تزوَّجتُ امرأة وأصدقتها مائتي درهم، ثُمَّ أتيتُ رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- أستعينه على نكاحي فقال: "وَكَمْ أَصْدَقْتَ؟" فأخبرته، فقال: "سُبْحَانَ اللهِ؛ لَوْ كُنْتُمْ تَأْخُذُونَ الدَّرَاهِمَ مِنْ بَطْنِ وادٍ مَا زِدْتُمْ، وَاللهِ مَا عِنْدِي مَا أُعِيْنُكَ بِهِ". قال: فلبثت أيَّاماً، وأقبل رَجُل من بني جُشَم بن مُعاوِيَة، يُقال له: رِفاعَةُ بن قَيْسٍ، أو قَيْسُ بن رِفاعَةَ، في بَطْنٍ عظيم من بني جُشَمَ، حتَّى نزل بقومه ومن معه بالغابة، يُريد أن يجمع قَيْساً على حرب رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ-، فدعاني رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- [٢٢١/ظ] ورَجُلَيْنِ معي من المسلمين، فقال: "اخْرُجُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ حَتَّى تَأْتُوا مِنْهُ بِخَبَرٍ وَعِلْمٍ".

قال: فخرجنا ومعنا أسيافنا وقِسيُّنا ونبالنا، مع غروب الشَّمس، حتَّى دنونا من القوم بعد العتمة، فكمَنْتُ في ناحية، وأمرتُ صاحبي فَكَمَنَا في ناحية أخرى، وقلت لهما: إذا كبَّرتُ، فكبِّرا وشدَّا معي. فإنَّا كذلك ننتظر غرة القوم، وقد أظلم اللَّيل علينا، وقد كان لهم راع قد أبطأ عليهم، حتَّى تخوَّفوا عليه، فقام صاحبهم رِفاعة بن قَيْس، فجعل سيفه في عُنُقه، ثُمَّ قال: والله لأتْبعَنَّ أثر راعينا. فقال له نفر من قومه: نحن نكفيك. فأبى عليهم، وقال: والله

لا يتبعني أحد منكم. وخرج، حتَّى إذا مرَّ بي، نفحته بسهمي، فوضعته في فؤاده. قال: فوالله ما تكلَّم، ووثبت إليه، وأخذت /برأسه وشددت في ناحية [٢٩٨] العسكر، وكبَّرت، وشدَّ صاحباي وكبَّرا. فوالله ما كان منهم إلاَّ النَّجاء بكل ما قدروا عليه من نسائهم وأبنائهم، وما خفَّ معهم من أموالهم، واسْتقنا إبلاً عظيمة، وغنماً كثيرة، فقدمنا بها إلى رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ-، وجئت برأسه رِفاعة إليه، [٢٢٢/و] فأعانني رسولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- من تلك الإبل بثلاثة عشر بعيراً في صَداقي، فجمعتُ إليَّ أهلي.

وغزوة عبد الرَّحمن بن عَوْف إلى دَوْمَة الْجَنْدَل:

عن بعض رُواة الحديث، قال[1]:

كان عند رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- عليّ -عليه السَّلام- وجماعة من أصحابه، فأقبل فتى من الأنصار، فسلَّم على رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- ثُمَّ جلس، فقال: يا رَسُولَ الله، أَيّ الْمُؤْمِنِيْنَ أَفْضَلُ؟ فقال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ-: "أَحْسَنُهُمْ خُلُقاً". قال: فَأَيّ الْمُؤْمِنِيْنَ أَكْيَسُ؟ قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ-: "أَكْثَرُهُمْ ذِكْرًا لِلْمَوْتِ وَأَحْسَنُهُمْ اسْتِعْدَاداً لَهُ قَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ بِهِ أُولَئِكَ الأَكْيَاسُ". ثُمَّ سَكَتَ الفَتَى.

وأَقْبَلَ رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- على أَصْحابه، فَقَالَ: "يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِيْنَ؛ خَمْسُ خِصَالٍ إِذَا نَزَلْنَ بِكُمْ وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ إِنَّهُ لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا إِلاَّ ظَهَرَ فِيهِمُ الطَّاعُونُ

(١) انظر: السِّيرة النَّبويَّة ٤/٦٣١.

وَالأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ فِي أَسْلاَفِهِمْ الَّذِينَ مَضَوْا، وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِلاَّ أُخِذُوا بِالسِّنِينَ وَشِدَّةِ الْمُؤْنَةِ وَجَوْرِ السُّلْطَانِ وَلَمْ يَمْنَعُوا الزَّكَاةَ مِنْ أَمْوَالِهِمْ إِلاَّ مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ فَلَوْلاَ الْبَهَائِمُ مَا مُطِرُوا، وَمَا نَقَضُوا عَهْدَ اللَّهِ وَعَهْدَ رَسُولِهِ [٢٢٢/ظ] إِلاَّ سُلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوٌّ مِنْ غَيْرِهِمْ فَأَخَذَ بَعْضَ مَا كَانَ فِي أَيْدِيهِمْ وَمَا لَمْ يَحْكُمْ أَئِمَّتُهُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ وَتَجَبَّرُوا فِيمَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلاَّ جَعَلَ اللَّهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ".

[تأمير عبد الرَّحمن بن عَوْف]

ثُمَّ أَمَرَ عبد الرَّحمن بن عَوْف أن يتجهَّز لسَرِيَّة بعثه عليها، فلَمَّا أصبح ناوله رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آله– لواء، وقال: "خُذْهُ يَا بْنَ عَوْف اغْزُوَا جَمِيعاً فِي سَبِيْلِ اللَّه فَقَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ لاَ تَغُلُّوا، وَلاَ تَغْدِرُوا، وَلاَ تُمَثِّلُوا، وَلاَ تَقْتُلُوا وَلِيْداً. فَهَذَا عَهْدُ اللَّهِ وَسِيْرَةُ نَبِيِّهِ فِيْكُمْ".

فأخذ عبد الرَّحمن بن عَوْف اللِّواء، وخرج إلى دُوْمَة الْجَنْدل.

[٢٩٩] /وغزوة أبي عُبَيْدَة بن الجرَّاح إلى سِيْف البحر:

بعثه رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آله– في سَرِيَّة وزوَّدهم جراباً من تمر، فجعل يقُوتهم إيَّاه به، حتَّى إذا فرغ وجهدوا، أخرج الله إليهم دابَّة من البحر، فأصابوا من لحمها ووَدَكها، وأقاموا عليها عشرين ليلة، حتَّى سمنوا.

قال عُبادة بن الصَّامت: ولقد أخذنا منها ضلعاً [٢٢٣/و] فوضعناه في الطَّريق، ثُمَّ سيَّرنا تحته بعيراً من أجسم ما عندنا عليه أجسم رَجُل منَّا، فخرج من تحت ذلك الضِّلع، فلَمَّا قدمنا على رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آله–

أخبرناه الخبر، فقال: "رِزْقٌ رَزَقَكُمُوهُ اللهُ تَعالَى".

وغزوة عَمْرو بن أُمَيَّة الضَّمْرِيّ:

بعثه رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آله– لقتل أبي سُفْيانَ بن حَرْب، وذلك قبل الفتح، وبعث معه جَبَّارُ بن صَخْرٍ الأَنْصَارِيّ، فقدما مكَّة يُريدان قتل أبي سُفْيان بن حَرْب، ولَمَّا قدما مكَّة، فحبسا بعيريهما بشِعْب من شعابها، ثُمَّ دخلا [مَكَّة](١) ليلاً، فقال جَبَّارٌ لعَمْرو: لَوْ أَنَّا طُفْنَا بالبيت وصلَّينا ركعتين؟ فقال عَمْرٌو: إنَّ القوم إذا تَعَشَّوْا جلسوا بأَفْنِيَتِهِمْ. فقال: كَلاَّ، إنْ شاء الله. فقال عَمْرو: فَطُفْنا بالبيت، ثُمَّ صلَّينا، وخرجنا نُريدُ أبا سُفْيَانَ، فوالله إنَّا لَنَمْشي بمكَّة إذْ نَظَرَ إليَّ رَجُل من أهل مكَّة فعرفني، فقال: عَمْرو بن أُمَيَّة! والله ما قَدِمها إلاَّ لشَرّ. فقلتُ لصاحبي: النَّجاءُ.

فخرجنا حتَّى صعدنا في جَبَلٍ، وخرجوا في طلبنا، حتَّى إذا عَلَوْنا [٢٢٣/ظ] الجبل يَئِسُوا منَّا، فرجعنا ودخلنا كَهْفاً في الجبل فَبِتْنَا فيه، وقد أخذنا حِجارةً فَرَضَمْنَاهَا دوننا، فلَمَّا أصبحنا غدا رَجُلٌ من قُرَيش يقود فرساً له، ويَخْلِي عليها، فَغَشِيَنا ونحن في الغار، فقلتُ: إنْ رآنا صاح بنا، [فَأُخِذْنا](٢) فقُتِلْنَا.

[قال:](٣) ومعي خنْجَر قد أعددته لأبي سُفْيان، فخرجتُ إليه فضربته ضربةً، وصاح صيحةً أَسْمَعَ أهل مكَّة، ورجعتُ ودخلتُ مكاني، وجاءه

(١) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة ٤/٦٣٣.
(٢) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة ٤/٦٣٤.
(٣) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة ٤/٦٣٤.

النَّاس يَشْتَدُّون، وهو بآخرِ رَمَقٍ، فقالوا: مَنْ ضَرَبَكَ؟ فقال: عَمْرُو بن أُمَيَّةَ.

[٣٠٠] /وَغَلَبَهُ الموتُ، فمات مكانه، ولم يَدْلُلْ على مكاننا، فاحتملوه، فقلت لصاحبي، لَمَّا أمسينا: النَّجاءَ. فسرنا على ضَجْنَانَ، ثُمَّ أوينا إلى جبل، فدخلنا كَهْفاً، فدخل علينا شيخ من بني الدِّيْلِ أَعْوَرُ، في غُنَيْمَةٍ له، فقال: مَنِ الرَّجُلُ؟ فقلتُ: من بني بَكْرٍ. قلتُ: فَمَنْ أنتَ؟ قال: من بني بَكْرٍ. فقلتُ: مَرْحَباً. فاضطجع، ثُمَّ رفع عَقيرته، فقال:(١)

وَلَسْتُ بِمُسْلِمٍ مَا دُمْتُ حَيّاً ... وَلاَ دَانٍ لِدِيْنِ الْمُسْلِمِيْنَا

فأمهلته حتَّى إذا نام، أخذتُ [٢٢٤/و] قوسي، فجعلت سِيَتَها في عَيْنِهِ الصَّحيحة، ثُمَّ تحاملت عليه حتى بَلَغَتْ العظم، ثُمَّ خرجنا، وقلتُ: النَّجاء.

حتَّى إذا هبطتُ النَّقِيْعَ إذا برَجُلانِ من المشركين، قد أرسلتهما قُرَيش إلى الْمَدينة يَنْظُرانِ ويَتَحَسَّسَانِ، فقلت: استَأْسِرا. فأَبَيَا، فرميتُ أحدهما بسهم [فقتلته،](٢) واستَأْسَرَ الآخرُ، فأَوْثَقتُه رِباطاً، وقَدِمْتُ به الْمَدينة.

وسَرِيَّة زَيْد بن حارِثَة إلى مَدْيَنَ:

وذلك قبل مُؤْتَة؛ بعثه رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- ومعه ضُمَيْرَةَ مَوْلَى عليّ بن أبي طالب -عليه السّلام-، وأَخٌ له، فأصاب سَبْياً من أهل مِيْنَا، وهي من السَّواحلِ وفيها جُمَّاعٌ من النَّاس، فبيع السَّبْي وفرّق بينهم، وخرج رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- وهم يبكون، فقال -صَلَّى اللهُ

(١) انظر: السِّيرة النَّبويَّة ٦٣٤/٤.

(٢) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة ٦٣٥/٤.

عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ-: "مَا لَهُمْ؟" فقيل: يا رسول الله؛ فُرِّقَ بينهم. فقال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ-: "لا تَبِيْعُوهُمْ إلاَّ جَمِيْعاً".

وغزوة سَالِم بن عُمَيْرٍ لِقَتْلِ أبي عَفَكٍ:

وكان قد نَجَمَ نِفَاقُهُ، حين قَتَلَ رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- الْحَارِثَ بن سُوَيْد بن الصَّامت، فقال أبو عَفَكٍ(١):

لَقَدْ عِشْتُ دَهْراً وَمَا إِنْ أَرَى ... مِنَ النَّاسِ دَاراً وَلاَ مَجْمَعَا
أَبَرَّ عُهُوداً وَأَوْفَى لِمَنْ ... يُعَاقَدُ فِيْهِمْ إِذَا مَا دَعَا [٢٢٤/ظ]
مِنْ أَوْلاَدِ قَيْلَةَ فِي جَمْعِهِمْ ... يَهُدُّ الْجِبَالَ وَلَمْ يَخْضَعَا
/فَصَدَّعَهُمْ رَاكِبٌ جَاءَهُمْ ... حَلاَلٌ حَرَامٌ لِشَتَّى مَعَا [٣٠١]
فَلَوْ أَنَّ بِالْعِزِّ صَدَّقْتُمُ ... أَوْ الْمُلْكِ تَابَعْتُمْ تُبَّعَا

فقال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ-: "مَنْ لِي بِهَذَا الْخَبِيْثِ". فخرج سَالِمُ بن عُمَيْرٍ، أخو بني عَمْرِو بن عَوْفٍ، فَقَتَلَهُ، فقالت أُمَامَةُ الْمُزَيْرِيَّة في ذلك(٢):

تُكَذِّبُ دِيْنَ اللهِ وَالْمَرْءَ أَحْمَدَا ... لَعَمْرُ الَّذِي أَمْنَاكَ أَنْ بِئْسَ مَا يُمْنِي
حَبَاكَ حَنِيْفٌ آخِرَ اللَّيْلِ طَعْنَةً ... أَبَا عَفَكٍ خُذْهَا عَلَى كِبَرِ السِّنِّ

وغزوة عُمَيْر بن عَدِيّ الْخَطْمِيّ:

لِقَتْلِ عَصْمَاءَ بنت مَرْوان، وكانت تحت رَجُلٍ من بني خَطْمَة، فقالت

(١) انظر: السِّيرة النَّبويَّة ٦٣٦/٤.

(٢) انظر: السِّيرة النَّبويَّة ٦٣٦/٤.

تَعِيْبُ الإسلام وأهله(١):

باسْتِ بَنِي مَالِـكٍ وَالنَّبِيْـتِ   وَعَوْفٍ وَباسْتِ بَنِي الْخَـزْرَجِ
أَطَعْتُمْ أَتَاوِيَّ مِـنْ غَيْـرِكُمْ   فَلاَ مِـنْ مُـرَادٍ وَلاَ مَـذْحِجِ
تُرَجُّونَهُ بَعْدَ قَتْـلِ الـرُّؤُوسِ   كَمَا يُرْتَجَى مَـرَقُ الْمُنْضَـجِ
أَلاَ أَنِـفٌ يَبْتَغِـيَ غِـرَّةً   فَيَقْطَعَ مِنْ أَمَـلِ الْمُرْتَجِـي

قال: فأجابها حسَّان بن ثابت فقال(٢):

بَنُـو وَائِـلٍ وَبَنُـو وَاقِـفٍ   وَخَطْمَةُ دُوْنَ بَنِي الْخَـزْرَجِ
<مَتَى مَا دَعَتْ سَفَهاً وَيْحَهَا   بِعَوْلَتِهَا وَالْمَنَايَا تَجِـي>(٣)
فَهَزَّتْ [٢٢٥/و] فَتًى مَاجِداً   كَرِيْمَ الْمَدَاخِلِ وَالْمَخْـرَجِ
فَضَرَّجَهَا مِنْ نَجِيْعِ الـدِّمَاءِ   بَعْدَ الْهُـدُوءِ فَلَـمْ يَحْـرَجِ

فقال رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ–: "أَلاَ آخِذٌ لِي مِنْ ابْنَةِ مَرْوانَ؟" فلمَّا سمع قول رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– عُمَيْر بن عَدِيّ الْخَطْمِيّ، سَرَى عليها في بيتها فقتلها، ثُمَّ أصبح مع رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– فقال: يا رسول الله؛ إِنِّي قد قتلتها. فقال –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ–: "نَصَرْتَ اللهَ وَرَسُولَهُ يَا عُمَيْرُ".

[٣٠٢] /[أَسْرُ ثُمَامَةَ بن أُثَالٍ الْحَنَفِيّ وإسلامه]

وخرجت خيل لرسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ–، وذلك قبل

(١) انظر: السّيرة النّبويَّة ٤/٦٣٧.
(٢) انظر: ديوانه ١/٢٧٧.
(٣) زيادة من "ب".

الفتح، فَأَخَذَتْ رَجُلاً من بني حَنِيْفَةَ لا تعرفه، حتَّى أتوا به رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ–، فقال: "أَتَدْرُونَ مَنْ أَسَرْتُمْ؟"(١) هَذا ثُمَامَةُ بْنُ أُثَالٍ الْحَنَفِيّ، أَطْلِقُوا(٢) إِسَارَهُ".

وَرَجَعَ رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– إلى أهله، فقال: "اجْمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَكُمْ مِنْ طَعَامٍ، فَابْعَثُوا بِهِ إِلَيْهِ". وأمر بلِقْحَتِهِ أن يُغْدَى عليه بها ويُراحُ، وكان لا يَقَعُ منه بشيء يأكله ولاينفعه. ثُمَّ أسلم وكان لا ينال منه إلاَّ قليلاً، فعجب المسلمون من ذلك، فقال رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ–: "مِمَّ تَعْجَبُونَ؟ [أَمِنْ رَجُلٍ](٣) أَكَلَ أَوَّلَ النَّهَارِ فِي مِعَى كَافِرٍ وَأَكَلَ آخِرَ النَّهَارِ فِي مِعَى مُسْلِمٍ إِنَّ الْكَافِرَ يَأْكُلُ [٢٢٥/ظ] فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ وَإِنَّ الْمُسْلِمَ يَأْكُلُ فِي مِعًى وَاحِدٍ".

وأتى بعد إسلامه مكَّة لِيَعْتَمِر، فدخلها يُلَبِّي، فأخذته قُرَيْشٌ، وهمُّوا به، فخلوا سبيله لمَا يخافون من اليَمامَة إذا ذهبوا للطَّعام والتِّجارة، وفيه يقول رَجُل حَنَفِيّ(٤):

وَمِنَّا الَّذِي لَبَّـى بِمَكَّـةَ مُعْلِنـاً   بِرَغْمِ أَبِي سُفْيَانَ فِي الأَشْهُرِ الْحُرُمْ

ولَمَّا انتهى إلى اليَمامة منع قُرَيشاً الْمِيْرَة، حتَّى كتبت إلى النَّبيّ –صَلَّى

(١) "أخذتم" في السيرة النّبويَّة ٤/٦٣٨.
(٢) "أَحْسِنُوا" في السيرة النّبويَّة ٤/٦٣٨.
(٣) زيادة من السيرة النّبويَّة ٤/٦٣٩.
(٤) انظر: السِّيرة النّبويَّة ٤/٦٣٩.

اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ-: إِنَّكَ تَأْمُرُ بِصِلَةِ الرَّحِمِ، و[إِنَّكَ](١) قد قطعت أَرْحامَنا.

فكتب رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- إليه أن يُخَلِّي بينهم وبين الْحَمْلِ.

ثُمَّ سَرِيَّة عَلْقَمَة بن مُجَزِّز:

و لم يَلْقَ فيها كيداً.

[لَمَّا قُتِلَ وقَّاص بن مُجَزِّز الْمُدْلِجِيّ يوم ذِي قَرَد، سأل عَلْقَمَة بن مُجَزِّز رسول الله أن يبعثه في آثار القوم، ليدرك ثأره فيهم](٢).

[٣٠٣] /**[دعابة عبد الله بن حُذَافَة مع جيشه]**

عن أبي سَعِيد الْخُدْرِيّ، قال(٣):

بَعَثَ رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- عَلْقَمَةَ بن مُجَزِّزٍ في جيش، وأنا فيهم، حتَّى إذا كنَّا ببعض الطَّرِيق، أَذِنَ لطائفة من الجيش، واستعمل عليهم عبد الله بن حُذَافَةَ السَّهْمِيّ، وكان من أصحاب رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ-، فلَمَّا كان ببعض الطَّرِيق غضب على الَّذين معه، وأوقد ناراً، ثُمَّ قال للقوم: أليس لي عليكم السَّمْعُ والطَّاعَةُ؟ قالوا: بَلَى. قال: [٢٢٦/و] أَفمَا أنا آمُرُكُمْ بشيء إلاَّ فعلتموه؟ قالوا: نعم. قال: فإنِّي أَعْزِمُ عليكم بحقِّي وطاعتي إلاَّ تواثبتم في هذه النَّار. فقام بعض القوم ليتواثبوا فيها، ومنعهم

(١) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة ٤/٦٣٩.

(٢) انظر: السِّيرة النَّبويَّة ٤/٦٤٠.

(٣) انظر: السِّيرة النَّبويَّة ٤/٦٤٠.

بعضهم، وقالوا: إنَّما هربنا إلى رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- من النَّار. فما زالوا كذلك، حتَّى سكن غضب الرَّجُل، وخمدت النَّار.

فذكروا ذلك لرسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- لَمَّا انصرفوا إليه، فقال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ-(١): "لَوْ دَخَلْتُمُوها لَمْ تَخْرُجُوا مِنْهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، إِنَّما الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ".

<وقال عليٌّ -عليه السَّلام-:>(٢) "لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق".

[سَرِيَّة عليّ -عليه السَّلام- في طلب قوم من بني ضَبَّة]

رُوِيَ(٣) عن جَعْفَر بن محمَّد، عن أبيه، عن آبائه -عليهم السَّلام- [أنَّ عليًّا -عليه السَّلام-](٤) قال:

"قَدِمَ على رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- قومٌ من بني ضَبَّةَ أصابهم المرض في الْمَدِينة، فقال لهم رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ-: "أَقِيمُوا عِنْدِي، فَإِذا أَنْتُمْ بَرِئْتُمْ بَعَثْتُكُمْ فِي سَرِيَّةٍ". فَاسْتَوخَمُوا الْمَدِينةَ، فأخرجهم إلى إبل الصَّدَقة، وأمرهم أن يشربوا من ألبانها وأبوالها يتداوَوْن بها، فلَمَّا بَرِئوا واشتدّوا قَتَلُوا ثلاثة نفرٍ كانوا في الإبل يرعونها، واسْتاقوا الإبل

(١) انظر: دعائم الإسلام ١/٣٥٨.

(٢) زيادة من "ب"، انظر: دعائم الإسلام ١/٣٥٩.

(٣) انظر: دعائم الإسلام ٢/٤٧٦-٤٧٧، الكافي ٧/٢٤٥، تهذيب الأحكام ١٠/١٣٤-١٣٥.

(٤) زيادة من دعائم الإسلام.

وهربوا[١] [بها][٢] يُريدون [٢٢٦/ظ] مواضعهم.

[٣٠٤] /فبلغ ذلك النَّبيّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ–، فأرسلني في طلبهم، فَلَحِقْتُ بهم قريباً من أرض اليمن، وهم في بعض الأودية وقد وَلَجُوا فيه ليس يقدرون على الخروج منه، فأخذتهم وجئتُ بهم إلى رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ–، فَتَلا عليهم هذه الآية: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا﴾[المائدة: ٣٣]. إلى آخر الآية. ثُمَّ قال: "القَطْعُ". فَقَطَعَ أيديَهم وأرجلهم من خِلافٍ".

وقد ذكر ابن هِشام[٣]:

أنه كان في الإبل يَسار مولى النَّبيّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ–، وأنَّهم قتلوه في الَّذين قتلوا واستاقوها.

[بعث عليّ –عليه السَّلام– إلى أهل نَجْران]

وبعث رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– عليّاً بن أبي طالِب –عليه السَّلام– إلى نَجْران، فأخذ الزَّكاة من المسلمين بها، ودوَّخ النَّصارى والمشركين وقتل أبطالهم، وأعطوه الجزْيَة عن يد وهم صاغرون، وقَدِمَ على رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– بصدقاتهم وهداياهم، وجزية الذِّمَّة منهم.

---

(١) "وذهبوا" في دعائم الإسلام.

(٢) زيادة من دعائم الإسلام.

(٣) انظر: السِّيرة النَّبويَّة ٦٤١/٤.

[غزوة عليّ –عليه السّلام– إلى اليمن]

وبعثه رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– إلى اليمن مرَّتين؛ –فيما روى ابن هِشام،– ومعه في إحداهما [٢٢٧/و] خالد بن الوَليد [في جند آخر،][١] وجعل عليّ بن أبي طالِب أميراً على الجميع.

وكذلك كان فإنَّ رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– لم يبعث عليّاً –عليه السّلام– في أيّ غزوة فأمَّر عليه أميراً، بل كان عليّ الأمير على جميع الصَّحابة.

وعن عبد الله بن بُرَيْدَة، عن أبيه بُرَيْدَة الأَسْلميّ، قال[٢]:

[٣٠٥] /"بعثنا رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– في بعث إلى اليمن، وبعث عليه عليّ بن أبي طالِب –عليه السّلام–، وعلى طائفة منه خالد بن الوَليد، وقال: "إذا أنتم اجتمعتم فعليّ على جميع النَّاس، وإذا افترقتم فكلّ واحد على أصحابه". فلقينا العدوّ، فقتلنا المقاتلة وسبينا الذُّريَّة، فاصطفى عليّ –عليه السّلام– لنفسه جارية من السَّبْي.

فكتب بذلك خالد بن الوَليد إلى رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– ونال من عليّ –عليه السّلام–، وأمرني أن أقع فيه عنده، وكنتُ فيمن ضُمَّ إليه، فأتيتُ رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– بكتاب خالد، فدفعته إليه، وقلتُ: يا رسول الله؛ بعثني مع رَجُل أمرتني بطاعته، فوجَّهني إليك، وأمرني

---

(١) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة ٦٤١/٤.

(٢) انظر: شرح الأخبار ٩٣/١–٩٤، مناقب أمير المؤمنين ٣٨٨/٢.

أن أقع في عليٍّ عندكَ، وهذا مقام [٢٢٧/ظ] العائذ بكَ. فقال لي رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ-: "يا بُرَيْدَة؛ لا تَقَع في عَلِيٍّ، فإنَّما عَلِيٌّ مِنِّي وأنا مِنْهُ، وهو وليكم بَعْدِي".

وعن أبي رافع، قال[1]:

"بعث رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- عليّاً أميراً، وأخرج معه عَمْرو بن شاس، فرجع وهو يلوم عليّاً -عليه السّلام- ويشكوه، فبلغ ذلك النَّبيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ-، فبعث إليه، فأتاه، فقال له: "أخبرني عن عليٍّ؛ هل رأيت منه جَوْراً في حُكْم، أو حَيْفاً في قَسْم؟" قال: اللَّهُمَّ لا. قال: "ففيم تنقم عليه، وتقول ما بلغني إنَّك تقول فيه؟" قال: لبغض له في قلبي لا أملكه! فغضب النَّبيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- حتَّى التمع لونه، وعرفنا الغضب في وجهه، ثُمَّ قال: "كذب من زعم إنَّه يحبّني ويبغض عليّاً، من أبغض عليّاً فقد أبغضني، ومن أبغضني فقد أبغض الله، ومن أحبَّه فقد أحبَّني، ومن أحبَّني فقد أحبَّ الله".

وبآخر عن عَمْرو بن شاس هذا[2]:

"إنَّ رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- قال: "مَنْ آذَى عَلِيّاً فَقَدْ آذاني". قال: وكان ذلك إنِّي خرجتُ مع عليٍّ -عليه السّلام- إلى اليَمن، فرأيتُ منه جفوة، فانصرفت إلى المَدينة، [٢٢٨/و] وجعلتُ أشكوه إلى من

(١) انظر: شرح الأخبار ١/١٥٣-١٥٤.

(٢) انظر: شرح الأخبار ١/١٥٤.

أجلس إليه في المسجد. [وإنِّي دخلتُ -يوماً- إلى المسجد،][1] فرأيتُ رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- ينظر إليّ، حتَّى جلستُ، فلَمَّا اطمأننتُ، قال: أما والله يا عَمْرو بن شاس؛ "لَقَدْ /آذَيْتَنِي". قلتُ: أعوذ بالله وبالإسلام أن [٣٠٦] أؤذي رسول الله. قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ-: ["بَلَى][2] مَنْ آذَى عَلِيّاً فَقَدْ آذاني". فقلتُ: والله لا أُؤذيه أبداً".

[خبر نجدة أمير المؤمنين -عليه السّلام- لخالد بن الوليد وفكّ أسره]

وكان في بعض الغزوات خالد بن الوَليد قد انفرد في قليل معه، في وادٍ من أودية تِهامَة، فيها بطل من الأبطال؛ يُقال له: مُهَلْهِل بن الفَيَّاض، فدعاه خالد إلى الإسلام وشهادة أن لا إله إلاّ الله، وأنَّ محمَّداً رسول الله. فأنف لذلك ابن الفَيَّاض، وأخذته حَمِيَّة الجاهليَّة، وصاح بقومه، فجاؤوا إليه أرسالاً وجماعات تتوالى، وكثروا على خالد بن الوَليد، فأحاطوا به وأسروه، فجعلوه في قدّ، وعلّقوه بسعف نخل، فكتب إلى أمير المؤمنين عليّ -عليه السّلام-، قال[3]:

يَعِــزُّ عَلَى عَلِــيّ أَنْ يَرَانِــي ... وَمَا أَنَا فِيْهِ مِــنْ ذُلِّ الْهَــوَانِ

وَقَدْ عُلِّقْتُ[٢٢٨/ظ]فِي جِلْدِ بِقَدٍّ ... وَقَدْ غُلَّتْ إِلَى عُنُقِــي بَنَــانِي

يَقُولُ مُهَلْهِلٌ بِالْجَهْــلِ مِنِّــي ... وَفِي كَفَّيْهِ سَوْطٌ قَــدْ عَلاَنِــي

إِلَهُكَ لَيْسَ يُغْنِي عَنْــكَ شَــيْئاً ... وَرَبِّي فِي الْحَوَادِثِ قَدْ كَفَانِي

(١) زيادة من شرح الأخبار ١/١٥٤.

(٢) زيادة من شرح الأخبار ١/١٥٤.

(٣) لم أعثر على الأبيات في المصادر المتوفرة بين يدي.

فَقُلْتُ لَهُ: لَعَمْرِي أَنْ سَـيَأْتِي   كَمِيٌّ لاَ يَمَـلُّ عَـنِ الطِّعَـانِ

يُفَرِّقُ جَيْشَكُمْ فِي كُـلِّ نَـادٍ   وَيَعْلُوكُمْ بِصَمْصَـامٍ يَمَـانِي

فوافاه أمير المؤمنين –عليه السّلام–، فقتل دونه الأبطال، وأزال عن مواضعها الرِّجال، وانتهى إليه، ففكَّ قيده، وأطلق سراحه.

***

[ذكر حجّة الوداع]

وحجّ رسول الله – صلى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه– حجّة الوداع في سنة عشر، بعد أن أعلم أهل الإسلام في النَّواحي أنّه يُريد الحجّ، لتعرف الأُمَّة مناسك حجّها، وما افترض الله –تعالى– عليها، فخرج – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه– من الْمَدينة في شهر ذي القَعْدَة الحرام لخمس ليال بقين من الشَّهر، وتلك الحجَّة تُسَمَّى: "حجَّة الوداع"؛ لأنَّها آخر حجَّة حجَّها رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه–، و"حجَّة /البَلاغ"؛ لَمَّا أُوحي فيها إليه – صَلَّى اللهُ [٣٠٧] عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه–: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾[المائدة: ٦٧]. الآية. وسوف نذكر الحديث إذا انتهينا إليه.

وساق رسول الله معه – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه– [٢٢٩/و] الْهَدْي، فلمَّا انتهى إلى سَرِف[1]، أمر النَّاس أن يهلّوا بعُمْرَة إلاَّ مَنْ ساق الْهَدْي.

[ذكر الإحْرام]

وعن جَعْفَر بن محمَّد – عليه السلام–، عن آبائه – عليهم السّلام–، أنّهم قالوا[2]:

"أفضل الحجّ التَّمتُّع بالعُمْرَة إلى الحجّ، وهو الَّذي نزل به القرآن، وقام بفضله رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه–، وقد كان ساق الْهَدْي في حجَّة الوَداع، فلَمَّا انتهى إلى مكَّة، وطاف بالبيت، وسعى بين الصَّفا والْمَرْوَة،

(1) انظر: معجم البلدان ٣/٧٧-٧٨.

(2) انظر: دعائم الإسلام ١/٣٠٧.

نزل عليه ما يَنْزل عليه، -يَعْنِي من الوَحْي- فقال: لو اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أمْرِي ما اسْتَدْبَرْتُ لَمْ أسُقِ الْهَدْيَ، ولجعلتها متعةً، فمن لم يكن معه هَدْيٌ فليحلّ. فحلَّ النَّاسُ، وجعلوها عُمْرَة، إلاّ مَنْ كان معه هَدْيٌ. ثُمَّ أحرموا للحجّ من المسجد الحرام يوم التَّروية.

قال جَعْفَر بن محمَّد – عليه السلام-: فهذا وجه التَّمتُّع بالعُمْرَة إلى الحجّ لمن لم يكن من أهل الْحَرَم كما قال الله -عزَّ وجلّ-: ﴿لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾[البقرة: ١٩٦]. لأنَّ أهل الْحَرَم يقدرون على العُمْرَة متى أحبُّوا، وإنَّما وسع الله -عزّ وجلّ- في ذلك لمن أتى من أهل البلدان، فجعل لهم في سَفْرَةٍ واحدةٍ حجَّةً وعُمْرَةً، رحمة من الله لخلقه، ومَنّاً [٢٢٩/ظ] عليهم وإحساناً إليهم".

قال جَعْفَر بن محمَّد – عليه السلام-(1):

"وإذا أراد الْمُحْرِم الإحْرام عقد نِيَّته، وتكلَّم بما يُحْرِم له من حجّ أو عُمْرَة، أو حجّ مفردٍ، أو عُمْرَة مفردة، يقول: "اللَّهُمَّ إنِّي أُرِيْدُ أن أتمتَّع بالعُمْرَة إلى الحجّ".

أو يقول: "اللَّهُمَّ إنِّي أُرِيْدُ أن أقْرُنَ الحجّ بالعُمْرَة". إنْ كان معه هَدْي.

أو يقول: "اللَّهُمَّ إنِّي أُرِيْدُ الحجّ". إنْ كان يفرد الحجّ.

[٣٠٨] /أو يقول: "اللَّهُمَّ إنِّي أُرِيْدُ العُمْرَة، -إنْ كان مُعْتَمِراً- على كتابك وسنَّة نبيّك، اللَّهُمَّ ومحلّي حيث حَبَسْتَنِي لقَدَرِكَ الَّذي قَدَرْتَ عَلَيّ، اللَّهُمَّ

(1) انظر: دعائم الإسلام ١-٣٠٦-٣٠٧.

فأعنّي على ذلك، ويَسِرّه لي، وتقبَّله منِّي".

ثُمَّ يدعو بما أَحَبّ من الدُّعاء، وإن نَوى ما يُريد فعله من حجّ أو عُمْرَة دون أن يلفظ به أجْزَاهُ ذلك".

[موافات علي – عليه السلام- في قفوله من اليمن رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ-]

ووافى عليّ بن أبي طالب – عليه السلام- قافلاً إلى رسول الله من نجران، وكان رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- قد بعثه إليه فلقيه بمكّة.

[شكا عليّاً – عليه السلام- جنده إلى الرَّسول – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- لانتزاعه منهم حللاً]

وفيما أسند ابن هِشام، يرفعه إلى يَزِيد بن طَلْحَة بن يزيد بن رَكانة، قال(1):

"لَمَّا أقبل عليّ – عليه السلام- من اليمن ليلقى رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آله- بمكّة، فعجَّل – عليه السلام- إلى [٢٣٠/و] رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ-، واستخلف على جُنْده الَّذين معه رَجُلاً من أصحابه، فعمد ذلك الرَّجُل فكَسا كلّ رَجُل من القوم حُلَّة من البَزّ الَّذي كان مع علي – عليه السلام-، فلَمَّا دنا جيشه خرج ليلقاهم، فإذا عليهم الْحُلل، قال: ويلك! ما هذا؟ قال: كسوت القوم ليتجمّلوا به إذا قدموا في النَّاس. قال: ويلك! انْزِع قبل أنْ تنتهي به إلى رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

(1) انظر: السِّيرة النَّبويَّة ٤/٦٠٣.

وَعَلَى آلِه. قال: فانتزع الْحُلل من النَّاس، فردَّها في البَزِّ، قال: وأظهر الجيش شكواه لِمَا صُنِعَ بهم".

ورُوِيَ عن أبي سَعيد الْخُدْرِيّ قال(١):

"اشتكى النَّاس عليّاً - عليه السلام-، فقام رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيه وَعَلَى آله- فينا خطيباً، فسمعته يقول: "أَيُّهَا النَّاسُ؛ لا تَشْكُوا عَلِيّاً، فَوَاللهِ إِنَّهُ لأَخْشَنُ فِي ذَاتِ اللهِ -أَوْ قَالَ: فِي سَبِيلِ اللهِ- [مِنْ أَنْ يُشْكَى"](٢).

[ما أَمَرَ به الرَّسول – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– عليّاً – عليه السلام– من أمور الحجّ]

[٣٠٩] /قال ابن هِشام(٣):

"وكان عليّ قد دخل على فاطمَة – عليها السَّلام- [بعد](٤) مقدمه من سفره، فوجدها قد حلَّت وتَهَيَّأت، فقال: مالكِ يا بنت رسول الله؟ قالت: أَمَرَنا رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– أن نَحِلّ بعُمْرَة فحللنا.

قال: ثُمَّ أتى رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آله–، فلَمَّا فرغ من الخبر عن سفره، [قال له رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آله–: "انطلق فَطُف بالبيت، وحِلّ كما حَلّ أصحابُك". قال: يا رسول الله؛ إنِّي أهللتُ

(١) انظر: السّيرة النّبويَّة ٤/٦٠٣.

(٢) زيادة من السّيرة النّبويَّة ٤/٦٠٣.

(٣) انظر: السّيرة النّبويَّة ٤/٦٠٢.

(٤) زيادة من السّيرة النّبويَّة ٤/٦٠٢.

كما أهللتَ. فقال: "ارجع فاحْلِلْ كما حلَّ أصحابك".](١) قال: يا رسول الله؛ إنِّي قلتُ [٢٣٠/ظ] حين أحرمتُ: اللَّهُمَّ إنِّي أُهِلّ بما أَهَلَّ به نَبِيُّكَ وعبدك ورسولك محمَّد – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آله–، [قال: "فَهَلْ مَعَكَ مِنْ هَدْيٍ؟" قال: لا.](٢) فأشركه رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– في هَدْيِه".

[ذكر الهَدْي]

وعن الصَّادق، عن أبيه، عن آبائه – عليهم السّلام–(٣):

"أنَّ رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آله– أشرك عليّاً في هَدْيِه، وكانت مئة بَدَنَة، فنحر رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– من الإبل ثلاثة وستِّين، وأمر عليّاً – عليه السلام– بنحر باقيهنّ".

قال الصَّادق – عليه السلام–، [عن أبيه، عن آبائه](٤):

"أنَّ رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– نَحَرَ هَدْيَهُ بمِنًى، وقال: "هذا الْمَنْحَر، ومِنَى كلّها مَنْحَر". وأمر النَّاس فنحروا فذبحوا ذبائحهم في رِحالهم بِمِنَى".

[ذكر الرَّغائب في الحجّ]

وعن عليّ – عليه السلام– **أنَّه قال**(١):

(١) زيادة من السيرة النّبويَّة ٤/٦٠٢.

(٢) زيادة من السيرة النّبويَّة ٤/٦٠٢.

(٣) انظر: دعائم الإسلام ١/٣٣٣.

(٤) انظر: دعائم الإسلام ١/٣٣٢.

[٣١٠] /"نَظَرَ رسولُ الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– إلى أقطار جمال الحجيج، فقال: لا تَرْفَعُ خُفّاً إلاّ كُتِبَتْ لهم حسنةٌ، ولا تضع خُفّاً إلاّ مُحِيَتْ عنهم سَيِّئة، وكُتِبَت لهم حسنة، وإذا قضوا[٢] مناسكهم قيل لهم: بنيتم بناءً فلا تَهْدِمُوهُ. كُفيتم ما مضى، فأحْسِنوا فيما تستقبلون".

وعنه – عليه السلام– أنّ رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– قال[٣]:

"مَنْ أراد دُنْيا أو آخرةً فَلْيَؤُمَّ هذا البيت، ما أتاه عبد فسأل دُنيا إلاّ أعطاه منها. أو [سأله][٤] آخرة إلاّ ادَّخَر له منها.

أيُّها النَّاسُ؛ عليكم بالحجّ والعُمْرَة، فتابعوا بينهما فإنَّهما يغسلان الذُّنوب [٢٣١/و] كما يغسل الماء الدَّرَنَ، وينفيان الفقر كما تنفي النَّار خبث الحديد".

[ذكر مواقيت الإحرام]

قال جَعْفَر بن محمَّد – عليه السلام–[٥]:

"والإحرام من مواقيت خمسة وَقّتها رسولُ الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى

(١) انظر: دعائم الإسلام ٣٠٢/١.
(٢) "آ": "قضيت"، "ب": "قضيتم"، وما أثبت فهو من دعائم الإسلام.
(٣) انظر: دعائم الإسلام ٣٠٢/١.
(٤) زيادة من دعائم الإسلام.
(٥) انظر: دعائم الإسلام ٣٠٤/١، من لا يحضره الفقيه ٣٠٢/٣-٣٠٣، الأمالي للصدوق ٧٤٨، الكافي ٣١٩/٤، تهذيب الأحكام ٥٥/٥، رسائل الشريف المرتضى ٦٤/٣-٦٥، الكافي في الفقه لابن الصَّلاح الحلبي ٢٠١-٢٠٢.

آلِه–؛ فَوَقَّتَ لأهل الْمَدينة ذا الْحُلَيْفَة وهو مسجد الشَّجرة، ولأهل الشَّام الْجُحْفَةَ، ولأهل اليمن يَلَمْلَم، ولأهل الطَّائف قَرْنَ الْمَنازِل، ولأهل نَجْد العَقيق.

قال الصَّادق: فهذه المواقيت لأهل هذه المواضع، ولمن جاء من جهتها من أهل البلدان".

وعن الصَّادق، عن أبيه، عن آبائه – عليهم السّلام–[١]:

"أنّ رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– لَمَّا حجَّ حِجَّة الوداع، خرج فلَمَّا انتهى إلى الشَّجرة أمر النَّاس بِنَتْفِ الإبط، وحلق العانة، والغسل، والتجرُّد من الثِّياب[٢] في رِداء وإزار، أو ثوبين ما كانا، يشدّ أحدهما على وسطه، ويُلقي الآخر على ظهره".

[٣١١] /قال الصَّادق – عليه السلام–[٣]:

"ويأخذ مَنْ أراد الإحرام من شاربه، ويُقلِّم أظافره، ولا يضرّه بأي ذلك بدأ، وليكن فراغه من ذلك عند زوال الشَّمس إن أمكنه ذلك فهو أفضل الأوقات للإحرام، ولا يضرّه أيّ وقت أحرم من ليلٍ أو نهار".

[ذكر التَّقليد والإشعار والتَّجْليل والتَّلْبِيَة]

وعنه – عليه السلام–، عن آبائه – عليهم السّلام–[١]:

(١) انظر: دعائم الإسلام ٣٠٥/١.
(٢) "آ" و "ب" + "المخيطة" وهي زيادة لم ترد في دعائم الإسلام لذلك ارتأيت حذفها.
(٣) انظر: دعائم الإسلام ٣٠٦/١.

"أنّ رسول الله – صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آله– لَمَّا أشرف على البيداء أَهَلَّ بالتَّلْبية– والإهلال رفع الصَّوت– فقال: لَبَّيكَ اللَّهُمَّ لبَّيك، لبَّيك لا شريك لك لبَّيك، إنَّ الحمد والنِّعمة لك والملك، لا شريك لك".

[ذكر دخول الْحَرَم والعمل فيه]

وعنه – عليه السلام–، عن آبائه – عليهم السّلام–[٢]:

"أنّ رسول الله – صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه– نَهى أن يُنَفر صَيْدُ مكّة، وأن يُقطع شجرها، وأن يُختَلى خَلاَها. ورخَّص من ذلك في الإِذْخِر وعَصى الرَّاعي. وقال: "مَنْ أَصبتموه اختلى الْخَلا، أو عَضَدَ[٣] الشَّجر، أو نَفَّرَ الصَّيد -يعني في الْحَرَم- فقد حَلَّ لكم سَلَبُهُ، وأَوْجِعُوا ظهره بما استحلَّ في الْحَرَم".

وعن عليّ – عليه السلام–[٤]:

"أنّ رسول الله – صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آله– لَمَّا دخل المسجد الحرام في حِجَّة الوداع بدأ بالرُّكن فاستلمه ثُمَّ أخذ في الطَّواف".

[٣١٢] /**[ذكر الطَّواف]**

وعن الباقر محمَّد بن علي – عليه السلام–، أنّه قال[٥]:

(١) انظر: دعائم الإسلام ١/٣٠٩.
(٢) انظر: دعائم الإسلام ١/٣١٨.
(٣) "آ" و "ب": "قطع"، وأثبت ما في دعائم الإسلام.
(٤) انظر: دعائم الإسلام ١/٣١٩.
(٥) انظر: دعائم الإسلام ١/٣١٩-٣٢٠.

"لَمَّا دَخَلَ رسول الله – صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه– المسجد الْحَرام بَدَأَ بالرُّكْنِ فاستلمه، ثُمَّ مضى عن يمينه والبيت عن يساره، وطاف أسبوعاً، رَمَلَ ثلاثة أشواط، ومَشَى أربعاً".

وعن الصَّادق – عليه السلام– قال[١]:

"كان رسول الله – صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آله– يستلم الرُّكْنين: الرُّكن الَّذي فيه الحجر الأسود، والرُّكْن اليَمانيّ، [٢٣٢/و] كلَّما مَرَّ بهما في الطَّواف".

وعن الباقر – عليه السلام– أنّه قال[٢]:

"في قول الله -عز وجل-: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾[البقرة: ١٥٨]. قال [أبو جعفر][٣] -عليه السلام-: إنَّ الطَّواف بهما واجب مفروض، وفي قول الله -تعالى- هذا بيان في ذلك. ولو كان في ترك الطَّواف بهما رخصةٌ لقال: "فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَلاَّ يَطَّوَّفَ بِهِمَا". ولكنّه لَمَّا قال: ﴿فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾؛ أُعلمَ أنَّهم كانوا يرون في الطَّواف بهما جناحاً، وكذلك كان الأمر؛ كان الأنصار يُهلُّون لِمَنَاة، وكانت مَنَاة حَذْوَ قُدَيْد، فكانوا يتحرَّجون أن يتطوَّفوا بين الصَّفا والْمَرْوَة، فلَمَّا جاء الإسلام سألوا رسول الله -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آله- عن ذلك، فأنزل الله -عز وجل-: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾".

(١) انظر: دعائم الإسلام ١/٣٢٠.
(٢) انظر: دعائم الإسلام ١/٣٢٣-٣٢٤.
(٣) زيادة من دعائم الإسلام.

[ذكر الخروج إلى مِنى والوقوف بعَرَفَة]

ورُوينا[1] عن رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ-:

[٣١٣] /"أنّه غدا يوم عَرَفَة من مِنَى بعد أن طلعت الشّمس، فصلّى الظُّهْر بعَرَفَةَ".

وعن عليّ[2] – عليه السلام-:

"أنّ رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- نزل من عَرَفَة بنَمِرَةَ وأقام بها، [٢٣٢/ظ] حتّى إذا زاغت الشّمس، أَمَرَ فَرُحِّلَتْ له القَصْواء، فركبها – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ-، حتّى أتى بطن الوادي، فوقف يخطب النّاس، ثُمَّ أذّن بلال، ثُمَّ أقام الصّلاة فصلّى الظّهر، ثُمَّ أقام فصلّى العصر، ولم يصلّ شيئاً بينهما، ثُمَّ ركب حتّى أتى الموقف".

[خطبة الرّسول – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- في حجّة الوداع]

وكانت خطبة رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- بعد أن حمد الله وأثنى عليه أن قال[3]:

"أَيُّهَا النَّاسُ؛ اسْمَعُوا قَوْلِي، فَإِنِّي لاَ أَدْرِي لَعَلِّي لاَ أَلْقَاكُمْ بَعْدَ عَامِي هَذَا بِهَذَا الْمَوْقِفِ أَبداً.

أَيُّهَا النَّاسُ؛ إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ إِلَى أَنْ تَلْقَوْا رَبَّكُمْ،

(١) انظر: دعائم الإسلام ٣٢٧/١.
(٢) انظر: دعائم الإسلام ٣٢٧/١.
(٣) انظر: السّيرة النّبويّة ٦٠٣/٤-٦٠٥.

كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، وَكَحُرْمَةِ شَهْرِكُمْ هَذَا، وَإِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ، فَيَسْأَلُكُمْ عَنْ أَعْمَالِكُمْ، وَقَدْ بلَّغْت، فَمَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ أَمانَةٌ فَلْيُؤَدِّهَا إِلَى مَنْ ائْتَمَنَهُ عَلَيْهَا. وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ فَلَنْ تَضِلُّوا مِنْ بَعْدِي: كِتابَ اللهِ وعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي فَإِنَّهُما لَنْ يَفْتَرِقا حَتَّى يَرِدا عَلَيَّ الْحَوْضَ.

أَيُّهَا النَّاسُ، اسْمَعُوا قَوْلِي واعْقِلُوه؛ تَعَلَّمُنَّ أَنَّ كُلَّ مُسْلِمٍ أَخٌ لِلْمُسْلِمِ وَإِنَّ الْمُسْلِمِينَ إِخْوَةٌ، فَلاَ يَحِلُّ لامْرِئٍ مِنْ أَخِيهِ إِلاَّ مَا أَعْطاهُ عَنْ طِيبِ نَفْسٍ مِنْهُ، [٢٣٣/و] وَإِنَّ كُلَّ رِباً مَوْضُوعٌ، وَلَكِن ﴿[فَـ]ـلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ﴾[البقرة: ٢٧٩]. قَضَى اللهُ أَنَّهُ لاَ رِبَا، وَإِنَّ رِبَا عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ مَوْضُوعٌ كُلُّهُ، وَإِنَّ كُلَّ دَمٍ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ، وَإِنَّ أَوَّلَ دِمَائِكُمْ أَضَعُ دَمَ ابْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِب. -وَكَانَ مُسْتَرْضَعاً فِي بَنِي لَيْث، فَقَتَلَتْهُ هُذَيْلٌ فَهْوَ أَوَّلُ مَا أَبْدَأُ بِهِ مِنْ دِمَاءِ الجاهليّة-.

أَمَّا بَعْدُ، أَيُّهَا النَّاسُ؛ فإِنَّ الشَّيْطانَ قَدْ يَئِسَ مِنْ أَنْ يُعْبَدَ بِأَرْضِكُمْ هَذِهِ أَبَداً، وَلَكِنَّهُ إِنْ يُطَعْ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ فَقَدْ رَضِيَ بِهِ مِمَّا تَحْقِرُونَ مِنْ أَعْمَالِكُمْ، فَاحْذَرُوهُ عَلَى دِينِكُمْ.

[٣١٤] /أَيُّهَا النَّاسُ؛ ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِّيُوَاطِئُواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ اللهُ﴾[التوبة: ٣٧].

وَإِنَّ الزَّمَانَ قَدْ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللهُ السَّموات وَالأَرْضَ، وَ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾[التوبة: ٣٦]. مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ، ثَلاثَةٌ

مُتَوَالِيَةٌ، [٢٣٣/ظ] وَرَجَبُ مُضَرَ، الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ.

أَمَّا بَعْدُ، أَيُّهَا النَّاسُ؛ فَإِنَّ لَكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ حَقّاً، وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ حَقّاً، لَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لاَ يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ أَحَداً تَكْرَهُونَهُ، وَعَلَيْهِنَّ أَنْ لاَ ﴿يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾[النساء: ١٩]. فَإِنْ فَعَلْنَ فإِنَّ اللهَ قَدْ أَذِنَ لَكُمْ أَنْ تَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَتَضْرِبُوهُنَّ ضَرْباً غَيْرَ مُبَرِّحٍ فَإِنْ انْتَهَيْنَ فَلَهُنَّ ﴿رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾[البقرة: ٢٣٣]. وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْراً فَإِنَّهُنَّ عَوَانٍ عِنْدَكُمْ لاَ يَمْلِكْنَ لأَنْفُسِهِنَّ شَيْئاً، وَإِنَّكُمْ إِنَّمَا أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانَةِ اللهِ وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَاتِ اللهِ.

فَاعْقِلُوا أَيُّهَا النَّاسُ قَوْلِي: إِنَّ اللهَ قَدْ أَدَّى إِلَى كُلِّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، وَإِنَّهُ لاَ تَجُوزُ وَصِيَّةٌ لِوَارِثٍ، وَالوَلَدُ لِلْفِرَاشِ، وَلِلْعَاهِرِ الْحَجَرُ، وَمَنِ ادَّعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيْهِ، أَوْ تَوَلَّى غَيْرَ مَوَالِيْهِ، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلاَئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِيْنَ، لاَ يَقْبَلُ اللهُ مِنْهُ صَرْفاً وَلاَ عَدْلاً".

هذا قوله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ–، "الصَّرْف": الفرض. و"العدل": النَّافلة.

[ذكر الدَّفع من عَرَفَة إلى الْمُزْدَلِفَة]

وعن الصَّادق – عليه السلام– أنَّه قال[1]:

"في قول الله – عزّ وجلّ–: ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾[البقرة: ١٩٩]. قال: كانت قُرَيش تفيض [٢٣٤/و] منْ الْمُزْدَلِفَة في الجاهليَّة، ويقولون:

(١) انظر: دعائم الإسلام ٣٢٨/١.

نحنُ أَوْلى بالبيت من النَّاس. فأمرهم الله -عزّ وجلّ- أن يفيضوا منْ [عَرَفات منْ][1] حيث أفاض النَّاس".

/وعن سَعد الخَفَّاف[2]، يرفعه إلى أبي أَيُّوب الأنصاري، قال[3]: [٣١٥]

"خرج علينا رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– يوم عَرَفَة، فقال: "يا أَيُّهَا النَّاسُ؛ إنَّ اللهَ – عزّ وجلّ– باهَى بكم [الملائكة][4] في هذا اليوم، فغفر لكم عامَّة، و[غفر][5] لعلي خاصَّة.

فأمَّا العامَّة منكم: فمن لم يحدث بعدي حَدَثاً؛ وهو قول الله -عزّ وجلّ-: ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ﴾[الفتح: ١٠]. وأمَّا الخاصَّة: فطاعة عليٍّ طاعتي، فمن عصاه فقد عصاني. ثُمَّ قال [له]: "قُمْ يا عليّ". فقام، فوضع رسُول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– كفَّه[6] في كفِّه، ثُمَّ قال: "أَيُّهَا النَّاسُ؛ إِنِّي رسول الله إليكم جميعاً، فطاعتي مفروضة.

(١) زيادة من دعائم الإسلام.

(٢) صحف في "آ" و "ب": "سعيد الحجّاف". وفي شرح الأخبار: "عن أبي سعيد الحجّاف". انظر: مناقب أمير المؤمنين ٢٠٧/١؛ جاء فيه: ".. عن سعد الخفّاف، عن الأصبغ بن نباته، عن أبي أيّوب الأنصاري".

(٣) انظر: شرح الأخبار ٢٠٩/١–٢١٠، مناقب أمير المؤمنين ٢٠٧/١–٢٠٨، ٢٤٥/٢، الأمالي للصدوق ٢٤٨–٢٤٩، معجم الطبراني ٤١٥/٢٢، دلائل الإمامة ٧٤–٧٥.

(٤) زيادة من مناقب أمير المؤمنين.

(٥) زيادة من مناقب أمير المؤمنين.

(٦) "آ" و "ب": "يده" وما أثبت فهو من شرح الأخبار.

[ألاَ](1) وإنِّي غير خائف لقومي، ولا محاب لقرابتي منهم، وإنَّما أنا رسول الله، ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ﴾[النور: ٥٤].

ألا وإنَّ هذا جَبْرَائِيل يخبرني عن ربِّي – عزَّ وجلَّ-: إنَّ السَّعيد حقَّ(2) السَّعيد من أحبَّ عليّاً في حياته وبعد وفاته.

وإنَّ الشَّقيَّ حقّ(3) الشَّقيّ من أبغض عليّاً في حياته أو بعد وفاته".

و[رُوِّينا] عن عليّ – عليه السلام-(4):

"أنَّ رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- دفع مِنْ عَرَفَة حين غَرَبَت الشَّمس".

[٣١٦] /وعنه(5) – عليه السلام- أنَّه قال:

"وإذا أَفَضْتَ من عَرفات فَأَفِضْ وعليك السَّكينة والوَقار، وأفض بالاستغفار، فإنَّ الله -تعالى- يقول: ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُواْ اللَّهَ﴾[البقرة: ١٩٩]. واقْصدْ في السَّير، وعليك بالدَّعَة وترك الوَجيف الَّذي يصنعه كثير من النَّاس، فإنَّ رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- لَمَّا دفع من عَرَفَة شنقَ القَصْوَاءَ بالزِّمام، حتَّى إنَّ رأسها ليصيب رَحْلَهُ، وهو يقول ويشير بيده اليُمنى إلى النَّاس: "أيُّهَا النَّاسُ؛ السَّكِينة السَّكِينة".

(١) زيادة من مناقب أمير المؤمنين.
(٢) "آ" و "ب": "كلّ" وما أثبت فهو من شرح الأخبار.
(٣) "آ" و "ب": "كلّ" وما أثبت فهو من شرح الأخبار.
(٤) انظر: دعائم الإسلام ١/٣٢٨، ومنه زيادة: "رُوِّينا".
(٥) عن الإمام جعفر الصَّادق – عليه السلام- كما جاء في دعائم الإسلام ١/٣٢٩.

وكُلمَّا أتى جَبَلاً من الجبال أرْخَى لها قليلاً حتَّى تصعد، حتَّى أتى الْمُزْدَلِفَة. وسُنَّتُهُ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- تُتَّبَعُ".

وقال [عليّ] -صلوات الله عليه-(1):

"لَمَّا دفع رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- [٢٣٥/و] مِنْ عَرَفات مرَّ حتَّى أتى الْمُزْدَلِفَة، فجمع فيها بين صلاتي المغرب والعشاء بأذان واحد، وإقامتين".

وقال الصَّادق – عليه السلام-(2):

"ورخَّص رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- في تقديم الثَّقل والنِّساء والضُّعفاء من مُزْدَلِفَة إلى مِنًى بليل".

وعنه(3) – عليه السلام-:

"أنَّ رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- لَمَّا صلَّى صلاة الفجر بجَمْعٍ يوم النَّحر، ركب القَصْوَاءَ حتَّى أتى إلى الْمَشْعَرِ الحرام، فرَقِيَ عليه، واستقبل القِبْلَة وكبَّر الله، وهلَّله، ووحَّده، ولم يزل واقفاً حتَّى أسفر جدّاً، ثُمَّ دفع قبل أن تطلع الشَّمس".

[٣١٧] /و[عنه(4) – عليه السلام-، أنَّه قال]:

(١) انظر: دعائم الإسلام ١/٣٢٨.
(٢) انظر: دعائم الإسلام ١/٣٣٠، وفيه: عن أبي جعفر – عليه السلام.
(٣) عن الإمام محمد الباقر – عليه السلام- كما جاء في دعائم الإسلام ١/٣٣٠.
(٤) عن الإمام محمد الباقر – عليه السلام- كما جاء في دعائم الإسلام ١/٣٣٠.

"قال رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَعَلَى آلِهِ-: كُلُّ عَرَفَةَ مَوْقِف، وكُلُّ المُزْدَلِفَةِ مَوْقِفٌ، وكُلُّ مِنَى مَنْحَرٌ. ووقف رسول الله على قُزَحَ وهو الجبل الّذي عليه البناء".

وقال[١] – عليه السلام-:

"لَمَّا أفاض رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- من مُزْدَلَفَة، جعل يسير العَنَقَ، و[هو][٢] يقول: [أَيُّهَا النَّاسُ؛][٣] السَّكِيْنَةَ السَّكِيْنَةَ، حتَّى وقف على بطن مُحَسِّر، فَقَرَعَ ناقَتَهُ فَخَبَّتْ حتَّى خَرَجَ، ثُمَّ عادَ إلى سَيْرِهِ الأوَّل. - قال الصَّادق -عليه السلام-: والسَّعي واجب ببطن مُحَسِّرٍ-.

قال: ثُمَّ سار رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- حتَّى أَتَى جَمْرَةَ العَقَبَةِ، فَرَماها بسبع حَصَيَاتٍ".

[ذكر رَمْي الجمار]

[وعنه – عليه السلام- أنّه قال:

"لَمَّا أقبل رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- مِنْ مُزْدَلِفَةَ مَرَّ على جَمْرَةَ العَقَبَةَ يوم النَّحر، فرماها بسبع حَصَيَاتٍ.][٤] ثُمَّ أتى إلى مِنَى، وذلك

(١) عن الإمام جعفر الصَّادق – عليه السلام- كما جاء في دعائم الإسلام ١/٣٣٠-٣٣١.

(٢) زيادة من دعائم الإسلام.

(٣) زيادة من دعائم الإسلام.

(٤) زيادة من دعائم الإسلام ١/٣٣١-٣٣٢، ورفع فيه الحديث إلى الإمام محمد الباقر –عليه السلام.

من [٢٣٥/ظ] السُّنَّة، ثُمَّ تُرْمَى أيّام التَّشْريْق، الثَّلاث الجَمْرات، كلّ يوم عند زوال الشَّمس وهو أفضل. وذلك أن ترمي من أوَّل النَّهار إلى آخره، ولا تُرْمَى الجمارَ إلاّ على طُهْرٍ، ومن رمى على غير طُهْر فلا شيء عليه".

وعنه – عليه السلام-[١]:

"أنَّ رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- كان يرمي الجمار ماشياً، ومَنْ ركب إليها فلا شيء عليه".

/وعن عليّ بن أبي طالب – عليه السلام- أنّه قال[٢]: [٣١٨]

"إنَّ رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- لَمَّا رَمَى جَمْرَةَ العَقَبَةَ يوم النَّحْر أتى إلى المَنْحَر بمِنَى، فقال: "هَذَا المَنْحَرُ، وَمِنَى كُلُّها مَنْحَرٌ". ونَحَرَ هَدْيَهُ - عليه السلام-، ونحر النَّاس في رِحالهم بمِنَى".

[ذكر الْهَدْي]

وعن علي – عليه السلام- أنّه قال[٣]:

"لَمَّا نَحَرَ رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ-، أَمَرَ مِنْ كلّ بَدَنَة بقطعة، فَطُبِخَتْ فَأَكَلَ منها، وأَمَرَني بأن آكل معه اللّحم، وحسونا من الْمَرَق، وكان أشركني في هَدْيِهِ، وقال: مَنْ حَسا من الْمَرَق فقد أكل من اللَّحم".

(١) انظر: دعائم الإسلام ١/٣٣٢، ورفع فيه الحديث إلى الإمام محمد الباقر – عليه السلام.

(٢) انظر: دعائم الإسلام ١/٣٣٢.

(٣) انظر: دعائم الإسلام ١/٣٣٦.

[ذكر الحلق والتَّقصير]

وعن الصَّادق – عليه السلام– أنَّه قال[١]:

"وإذا صرتَ إلى مِنَى فانحر هَدْيَكَ، واحْلِقْ رأسك، ولا يضرُّك بأيِّ ذلك بدأت. قال: والحلق أفضل من التَّقصير، [٢٣٦/و] لأنَّ رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– حَلَقَ رأسَهُ في حِجَّة الوداع، وفي عُمْرَة الحُدَيْبِيَّة".

[ذكر ما يفعله الحاجّ أيَّام مِنَى]

وعن عليّ – عليه السلام–[٢]:

"أنَّ رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– أفاض يوم النَّحر إلى البيت، فصلَّى الظُّهر بمكَّة".

وعنه – عليه السلام–[٣]:

"أنَّ رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– قصر الصَّلاة بِمِنَى".

[٣١٩] /قال عليّ بن أبي طالب – عليه السلام–[٤]:

"ولا يبيت أحد من الحجيج لَيالي مِنَى إلاَّ بِمِنَى".

(١) انظر: دعائم الإسلام ١/٣٣٧.

(٢) انظر: دعائم الإسلام ١/٣٣٩.

(٣) انظر: دعائم الإسلام ١/٣٤٠.

(٤) انظر: دعائم الإسلام ١/٣٣٩، وفيه: "وعنه [جعفر الصَّادق – عليه السلام–] أنَّه نهى أن يبيت أحد..."

[ذكر النَّفْرِ من مِنَى]

وعن الصَّادق – عليه السلام– أنَّه قال[١]:

"يُسْتَحَبّ لمن نفر من مِنَى أن يَنْزل بالْمُحَصَّبِ –وهي البَطْحاء–، فيمكث بها قليلاً، ثُمَّ يرتحل إلى مكَّة، فإنَّ رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– كذلك فعل".

وعن عليّ بن الحسين – عليه السلام– أنَّه قال[٢]:

"صلَّى رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– في البيت بين العَمُودَيْن على الرُّخَامَة الحمراء، واستقبل ظُهْراً البيت وصلَّى ركعتين".

قال الصَّادق – عليه السلام–[٣]:

"ولا تُصلَّى[٤] صلاة مكتوبة في داخل الكَعْبَة".

[ولادة محمَّد بن أبي بَكْر في حِجَّة الوداع]

وولد محمَّد بن أبي بَكْر في تلك الحجَّة بمكَّة، وهو من أسْماء بنت عُمَيْس؛ تزوَّجها أبو بَكْر بعد أن استشهد جَعْفَر الطَّيَّار بمُؤْتَة، فولدت له محمَّد ابن أبي بَكْر، <وتزوَّجها بعد أبي بَكْر عليّ -عليه السلام- بعد فاطمَة الزَّهراء عليها السَّلام.

(١) انظر: دعائم الإسلام ١/٣٤١.

(٢) انظر: دعائم الإسلام ١/٣٤١.

(٣) انظر: دعائم الإسلام ١/٣٤١.

(٤) "ولا تصلح" في دعائم الإسلام.

[٣٢٠] /ولمّا ولد محمَّد بن أبي بَكْر<[١]> أتت به <أخته>[٢] عائشة بنت أبي بَكْر إلى رسول الله - صَلّى اللهُ عَلَيهِ وَعَلَى آلِهِ-، فقالت: [٢٣٦/ظ] يا رسول الله؛ ادع له. فقال: "اللَّهُمَّ ارزقه ولاية أهل بيتي". فقالت: يا رسول الله؛ ادع له. فقال: "قد فعلت".

فاستجيبت دعوة رسول الله - صَلّى اللهُ عَلَيهِ وَعَلَى آلِهِ-، فكان محمَّد <ابن أبي بكر>[٣] ممَّن يتولّى أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب-عليه السلام-، ومات على طاعته وولايته، يُقرِّبه ويُدْنيه، ولا يُبْعده ولا يُقصيه.

[ذكر النَّص على ولاية أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب - عليه السلام-]

وأمر الله نبيّه محمَّداً أن ينصَّ على وصيِّه عليّ بن أبي طالب - عليه السلام-، وأن يبيِّن ولايته لجميع مَنْ حضره من أُمَّته، وكان ذلك بعد رجوعه من مكَّة، فأبان - صَلّى اللهُ عَلَيهِ وَعَلَى آلِهِ- ولايته في اليوم الثَّامن عشر من شهر ذي الحِجَّة، قبل أن يفترق مَنْ حجَّ من المسلمين، وكانوا فيما أتت به الأخبار: سبعين ألفاً.

وروِّينا عن أبي جَعْفَر محمَّد [بن علي] -عليه السلام-[٤]:

"أنَّ رَجُلاً قال له: يا ابن رسول الله؛ حدَّثنا الحسن البَصْريّ، قال: إنَّ رسول الله - صَلّى اللهُ عَلَيهِ وَعَلَى آلِهِ- قال: "إنَّ اللهَ أَرْسَلَني بِرِسَالَةٍ [٢٣٧/و]

(١) زيادة من "ب".

(٢) زيادة من "ب".

(٣) زيادة من "ب".

(٤) انظر: دعائم الإسلام ١/١٤-١٦.

فَضَاقَ بِهَا صَدْرِي، وَخَشِيْتُ أَنْ يُكَذِّبني النَّاس، فَتَواعَدَني إنْ لَمْ أُبَلِّغْها أنْ يُعَذِّبني".

قال له أبو جَعْفَر: فهل حدَّثكم بالرِّسالة؟ قال: لا. قال: أما والله وإنَّه ليعلم ما هي، ولكنَّه كتمها مُتَعَمِّداً.

قال الرَّجُل: يا ابن رسول الله؛ جعلني الله فداك، ما هي؟

قال: إنَّ الله -تعالى- أمر المؤمنين بالصَّلاة في كتابه؛ فلم يدروا ما الصَّلاة ولا كيف يُصلُّون. فأمر الله -عزّ وجلّ- محمَّداً نبيّه - صَلّى اللهُ عَلَيهِ وَعَلَى آلِهِ- أن يُبيِّن لهم كيف يُصلُّون، فأخبرهم بكلّ ما/افترض الله عليهم من الصَّلاة [٣٢١] مفسَّراً، [وفرض الصَّلاة في القرآن جملة، ففسرَّها رسول الله - صَلّى اللهُ عَلَيهِ وَعَلَى آلِهِ-، وأعلمهم بالَّذي أمرهم به من الصَّلاة الَّتي فرض الله عليهم][١].

وأمر بالزَّكاة فلم يدروا ما هي، ففسَّرها رسول الله - صَلّى اللهُ عَلَيهِ وَعَلَى آلِهِ-، وأعلمهم بما يُؤْخذ من الذَّهب والفضَّة والإبل والبقر والغنم والزَّرع، ولم يدع شيئاً ممَّا فرض الله من الزَّكاة إلاّ فسَّره لأمَّته وبيَّنه لهم.

وفرض عليهم الصَّوم، فلم يدروا ما الصَّوم ولاكيف يصومون، [ففسَّره لهم رسول الله - صَلّى اللهُ عَلَيهِ وَعَلَى آلِهِ-، وبيَّن لهم ما يتَّقون في الصَّوم وكيف يصومون][٢].

وأمر بالحجّ؛ فأمر نبيّه أن يُفَسِّر لهم كيف يحجّون، حتَّى أوضح لهم

(١) زيادة من دعائم الإسلام.

(٢) زيادة من دعائم الإسلام.

ذلك في سُنّته.

وأمر بالولاية فقال -تعالى-: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ [٢٣٧/ظ] الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾[المائدة: ٥٥]. ففرض الله ولاية ولاة الأمر، فلم يدروا ما هي، فأمر الله نبيّه -صَلّى اللهُ عَلَيه وَعَلَى آله- أن يُفَسِّر لهم ما الولاية؛ مثل ما فسَّر لهم الصَّلاة والزَّكاة والصَّوم والحجّ والجهاد.

فلمَّا أتاه ذلك من الله -عزّ وجلّ- ضاق به رسول الله -صَلّى اللهُ عَلَيه وَعَلَى آله- ذَرْعاً، وتخوَّف أن يرتدّوا عن دينه وأن يُكذِّبوه، فضاق صدره، وراجع ربَّه، فأوحى إليه -عزّ وجلّ-: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾[المائدة: ٦٧].

فصدع بأمر الله وقام بولاية أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب -عليه السلام- يوم غَدير خُمّ، ونادى لذلك: الصَّلاة جامعة. وأمر أن يُبَلِّغَ الشَّاهدُ الغائبَ، وكانت الفرائض يَنْزل منها شيءٌ بعد شيءٍ؛ تَنْزل الفريضة، ثُمَّ تَنْزل الفريضة الأُخرى، وكانت الولاية آخر الفرائض، فأنزل الله -عزّ وجلّ-: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِينًا﴾[المائدة: ٣].

قال أبو جَعْفَر: يقول الله -عزّ وجلّ-: لا أُنْزِلُ عليكم بعد هذه الفريضة فريضةً، قد أكملت لكم هذه الفرائض".

[٣٢٢] /وفيما رُفِعَ [٢٣٨/و] من الحديث إلى زَيْد بن أرقم أنّه قال[1]:

(١) انظر: شرح الأخبار ١/٩٩-١٠٠.

"خَرَجْنا مع رسول الله -صَلّى اللهُ عَلَيه وَعَلَى آله- في حجَّة الوداع، فلمَّا انصرف وصرنا إلى غَدير خُمّ، نزل، وذلك في يوم ما أتى علينا يوم أشدّ حرّاً منه، فأمر بدوح، فجمع، فقمم له ما تحته من الشَّوك واستظلّ به، ونادى في النَّاس: الصَّلاة جامعة. فاجتمعوا اليه أجمع ما كانوا، لأنَّه قَلَّ من بقي من المسلمين مَنْ لم يخرج معه في تلك الحجَّة، فلمَّا اجتمعوا، قام فيهم خطيباً، فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه:

"أيُّهَا النَّاسُ إنَّ اللهَ -عزّ وجلّ- لَمْ يَبْعَثْ نَبِيّاً إلاَّ عاشَ نصف ما عاش النَّبِيّ الَّذي [كان][1] قبله، وإنِّي أُوشك أن أُدْعَى، فَأُجيب، وإنِّي تَارِكٌ فِيْكُمْ بَعْدي [الثَّقَلَيْنِ][2] مَا إنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا لَنْ تَضِلُّوا: كِتابَ اللهِ، وعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي".

ثُمَّ أخذ بيد علي -عليه السلام-، وأقامه، ورفع يده بيده، حتَّى رُئِيَ بياض إبطيهما.

وقال: "مَنْ أَوْلَى بِكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ". قالوا: الله ورسوله أعلم.

قال: -صَلّى اللهُ عَلَيه وَعَلَى آله- "ألستُ أَوْلَى بِذَلِكَ". لقول الله -عزّ وجلّ-: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾[الأحزاب: ٦]. قالوا: اللَّهُمَّ نعم.

قال: "فمن كُنْتُ مَوْلاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلاهُ، اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ والاهَ وَعادِ مَنْ عاداهُ.

[٢٣٨/ظ] هَلْ سَمِعْتُمْ وَأَطَعْتُمْ؟" قالوا: نعم، قال: "اللَّهُمَّ اشْهَدْ".

(١) زيادة من شرح الأخبار.

(٢) زيادة من شرح الأخبار.

قال: زَيْد بن أرقم: فسمعت بعد ذلك عليّاً -عليه السلام- في الرَّحْبَة، ينشد النَّاس بالله مَنْ سمع رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَعَلَى آلِهِ- يقول: "مَنْ كنتُ مولاهُ فَعَليّ مَوْلاهُ". إلاّ قام فشهد. قال: فقام مِمَّن حضر، ستَّة عشر رَجُلاً، فشهدوا بذلك، وكنت فيمن كتم ذلك، فذهب بصري. وكان يحدث بذلك بعد أن عمي".

وعن الصَّادق، أبيه، عن آبائه، -عليهم السَّلام-[1]:

[٣٢٣] /"أنَّ آخر ما أنزل [الله -عزّ وجلّ-][2] من الفرائض ولاية عليّ -عليه السلام-، فخاف رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَعَلَى آلِهِ- <إن بلَّغ النَّاس>[3] أن يُكذِّبوه ويرتدّ أكثرهم [عن الإسلام،][4] حسداً لما علمه في صدور كثير منهم [له،][5] فلَمَّا حَجَّ بالنَّاس حِجَّة الوداع، وخطب بالنَّاس بعَرَفَة، وقد اجتمعوا من كلّ أفق لشهود الحجّ معه، عَرَّفهم[6] في خطبته معالم دينهم، وأوصاهم، وقال في خطبته:

"إنِّي خَشيْتُ أَنْ لاَ أَرَاكُمْ وَلاَ تَروني بَعْدَ يَوْمي هَذا فِي مَقامِي هَذا، وَقَدْ خَلَّفْتُ فِيْكُمْ ما إنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ بَعْدِي لَنْ تَضلُّوا، كِتابُ اللهِ وعِتْرَتي أَهْلَ

(١) انظر: شرح الأخبار ١/١٠٤-١٠٥.
(٢) زيادة من شرح الأخبار.
(٣) زيادة من "ب".
(٤) زيادة من شرح الأخبار.
(٥) زيادة من شرح الأخبار.
(٦) "علّمهم" في شرح الأخبار.

بَيْتي فَإِنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدا عَلَيَّ الحَوْضَ، حَبْل مَمْدود مِنْ السَّماء إليكم، طَرَفٌ منه بيد الله وطَرَفٌ بأيديكم".

فأجمل -صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَعَلَى آلِهِ- ذكر الولاية في أهل بيته، إذ قد علم [٢٢٩/ب] أن ليس فيهم أحد يُنازع فيها عليّاً -عليه السلام-، وأنَّ النَّاس إنْ سلَّموها لهم سلَّموها هم لعلي -عليه السلام-، وأبقى عليه وعليهم أن يقيمه هو بنفسه، فلَمَّا قضى حجَّه وانصرف وصار إلى غَدير خُمّ، أنزل الله -عز وجل- عليه: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾[المائدة: ٦٧]. فقام بولاية علي -عليه السلام- ونصَّ عليه كما أمر الله -تعالى- فأنزل الله -عز وجل-: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾"[المائدة: ٣].

وقد جاء في الرِّوايات[1]:

أنَّ النَّبيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَعَلَى آلِهِ- أخذ البيعة لعليّ -عليه السلام- ذلك اليوم على كُلّ مَنْ حَضَرَ مِنْ المسلمين، وقال له عمر بن الخطّاب: بَخٍ بَخٍ يا أبا الحسن؛ أَصْبَحْتَ مَوْلايَ وَمَوْلَى كُلّ مُؤْمِنٍ.

[٣٢٤] /وقد جاء في ذلك من الشِّعْر ما رُوِيَ عن حسَّان بن ثابت[2]:

(١) انظر: الأمالي للصدوق ٥٠، الإقتصاد للطوسي ٢٢٠، الإرشاد للشيخ المفيد ١/١٧٧، رسائل الشريف المرتضى ٤/١٣١، إشارة السبق لأبي المجد الحلبي ٥٣.
(٢) انظر: مناقب أمير المؤمنين ١/٣٦٣، [الأبيات ١-٤]، الاقتصاد الهادي إلى طريق الرَّشاد ٢٢١، الأمالي للشيخ الصَّدوق ٦٧٠، خصائص الأئمة ٤٢، تنبيه الغافلين ٦٠، مسار الشيعة ٣٩، الإرشاد ١/١٧٧.

يُنَادِيْهُمُ يَوْمَ الْغَـدِيْرِ نَبِـيُّهُمْ   بِخُمٍّ فَأَسْمِعْ بِالرَّسُولِ مُنَادِيَـا

وَقَالَ فَمَنْ مَوْلاَكُمُ وَوَلِـيُّكُمْ؟   فَقَالُوا وَلَمْ يُبْدُوا هُنَاكَ تَعَامِيَـا

إِلَهُكَ مَوْلاَنَـا وَأَنْـتَ وَلِيُّنَـا   وَلَمْ يُلْفَ مِنَّا فِي الوِلاَيَةِ عَاصِيَا

[٢٣٩/ظ] فَقَالَ لَهُ: قُمْ يَا عَلِـيُّ فَـإِنَّنِي   رَضِيْتُكَ مِنْ بَعْدِي إِمَاماً وَهَادِيَا

هُنَاكَ دَعَا: اللَّهُـمَّ وَالِ وَلِيَّـهُ   وَكُنْ بِالَّذِي عَادَى عَلِيّاً مُعَادِيَا

فَمَنْ كُنْتُ مَوْلاَهُ فَهَذَا وَلِيُّـهُ   فَكُونُوا لَهُ أَنْصَارَ صِدْقٍ مَوَالِيَا

وفي ذلك يقول الكُمَيْت(١):

وَيَوْمَ الدَّوْحِ دَوْحِ غَدِيْرِ خُمٍّ   أَبَانَ لَهُ الْوِلاَيَـةَ لَـوْ أُطِيْعَـا

فَلَمْ أَرَ مِثْلَ ذَاكَ الْيَوْمِ يَوْمـاً   وَلَمْ أَرَ مِثْلَـهُ حَقّـاً أُضِـيْعَا

وَلَكِنَّ الرِّجَـالَ تَبَايَعُوهَـا   فَلَمْ أَرَ مِثْلَهَا خَطَـراً مَبِيْعَـا

فَصَارَ بِذَاكَ أَقْـرَبُهُمْ لِعَـدْلٍ   إِلَى جَوْرٍ وَأَحْفَظُهُمْ مُضِـيْعَا

فَلَمْ أَبْلُغْ بِهِمْ لَعْنـاً وَلَكِـنْ   أَسَـاءَ بِذَاكَ أَوَّلُهُمْ صَـنِيْعَا

وهذه من قصيدة له. وفي ذلك من الأشعار والأخبار ما يكثر عدده، ويبعد حدُّه، ما لو أوردناه لاحتاج إلى كتاب، واتَّسعت في شرحه الأبواب.

والحديث بقيام رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– بِغَدير خُمّ بولاية عليّ – عليه السلام–، مشهود عند كافَّة أهل الإسلام، يرويه ويجمع عليه الخاصّ والعامّ، وفي ذلك أدلّ الدليل، وأوضح سبيل على إمامته، وأنّه الخليفة بعده في أُمَّته، وأحَقّ مَنْ ترك بعده لخلافته؛ لأنّه جعله أَوْلَى بهم من

(١) انظر: ديوانه [٣-٤]، الهاشميَّة السَّادسة ص ٢٢٣-٢٢٤.

أنفسهم، ومَنْ كان أَوْلَى بهم مِنْ أنفسهم كان مولاهم [٢٤٠/و] كما كان رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ–، فهو أحَقّ النَّاس بمقام رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ–، ومَنْ كان رسول الله وليّه فهو وليّه، وتلك /الولاية [٣٢٥] ثابتة له، ولكلّ قائم من أئمَّة الحقّ بعده، وإن جحد فضله أهل العناد، كما جحد فضل رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– أهل الشِّرْك والإلحاد. وذلك هو النَّصّ المشهود الّذي نصّ به النَّبيّ وبَيَّن، وَوَقَفَ وعَيَّنَ في اجتماع من المسلمين، لِئَلاَّ يكون للنَّاس على الله حُجَّة بعد الرُّسُل، فقد جاءهم بشير ونذير.

[ذكر بعض فضائل أمير المؤمنين – عليه السلام–]

وإلاّ فقد ورد عن النَّبيّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– مِنْ ذِكْر فضله، وأنّه أَوْلَى النَّاس بالخلافة من بعده ما كان يكرّره النَّبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– أيَّام حياته ومقامه فيهم، كقوله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ–: عَلِيٌّ مِنِّي كَهَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلاَّ أَنَّهُ لاَ نَبِيَّ بَعْدِي. والمشهور أنّ هارون أخو مُوسى ووصيّه وخليفته في قومه، وكان نبيّاً. و لم يكن عليّ – عليه السلام– نبيّاً لأنّه لا نَبِيّ بعد محمَّد – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– قد ختم الله به النُّبوَّات، وأتمّ الرِّسالات، فلا نبيّ بعده.

وما كان عليّ – عليه السلام– أخاه أخوَّة نَسَب كما كان هارون أخاً لموسى – عليه السلام–، وإن كان رسول الله – عليه السلام– قد آخاه بنفسه، وقرنه به لَمَّا آخا [٢٤٠/ظ] بين أصحابه، بما هو مشهور مذكور، وقد ذكرنا ذلك فدلّ على أنّه منه كهارون من مُوسى خليفة في قومه، ووصيّاً

من بعده.

كما جاء عن [جابر بن عبد الله][١] أبي إسْحاق، عن هُبَيْرَة بن يَرِيم، قال[٢]:

"قال رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه- لعليّ – عليه السلام-: يا عليّ؛ أنتَ أخي ووصي وخليفتي مِنْ بعدي، وأبو ذريّتي، تُقاتل على سُنّتي، وتقضي دَيْني وتُنْجز عِداتي، مَنْ أحبَّك في حياتك فهو كَنْز الله له، ومَنْ أحبَّك بعد موتك ختم الله له بالأمن والإيمان[٣]، ومَنْ مات وهو يحبّك فقد قضى نحبه بريّاً من الآثام، ومَنْ مات وهو يبغضك مات ميتة جاهليّة، وحُوسِبَ بما عمل في الإسلام".

ورَوى عبد الله بن شدَّاد، قال[٤]:

[٣٢٦] /"وفد على رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه- وفد من اليمن، فقال لهم النَّبيّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه-: "لَتُقِيْمُنَّ الصَّلاَةَ، ولَتُؤْتُنَّ الزَّكاة، أَوْ لأَبْعَثَنَّ إِلَيْكُمْ رَجُلاً كَنَفْسِي يُقاتِل مُقاتلتكم ويسبي ذَراريكم ويأْخذ أَمْوالكم، وهو هذا". ثُمَّ أخذ بعضد عليّ – عليه السلام-".

وعن صَفِيَّة بنت شَيْبَة، [عن ابن أنس،][٥] قالت[١]:

(١) زيادة من شرح الأخبار.
(٢) انظر: شرح الأخبار ١/١١٣.
(٣) "والأمان" في شرح الأخبار.
(٤) انظر: شرح الأخبار ١/١١١.
(٥) زيادة من شرح الأخبار.

"تَوَعَّدَ رسولُ الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه- [٢٤١/و] أهل الطّائف، فقال: "يَا أَهْلَ الطَّائف؛ لَتُقيْمُنَّ الصَّلاةَ، وَلَتُؤتُنَّ الزَّكاة، أَوْ لأَبْعَثَنَّ إِلَيْكُمْ رَجُلاً كَنَفْسِي يَعْصَاكُمْ بِالسَّيْفِ". ثُمَّ أخذ بيد عليّ – عليه السلام- فرفعها.

فقال عمر: بَخٍ بَخٍ. -إنَّ هذه للفضيلة-."

وعن محمَّد بن حميد، يرفعه، قال[٢]:

"انقطعت نعل رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه- فأخذها عليّ – عليه السلام- ليصلحها وتخلّف، ورسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه- يقول: "لئن لم ينته بنو وليعة لأَبْعَثَنَّ عليهم رَجُلاً كنفسي يقتل المقاتلة ويسبي الذّرِّيَّة". فقال عمر لأبي ذرّ: يا أبا ذرّ؛ مَنْ تراه يعني؟ قاله له أبو ذرّ -ورسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه- يسمعه-: ليس يعنيك يا عُمر ولا صاحبك، إنَّما يعني بذلك صاحب النَّعل".

وبآخر يرفعه إلى مالك بن أَنَس، قال[٣]:

"كنتُ خادم النَّبيّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه-، فدعاني بوَضُوء، فأتيته به، فتوضَّأ، ثُمَّ صلَّى ركعتين، ثُمَّ دعاني، فقال: "يا أَنَس؛ يدخل عليك الآن أمير المؤمنين، وسيِّد المسلمين، وخير الوَصيِّين، وأَوْلى النَّاس بالنَّاس أجمعين".

قال أنس: فقلت في نفسي: اللَّهُمَّ اجعله من الأنصار، فضرب الباب،

(١) انظر: شرح الأخبار ١/١١١.
(٢) انظر: شرح الأخبار ١/١١٢.
(٣) انظر: شرح الأخبار ١/١١٩.

ففتحته فإذا عليّ بن أبي طالب – عليه السلام.

[٣٢٧] /فقام النبيّ – صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– إليه فجعل يمسح من وجهه، [٢٤١/ظ] ويمسحه بوجه عليّ بن أبي طالب – عليه السلام–، ويمسح من وجه علي – عليه السلام–، فيمسح وجهه، فدمعت عينا عليّ – عليه السلام–، فقال: يانبيّ الله؛ هل نزل فيّ شيء فما رأيتك فعلت بي مثل هذا قط؟.

فقال له رسول الله – صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ–: "ومالي لا أفعل بكَ وأنت تسمع صوتي وتُبْرِئُ ذِمَّتي وتبيِّن للنّاس ما اختَلَفوا فيه مِنْ بَعْدي".

وقوله – صَلّى اللهُ عَلَيهِ وَعَلَى آلِهِ–: "وَتُبيِّنَ لِلنّاسِ مَا اختَلَفوا فِيْهِ مِنْ بَعْدي". من قول الله –عز وجل–: ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُواْ فِيهِ﴾[النّحل: ٦٤]. فأقام عَلِيّاً –عليه السلام– لبيان ذلك من بعده.

وبآخر يرفعه إلى حُذَيْفَة بن اليَمان، قال(١):

"خرج إلينا رسول الله – صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– –يوماً– وهو حامل الحسن والحسين على عاتقه، فقال: "هذان خير النّاس أباً وأُمّاً، أبوهما عليّ بن أبي طالب أخو رسول الله – صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ–، ووزيره، ووصيه، وابن عمِّه، وخليفته من بعده، وسابق رجال العالمين إلى الإيمان بالله ورسوله، وأمّهما فاطِمَة بنت رسول الله – صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– أفضل نساء العالمين.

(١) انظر: شرح الأخبار ١/١١٩–١٢١.

وهذان خير النّاس جدّاً وجدّة، جدّهما رسول الله – صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ–، وجدَّتهما خَدِيْجَة أول من آمن بالله.

وهذان خير النّاس عمّاً وعمّة، [٢٤٢/و] عمّهما جَعْفَر الطَّيّار في الجنَّة، وعمَّتهما أم هانئ بنت أبي طالب ما أشركت بالله طرفة عين.

هذان خير النّاس خالاً وخالة، خالهما القاسم بن رسول الله – صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ–، وخالتهما زَيْنَب بنت رسول الله – صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ–".

والأخبار عن رسول الله في ذلك كثيرة قد رواها الخاصّ والعامّ، وأجمع عليها الثّقات.

وقد رُوِّينا عن عليّ – عليه السلام–(١):

[٣٢٨] /"أنّ قوماً سألوه فقالوا: يا أمير المؤمنين؛ أخبرنا بأفضل مَناقبك؟ فقال – عليه السلام–: أفضل مناقبي ما لم يكن لي فيه صنعٌ. قالوا: وما ذلك يا أمير المؤمنين؟ قال: إنّ رسول الله – صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ– لَمَّا قدم إلى الْمَدينة أمر ببناء المسجد، فما بقي رَجُل من أصحابه إلاّ نَقَبَ باباً إلى المسجد، فجاءه جَبْرَائِيْل – عليه السلام– فأمره أن يأمرهم أن يسدُّوا أبوابهم ويَدَعَ بابي، فأرسل إليهم رسول الله – صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ– مُعاذ بن جَبَل، فأتى أبا بَكْر فأمره أن يسدّ بابه، فقال: سمعاً وطاعةً، فسدّ بابه، ثُمّ بعث إلى عمر فأمره أن يسدّ بابه، فأتى رسول الله – صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ– فقال: يا رسول

(١) انظر: دعائم الإسلام ١/١٦–١٩.

اللهِ؛ دَعْ لي بقدر ما أنظر إليكَ بعيني. فأبى عليه رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ–، فسدّ بابه. ثُمَّ بعثه إلى طَلْحَة، والزُّبَيْر، وعُثْمان، وعبد الرَّحمن، وسَعْد، وحَمْزَة، والعبَّاس، فأمرهم بسدّ أبوابهم، فسمعوا وأطاعوا، فقال [٢٤٢/ظ] حَمْزَة والعبَّاس: يأمرنا بسدّ أبوابنا ويدع باب عليّ.

فبلغ ذلك رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ–، فقال: "قَدْ بلغني ما قلتم في سَدّ الأبواب، والله ما أنا فعلت ذلك ولكن الله فعله، وإنَّ الله أوحى إلى مُوسى أن يَتَّخذ بيتاً طهراً لا يُجْنِبُ فيه إلاّ هو وهارون وابناه، –يعني: لا يُجامع فيه غيرهم–، وإنَّ الله أَوْحى إليَّ أن أتَّخذَ هذا البيت طهراً، لا ينكح فيه إلاَّ أنا وعليّ والحسن والحسين. والله ما أنا أَمَرْت بِسَدّ أبوابكم، ولا فتحت باب عليّ، بل الله أمرني به".

قالوا: يا أمير المؤمنين؛ زدنا. فقال: إنَّ رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ– أتاه حَبْران من أَحْبار النَّصارى، فتكلَّما عنده في أمر عيسَى، فأنزل الله –عزَّ وجلَّ– عليه هذه الآية: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ﴾[آل عمران: ٥٩]. إلى آخر الآية.

فدخل رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ–، فأخذ بيدي وبيد الحسن والحسين وفاطِمَة، ثُمَّ خرج لِلْمُبَاهَلَة، ورفع كَفَّه إلى السَّماء، وفَرَّجَ بين أصابعه، ودعاهم إلى المباهلة، فلَمَّا رآه الحبران، قال أحدهما لصاحبه: والله إنْ كان نبيّاً لنهلكَنَّ، وإنْ كان غير نبيّ كفانا قومه. فكفَّا وانصرفا.

قالوا: يا أمير المؤمنين؛ زدنا، قال – عليه السلام–: [٢٤٣/و] إنَّ

رَسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ– بعث أبا بَكْر ومعه براءة إلى أهل الموسم ليقرأها على النَّاس، فنزل جَبْرَائيْل – عليه السلام–، فقال: يا محمَّد؛ لا يُبَلِّغُ عنك إلاَّ عليّ. فدعاني رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ–، وأمرني أن أركب ناقته العَضْباء، وأن ألحق أبا بَكْر فآخذَ منه البراءة، فأقرأها على النَّاس بمكّة، فقال أبو بَكْر: أَسُخْطَةٌ هي؟ فقلتُ: لا؛ إلاّ أنَّه نزل عليه أن لا يبلِّغ عنه إلاّ رَجُل منه. فلَمَّا قدمنا مكَّة، وكان يوم النَّحر /بعد الظُّهْر، وهو يوم الحجّ الأكبر، قمتُ قائماً، ثُمَّ قلتُ وقد اجتمع النَّاس: ألاَ إنِّي رسولُ رسولِ الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ– إليكم. وقرأت عليهم: ﴿بَرَاءةٌ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ۞ فَسِيحُواْ فِي الأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾[التوبة: ١-٢]: –عشرين من ذي الحجَّة والْمُحَرَّم وصَفَر وشهر رَبيْع الأوّل وعشراً من شهر رَبيْع الآخر–. وقلتُ: لا يطوفنَّ بالبيت عُرْيانٌ ولا عُرْيانة، ولا مُشرك ولا مُشركة، ألا وَمَنْ كان له عهدٌ عند رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ– فمدّته هذه الأربعة أشهر. قال: والأُذُنُ وهو اسمي في كتاب الله –عزَّ وجلَّ– لا يعلم ذلك أحد غيري.

[٣٢٩]

قالوا: يا أمير المؤمنين؛ [٢٤٣/ظ] زدنا قال: كنتُ أنا والعبَّاس بن عبد الْمُطَّلب وعُثْمان بن شَيْبَة في المسجد الحرام، ففخرا عليَّ، فقال عُثْمان بن شَيْبَة: أعطاني رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ– السِّدانة –يعني مفاتيح الكَعْبَة–، وقال العبَّاس بن عبد الْمُطَّلب: أعطاني رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ– السِّقاية –وهي زمزم. قالا: ولم يعطكَ شيئاً يا عليّ. فأنزل الله –عَزَّ وَجَلَّ– في ذلك عَلَيْهِ: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ

كَمَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللهِ لاَ يَسْتَوُونَ عِندَ اللهِ وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۞ الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ۞ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ۞ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[التوبة: ١٩-٢٢]."

قالوا: زدنا يا أمير المؤمنين، قال: إنّ رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ– لَمَّا قَفَلَ من حجّة الوداع متوجّهاً إلى الْمَدينة، نزل بِغَدير خُمّ، فأَمَرَ بشجرات، فَكُسِحَ له ما تحتهنّ، وجمع النّاس ثُمّ أخذ بيدي فرفعها إلى السَّماء، وقال: "أَلَسْتُ أَوْلَى بِكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ؟". قالوا: بَلَى. قال: [٢٤٤/و] "فَمَنْ كُنْتُ مَوْلاهُ، فَعَلِيّ مَوْلاهُ، اللَّهُمَّ والِ مَنْ والاهُ، وَعَادِ مَنْ عاداهُ".

وهذه الفضائل التي تشهد بإمامة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب – عليه السلام–، وخلافته بعد رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ–، وقد أتت بها الرِّوايات، وأجمع عليها أهل الإسلام، ورواها الخاصّ والعامّ.

[٣٣٠] /وفَتْحُ النَّبيّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آله– لباب عليّ – عليه السلام–، وسدّه للأبواب ممَّا يشهد له بالإمامة، وأنّ كلّ مَنْ توسَّلَ إلى الرَّسول بغيره انسدَّ بابه، وانقطعت عن الله ورسوله أسبابه، ونُزِّه رسوله أن يكون أمره عَبَثاً، أو فِعْله لغير معنى.

وكذلك آية الْمُبَاهَلَة ممَّا يشهد بفضله وفضل ولديه وبعلته، وأنّ عليّاً – عليه السلام– كنفس النَّبيّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ– إذْ كَنَّى عنه بنفسه؛

بقوله –تعالى–: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةُ اللّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[آل عمران: ٦١].

وقد تواترت الرِّوايات الصَّحيحة الّتي لا إشكال فيها ولا اختلاف أنّ هذه الآية نزلت في أمر الْمُباهَلَة، وأنّ الكِناية بقول الله –تعالى–: ﴿وَأَنفُسَنَا﴾إلى النَّبيّ ووصيّه أمير المؤمنين – عليهما أفضل الصَّلوات.

وكفى بواحدة من هذه الفضائل التي لا يُدانيها فضيلة، ولا يختصّ الله – تعالى– بها إلاّ مَنْ اصْطَفاهُ واختاره لخلافة رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ.

وأمر براءة وردّ أبي بَكْر عنها إذ قال رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ–: "لايُبَلِّغها عَنِّي إلاّ رَجُلٌ مِنِّي".

فقد جاء فيه عن الباقر محمَّد بن عليّ – عليه السلام– أنّه قال[1]:

في قول الله –عَزَّ وَجَلَّ–: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ﴾[هود: ١٧]. <قال: الَّذي هو "عَلَى بَيِّنَة مِنْ رَبِّه":>[2] –هاهنا– رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ. و"الشَاهِد الَّذي يَتْلُوهُ مِنْهُ": عَلِيّ – عليه السلام–؛ يَتْلُوهُ إماماً مِنْ بَعْدِهِ، وَحُجَّةً على مَنْ خَلَّفَهُ [مِنْ أُمَّتِه][3]".

(١) انظر: دعائم الإسلام ١٩/١.

(٢) زيادة من "ب".

(٣) زيادة من دعائم الإسلام.

وقد رُوِيَ عن رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– أنّه قال[1]:

"عَلِيٌّ مِنِّي وَأَنا مِنْهُ، وَهُوَ وَلِيّ كُلّ مُؤمِنٍ ومُؤْمِنَةٍ بَعْدِي".

[٣٣١] /وقد احتجّت الشّيعة على مَنْ قدَّم أبا بَكْر أنَّ مَنْ لم يكمل لتبليغ "سورة براءة" من القرآن، كيف يكمل لخلافة رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ–؟ وهذه من الحجج الواضحة الَّتِي لا تُدْفَع ولا يردّها إلاّ مَنْ طبع الله على قلبه وسمعه، وبصره لا ينفع!

وفي حديث غَدير خُمّ وقيام رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– بولاية عليّ – عليه السلام–، وما أُنْزِلَ فيه من القرآن أوضح برهان، وأبين بيان.

وفضل علي – عليه السلام– كثير، ونصّ النّبيّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– وبيان فضله شهير؛ مِمَّا يشهد له بالفضل على سائر الأصحاب.

وتمثيل النّبيّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– نفسه بالْمَدينة [٢٤٥/و] لِلْعِلْم، وعليّاً بالباب يُبيِّن أنّه خليفة رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– ووليّ عهده، وأحقّ النّاس بمقامه من بعده. لا يدَّعي ذلك غيره إلاّ أفّاك كذّاب، ولا يجحده إلاّ أهل الجحود والارتياب، ولو أوردنا ما ورد في ذلك عن الرّسول – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ–، وما في ذلك من الاحتجاج، لكان ذلك مِمَّا لا يحصره كتاب. وفي بعض ما أوردناه غُنْيَة وكفايةٌ لمن هداه الله إلى الصَّواب، وأرشده إلى الإيمان، وثبَّته من الميل إلى سبيل أهل الضّلال والعدوان.

(١) انظر: دعائم الإسلام ١/٢٠.

[ظهور أهل النّفاق وحسدهم لعليّ – عليه السلام–]

ولَمَّا أشار النَّبِيّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– إلى وصيّه عليّ بن أبي طالب – عليه السلام– غير مرَّة، وأعلن وُجوب ولايته، وأنَّه الوصيّ بعده، حسده القوم من أصحابه، وكانوا يدبرون الرَّأي في نقض ما أبرم الله ورسوله، وقطع ما أمر الله به أن يوصل، وتعاقدوا على أن لا تجتمع النُّبوَّة والوصاية في بني هاشم، وقالوا: نحن أَوْلَى بالرياسة وأَحْرَى. حسداً للوصيّ، وبغياً عليه لَمَّا آتاه الله من الفضل العظيم، والخطر الجسيم.

﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ [٢٤٥/ظ] تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ وَلا يُصْلِحُونَ ۞ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾[النمل: ٤٨-٤٩].

[٣٣٢] /وجرَّؤوا أهل النِّفاق على رسول الله لِيُنفِّروا ناقته، وأرادوا به كيداً، فجعلهم الله الأخسرين، ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾[آل عمران: ٥٤]. فلعنهم رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ–، وكان منهم أبو مُوسى عبد الله بن قَيْس الأَشْعَرِيّ، وقد قال له عَمَّار بن ياسر –رضيَ الله عنه– بالكوفة لَمَّا ثبَّطَ النَّاس عن الجهاد مع أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب – عليه السلام–: وقد سمعتُ رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– لعنك يا أبا موسى. قال أبو مُوسى: كان ذلك؛ ولكنَّه قد استغفر لي. فقال عَمَّار: شهدت لِلَّعْنِ و لم أشهد الاستغفار.

فإنّما كان ذلك من رسول الله لِمَا كان عليه أبو مُوسى، من حسد عليّ

ابن أبي طالب – عليه السلام–، وممالأته لأهل النِّفاق.

وقد اطَّلع أبو ذرّ الغِفاريّ –رحمة الله عليه– على ما تعاقدوا عليه من الغدر برسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– إن طاقوا لذلك، وإن عجزوا عنه فبوصيّه. فأتى أبو ذرّ إلى رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ–، فَقَصَّ عليه القصص، فعاتبهم النّبيّ، فأنكروا ذلك غاية الإنكار، [٢٤٦/و] وحلفوا بالأيمان المغلظة ما فاهوا بذلك في جَهْر ولا سرّ. فقال النّبيّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– لأبي ذرّ: "والله لئن لم تَنْزل عَلَيَّ آية من السَّماء بصدق قولك لأخرجنَّ لِسانك من قفاك".

فأنزل الله –تعالى–: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلاَمِهِمْ وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْ﴾[التوبة: ٧٤]. إلى آخر الآية.

فقال النّبيّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ–[(١)]: "مَا أَظَلَّتِ الخَضْراءُ، وَلاَ أَقَلَّتِ الغَبْراءُ عَلَى ذِيْ لَهْجَةٍ أَصْدَقَ مِنْ أبي ذَرٍّ". والأخبار في ذلك يطول شرحها، ويتّسع ذكرها.

[بعث أُسَامَة بن زَيْد إلى أرض فلسطين]

وقفل رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– إلى الْمَدينة، فأقام فيها بقيّة ذي الحِجَّة والْمُحَرَّم وصَفَر. وبعث أُسَامَة بن زَيْد إلى الشَّام، وأمره أن

(١) انظر: أنساب الأشراف ١٧٣/٥، المسائل والأجوبة ٣١٣، تهذيب الآثار "مسند علي" ١٥٨، الغيبة للنعماني ٨٤، أمالي الطوسي ٥٣، ٧١٠، الاختصاص ١٣، تقريب المعارف ٢٦٩، المناقب للخوارزمي ٨٤، فرائد السّمطين ١٦٦/١.

يُوطِئ الخيل تُخوم البَلْقاء والدَّاروم، من أرض فلسطين، فتجهَّز النَّاس، وأوعب إلى النَّاس أن لا يتخلَّفوا عن أُسَامَة.

/وكان فيمن بعث معه أبو بَكْر، وعمر، وعُثْمان بن عفَّان، وقال – [٣٣٣] صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ–[(١)]: "جَهِّزُوا جَيْشَ أُسَامَة، لَعَنَ اللهُ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ".

***

(١) انظر: دعائم الإسلام ٤١/١، وفيه: "نفِّذوا جَيْشَ أُسامة لَعَنَ اللهُ مَنْ تخلَّفَ عَنْهُ".

[ابتداء شكوى رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ-]

وكان ذلك ابتداء شكوى رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- الَّتي قبضه الله فيها إليه، واختار له ما لديه.

وابتداء شكوى رسول الله على ما ذكره ابن هِشام[(١)]: في ليال [٢٤٦/ظ] بقين من صَفَر، أو في أوَّل شهر رَبِيْع الأوَّل.

وأصبح - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- في أوَّل يوم شَكَا فيه أنَّه خرج من آخر اللَّيل إِلَى بَقِيْعِ الغَرْقَد، فلَمَّا انتهى إلى المقابر استغفر لأهلها، ثُمَّ قال - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ-: "السَّلامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ الْمَقَابِرِ؛ لِيَهْنِئ لَكُمْ مَا أَصْبَحْتُمْ فِيْهِ مِمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ فِيْهِ، أَقْبَلَتِ الفِتَنُ كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يَتْبَعُ آخِرُهَا أَوَّلَهَا، الآخِرَةُ شَرٌّ مِنَ الأُوْلَى".

ثُمَّ قال - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- لمن حضره: "إِنِّي قَدْ أُوتِيْتُ مَفَاتِيْحَ خَزَائِنِ الدُّنْيَا وَالْخُلْدَ فِيْهَا ثُمَّ الْجَنَّةَ، فَخُيِّرْتُ بَيْنَ ذَلِكَ وَبَيْنَ لِقَاءِ رَبِّي وَالْجَنَّةِ. قال: فَاخْتَرْتُ لِقَاءَ رَبِّي وَالْجَنَّةَ". ثُمَّ استغفر لأهل البقيع وانصرف.

وابتدأ به وجعه من يومه الَّذي قبضه الله فيه، وقيل: إنَّ سبب وفاته من السَّمّ الَّذي جُعِلَ له في أيَّام خَيْبَر في الذِّراع، فَلاكَ منه، ثُمَّ لفظه من فِيْهِ، بعد أن ناداه: إنِّي مَسْمُوم. وقد دخلتْ عليه في شكواه التي مات فيها أخت بِشْر ابن البَراء بن مَعْرور تعوده، فقال لها: "يَا أُمَّ بِشْرٍ؛ إِنَّ هَذَا الأَوَانَ وَجَدْتُ

(١) انظر: السِّيرة النَّبويَّة ٦٤٢/٤.

[فِيْهِ][(١)] انْقِطَاعَ أَبْهَرِي مِنْ الأُكْلَةِ الَّتِي أَكَلْتُ مَعَ أَخِيْكِ بِخَيْبَرَ". يعني بأخيها: [٢٤٧/و] بِشْر بن البَراء. وقد ذكرنا أمره، والمسلمون يرون أنَّه مات شهيداً مع ما أكرمه الله به من النُّبوَّة.

[رجوع جيش أُسامة]

ولَمَّا اشتدَّت العلَّة برسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ-، رجع أكثر الجيش الَّذين كانوا مع أُسَامَة، وكان قد برز بهم من الْمَدِينة على فرسخ، وكان فيهم أبو بَكْر، فتركوا أمر رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ /وعَلَى آلِهِ-، [٣٣٤] وراحوا وأميرهم وحده، ولم يسمعوا وصيَّة رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ-، وقوله: "جهِّزوا جيش أُسَامَة، لعن الله من تخلَّف عنه". وإنَّما أراد - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- بذلك أن يذهبوا بأجمعهم، ويصفو الأمر لوصيّه عليّ - عليه السَّلام-، فلا يبقى له فيها مُنازِع، فلم يفعلوا. وكان فيمن رجع: أبو بَكْر، وعمر، وأبو عُبَيْدَة بن الجرَّاح، وغيرهم.

[خبر إخراج أبي بَكْر عن الصَّلاة]

وصلَّى أبو بَكْر بالنَّاس، فلَمَّا سمع رسول الله تكبيرته -وكان جهوريّ الصَّوت-، خرج بين عليّ بن أبي طالب وعمّه العبَّاس، فأخَّر أبا بَكْر وصلَّى - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ-، وقد اختلف النَّاس في ذلك اختلافاً شديداً كثيراً.

(١) زيادة من السِّيرة النَّبويَّة ٣٣٨/٣.

والصَّحيح في ذلك الّذي ورد عن أهل البيت – عليهم السَّلام–[١]:

"أنَّ رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ– لَمَّا ثقل، جاء بلال ليؤذن رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ– بالصَّلاة. فقالت عائِشَة: إنَّ رسول الله ثقيل، قد أُغمي [٢٤٧/ظ] عليه، فلا تُؤْذِه، وَقُلْ لأبي بَكْر، فَلْيُصَلِّ بالنَّاس.

فخرج اليه، فأخبره، فتقدم، فسمع رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ–، صوت تكبيرته، فقال: "ما هذا؟" فقالوا: عائِشَة أمرت أباها أن يُصلِّي بالنَّاس.

فقال – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ–: "إنَّكنّ صُوَيْحِبات يُوسف".

وأخذ بيد علي – عليه السَّلام– عليه يتوكَّأ عليه، وخرج، فأخر[ج][٢] أبا بَكْر من الصَّلاة وعزله عنها، وصلَّى رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ– بالنَّاس".

والحُجَّة البكريَّة في تقديم أبي بَكْر: يزعمون أنَّ النَّبيّ قدَّمه على الصَّلاة، فوجب أن يتقدَّم على الأُمَّة. وقد اختلفت الرِّواية في ذلك، وهم يذكرون إنَّما ما لم يكن عليه إجماع ولم يؤخذ به، مع أنَّهم يُقدِّمون البرّ والفاجر للصَّلاة، ويجيزونها خلف كلّ واحد.

[٣٣٥] /والمعروف أنَّ أبا بَكْر لم يصلّ بعلي بن أبي طالب، وأنَّه كان عند رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ–، وقد صلَّى بأبي بَكْر وعمرو بن

(١) انظر: شرح الأخبار ٢/٢٤٠–٢٤١.

(٢) زيادة من شرح الأخبار.

العاص لَمَّا كانا معه في غزوة ذات السَّلاسل، وأنَّه قبض رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ– وأُسَامَة بن زَيْد أمير على أبي بَكْر وعُمَر، وكان أَوْلَى منهما بالصَّلاة، والاحتجاج في ذلك يطول، وهو موجود لمن رغب فيه مِمَّن أنصف، وترك المكابرة، ولم تكن صفته في ترك الحُجَّة الصَّحيحة خاسرة.

وعن الأعمش، [بإسناده،][١] عن أبي أَيُّوب الأنصاريّ، [أنَّه][٢] قال[٣]:

[٢٤٨/و] "مرض رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ–، فعاودته ابنته فاطِمَة – عليها السَّلام–، فلَمَّا نَظَرَتْ إلى ما برسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ– من العِلَّة بَكَتْ، فقال: "مه يا بُنيَّة، أَمَا عَلِمْتِ أنَّ الله –عز وجل– أطَّلَعَ إلى الأرض أطلاعة ليَخْتَارَ لَكِ قَرِيناً، فاخْتَارَ لَكِ عَلِيّاً، وأَوْحَى إِلَيَّ أنْ أنكحكَ إِيَّاه، فأنكحتكِ أعلمهم عِلْماً، وأقدمهم سِلْماً، وأعظمهم حِلْماً".

وعن جَعْفَر بن محمَّد – عليه السَّلام– أنَّه قال[٤]:

"لَمَّا احْتُضِرَ رسولُ الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ– غشي عليه، فبكت فاطِمَة – عليها السَّلام–، فأفاق وهي تبكي وتقول: مَنْ لنا بعدكَ يا رسول الله؟ فقال: "أَنْتُمْ الْمُسْتَضْعَفُونَ بَعْدِي والله".

(١) زيادة من شرح الأخبار.

(٢) زيادة من شرح الأخبار.

(٣) انظر: شرح الأخبار ٢/٢١١.

(٤) انظر: دعائم الإسلام ١/٢٢٨.

[الكتاب الذي أراد أن يكتبه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ-]

وفيما رواه محمّد بن إِسْماعِيل البُخاريّ، بإسناده، عن عبد الله بن عبَّاس، قال[١]:

"لَمَّا اشتد بالنَّبيّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- مرضه الَّذي تُوفي فيه، قال: "ائتوني بدواة وقرطاس أكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعدي". فقال عُمَر: إنَّ رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ- قد غلبه الوجع، حسبنا كتاب الله. [فاختلفوا] وكثر اللَّغط، فقال النَّبيّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آله-: "قُوموا عنِّي، ولا يَنْبَغِي عِنْدِي التَّنازُع". قال ابن عبَّاس: إنَّ الرَّزِيَّة كلَّ الرَّزِيَّة ما حالَ بيننا وبين كتاب رسول الله".

[٣٣٦] /فأيّ فعل كهذا الفعل في منع ابن الخطَّاب عهد رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ-، وما أراد من الوصيّة، وما حال بين الأُمَّة وبين [٢٤٨/ظ] هداها؟ فاختلافهم عند رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ-، وكثرة لغطهم خلافاً لقول الله -تعالى-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلاَ تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تَشْعُرُونَ﴾[الحجرات: ٢].

[آخر لحظات الرَّسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ-]

ورُوِيَ[٢]: "أنَّ الحسن والحسين لَمَّا احتضر - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- دعاهما، وجعل يُقبِّلهما ويضمّهما إليه، حتَّى أُغْمِيَ عليه، فنحَّاهما عنه

(١) انظر: صحيح البخاريّ ٣٢/١ باب كتابة العلْم.

(٢) انظر: شرح الأخبار ٩٩/٣-١٠٠، فضائل الطالبيين ٣٨.

عليّ - عليه السَّلام-، ففتح رسول الله عينيه، وقال لعليّ - عليه السَّلام-: "دَعْهُمَا يَسْتَمْتِعَا مِنِّي وأَسْتَمْتِعْ مِنْهُما فَإِنَّهُ سَيُصيبُهُمَا بَعْدِي أثَرَةٌ".

وجلس رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آله- في المسجد بعد أن أخرج أبا بَكْر، وصلَّى بالنَّاس؛ يُحَدِّث النَّاس ويُحذِّرهم الفتن، ويقول[١]: "أيُّها النَّاسُ؛ [إنِّي والله][٢] لا تمسكوا عَلَيَّ بشيء؛ لا أُحِلُّ إلاَّ مَا أَحَلَّ [الله - عزَّ وجلَّ- في][٣] القرآن، ولا أُحَرِّم إلا ما حَرَّمَ القرآن.

يا صَفِيَّة بنت عبد الْمُطَّلب يا عمَّة رسول الله، يا فاطِمَة بنت محمَّد؛ اعملا لما عند الله فإنِّي لا أُغْنِي عنكما <من الله>[٤] شَيْئاً".

وعن أبي ذَرّ -رضي الله عنه- قال[٥]:

"كنتُ عند رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آله- في مرضه الَّذي قُبِضَ فيه، فقال - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ-: ادْنُ منِّي يا أبا ذَرّ، أستند إليك. فدنوتُ منه، فاسْتَنَدَ إلى صدري إلى أن دخل عليٌّ - عليه السَّلام-، فقال: قم يا أبا ذرّ؛ فإنَّ عليّاً أَحَقّ بهذا منكَ.

[٣٣٧] /فجلس أمير [٢٤٩/و] المؤمنين عليٌّ - عليه السَّلام-، فأسنده إلى صدره، ثُمَّ قال لي: هاهنا -يا أبا ذرّ- بين يَدَيَّ. فجلستُ بين يديه، فقال لي:

(١) انظر: شرح الأخبار ٢٣٧/٢-٢٣٨.

(٢) زيادة من شرح الأخبار.

(٣) زيادة من شرح الأخبار.

(٤) زيادة من "ب".

(٥) انظر: دعائم الإسلام ٢٢٢/١-٢٢٣.

اعْقد بيدكَ: مَنْ خُتِمَ له بشهادة أنْ لا إله إلاّ الله دخل الجنَّة، ومَنْ خُتِمَ له بإطْعام مسكين دخل الجنَّة، ومَنْ ختم له بحِجَّة دخل الجنَّة، ومن ختم له بعُمْرَة دخل الجنَّة، ومن ختم له بجهاد في سبيل الله ولو قدر فُوَاق ناقة دخل الجنَّة." وذكر باقي الحديث.

وبإسنادٍ، عن سَلْمان الفارِسِيّ -رضي الله عنه-، أنَّه قال[1]:

"قلتُ لرسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ-: يا رسول الله إنَّه لم يكن نبيٌّ إلاَّ وله وصيٌّ، فَمَنْ وصيّك؟

قال: "وصيّي وخليلي وخليفتي في أهلي وخير من أترك بعدي ومُؤدِّي دَيْني ومُنْجز عِداتي عليٌّ بن أبي طالب".

وبإسنادٍ عن الطَّبري، يرفعه إلى عليٍّ بن أبي طالِب - عليه السلام- أنَّه قال[2]:

"أَوْصاني رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- عند وفاته وأنا مُسنده إلى صدري، فقال لي: "يا عليّ، أُوصيكَ بالعرب خَيْراً". -يقولها ثلاث مرات- ثُمَّ سالت نفسه في يديّ -صلوات الله عليه وسلامه وبركاته".

وعن أمير المؤمنين عليِّ بن أبي طالِب - عليه السلام- أنَّه قال[3]:

"قُبِضَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- وَ[إنَّ][1] رَأْسَهُ في

(١) انظر : شرح الأخبار ١/١١٧.

(٢) انظر : شرح الأخبار ١/١١٧.

(٣) انظر: نهج البلاغة ٤٢٢، مناقب أمير المؤمنين ٢/٥٥٦.

حِجْرِي، وَ[لَقَدْ][2] سَالَتْ نَفْسُهُ فِي يَدِيّ، فَمَسَحْتُ بها وَجْهِي".

/ولَمَّا قبض رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- لم يكن لعليّ - [٣٣٨] عليه السَّلام- شغل غير القيام فيما هو فيه؛ من غسل رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- وتكفينه وتجهيزه، وتعزية أهل بيته للمصيبة؛ بما ابتلاهم الله به من وفاة نبيّهم، وصفوة الله فيهم، وهم لما بهم من الحزن والبؤس لفراقه - عليه السَّلام-، وأبو بَكْر وعمر وعُثْمان يجمعون النَّاس إلى سقيفة بني ساعِدة، ويعارضون أهل الوحي في تصيّير الخلافة إليهم، ونزعها عن أهلها. ولو كان اجتماعهم لخير لاجتمعوا في مسجد رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ-، وعند أهل بيته. ولدى جنازته - عليه الصَّلاة والسَّلام- تضرَّعوا إلى الله - تعالى- أن يلهمهم لطاعة الخليفة بعده، والقائم بأمر أُمَّته المستحقّ لذلك بعد غيبة النّبيّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ. وسنذكر من ذلك ما نذكره.

وعن جَعْفَر بن محمَّد - عليه السَّلام- أنّه قال[3]:

"لَمَّا قُبِضَ النَّبِيّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ- أتاهم آتٍ يسمعون صوته ولا يرون شخصه، فقال: "السَّلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته؛ ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾[آل عمران: ١٨٥]. إنَّ في الله عَزاء من كُلِّ مُصيبةٍ، وخَلَفاً من كُلِّ هالِكٍ، فالله فارجوا، وإيّاه

(١) زيادة من نهج البلاغة.

(٢) زيادة من نهج البلاغة.

(٣) انظر: دعائم الإسلام ١/٢٢٥-٢٢٦.

فاعبدوا، واعْلَمُوا أنَّ الْمُصابَ مَنْ حُرِمَ [٢٥٠/و] الثَّواب، وعليكم رحمة الله وبركاته".

فقيل لجَعْفَر بن محمَّد – عليه السَّلام–: مَنْ كُنْتُمْ تروْنَ الْمُتَكَلِّمَ يا ابن رسول الله؟ قال: كنَّا نَراهُ جَبْرَائِيْل – عليه السَّلام–".

[ذكر غسله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ–]

وعن جَعْفَر بن محمَّد، عن أبيه، عن آبائه، عن عليّ – عليه السَّلام– أنَّه قال[١]:

"لَمَّا أوصى إليَّ رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– أن أغسله، ولا يغسله معي أحد غيري. قلتُ: يا رسول الله؛ إنَّك رَجُلٌ ثقيل البدن لا أستطيع أن أُقلِّبك وحدي.

فقال لي: "إنَّ جَبْرَائِيْل معك يتولَّى غسلي". قلت: فمن يُناولني الماء؟ قال: "يُناولك الفضل، وقل له فَلْيُغَطِّ عينيه، فإنَّه لا ينظر إلى عَورتي أحدٌ غيرك إلاَّ ذهب بصره".

[٣٣٩] /و[رُوِّينا][٢] عن الصَّادق، عن أبيه، <عن آبائه،>[٣] عن عليّ – عليه السَّلام– أنَّه قال[٤]:

(١) انظر: دعائم الإسلام ١/٢٣١.

(٢) زيادة من دعائم الإسلام .

(٣) زيادة من "ب".

(٤) انظر: دعائم الإسلام ١/٢٣١.

"أنَّ رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– أوصاه بأن يتولَّى غسله، [فكان هو الَّذي وَلِيَه – عليه السَّلام–][١] قال: فَلَمَّا أخذتُ في غسله، سمعتُ قائلاً من جانب البيت، وهو يقول: "لا تَنْزِعِ القميصَ عنه". فغسلته – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– في قميصه، وإنِّي لأغسله، وأحِسُّ يداً مع يدي تتردَّد عليه، وإذا قَلَّبْتُهُ أُعنْتُ على تقليبه، وقد أردتُ أن أكُبَّهُ لوجهه فأغسل ظهره، فنُودِيْتُ: لا تَكُبَّهُ. فقلَّبته لجنبه وغسلتُ ظهره".

قال الباقر محمَّد بن عليّ – عليه السَّلام–[٢]:

"وكان الفضل [بن العبَّاس][٣] يُناوله الماء وقد عصب عينيه، وعليّ وجَبْرَائِيْل يغسلانه –صلوات الله عليه وعليهم أجمعين.

قال: وغَسَلَهُ عليٌّ ثلاث غَسَلات؛ غَسْلَةٌ بالماء والْحُرُض، وغَسْلَةٌ بالماء وفيه ذَريرةٌ وكافور، وغَسْلَةٌ بالماء محضاً وهي آخرهنَّ".

[ذكر كَفَنه –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ–]

وعن الصَّادق – عليه السَّلام–[٤]:

"أنَّ عليّاً – عليه السَّلام– لَمَّا فرغ من غسل رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– كفَّنه في ثلاثة أثواب؛ ثَوْبَيْن صُحاريين له، و[ثوب يُمْنَة وإزار

(١) زيادة من دعائم الإسلام.

(٢) انظر: دعائم الإسلام ١/٢٣١-٢٣٢.

(٣) زيادة من دعائم الإسلام.

(٤) انظر: دعائم الإسلام ١/٢٣٥.

وعمامة".

وعن جَعْفَر بن محمَّد أنَّه قال:

نِعْمَ الكفن ثلاثة أثواب؛ قَميصٌ غير مَزْرُورٍ ولا مكفوف ولِفافةٌ وإزارٌ.

[٣٤٠] /وقال أوصى أبي أن أكفّنه في ثلاثة أثواب؛ أحدُها][1] بُرْدٌ[2] حبَرَةٌ [كان يُصلِّي فيها الجمعة وثوب آخر وقميص"][3].

[ذكر الصَّلاة عليه ودفنه –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ–]

وعن الصَّادق – عليه السَّلام–[4]:

"أنَّه ذَكَرَ وفاة رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ–، فقال: لَمَّا غسله عليّ – عليه السَّلام– وكفَّنه، أتاه العبَّاس بن عبد المُطَّلب، فقال: يا عليّ؛ إنَّ النَّاس قد اجتمعوا ليصلُّوا على رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ–، ورأوا أن يُدفن في البَقيع، وأن يؤمّهم في الصَّلاة رَجُل منهم. فخرج عليّ – عليه السَّلام– عليهم، فقال: أيُّها النَّاس؛ إنَّ رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– كان إماماً حيّاً وميّتاً، وإنَّه لم يُقْبَضْ نَبيٌّ إلاَّ دُفِنَ في البقعة الَّتي مات فيها. قالوا: اصنع ما رأيتَ. فقام عليٌّ – عليه السَّلام– على باب البيت، فصلَّى على رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ–، وقدَّم النَّاس عَشرةً عَشرةً

(١) زيادة من دعائم الإسلام.

(٢) "رداء" في دعائم الإسلام.

(٣) زيادة من دعائم الإسلام.

(٤) انظر: دعائم الإسلام ٢٣٩/١.

يُصَلُّون عليه وينصرفون".

وعن جَعْفَر بن محمَّد، عن أبيه، عن آبائه، عن عليّ – عليه السَّلام–[1]:

"أنَّه ألْحَدَ لرسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ–، واللَّحْدُ هو أن يُشَقَّ للميِّت في القبر مكانه مِمَّا يلي القِبْلَة مع حائط القبر، والضَّريح أن يُشَقَّ له وسط [٢٥١/و] القبر".

وعن عليّ – عليه السَّلام–[2]:

"أنَّه فُرِشَ في قبر رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– قطيفةٌ، لأنَّ الموضع كان نَدِيّاً مُتَسبِّخاً".

[وعنه – عليه السَّلام–][3]:

[٣٤١] /"[أنَّه][4] لَمَّا دَفَنَ رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– رَبَّعَ قبره".

ومِمَّا رُفِعَ إلى أبي رافِع من الحديث، أنَّه قال[5]:

"لَمَّا قبض رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ–، فكان من [أمْرِ][6] النَّاس ما كان، قام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب – عليه السَّلام– خطيباً،

(١) انظر: دعائم الإسلام ٢٤١/١-٢٤٢.

(٢) انظر: دعائم الإسلام ٢٤٢/١.

(٣) انظر: دعائم الإسلام ٢٤٣/١.

(٤) زيادة من دعائم الإسلام.

(٥) انظر: شرح الأخبار ١٢١/١.

(٦) زيادة من شرح الأخبار.

فحمد الله وأثنى عليه وصلّى على النّبيّ – صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ– وذكر فضله، وما منح الله بهم أهل البيت؛ أن بعث فيهم رسولاً منهم، وأذهب عنهم الرِّجس وطهَّرهم تطهيراً. ثُمَّ قال:

أنا ابن عمّ رسول الله لا يقولها أحد غيري إلاّ كاذب، أسلمت وصلّيت معه قبل النّاس، وأنا وصيّه وخليفته من بعده، وزوج ابنته سيِّدة نساء العالمين، ونحن أهل بيت الرَّحمة، بنا هداكم الله من الضَّلالة، وبصَّركم من العَمى، ونحن نِعَمُ الله، فاتَّقوا الله يُبْقي عليكم نِعْمته".

[شعر حسَّان بن ثابت في رثاء الرَّسول]

وقال حسَّان بن ثابت يبكي رسول الله – صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ–[1]:

بِطَيْبَةَ رَسْمٌ لِلرَّسُولِ وَمَعْهَدُ … مُنِيرٌ وَقَدْ تَعْفُو الرُّسُومُ وَتَهْمَدُ
وَلا تَمْتَحِي الآيَاتُ مِنْ دارِ حُرْمَةٍ … بِهَا مِنْبَرُ الْهَادِي الَّذِي كَانَ يَصْعَدُ
وَوَاضِحُ آثَارٍ وَبَاقِي مَعَالِمٍ … وَرَبْعٌ لَهُ فِيهِ مُصَلًّى وَمَسْجِدُ
بِهَا حُجُرَاتٌ كَانَ يَنْزِلُ وَسْطَهَا … مِنَ اللهِ نُورٌ يُسْتَضَاءُ وَيُوقَدُ
مَعَارِفُ لَمْ تُطْمَسْ عَلَى الْعَهْدِ آيُهَا … أَتَاهَا الْبِلَى فَالآيُ / مِنْهَا تُجَدَّدُ [٢٥١/ظ]
عَرَفْتُ بِهَا رَسْمَ الرَّسُولِ وَعَهْدَهُ … وَقَبْراً بِهَا وَارَاهُ فِي التُّرْبِ مُلْحِدُ
ظَلِلْتُ بِهَا أَبْكِي الرَّسُولَ فَأَسْعَدَتْ … عُيُونٌ وَمِثْلاهَا مِنَ الْجِنِّ تُسْعَدُ
يُذَكِّرْنَ آلاءَ الرَّسُولِ وَمَا أَرَى … لَهَا مُحْصِياً نَفْسِي فَنَفْسِي تَبَلَّدُ
مُفَجَّعَةً قَدْ شَفَّهَا فَقْدُ أَحْمَدٍ … فَظَلَّتْ لآلاءِ الرَّسُولِ تُعَدِّدُ

(١) انظر: ديوانه ١/٤٥٥-٤٥٧.

وَمَا بَلَغَتْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ عَشِيرَهُ … وَلَكِنْ لِنَفْسِي بَعْدُ مَا قَدْ تَوَجَّدُ
/أَطَالَتْ وُقُوفاً تَذْرِفُ الْعَيْنُ جُهْدَهَا … عَلَى طَلَلِ الْقَبْرِ الَّذِي فِيهِ أَحْمَدُ [٣٤٢]
فَبُورِكْتَ يَا قَبْرَ الرَّسُولِ وَبُورِكَتْ … بِلادٌ ثَوَى فِيهَا الرَّشِيدُ الْمُسَدَّدُ
وَبُورِكَ لَحْدٌ مِنْكَ ضُمِّنَ طَيِّباً … عَلَيْهِ بِنَاءٌ مِنْ صَفِيحٍ مُنَضَّدُ
تَهِيلُ عَلَيْهِ التُّرْبَ أَيْدٍ وَأَعْيُنٌ … عَلَيْهِ وَقَدْ غَارَتْ بِذَلِكَ أَسْعُدُ
لَقَدْ غَيَّبُوا حِلْماً وَعِلْماً وَرَحْمَةً … عَشِيَّةَ عَلَّوهُ الثَّرَى لا يُوَسَّدُ
وَرَاحُوا بِحُزْنٍ لَيْسَ فِيهِمْ نَبِيُّهُمْ … وَقَدْ وَهَنَتْ مِنْهُمْ ظُهُورٌ وَأَعْضُدُ
يُبَكُّونَ مَنْ تَبْكِي السَّمَوَاتُ يَوْمَهُ … وَمَنْ قَدْ بَكَتْهُ الأَرْضُ فَالنَّاسُ أَكْمَدُ
وَهَلْ عَدَلَتْ يَوْماً رَزِيَّةُ هَالِكٍ … رَزِيَّةَ يَوْمٍ مَاتَ فِيهِ مُحَمَّدُ؟
تَقَطَّعَ فِيهِ مُنْزَلُ الْوَحْيِ عَنْهُمُ … وَقَدْ كَانَ ذا نُورٍ يَغُورُ وَيُنْجِدُ
يَدُلُّ عَلَى الرَّحْمَنِ مَنْ يَقْتَدِي بِهِ … وَيُنْقِذُ مِنْ هَوْلِ الْخَزَايَا وَيُرْشِدُ
إِمَامٌ لَهُمْ يَهْدِيهِمُ الْحَقَّ جَاهِداً … مُعَلِّمُ صِدْقٍ إِنْ يُطِيعُوهُ يَسْعَدُوا
عَفُوٌّ عَنِ الزَّلاَّتِ / يَقْبَلُ عُذْرَهُمْ … وَإِنْ يُحْسِنُوا فَاللهُ بِالْخَيْرِ أَجْوَدُ [٢٥٢/و]
وَإِنْ نَابَ أَمْرٌ لَمْ يَقُومُوا بِحَمْلِهِ … فَمِنْ عِنْدِهِ تَيْسِيرُ مَا يَتَشَدَّدُ
فَبَيْنَا هُمُ فِي نِعْمَةِ اللهِ وَسْطَهُمْ … دَلِيلٌ بِهِ نَهْجُ الطَّرِيقَةِ يُقْصَدُ
عَزِيزٌ عَلَيْهِ أَنْ يَجُورُوا عَنِ الْهُدَى … حَرِيصٌ عَلَى أَنْ يَسْتَقِيمُوا وَيَهْتَدُوا
عَطُوفٌ عَلَيْهِمْ لا يُثَنِّي جَنَاحَهُ … إِلَى كَنَفٍ يَحْنُو عَلَيْهِمْ وَيَمْهَدُ
فَبَيْنَا هُمُ فِي ذَلِكَ النُّورِ إِذْ غَدا … إِلَى نُورِهِمْ سَهْمٌ مِنَ الْمَوْتِ مُقْصَدُ
فَأَصْبَحَ مَحْمُوداً إِلَى اللهِ رَاجِعاً … يُبَكِّيهِ حَقُّ الْمُرْسَلاتِ وَيُحْمَدُ
وَأَمْسَتْ بِلادُ الْحُرْمِ وَحْشاً بِقَاعُهَا … لِغَيْبَةِ مَا كَانَتْ مِنَ الْوَحْيِ تَعْهَدُ

قِفاراً سوَى مَعْمُورَة اللَّحْد ضَافَهَا ... فَقيْدٌ تُبَكِّيْه بَلاطٌ وَغَرْقَدُ
وَمَسْجِدُهُ فَالْمُوْحِشَاتُ لفَقْده ... خَلاءٌ لَهُ فِيْه مَقَامٌ وَمَقْعَدُ
وَبالْجَمْرَة الْكُبْرى لَهُ ثَمَّ أَوْحَشَتْ ... دِيَارٌ وَعَرَصَاتٌ وَرَبْعٌ وَمَوْلِدُ
فَبَكِّي رَسُولَ الله يَا عَيْنُ عَبْرَةً ... وَلا أَعْرِفَنْكِ الدَّهْرَ دَمْعَكِ يَجْمُدُ
وَما لَكِ لا تَبْكِيْنَ ذَا النِّعْمَة الَّتي ... عَلَى النَّاسِ مِنْهَا سَابِغٌ يَتَغَمَّدُ
فَجُوْدي عَلَيْه بالدُّمُوعِ وَأَعْوِلي ... لفَقْد الَّذي لاَ مثْلُهُ الدَّهْرُ يُوْجَدُ
وَمَا فَقَدَ الْمَاضُونَ مثْلَ مُحَمَّد ... وَلاَ مثْلُهُ حَتَّى الْقِيَامَة يُفْقَدُ
[٣٤٣] /أَعَفَّ وَأَوْفَى ذِمَّةً بَعْدَ ذِمَّةٍ ... وَأَقْرَبَ مِنْهُ نَائلاً لا يُنَكَّدُ
[٢٥٢/ظ] وَأَبْذَلَ منْهُ للطَّرِيْف وَتَالِد ... إذا ضَنَّ مِعْطَاءٌ بِمَا كَانَ يُتْلَدُ
وَأَكْرَمَ صيْتاً فِي الْبُيُوت إذا انْتَمَى ... وَأَكْرَمَ جَدّاً أَبْطَحِيّاً يُسَوَّدُ
وَأَمْنَعَ ذرْوات وَأَثْبَتَ فِي الْعُلا ... دَعَائِم عِزٍّ شَاهقَات تُشَيَّدُ
وَأَثْبَتَ فَرْعاً فِي الْفُرُوعِ وَمَنْبِتاً ... وَعُوْداً غَذَاهُ الْمُزْنُ فَالْعُوْدُ أَغْيَدُ
رَبَّاهُ وَلِيْداً فَاسْتَتَمَّ تَمَامُهُ ... عَلَى أَكْرَمِ الْخَيْرَات رَبٌّ مُمَجَّدُ
تَنَاهَتْ وَصَاةُ الْمُسْلِمِيْنَ بكَفِّه ... فَلاَ العِلْمُ مَحْبُوسٌ وَلاَ الرَّأْيُ يُفْنَدُ
أَقُولُ وَلاَ يُلْفَى لِقَوْلي عَائِبٌ ... مِنَ النَّاسِ إلاَّ عَازِبُ الْعَقْلِ مُبْعَدُ
وَلَيْسَ هَوَايَ نَازِعاً عَنْ ثَنَائِه ... لَعَلِّي به فِي جَنَّة الْخُلْد أَخْلُدُ
مَعَ الْمُصْطَفَى أَرْجُو بِذَاكَ جِوَارَهُ ... وَفِي نَيْلِ ذَاكَ الْيَوْمِ أَسْعَى وَأَجْهَدُ

وقال حسَّان بن ثابت –أيضاً– يبكي رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَعَلَى آله–[١]:

(١) انظر: ديوانه ١/٢٦٩-٢٧٠.

مَا بَالُ عَيْنِكَ لا تَنَامُ كَأَنَّمَا ... كُحِلَتْ مَآقِيْها بكُحْلِ الأَرْمَدِ
جَزَعاً عَلَى الْمَهْدِيِّ أَصْبَحَ ثَاوِياً ... يا خَيْرَ مَنْ وَطِئَ الْحَصَى لا تَبْعُدِ
وَجْهِي يَقِيْكَ التُّرْبَ لَهْفِي لَيْتَنِي ... غُيِّبْتُ قَبْلَكَ فِي بَقِيْعِ الْغَرْقَدِ
بِأَبِي وَأُمِّي مَنْ شَهِدْتُ وَفَاتَهُ ... فِي يَوْمِ الاثْنَيْنِ النَّبِيُّ الْمُهْتَدِي
فَظَلِلْتُ بَعْدَ وَفَاتِه مُتَبَلِّداً ... مُتَلَدِّداً يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوْلَدِ
أَأُقِيمُ بَعْدَكَ بِالْمَدِيْنَة بَيْنَهُمْ ... يَا لَيْتَنِي صُبِّحْتُ سَمَّ الأَسْوَدِ
أَوْ حَلَّ أَمْرُ اللهِ فِيْنَا عَاجِلاً ... فِي رَوْحَة مِنْ يَوْمِنَا أَوْ فِي غَدِ
فَتَقُومُ سَاعَتُنَا فَنَلْقَى طَيِّباً ... مَحْضًا ضَرَائبُهُ كَرِيْمَ الْمَحْتِدِ [٢٥٣/و]
يَا بِكْرَ آمِنَةَ الْمُبَارَكَ ذِكْرُهُ ... وَلَدَتْهُ مُحْصَنَةٌ بِسَعْدِ الأَسْعَدِ
نُوْراً أَضَاءَ عَلَى الْبَرِيَّة كُلِّهَا ... مَنْ يُهْدَ للنُّورِ الْمُبَارَكِ يَهْتَدِ
يَا رَبِّ فَاجْمَعْنَا مَعاً وَنَبِيَّنَا ... فِي جَنَّة تَثْنِي عُيُونَ الْحُسَّدِ
فِي جَنَّة الْفِرْدَوْسِ وَاكْتُبْهَا لَنَا ... يَا ذَا الْجَلاَلِ وَذَا الْعُلا وَالسُّؤْدُدِ
وَاللهِ أَسْمَعُ مَا بَقِيْتُ بِهَالِكٍ ... إلاَّ بَكَيْتُ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدِ
/يَا وَيْحَ أَنْصَارِ النَّبِيِّ وَرَهْطِه ... بَعْدَ الْمُغَيَّبِ فِي سَوَاءِ الْمُلْحَدِ [٣٤٤]
ضَاقَتْ بالانْصَارِ الْبِلاَدُ فَأَصْبَحُوا ... سُوْداً وُجُوهُهُمُ كَلَوْنِ الإِثْمِدِ
وَلَقَدْ وَلَدْنَاهُ وَفِيْنَا قَبْرُهُ ... وَفُضُولَ نِعْمَته بِنَا لَمْ نَجْحَدِ
وَاللهُ أَكْرَمَنَا بِه وَهَدَى بِه ... أَنْصَارَهُ فِي كُلِّ سَاعَة مَشْهَدِ
صَلَّى الإلَهُ وَمَنْ يَحُفُّ بِعَرْشِه ... وَالطَّيِّبُونَ عَلَى الْمُبَارَكِ أَحْمَدِ

وقال حسَّان بن ثابت يبكي رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَعَلَى آله–[١]:

(١) انظر: ديوانه ١/٤٢١.

نَبٌ الْمَسَاكِيْنَ أَنَّ الْخَيْرَ فَـارَقَهُمْ   مَعَ النَّبِيِّ تَـوَلَّى عَـنْهُمُ سَـحَرَا
مَنْ ذا الَّذي عِنْدَهُ رَحْلِي وَراحِلَتِي   وَرِزْقُ أَهْلِي إِذا لَمْ يُؤْنِسُوا الْمَطَرَا
أَمْ مَنْ نُعَاتِبُ لاَ نَخْشَى جَنَادِعَـهُ   إِذَا اللِّسَانُ عَتَا فِي الْقَوْلِ أَوْ عَثَـرَا
[٢٥٣/ظ] كَانَ الضِّيَاءَ وَكَانَ النُّـوْرَ نَتْبَعُـهُ   بَعْدَ الإِلَهِ وَكَانَ السَّمْعَ وَالْبَصَـرَا
فَلَيْتَنَـا يَـوْمَ وارَوْهُ بِمُلْحَـدِه   وَغَيَّبُوهُ وَأَلْقَـوْا فَوْقَـهُ الْمَـدَرَا
لَمْ يَتْرُكِ اللهُ مِنَّـا بَعْـدَهُ أَحَـداً   وَلَمْ يَعِشْ بَعْدَهُ أُنْثَـى وَلاَ ذَكَـرَا
ذَلَّتْ رِقَابُ بَنِي النَّجَّـارِ كُلِّهِـمُ   وَكَانَ أَمْراً مِنْ أَمْرِ اللهِ قَدْ قُـدِرَا
وَاقْتُسِمَ الفَيْءُ دُونَ النَّاسِ كُلِّهِـمُ   وَبَدَّدُوهُ جِهَـاراً بَيْـنَهُمْ هَـدَرَا

وقال -أيضاً- يبكيه – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آله-(1):

آلَيْتُ حَلْفَةَ بَرٍّ غَيْـرِ ذي دَخَـلٍ   مِنِّي أَلِيَّـةَ بَـرٍّ غَيْـرِ إِفْنَـادِ
بِاللهِ مَا حَمَلَتْ أُنْثَى وَلاَ وَضَـعَتْ   مِثْلَ النَّبِيِّ رَسُولِ الرَّحْمَةِ الْهَادِي
وَلاَ بَرا اللهُ خَلْقـاً مِـنْ بَرِيَّتِـه   أَوْفَى بِذِمَّـةِ جَـارٍ أَوْ بِمِيْعَـادِ
مِنَ الَّذِي كَانَ نُوْراً يُسْتَضَاءُ بِـهِ   مُبَارَكَ الأَمْرِ ذَا حَـزْمٍ وَإِرْشَـادِ
أَمْسَى نِسَاؤُكَ عَطَّلْنَ الْبُيُوتَ فَمَـا   يَضْرِبْنَ فَوْقَ قَفَا سِـتْرٍ بِأَوْتَـادِ
مِثْلَ الرَّوَاهِبِ يَلْبَسْنَ الْمُسُوحَ وَقَدْ   أَيْقَنَّ بِالْبُؤْسِ بَعْدَ النِّعْمَةِ الْبَـادِي
يَا أَفْضَلَ النَّاسِ إِنِّي كُنْتُ فِي نَهَرٍ   أَصْبَحْتُ مِنْهُ كَمِثْلِ الْمُفْرَدِ الصَّادِي

***

تَمَّ السّبع الأوَّل من عُيون الأخبار في اليوم السَّابع عشر من شهر صَفَر المظفَّر في سنة ١٣٣٨ هجريّة سلام الله على صاحبها.

(١) انظر: ديوانه ٢٧٢/١.

بخط الحقير إلى ربّه الفقير عبد الحسين بن عبد الحيّ المقدس سيّدي عبد القادر تلواري ثبّته الله على طاعة إمام الزّمان وداعيه -صلوات الله عليه.

***

"ب": تمَّ الجزء الأوَّل من كتاب عيون الأخبار في سيرة النَّبيّ المختار ووصيّه والأئمَّة من آلهما الأطهار عليهم صلوات العزيز الغفّار، بعون الملك الجبّار ووليّه صاحب الآثار.

تمّت النّسخة المباركة في عصر داعي وليّ الله وخليفته في أرضه سلام الله عليه سيّدنا ومولانا أبي محمَّد الطّاهر سيف الدِّين -عليه السّلام- في اليوم الثالث من شهر صَفَر المظفّر سنة ١٣٤٩.

عبد مولانا المنّان الأقل حميد علي الجبل.

الفهارس العامة[1]

تنبيه

الأرقام المحصورة بين معقوفين [...] من غير أحرف، والموجودة على طرفي الصفحات هي التي تشير إليها جميع الفهارس.

أما الأرقام التي بين معقوفين مع حرف «و» أو «ظ» فهي تشير إلى أرقام المخطوط.

(١) أرقام هذه الصفحة تدل على الأرقام الفعلية الموجودة في ترويسة كل صفحة.

(١)

فهرس الآيات القرآنية

٥٤ ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ ٣٣٢

٥٩ ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ﴾ ٣٢٨

٦١ ﴿فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ ٣٣٠

١٦٥ ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ١٢١، ١٤٨

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَما الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ ٣٣٨

﴿النساء/٤﴾

١٩ ﴿يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ ٣١٤

٢٠ ﴿وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلاَ تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْئًا﴾ ٢٦١

٩٤ ﴿وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلاَمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ ٢٩٦

١٠١ ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُواْ مِنَ الصَّلاَةِ﴾ ٢٢٧

﴿المائدة/٥﴾

١ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ﴾ ٢٨٨

٣ ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾ ٣٢١، ٣٢٣

١١ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُواْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ١٧٠

٣٣ ﴿إِنَّمَا جَزَاء الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُواْ أَوْ يُصَلَّبُواْ﴾ ٣٠٤

٤١ ﴿قَالُواْ آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ﴾ ١٠٧

٥٥ ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ ٣٢١

٦٧ ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ ٣٠٧، ٣٢١، ٣٢٣

١٢ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً﴾ ٢٦٠

١٣ ﴿أَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ﴾ ٢٦٠

﴿الأنعام/٦﴾

٩٣ ﴿وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنَزلَ اللّهُ﴾ ٢٣٤

١٥١ ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ إمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ٩١

﴿الأعراف/٧﴾

١٣٨ ﴿اجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ ٢٤٥

١٤٢ ﴿اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي﴾ ٢٧٣

﴿الأنفال/٨﴾

٣٦ ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ اللّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ ١٣٨

﴿التوبة/٩﴾

﴿هود/١١﴾

﴿الرعد/١٣﴾

﴿إبراهيم/١٤﴾

﴿الحجر/١٥﴾

﴿النحل/١٦﴾

	إن شَاء اللهُ آمنينَ مُحلِّقينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لاَ تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾	٢١٣

﴿الحجرات/٤٩﴾

٢	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ﴾	٣٣٦
٤	﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾	٢٧٩
٦-٧	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ۞ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الأَمْرِ لَعَنِتُّمْ﴾	١٩٦
	﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾	١٦، ٢٣٦

﴿النجم/٥٣﴾

٣	﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾	١١٥
٨-٩	﴿دَنَا فَتَدَلَّى ۞ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾	٨٠

﴿الرحمن/٥٥﴾

٣٣	﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ فَانفُذُوا لا تَنفُذُونَ إِلا بِسُلْطَانٍ﴾	٢

﴿الواقعة/٥٦﴾

٨-١١	﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ۞ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ۞ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ۞ أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾	١٥
٢٧	﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾	١٥

٤١	﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ﴾	١٥

﴿الحشر/٥٩﴾

٩	﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾	٩٧

﴿الممتحنة/٦٠﴾

١-٤	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ۞ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ۞ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۞ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾	٢٢٦
١٠	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُم مَّا أَنفَقُوا وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾	٢٠٣

﴿المدثر/٧٤﴾

١١-٣١	﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۞ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالا مَّمْدُودًا ۞ وَبَنِينَ	

* * *

(٣)

فهرس الأعلام

* * *

(٤)

فهرس الأماكن والبلدان

* * *

(٥)

فهرس الشعر

يَدورُ	كعب بن مالك	٢٠	١٤٣
القدرُ	عبد الله بن رواحة	٣	١٨١
مسهرُ	حسَّان بن ثابت	١٧	١٨٥
الخبيرُ	العبَّاس بن مرداس	٢٨	٢١٤-٢١٥
ينتصرُ	شَدَّاد بن عارِض الْجُشَمِيّ	٣	٢١٨
درَرُ	حسَّان بن ثابت	١٣	٢٢٦
السَّعيرُ	أبو جِعال	٨	٢٤٨
فهرِ	حذيفة بن غانم	١	١٢
البدرِ	حذيفة بن غانم	٧	١٧
القطرِ	فاطمة بنت مرّ	٤	٢٥
الحفرِ	آمنة بنت وهب	١١	٢٧
القطرِ	حذيفة بن غانم	٣٣	٣١-٣٢
الأمرِ	حمزة بن عبد المطّلب	١٧	١٠٦
البظرِ	حسَّان بن ثابت	٣	١٢٧
نَزْرِ	حسَّان بن ثابت	٥	١٤١
عمرِو	مجهول أو لحسَّان بن ثابت	١	١٥٨
وقِفارِ	ابن لُقَيْم العبسي	٨	١٧٧
أقبرِ	مجهول	٣	٨٦
الأنصارِ	كعب بن زهير	٣٣	٢٢٩-٢٣٠
تَنْزُرِي	كعب بن مالك	٥	١٠٨
وشُمَّرِي	السلمي ؟	٢	٢٠٥

(ز)

عاجزِ	علي بن أبي طالب	٤	١٥١

مُبارزْ	عمرو بن عبد ودّ	٤	١٥٠

(س)

الفوارسِ	كعب بن مالك	٩	١٦٤

(ش)

قُرَيْشَا	المشمرج بن عمرو الحميري	٢	٨

(ع)

يَصْدَعُهْ	دغفل (النَّسابة)	١	٧٧
مُجَمَّعَا	أبو عفك	٥	٢٥٥
أُطيْعَا	الكميت	٥	٢٧٥
واقِعُ	كعب بن مالك	١٤	٨٢-٨٣
وتدمعُ	كعب بن الأشرف	١١	١١٢
لا يسمعُ	حسَّان بن ثابت	٥	١١٢
فالمصانعُ	العبَّاس بن مرداس	١٦	٢١٥
مجمعِ	خُبَيْب بن عديّ	١٠	١٣٨
الأجرعِ	العبَّاس بن مرداس	٧	٢٢٤-٢٢٥

(ف)

السُّيوفَا	كعب بن مالك	٢٥	٢١٧-٢١٨
مَنافِ	عبد الله بن الزِّبَعْرَيّ	٣	١١
عجافِ	مطرود الخزاعيّ	١	١٥
سِخافِ	أبو طالب بن عبد المطّلب	١٣	٦٤
أصْدَفِ	علي بن أبي طالب	١٥	١٤٢-١٤٣
الأشْرَفِ	حسَّان بن ثابت	٤	١٦٠
خِفافِ	بُجير بن زهير ؟	٩	٢٠٣

القافية	اسم الشاعر	عدد الأشطر	رقم الصفحة
والكرمِ	أبو طالب بن عبد المطّلب	١٠	٣٠-٣١
كرامِ	أبو طالب بن عبد المطّلب	١٨	٣٣-٣٤
مريمِ	أبو طالب بن عبد المطّلب	٥	٥٦
بَسَّامِ	حسَّان بن ثابت	٢٢	١٠٧-١٠٨
بحليمِ	علي بن أبي طالب	٤	١٢٨
لئيمِ	حسَّان بن ثابت	١	٢٠٤
حازمِ	الفرزدق	٣	٥٠
ومقامي	فَرْوَة بن عَمْرو النَّافِرة الجُذَاميّ	١	٢٤٤
ابرهمْ	عبد المطّلب	٣	٢٠
الظّلمْ	علي بن أبي طالب	٤	٧٢-٧٣
انحطمْ	قُطْبَة بن قَتَادَة العُذْرِيّ	٣	٨٤
الحرمْ	مجهول (رجل حنفيّ)	١	٢٥٦

(ن)

القافية	اسم الشاعر	عدد الأشطر	رقم الصفحة
عينا	نُفيل بن حبيب الخثعميّ	٦	١٩
دفينا	أبو طالب بن عبد المطّلب	٥	٤٣
صابرينا	كعب بن مالك	١٧	١٥٨
المسلمينا	رجل من بني بكر	١	٢٥٤
تبيانُ	العبَّاس بن مرداس	٥	٢٠٧-٢٠٨
يعتركانِ	فاطمة بنت مرّ	٦	٢٥-٢٦
جبانِ	بجير بن زهير	٧	٢١٦
والقروانِ	فَرْوَة بن عَمْرو النَّافِرة الجُذَاميّ	٦	٢٤٣
الهوانِ	خالد بن الوليد	٦	٢٥٩
يمني	أمامة المزيريَّة	٢	٢٥٥

(هـ)

القافية	اسم الشاعر	عدد الأشطر	رقم الصفحة
خزاعَهْ	مجهول	٢	١٠-١١
والزَّهْرَهْ	طالب بن أبي طالب	٨	٩٦
سلمهْ	أبو مِحْجَنِ بن حَبِيْبِ بن عَمْرِو بن عُمَيْرِ الثَّقَفِيّ	٣	٢٢٣

(ي)

القافية	اسم الشاعر	عدد الأشطر	رقم الصفحة
مُواتِيَا	صِرْمَة بن أبي أنس	١٤	٩٠
واقِيَا	عبد الله بن رواحة	٦	١٤٥
مُنادِيَا	حسَّان بن ثابت	٦	٢٧٥
نائِيَا	عُبَيْدَة بن الحارث	١٠	١٠٦-١٠٧
لؤيّ	الحارث بن ظالم	٣	٩
عَلِيّ	نداء من السَّماء؟	١	١٢٤

(٥)

فهرس الرَّجز

القافية	اسم الشاعر	عدد الأشطر	رقم الصفحة
واقترابُها	جعفر بن أبي طالب	٥	١٨٢
مرحبُ	مرحب اليهودي	٥	١٧٤
الأنصابِ	أبو طالب بن عبد المطّلب	١١	٢٣
بطَالبِ	طالب بن أبي طالب	٥	٩٦
المطّلبْ	المغيرة بن عبد الله	٨	٢٣

(ت)

القافية	اسم الشاعر	عدد الأشطر	رقم الصفحة
مشيتا	حمزة بن عبد المطّلب	١٢	٥٩-٦٠
تموتي	عبد الله بن رواحَة	٤	١٨٣

* * *

(٦)

فهرس الأمثال

* * *

(٧)

فهرس الكتب

أ- أسماء الكتب الواردة في المتن

* * *

(٨)

فهرس الكتب

ب- أسماء الكتب المدوّنة في حواشي الكتاب وهي:

مصادر التحقيق

ابن ماكولا [-٤٧٥هـ]، الإكمال، تحقيق: عبد الرحمن المعلمي [١-٧]، دار الفاروق الحديثة القاهرة، [د. ت]

أبو الصّلاح الحلبي [-٤٤٧هـ]، الكافي في الفقه، تحقيق: رضا أستادي مكتبة أمير المؤمنين أصفهان، ١٤٠٣هـ

أبو طالب بن عبد المطلب [- ٣ قبل الهجرة]، الدرة الغراء في شعر شيخ البطحاء (ديوان أبي طالب)، جمع وتحقيق وشرح: باقر قرباني زرين وزارة الثّقافة والإرشاد الإسلامي طهران، ١٩٩٥

أبو طالب بن عبد المطلب [- ٣ قبل الهجرة]، ديوان أبي طالب بن عبد المطّلب (صنعة أبي هفّان المهزمي)، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين دار ومكتبة الهلال، بيروت، ٢٠٠٠

أبو نصر الفارابي كتاب الحروف، تحقيق: محسن مهدي، دار المشرق، بيروت، ١٩٩٠

أبي بكر بن مسعود الكاشاني [-٥٨٧هـ]، بدائع الصنائع في ترتيب الشّرائع، [١-٧]، المكتبة الحبيبية، باكستان، ١٤٠٩

أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح "اليعقوبي" [-بعد ٢٨٤هـ]، تاريخ اليعقوبي، تحقيق: م. هوتسما، [١-٢]، بريل ليدن، ١٩٦٩

أحمد بن عبد الله "أبو نعيم الأصبهاني" [-٤٣٠هـ] دلائل النبوة، تحقيق: محمد روّاس قلعه

جي وعبد البرّ عبّاس [١-٢]، دار النفائس، بيروت، ١٩٩٩

أحمد بن علي الرزي الجصّاص [-٣٧٠هـ] أحكام القرآن، ضبط نصّه وخرج آياته عبد السّلام محمدر علي شاهين [١-٣]، دار الكتب العلمية بيروت، ١٤١٥هـ

أحمد بن علي بن الخطيب البغدادي [-٤٦٣هـ]، تاريخ بغداد، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا [١-١٤]، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ

أحمد بن محمد بن أحمد النيسابوري الميداني [-٥١٨هـ]، مجمع الأمثال، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم [١-٤]، عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٧٨-١٩٧٩

أحمد بن محمد بن عبد ربّه الأندلسي [-٣٢٨هـ]، العقد الفريد، تحقيق: أحمد أمين، أحمد الزين، إبراهيم الأبياري [١-٧]، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٢

أحمد بن يحيى بن جابر البلاذريّ [-٢٧٩هـ] أنساب الأشراف، تحقيق: محمود فردوس العظم [١+١٢]، دار اليقظة العربية، دمشق، ١٩٩٧-٢٠٠٠

البهروجي، كتاب الأزهار [ضمن كتاب: منتخبات إسماعيلية] تحقيق: عادل العوا مطبعة الجامعة السورية دمشق، ١٩٥٨

جار الله محمود بن عمر الزمخشري [-٥٣٨هـ]، ربيع الأبرار، تحقيق: سليم النعيمي [٤/١] بغداد، ١٩٧٦-١٩٨٢

جار الله محمود بن عمر الزمخشري [-٥٣٨هـ]، المستقصى في أمثال، العرب تحقيق: مجموعة [١-٢]، دائرة المعارف العثمانية حيدر أباد، ١٩٦٢

حسان بن ثابت [-حوالي ٤٠هـ]، ديوان حسان بن ثابت، تحقيق: وليد عرفات [١-٢]، دار صادر، بيروت، ١٩٧٤

حسن بن فضل الطبرسي [-٥٤٨هـ]، مكارم الأخلاق، تحقيق: مشترك الشّريف الرّضيّ قم، ١٩٧٢

حسن بن يوسف بن علي بن مطهر الحلّي [-٧٢٦هـ]، كشف اليقين، تحقيق: حسين الدركاهي وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، طهران، ١٤١١هـ

حسن بن يوسف بن علي بن مطهر الحلّي [-٧٢٦هـ]، تذكرة الفقهاء، تحقيق: مؤسسة آل البيت [١-١٠]، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم، ١٤١٤هـ

حمزة بن حسن الأصفهاني [-قبل ٣٦٠هـ]، سوائر الأمثال على أفعل، تحقيق: فهمي سعد عالم الكتب بيروت، ١٩٨٨

حمزة بن علي بن زهرة الحلبي [-٥٨٥هـ]، غنية النزوع إلى علمي الأصول والفروع، تحقيق: الشيخ إبراهيم البهادريّ، مؤسسة الإمام الصادق قم، ١٤١٧هـ

حمزة بن يوسف بن إبراهيم السّهمي [-٤٢٧هـ] تاريخ جرجان، بإشراف محمد عبد المعين خان، دائرة المعارف العثمانية حيد أباد الدّكن، ١٣٦٩هـ

حميد بن أحمد المحلّي محاسن الأزهار في تفضيل مناقب العترة الأطهار، تحقيق: حمود بن عبد الله الأهنومي وعبد الله ناصر أحمد عامر، مركز أهل البيت للدراسات الإسلامية صعدة، ٢٠٠٣

سعيد بن هبة الله "قطب الدين الراوندي [-٥٧٣هـ] الخرائج والجراح، تحقيق: مجموعة [٣/١]، مؤسسة الإمام المهدي، قم، ١٤٠٩هـ

سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الطبراني [- ٣٦٠هـ]، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، [١-٢٥]، ط٢، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، [د.تا]

سليمان بن موسى الكَلاعيّ [٦٣٤هـ] الإكتفاء في مغازي رسول الله والثّلاثة الخلفاء، تحقيق: مصطفى عبد الواحد [١-٢]، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٦٨

عبّاس بن مِرْداس [-حوالي ١٨هـ]؟ ديوان العباس بن مرداس، جمعه وحقّقه: يحيى الجبوري مؤسسة الرِّسالة، بيروت، ١٩٩١

عبد الحميد بن هبة الله بن محمد "ابن أبي الحديد" [-٦٥٦هـ]، شرح نهج البلاغة تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، [١-٢٠]، دار إحياء الكتب العربية القاهرة، ١٩٦١

عبد العزيز بن البرّاج [-٤٨١هـ] المهذب تحقيق: بإشراف الشيخ جعفر السبحاني [١-٢]، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤٠٦

عبد الله بن محمد بن أبي شيبة [-٢٣٥هـ] مصنف ابن أبي شيبة تحقيق: سعيد محمد اللحام [١-٨] دار الفكر بيروت، ١٤٠٩

عبد الله بن محمد بن عبيد الله بن أبي الدُّنيا [-٢٨١هـ] التواضع والخمول، تحقيق: لطفي محمد الصَّغير، دار الإعتصام القاهرة، ١٩٧٧

عبد الملك بن محمد الثعالبي [-٤٢٩هـ] ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف القاهرة، ١٩٦٥

عبد الملك بن هشام [-٢١٨هـ]، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ شلبي [٤/١]، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٥٥

عبيد الله بن عبد الله بن أحمد "الحاكم الحسكاني" [- ق.٥ هـ] شواهد التّنزيل لقواعد التّفضيل (في الآيات النازلة في آل البيت) تحقيق: محمد باقر المحمودي [١-٣]، ، مجمع إحياء الثّقافة الإسلامية قم، ١٩٩٠

علي بن إبراهيم القمي [-٣٢٩هـ] تفسير القمي، تحقيق: مشترك [١-٢]، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٩٩١

علي بن أبي طالب -صلوات الله عليه- [-٤٠هـ]، ديوان الإمام علي، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجة، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، [د. ت]

علي بن الحسن بن هبة الله "ابن عساكر" [-٥٧١هـ]، تاريخ مدينة دمشق. ج. ١٩، تحقيق: علي شيري، دار الفكر بيروت، ١٤١٥هـ

علي بن الحسين "أبو الفرج الأصفهانيّ" [-٣٥٦هـ]، الأغاني، تحقيق: إحسان عباس، إبراهيم السعافين، بكر عبّاس [١-٢٥]، دار صادر بيروت، ٢٠٠٢

علي بن الحسين الموسويّ "الشّريف المرتضى" [-٤٣٦هـ] أمالي المرتضى (غرر الفوائد ودرر الفرائد)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم [١-٢]، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٨

علي بن الحسين الموسويّ "الشّريف المرتضى" [-٤٣٦هـ]، رسائل الشريف المرتضى، تحقيق: مهدي رجائي [١-٤]، دار القرآن الكريم، قم، ١٤٠٥هـ

علي بن الحسين بن علي المسعوديّ [-٣٤٥ أو ٣٤٦هـ]، مروج الذهب، تحقيق: شارل بلاّ [١-٧] ، الجامعة اللبنانية، بيروت، ١٩٦٦-١٩٧٩

علي بن يونس العاملي النّباطي البياضيّ [-٨٧٧هـ]، الصراط المستقيم، تحقيق: محمد الباقر البهبودي [١-٣]، المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية، قم، ١٣٨٤هـ

عمر بن شبّه [-٢٦٢هـ]، تأريخ المدينة المنوّرة، حقّقه: فهيم محمد شلتوت [١-٤]، [د. نا] القاهرة، [د. تا]

عمرو بن بحر "الجاحظ" [–٢٥٥هـ]، كتاب الحيوان، تحقيق: عبد السّلام هارون [١–٧]، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٦٥

فرات بن إبراهيم بن فرات الكوفي [+ق. ٣هـ]، تفسير فرات الكوفي تحقيق: ، تحقيق: محمد الكاظم وزارة الثقافة طهران، ١٩٩٠

الفضل بن شاذان النيسابوريّ [–٢٦٠ هـ] الإيضاح، تحقيق: جلال الدين الحسينيّ الأرموي منشورات جامعة طهران طهران، ١٩٧٥

فضل بن عبّاس اللهبيّ، [–نحو٩٥هـ] ديوان الفضل بن العبّاس اللهبيّ، صنعة وتحقيق: مهدي عبد الحسين النّجم، مؤسسة المواهب بيروت، ١٩٩٩

كعب بن مالك [– ديوان كعب بن مالك، تحقيق: سامي مكي العاني، عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٧

مبارك بن محمد الجزريّ "ابن الأثير" [–٦٠٦هـ]، النهاية في غريب الحديث والأثر تحقيق: محمود محمد الطّناحي وطاهر أحمد الزّاوي، عيسى البابي الحلبي القاهرة، ١٩٦٣

مجهول، أخبار الدولة العباسية، تحقيق: عبد العزيز الدوري وعبد الجبار المطلبي، دار الطليعة بيروت، ١٩٩٧

محسن بن كرامة الجشميّ [–٤٩٤هـ]، تنبيه الغافلين عن فضائل الطالبين، تحقيق: محمد رضا أنصاري قمي وزارة الإرشاد الإسلامي طهران، ١٣٧٨ ش

محمد بن أبي القاسم الطّبريّ [–حوالي ٥٢٥هـ]، بشارة المصطفى لشيعة المرتضى، تحقيق: جواد القيومي الأصفهانيّ، مؤسسة النشر الإسلامي قم، ١٤٢٠هـ

محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي [–٧٤٨هـ]، سير أعلام النبلاء، تحقيق: مجموعة [١–٢٤]، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٩، ١٩٩٣

محمد بن إسحاق بن يسار [–١٥١هـ] سيرة ابن اسحاق، تحقيق: محمد حميد الله، معهد الدراسات والأبحاث للتعريب الرباط، ١٩٧٦

محمد بن الحسن الطوسي [–٤٦٠هـ]، النهاية في مجرد الفقه والفتاوي، انتشارات قدس محمدي، قم، [د. تا]

محمد بن الحسن الطوسي [–٤٦٠هـ]، الأمالي، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، دار الثقافة

قم، ١٤١٤هـ

محمد بن الحسن بن محمد بن علي، "ابن حمدون" [–٥٦٢هـ] التذكرة الحمدونية، تحقيق: إحسان عباس وبكر عباس [١–٩]، دار صادر بيروت، ١٩٩٦

محمد بن جرير الطبري [–٣١٠هـ]، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، [١–١٠]، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٩

محمد بن جرير بن رستم الطّبري [–ق. ٥هـ] دلائل الإمامة تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة قم، ١٤١٣هـ

محمد بن حبّان البستي [–٣٥٤هـ] الثقات، بإشراف محمد عبد المعين خان [١–٩]، دائرة المعارف العثمانية، حيد أباد الدّكن، ١٣٩٣هـ

محمد بن حبيب [–٢٤٥هـ]، المحبر، اعتنى بتصحيحه: إيلزة ليختن شتيتر دائرة المعارف العثمانية حيدر أباد، ١٩٤٢

محمد بن حبيب [–٢٤٥هـ]، المنمّق في أخبار قريش، تحقيق: خورشيد أحمد فاروق عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٥

محمد بن حسين بن موسى "الشّريف الرّضي" [–٤٠٦هـ]، خصائص الأئمة، تحقيق: محمد هادي الأميني، مجمع البحوث الإسلامية، مشهد، ١٤٠٦

محمد بن سعد بن منيع الزّهريّ [–٢٣٠هـ] الطبقات الكبرى، بعناية إحسان عباس [١–٩]، دار صادر بيروت، [د.ت]

محمد بن سليمان الكوفي [+ق.٤هـ]، مناقب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب –عليه السّلام–، تحقيق: الشّيخ محمد باقر المحموديّ [١–٣]، مجمع إحياء الثقافة الإسلاميّة، قم، ١٤١٢هـ

محمد بن طيّب الباقلاّني [–٤٠٣هـ] إعجاز القرآن، تحقيق: السيّد أحمد صقر دار المعارف القاهرة، ١٩٨١

محمد بن عباس المعروف بابن الجحام [ق. ٤هـ] تأويل ما نزل من القرآن في النبي وآله، تحقيق: فارس تبريزيان، منشورات الهادي قم، ١٤٢٠هـ

محمد بن عبد الله بن مسلم "ابن قتيبة" [–٢٧٦هـ] عيون الأخبار، تحقيق: مجموعة [١–٤]،

دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٢٦
محمد بن علي الكراجكي [–٤٤٩هـ] كنز الفوائد، مكتبة المصطفوي قم، ١٤١٠
محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمّي [–٣٨١هـ] من لا يحضره الفقيه، تحقيق: علي أكبر غفاري [١–٤]، جماعة المدرسين في الحوزة العلمية قم، ١٤٠٤هـ
محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمّي [–٣٨١هـ] أمالي الصدوق، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية مؤسسة البعثة قم، ١٤١٧هـ
محمد بن عمر بن الواقدي [–٢٠٧هـ] المغازي، تحقيق: مارسدن جونس، [١–٣]، مطبعة جامعة أكسفورد، ١٩٦٦
محمد بن عمران بن موسى "المرزباني" [–٣٧٨هـ] معجم الشعراء، تحقيق: فاروق أسليم دار صادر بيروت، ٢٠٠٥
محمد بن فتال النيسابوري [–٥٠٨هـ] روضة الواعظين تحقيق: السيد محمد مهدي السيد حسن الخراسان منشورات الرضي قم، [د. تا]
محمد بن محمد بن النُّعْمان "الشيخ المفيد" [–٤١٣هـ] إيمان أبي طالب، تحقيق: مؤسسة البعثة، مصنفات الشيخ المفيد ، مج. ١٠، المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد طهران، ١٩٩٢
محمد بن محمد بن النُّعْمان "الشيخ المفيد" [–٤١٣هـ] الإرشاد، تحقيق: مصنفات الشيخ المفيد، المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد طهران، ١٩٩٢
محمد بن محمد بن النُّعْمان "الشيخ المفيد" [–٤١٣هـ] المقنعة، تحقيق: مشترك مصنفات الشيخ المفيد ، مج. ١٤، المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد طهران، ١٩٩٢
محمد بن محمد بن النُّعْمان "الشيخ المفيد" [–٤١٣هـ] الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، تحقيق: مؤسسة آل البيت، مصنفات الشيخ المفيد مج. ١١، المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد طهران، ١٩٩٢
محمد بن محمد بن النُّعْمان "الشيخ المفيد" [–٤١٣هـ] الفصول المختارة، تحقيق: مشترك مصنفات الشيخ المفيد ، مج. ٢، المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد طهران، ١٩٩٢
محمّد بن منصور بن أحمد بن ابن إدريس الحلّي [–٥٩٨هـ] كتاب السرائر الحاوي لتحرير الفتاوي، تحقيق: لجنة [١–٣]، مؤسسة النشر الإسلامي قم، ١٤١٠هـ

محمد بن يزيد المبرّد [–٢٨٥هـ] الكامل في الأدب تحقيق: محمد أحمد الدّالي مؤسسة الرّسالة، [١–٤] بيروت، ١٩٨٦
محمد بن يوسف الصالحي الشامي [–٩٤٢هـ]، سبل الهدى والرشاد [١–١٢]، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٤هـ
المعافى بن زكريا النهرواني [–٣٩٠هـ] الجليس الصالح الكافي والأنيس الصالح الشّافي تحقيق: محمد مرسي الخولي وإحسان عباس [١–٤]، عالم الكتب بيروت، ١٩٩٣
منصور بن الحسين الآبي الرازيّ [–٤٢١هـ]
نثرالدر تحقيق: مجموعة [١–٧]، الهيئة المصرية القاهرة، ١٩٧٨–١٩٩٠
موفّق بن أحمد المكي الخوارزمي [–٥٦٨هـ] مقتل الحسين، تحقيق: العلامة الشيخ محمد السماوي [١–٢]، دار أنوار الهدى، قم، ١٤١٨هـ
نشوان الحميري [–٥٧٣هـ] الحور العين، تحقيق: كمال مصطفى المكتبة اليمنية صنعاء، ١٩٨٥
نعمان بن محمد حيّون [–٣٦٣هـ] شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار تحقيق: محمد حسين الحسيني الجلالي مؤسسة النشر الإسلامي، [١–٣] قم، ١٩٩٣
نعمان بن محمد حيّون [–٣٦٣هـ] دعائم الإسلام، تحقيق: آصف علي فيضي [١–٢]، دار المعارف القاهرة، ١٩٦٣–١٩٦٥
نعمان بن محمد حيّون [–٣٦٣هـ] المناقب والمثالب، مخطوط دار الكتب المصرية، طلعت رقم ٢٠٦٨ / تاريخ
هشام بن محمد بن السّائب الكلبيّ [–٢٠٤ هـ] الأصنام، تحقيق: أحمد زكي باشا دار الكتب المصرية القاهرة، ١٩٢٤
ياقوت بن عبد الله الحمويّ [– ٦٢٦هـ]، معجم البلدان، تحقيق: فردنان فيستنفلد ليبزغ، ١٨٦٦–١٨٧٣
يحيى بن الحسن الأسديّ الرّبعيّ الحلّي [–٦٠٠هـ]، عمدة عيون صحاح الأخبار في مناقب إمام الأبرار، تحقيق: جعفر السبحاني مؤسسة النشر الإسلامي قم، ١٩٨٦
يحيى بن الحسين بن هارون الهاروني الحسيني [–٤٢٤هـ]، تيسير المطالب في أمالي أبي طالب،

تحقيق: عبد الله بن حمود العزّي مؤسسة الإمام زيد بن علي الثّقافيّة صنعاء، ٢٠٠٢

يحيى بن الحسين بن هارون الهاروني الحسيني [-٤٢٤هـ] الإفادة في تاريخ أئمّــة الزّيديّـــة، تحقيق: محمد يحيى سالم عزّان دار الحكمة اليمانيّة صنعاء، ١٩٩٦

مراجع حديثة

الشعراء الجاهليون الأوائل، عادل الفريجات، دار المشرق، بيروت، ١٩٩٤

* * *

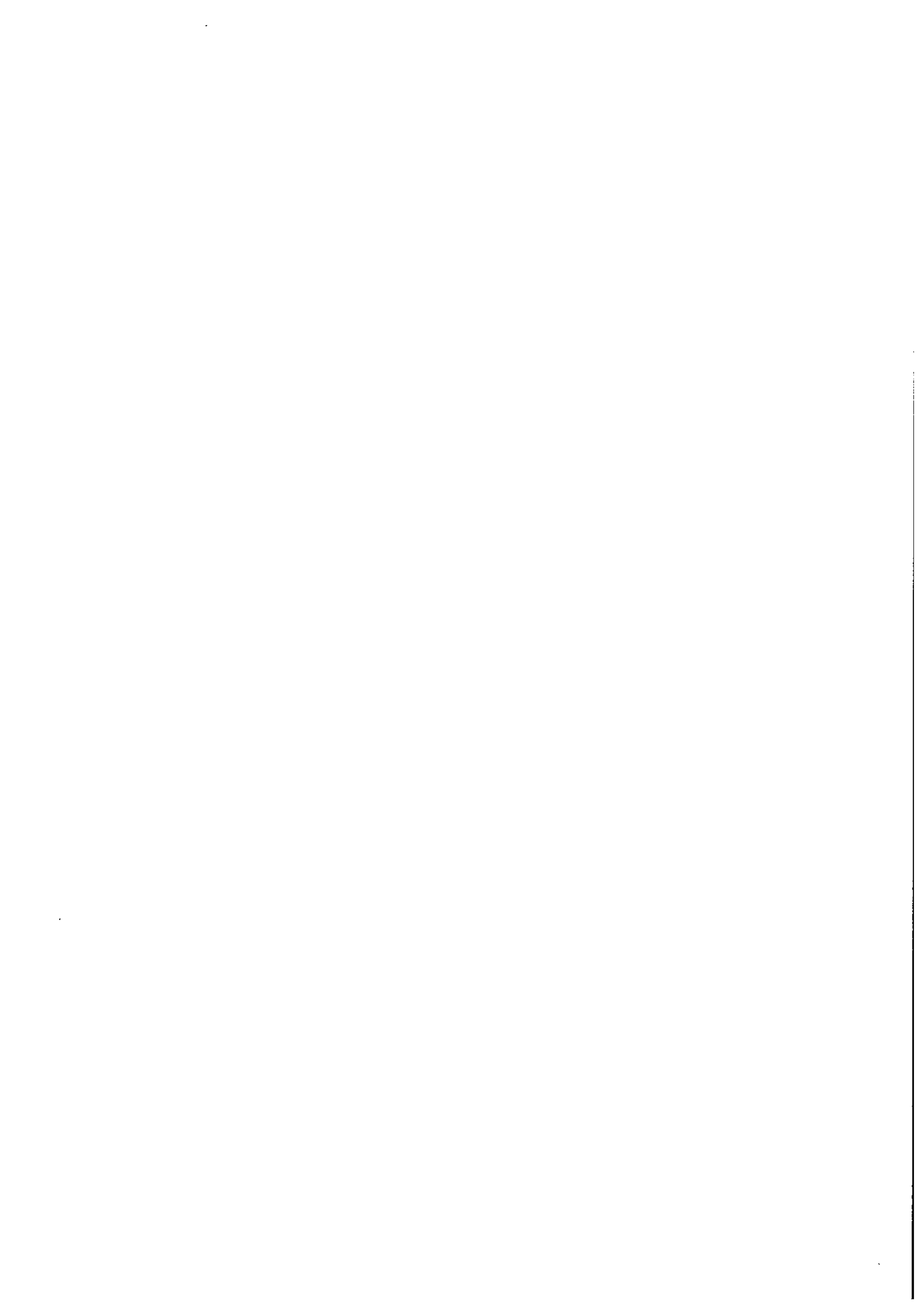
المحتوى(*)

(*) أرقام هذا المحتوى تشير إلى الأرقام المحصورة بين معقوفين [...] وهي موضوعة على يمين ويسار الصفحات.

* * *

تنبيه

الأرقام المحصورة بين معقوفين [...] من غير أحرف، والموجودة على طرفي الصفحات هي التي تشير إليها جميع الفهارس.
أما الأرقام التي بين معقوفين مع حرف «و» أو «ظ» فهي تشير إلى أرقام المخطوط.



français du Proche-Orient, and particularly to its scientific director Professor Floréal Sanagustin and its academic coordinator Madame Sarab Atassi-Khattab, for collaborating with us on this project that was initiated in 2003.

I would also like to thank the various editors of this important text, notably Ahmad Chleilat, Mahmoud Fakhoury, Yousef Ma'mun Sagherji and Ayman Fu'ād Sayyid, who have meticulously produced the critical editions of the seven volumes of the *'Uyūn al-akhbār* here. It is also necessary to acknowledge our indebtedness to Adnan Darwich and Samer F. Traboulsi for their efforts in the initial stages of this collaborative project between The Institute of Ismaili Studies, on the one hand, and the Institut français du Proche-Orient and a number of Syrian scholars, on the other. Our colleague at the IIS, Dr Nader El-Bizri, acted as coordinator of the project, most ably discharging all tasks related to such a complex endeavour; this project would not have materialized without his tireless efforts. Finally, I would like to thank Wendy Robinson and Julia Kolb of the staff of our Institute for variously contributing to the completion of this project.

August 2006

Farhad Daftary

Associate Director
The Institute of Ismaili Studies

Yemen from the second half of the 5th/11th century as a result of the close relations existing between the Fatimids and the Ṣulayḥids of the Yemen who recognized Fatimid suzerainty and led the Ismaili *da'wa* in South Arabia. And this literary heritage was under the charge of the Ṭayyibī *dā'īs* of the Yemen.

The *dā'ī* Idrīs composed three major historical works, which may be regarded as the main sources on the history of the Ismailis until the Musta'lian–Nizārī schism in the Ismaili *da'wa*, and then as the authoritative text on the history of the Musta'lian and Ṭayyibī Ismailis until the second half of the 9th/15th century. His first historical work, *'Uyūn al-akhbār wa-funūn al-āthār*, in seven volumes critically edited here for the first time as a complete set, is the most comprehensive source on the history of the Ismaili *da'wa* from its origins, and the Shi'i imams recognized by the Ismailis (including the Fatimid caliphs as well as the early imams until Ja'far al-Ṣādiq acknowledged also by the Ithnā'asharīs or Twelver Shi'is), until the second half of the 6th/12th century. The first volume of the *'Uyūn*, on the life of the Prophet Muḥammad, is particularly valuable in reflecting the Ismaili tradition on that subject. Similarly, volumes 2 and 3 portray the Ismaili perspectives on 'Alī b. Abī Ṭālib (d. 40/661) and his battles against various opponents. The first three volumes of the *'Uyūn* are now published for the first time. The fourth volume covers the biographies of the early imams, from al-Ḥasan (d. 49/669) and al-Ḥusayn b. 'Alī (d. 61/680) until al-Ḥusayn b. Aḥmad, the last hidden imam of the early Ismailis in their *dawr al-satr* or period of concealment. The fifth volume covers the initiation of the Ismaili *da'wa* in the Yemen and North Africa, the establishment of the Fatimid state in 297/909, and the reigns of the Fatimid Ismaili caliph-imams al-Mahdī (297–322/909–934), al-Qā'im (322–334/934–946) and al-Manṣūr (334–341/946–953). The sixth volume covers the reigns of the next four Fatimid caliph-imams, al-Mu'izz (341–365/953–975), al-'Azīz (365–386/975–996), al-Ḥākim (386–411/996–1021), al-Ẓāhir (411–427/1021–1036) as well as the early years of al-Mustanṣir (427–487/1036–1094). The late Syrian Nizārī Ismaili scholar Muṣṭafā Ghālib (1923–1981) edited for the first time volumes 4–6 of the *'Uyūn* (Beirut, 1973, 1975, 1978). The Tunisian scholar Farḥat al-Dashrāwī (F. Dachraoui) edited a portion of the fifth volume under the title *Ta'rīkh al-dawla al-Fāṭimiyya bi'l-Maghrib* (Tunis, 1979), while Muḥammad al-Ya'lāwī (M. Yalaoui), another Tunisian scholar, published the fifth and part of the sixth volumes under the title *Ta'rīkh al-khulafā' al-Fāṭimiyyin bi'l-Maghrib: al-qism al-khāṣṣ min Kitāb 'Uyūn al-akhbār* (Beirut, 1985).

Finally, the seventh volume of the *'Uyūn* covers the remaining period of al-Mustanṣir's reign, the establishment of Ṣulayḥid rule in the Yemen, the Musta'lian–Nizārī schism that followed al-Mustanṣir's death in 487/1097, the reigns of the next two Fatimid caliphs recognized also as imams by the Musta'lian Ismailis, namely, al-Musta'lī (487–495/1094–1101) and al-Āmir (495–524/1101–1130), as well as the commencement of the Ṭayyibī *da'wa* in the Yemen and the collapse of the Fatimids in Egypt. It also contains important details on the various *dā'īs* of the Yemen. This volume remains a basic source for the history of the Ismaili *da'wa* in the Yemen under the Ṣulayḥids. The seventh volume was edited recently by the Egyptian scholar Ayman Fu'ād Sayyid, with an English summary by Paul E. Walker and Maurice A. Pomerantz, and published as *The Fatimids and their Successors in Yaman* in The Institute of Ismaili Studies' 'Ismaili Texts and Translations Series', 4 (London, 2002).

It appears that Idrīs began his work on the *'Uyūn al-akhbār* soon after he completed his *Zahr al-ma'ānī* in 838/1434. In addition to reproducing the oral traditions of the Ṭayyibī *da'wa*, Idrīs used a variety of Ismaili and non-Ismaili sources in compiling the *'Uyūn*, many of which are no longer extant. Amongst the Ismaili sources used by Idrīs, mention may be made of the writings of al-Qāḍī al-Nu'mān (d. 363/974), the *Sīra* of the *dā'ī* al-Mu'ayyad fi'l-Dīn al-Shīrāzī (d. 470/1078), who is regarded as the spiritual father of the Yemenī *da'wa*, other Ismaili *sīras*, including the anonymous *Sīrat al-imām al-Mahdī* and *Sīrat Ibn Ḥawshab Manṣūr al-Yaman*, that have not survived directly. He also drew on a wide variety of non-Ismaili Yemenī and other sources, such as the histories of Ibn Zūlāq (d. 386/996), al-Qāḍī Muḥammad b. Salāma al-Quḍā'ī (d. 454/1062), and 'Umāra al-Yamanī (d. 569/1174), some of which have not survived directly. Idrīs also had access to numerous documents, such as decrees, letters, epistles (*sijillāt*), and other Fatimid archival materials that are not completely extant but throw light on important aspects of the Ismaili *da'wa* in the Yemen and relations between the Fatimids and Ṣulayḥids. All this makes the *'Uyūn al-akhbār* an invaluable work of reference on Ismaili history during medieval times.

It may be noted here that Idrīs's account of the origins of Ṭayyibī Ismailism is in conflict with the version upheld by the Ḥāfiẓī Ismailis, the other Musta'lian Ismaili community who recognized as their imams the later Fatimid caliphs, after al-Āmir (d. 524/1130), but which did not survive the collapse of the Fatimid state in 567/1171. Similarly, the author's account of the Musta'lian–Nizārī schism in Ismailism reflects the official view of the Ṭayyibī Ismailis, the only surviving Musta'lian community in the Yemen and elsewhere – a view that is rejected by the Nizārī Ismaili tradition regarding the Fatimid caliph-imam al-Mustanṣir's succession dispute. The Nizārīs, as is well known, uphold the rights of Nizār (d. 488/1095), al-Mustanṣir's eldest son and original heir-designate who was set aside forcefully in favour of his younger half-brother al-Musta'lī (d. 495/1101) by the all-powerful Fatimid vizier al-Afḍal.

Idrīs's second historical work, *Nuzhat al-afkār*, in two volumes and still unpublished, deals with Ismaili history in the Yemen, especially the period after the demise of the Ṣulayḥid dynasty, up to the year 853/1449. This may, indeed, be considered the most important source for the history of the Ṭayyibī *da'wa* in the Yemen for some three centuries after the Ṣulayḥids, whose hegemony effectively ended in 532/1138 on the death of al-Sayyida al-Malika Arwā who in addition to serving as the Ṣulayḥid queen was also appointed by the Imam al-Mustanṣir to the highest rank of the *ḥujja* in the Fatimid *da'wa* organization. Here the author also pays particular attention to the Ṭayyibī *da'wa* in India and relations between the Ṭayyibī Bohras there and their co-religionists in the Yemen. Idrīs's third historical work, *Rawḍat al-akhbār*, is a continuation of the preceding work in which the author includes the events of his own time from 854/1450 to the year 870/1465. The *Rawḍa* is an important source for the history of the Ṭāhirids, who ruled over the Yemen after the Rasūlids, because Idrīs was allied with them. It is also an important source on Idrīs's own career as head of the Ṭayyibī Ismaili *da'wa* in the Yemen. The *Rawḍat al-akhbār* has now been edited by Muḥammad b. 'Alī al-Akwa' al-Ḥiwālī al-Ḥimyarī (Ṣan'ā', 1995). The *dā'ī* Idrīs was also a poet and the unpublished *Dīwān* of his poetry contains some historical information in addition to panegyrics of the Ismaili imams and *dā'īs*. His major work on Ismaili doctrine entitled *Zahr al-ma'ānī* (ed. M. Ghālib, Beirut, 1991), divided into 21 chapters (*bābs*), represents the highest achievement on the *ḥaqā'iq*, the Ismaili gnostic esoteric system of thought, attained by the Ṭayyibī *da'wa* in the Yemen. Idrīs also composed a number of polemical works in refutation of Sunni, Mu'tazilī and Zaydī doctrines. Most of Idrīs's writings have survived and they are preserved in various private and institutional collections, including those at The Institute of Ismaili Studies Library and the extensive collections at the official Dā'ūdī Ṭayyibī Bohra libraries in Surat and Bombay under the charge of that community's *dā'ī muṭlaq* who has had his seat in Bombay since the 1920s.

The wide range of research projects encouraged and undertaken by The Institute of Ismaili Studies serve to reflect pluralism in Islam as well as a diversity of interpretations within Shi'ism, including not only Ismailism of various branches but Ithnā'asharī (Twelver) and Zaydī Shi'ism as well. It is in this academic spirit, and in order to ensure further progress in Shi'i and Ismaili studies, that the complete text of Idrīs 'Imād al-Dīn's *'Uyūn al-akhbār* is offered here in the Ismaili Texts and Translations Series. In this connection, I would like to express our deepest gratitude to the Institut

By 1963, when Ivanow published a revised edition of his Ismaili catalogue,[5] many more sources had become known and progress in editing and studying Ismaili texts had accelerated considerably. Subsequent progress in the recovery and study of Ismaili literature is thoroughly reflected in Professor Poonawala's catalogue, which identifies some 1300 titles written by more than 200 authors,[6] while this author's bibliography lists more than 5000 published primary sources and studies in the field.[7] Scholarship in this branch of Islamic studies is set to continue at an even greater pace as The Institute of Ismaili Studies, established in London in 1977 by H.H. Prince Karim Aga Khan IV, the present imam of the Nizārī Ismailis, serves as the central point of reference for Ismaili studies while making its own contribution through various programmes of research and publications. Amongst these, particular mention should be made of the 'Ismaili Texts and Translations Series' in which critical editions of Arabic and Persian texts are published together, selectively, with English translations.

Ismaili historiography has had its own distinctive features and evolution, which have been closely related to the very nature of the Ismaili *da'wa* and the changing political fortunes of the Ismailis. The Ismailis were often persecuted in regions outside the territories of their various states, and this necessitated the strict observance of the Shī'ī practice of *taqiyya* or precautionary dissimulation. At the same time, the Ismaili authors and *dā'īs* were for the most part trained as theologians. Owing to their training as well as the absolute necessity of observing secrecy in their activities, the Ismaili *dā'ī*-authors were not particularly keen on compiling either annalistic or other types of historical accounts. This general lack of interest in historiography is attested by the fact that only a handful of historical works have come to light during the modern recovery of a large number of Ismaili texts. These texts reflect the diversity of this rich literary heritage, ranging from legal compendia, biographical works of the *sīra* genre, poetry and treatises on the central Shī'ī doctrine of the imamate, to complex esoteric and metaphysical treatises culminating in the gnostic system of the Ismaili *ḥaqā'iq*, with its cyclical history, cosmology, eschatology and soteriology. From early on, a good portion of Ismaili literature was related to *ta'wīl*, or esoteric interpretation of the Qur'anic passages and religious prescriptions and prohibitions. Some of the learned *dā'īs* of the Iranian lands, such as Abū Ya'qūb al-Sijistānī (d. after 361/471), Ḥamīd al-Dīn al-Kirmānī (d. after 411/1020) and Nāṣir-i Khusraw (d. after 462/1070) elaborated distinct Shī'ī intellectual traditions based on their theology (*kalām*) and a variety of philosophical traditions.

There were, however, two periods in Ismaili history during which the Ismailis did concern themselves with historical writings, and they produced works which may be regarded as official chronicles. During the Fatimid period (297–567/909–1171) and the Alamūt period (483–654/1090–1256) of their history, the Ismailis possessed states and dynasties of rulers whose reigns and achievements needed to be recorded by reliable chroniclers. In Fatimid times, especially after the transference of the seat of the Fatimid state from Ifrīqiya in North Africa (in today's Tunisia) to Egypt in 362/973, numerous accounts of the Fatimid dynasty and state were compiled by contemporary historians, both Ismaili and non-Ismaili. However, the Fatimid chronicles did not survive the downfall of the Fatimid dynasty in 567/1171, when the Ayyūbids who succeeded the Fatimids, systematically destroyed the renowned Fatimid libraries at Cairo. Similarly, the chronicles recording the events of the Nizārī Ismaili state in Persia

[5] W. Ivanow, *Ismaili Literature: A Bibliographical Survey* (Tehran, 1963).

[6] I. K. Poonawala, *Biobibliography of Ismā'īlī Literature* (Malibu, CA, 1977).

[7] F. Daftary, *Ismaili Literature: A Bibliography of Sources and Studies* (London, 2004).

during the Alamūt period were destroyed, together with the bulk of other types of Ismaili literature, by the Mongol hordes who conquered Persia in 654/1256.

Notwithstanding these adverse circumstances, a few Ismaili *dā'īs* managed to produce historical works that are extant. Among the few histories found in Ismaili literature, the writings of Idrīs 'Imād al-Dīn, especially his *'Uyūn al-akhbār*, occupy a central position. His *'Uyūn al-akhbār* which is composed of seven volumes is, in fact, the only comprehensive history of the Ismaili imams from the earliest times until the late Fatimid period compiled by an Ismaili author.

Idrīs 'Imād al-Dīn b. al-Ḥasan b. 'Abd Allāh b. 'Alī b. al-Walīd al-Anf hailed from the prominent al-Walīd family of the Quraysh in the Yemen, who led the Ṭayyibī Musta'lian Ismaili *da'wa* for more than three centuries from the beginning of the 7th/13th century.[8] He was born in 794/1392 in the fortress of Shibām, a high peak on the Jabal Ḥarāz and a stronghold of the Ismailis in the Yemen. Idrīs succeeded his uncle, 'Alī b. 'Abd Allāh b. 'Alī, as the nineteenth *dā'ī muṭlaq* or supreme leader of the Ṭayyibī Ismaili *da'wa* in 832/1428.

Besides being a scholar and a versatile author, Idrīs was also a politician and warrior. His leadership of the Yemenī Ṭayyibīs coincided with a turbulent period in the Yemen's history, with warfare raging among various tribal confederations. Maintaining the policies of his predecessors, the *dā'ī* Idrīs allied himself with the Rasūlids of Zabīd and fought several battles against the Zaydīs of northern Yemen. Joined by the Rasūlid al-Malik al-Ẓāhir (831–842/1428–1439), Idrīs also fought the Zaydī Imam al-Manṣūr 'Alī. As a result of his encounters with the Zaydīs, the *dā'ī* Idrīs came into the possession of several fortresses. He also enjoyed the support and friendship of the Ṭāhirid brothers 'Alī and 'Āmir, who around 858/1454 seized 'Adan and Zabīd and replaced the Rasūlids as the masters of lower Yemen. Idrīs took special interest in the affairs of the Ṭayyibī Ismaili *da'wa* in western India, and during his long leadership of some forty years contributed to the success of the Ṭayyibī *da'wa* as well as the Bohra community in Gujarāt. Thus, he paved the way for the subsequent transference of the centre of the Ṭayyibī *da'wa* from the Yemen to India. When the *dā'ī* Idrīs sensed that the end of his days was approaching, he designated, according to the customary rule of the *naṣṣ* of his community, his son al-Ḥasan to succeed him as the head of the Ṭayyibī *da'wa* and community. Idrīs died on 19 Dhu'l-Qa'da 872/10 June 1468 at Shibām where he had established his headquarters in 838/1434.

Idrīs 'Imād al-Dīn is considered the most celebrated Ismaili historian. His eminence as the historian of the Ismaili imams and their *da'wa* derives from the fact that as the *dā'ī* of the Ṭayyibī Ismailis he had access to all the contemporary literary heritage of the Ismailis then available in the Yemen, parts of which have not survived. The bulk of the Ismaili texts of Fatimid and earlier times had been gradually transferred to the

[8] For bio-bibliographical information on Idrīs 'Imād al-Dīn, see Quṭb al-Dīn Sulaymānjī Burhānpūrī, *Muntaza' al-akhbār fī akhbār al-du'āt al-akhyār*, partial ed. S. F. Traboulsi (Beirut, 1999), pp. 166–175; Muḥammad 'Alī b. Mullā Jīwābhā'ī Rāmpūrī, *Mawsim-i bahār fī akhbār al-ṭāhirīn al-akhyār* (lithographed, Bombay, 1301–1311/1884–1893), vol. 3, pp. 107–108, 138–146; Ismā'īl b. 'Abd al-Rasūl al-Majdū', *Fahrasat al-kutub wa'l-rasā'il*, ed. 'Alī N. Munzavī (Tehran, 1966), pp. 73–77, 150–151, 239–242, 275–277; Ivanow, *Ismaili Literature*, pp. 77–82; Ayman F. Sayyid, *Maṣādir ta'rīkh al-Yaman fi'l-'aṣr al-Islāmī* (Cairo, 1974), pp. 180–183; Poonawala, *Biobibliography of Ismā'īlī Literature*, pp. 169–175; his 'Idrīs b. al-Ḥasan', EI2, vol. 12 (Supplement), p. 407; F. Daftary, *The Ismā'īlīs: Their History and Doctrines* (Cambridge, 1990), pp. 258–259, 290–291; his *Ismaili Literature*, pp. 120–121, and his 'Idris 'Imad al-Din', in O. Leaman, ed., *The Biographical Encyclopaedia of Islamic Philosophy* (London, 2006), vol. 1, pp. 318–320.

Foreword

Until the middle of the twentieth century, the Ismailis were studied and judged almost exclusively on the basis of the evidence collected, or often fabricated, by their enemies. As a result, a variety of myths and legends were disseminated widely, both in Muslim societies and in the West, regarding the teachings and practices of this Shi'i Muslim community. The breakthrough in Ismaili studies occurred with the recovery and study of genuine Ismaili texts on a large scale – manuscript sources which had been preserved in numerous private collections in the Yemen, Syria, Persia, Central Asia, South Asia and other regions. A few Ismaili manuscripts of Syrian provenance had already surfaced in Paris during the nineteenth century. And more manuscripts preserved in the Yemen and Central Asia were recovered in the opening decades of the twentieth century. However, by 1922, when the first Western bibliography of Ismaili writings was compiled by Louis Massignon (1883–1962), information in European libraries and knowledge available to scholarly circles on Ismaili literature was still very limited.[1]

Modern scholarship in Ismaili studies was actually initiated in the 1930s in India, where significant collections of Ismaili manuscripts have been preserved by the Ismaili Bohra community. This breakthrough resulted, in the first instance, from the pioneering efforts of Wladimir Ivanow (1886–1970), and a few Bohra scholars, notably Asaf A. A. Fyzee (1899–1981), Ḥusayn F. al-Hamdānī (1901–1962) and Zāhid 'Alī (1888–1958), who based their original studies on their family collections of manuscripts. Subsequently, these collections were made available to scholars at large. Professor Fyzee donated his manuscripts to the Bombay University Library;[2] Ḥusayn al-Hamdānī, too, donated part of his family's collection to the Bombay University while another part was donated in 2006 by his son, Professor Abbas Hamdani, to The Institute of Ismaili Studies Library in London. In 1997, the Zāhid 'Alī collection of some 226 Arabic Ismaili manuscripts was also given to The Institute of Ismaili Studies.[3] The initiation of modern scholarship in Ismaili studies may indeed be traced to the publication, in 1933, of a catalogue by Ivanow, who cited some 700 separate Ismaili titles attesting to the hitherto unknown richness and diversity of Ismaili literature and intellectual traditions.[4] Ismaili scholarship received a major impetus through the establishment in 1946 of the Ismaili Society of Bombay. Ivanow played also a crucial role in the creation of the Ismaili Society, which was equipped with a major collection of Arabic and Persian manuscripts. These manuscripts were transferred to The Institute of Ismaili Studies during the early 1980s.

---

[1] L. Massignon, 'Esquisse d'une bibliographie Qarmațe', in T. W. Arnold and R. A. Nicholson, ed., *A Volume of Oriental Studies Presented to Edward G. Browne on his 60th Birthday* (Cambridge, 1922), pp. 329–338.

[2] M. Goriawala, *A Descriptive Catalogue of the Fyzee Collection of Ismaili Manuscripts* (Bombay, 1965).

[3] D. Cortese, *Arabic Ismaili Manuscripts: The Zāhid 'Alī Collection in the Library of The Institute of Ismaili Studies* (London, 2003).

[4] W. Ivanow, *A Guide to Ismaili Literature* (London, 1933).

PREFACE

Lorsqu'en 2003 le professeur Farhad Daftary, directeur-adjoint de l'Institute of Ismaili Studies me soumit le projet d'une collaboration entre nos deux institutions, The Institute of Ismaili Studies (Londres) et l'Institut Français du Proche-Orient (Damas), en vue d'éditer, voire de rééditer de grands textes de la tradition ismaélienne médiévale, j'acceptai aussitôt pour plusieurs raisons. Tout d'abord du fait d'un intérêt personnel pour la philosophie ismaélienne puisqu'en 1975, j'avais soutenu, sous la direction du regretté professeur Roger Arnaldez, un mémoire de maîtrise sur le *Rāḥat al-'aql* du *dā'ī* Hamīd al-Dīn al-Kirmānī (m. *circa* 411/1020), ce qui m'avait permis de découvrir la richesse de cette pensée, trop méconnue, et son rapport intime à la rationalité. Ensuite, parce que l'Institut français de Damas s'est, dès l'origine, délibérément consacré à l'édition de textes arabes tels que la *Filāḥa nabaṭiyya* (éd. T. Fahd), le *Tārīkh Ibn Qāḍī Shuhba* (éd. A. Darwish), le *Dīwān* d'Abū Firās al-Ḥamdānī (éd. S. Dahhan), ou la *Sīrat Baybars* (éd. G. Bohas-K. Zakharia), pour n'en citer que quelques-uns, et que cette tradition doit, à mon sens, perdurer afin que nous puissions mettre à la disposition des chercheurs des éditions de manuscrits de qualité faisant référence.

À l'évidence, le *'Uyūn al-akhbār* du Yéménite Idris 'Imād al-Dīn (IX[e]/XV[e]), œuvre en sept volumes couvrant l'histoire des imams ismaéliens des origines à la fin de l'époque fatimide, appartient à ce qu'il est convenu d'appeler les grands textes que la civilisation arabo-musulnane a produits en nombre à l'époque classique. Il fut donc décidé que l'Institut français s'emploierait à l'édition critique des septs volumes des *'Uyūn al-akhbār*. En effet, une équipe de quatre spécialistes de l'édition des textes médiévaux fut constituée sous la supervision de Mme Sarab Atassi, secrétaire scientifique. Cette équipe se compose de Messieurs Mahmoud Fakhoury, Ma'moun Sagherji, Yousef Fatoum et Ahmad Shleilat. Le résultat que nous publions aujourd'hui est probant par la qualité de l'édition et le soin mis à la réalisation de l'ouvrage. Et il n'est pas inutile ici de rappeler la grande maîtrise que l'Institut français a acquise, depuis sa fondation, dans l'édition de livres en langue arabe, qu'il s'agisse de manuscrits ou de monographies.

Je forme enfin le vœu que la coopération entre nos deux institutions, The Institute of Ismaili Studies et l'Institut français du Proche-Orient, engagée par cette nouvelle édition du *'Uyūn al-akhbār*, se poursuive et se développe dans les années à venir. Nul doute alors, que cette production scientifique contribuera à enrichir, de façon significative, la Bibliothèque arabe.

Damas, janvier 2007.

Floréal Sanagustin

Directeur scientifique
aux études médiévales,
modernes et arabes.

Institut français du Proche-Orient
Direction des études médiévales, modernes et arabes
UMIFRE 6, CNRS-MAE, USR 3135

B.P. 344 - Damas, Syrie
Téléphone : (963 11) 3330214
Télécopie : (963 11) 3327887

www.ifporient.org
diffusion@ifporient.org

PIFD 247
ISBN 978-2-35159-056-0

The Institute of Ismaili Studies

The Institute of Ismaili Studies was established in 1977 with the object of promoting scholarship and learning on Islam, in the historical as well as contemporary contexts, and a better understanding of its relationship with other societies and faiths.

The Institute's programmes encourage a perspective which is not confined to the theological and religious heritage of Islam, but seeks to explore the relationship of religious ideas to broader dimensions of society and culture. The programmes thus encourage an interdisciplinary approach to the materials of Islamic history and thought. Particular attention is also given to issues of modernity that arise as Muslims seek to relate their heritage to the contemporary situation.

Within the Islamic tradition, the Institute's programmes seek to promote research on those areas which have, to date, received relatively little attention from scholars. These include the intellectual and literary expressions of Shi'ism in general, and Ismailism in particular.

In the context of Islamic societies, the Institute's programmes are informed by the full range and diversity of cultures in which Islam is practised today, from the Middle East, South and Central Asia, and Africa to the industrialised societies of the West, thus taking into consideration the variety of contexts which shape the ideals, beliefs and practices of the faith.

These objectives are realised through concrete programmes and activities organised and implemented by various departments of the Institute. The Institute also collaborates periodically, on a programme-specific basis, with other institutions of learning in the United Kingdom and abroad.

The Institute's academic publications fall into several distinct and interrelated categories:

1. Occasional papers or essays addressing broad themes of the relationship between religion and society in the historical as well as modern contexts, with special reference to Islam.
2. Monographs exploring specific aspects of Islamic faith and culture, or the contributions of individual Muslim figures or writers.
3. Editions or translations of significant primary or secondary texts.
4. Translations of poetic or literary texts which illustrate the rich heritage of spiritual, devotional and symbolic expressions in Muslim history.
5. Works on Ismaili history and thought, and the relationship of the Ismailis to other traditions, communities and schools of thought in Islam.
6. Proceedings of conferences and seminars sponsored by the Institute.
7. Bibliographical works and catalogues which document manuscripts, printed texts and other source materials.

This book falls into category three listed above.

In facilitating these and other publications, the Institute's sole aim is to encourage original research and analysis of relevant issues. While every effort is made to ensure that the publications are of a high academic standard, there is naturally bound to be a diversity of views, ideas and interpretations. As such, the opinions expressed in these publications must be understood as belonging to their authors alone.

The Institute of Ismaili Studies
Ismaili Texts and Translations Series, 7a

Previously published titles:

1. Ibn al-Haytham, *The Advent of the Fatimids: A Contemporary Shi'i Witness*. An Edition and English Translation of Ibn al-Haytham's *Kitāb al-Munāẓarāt*, by Wilferd Madelung and Paul E. Walker (2000).

2. al-Shahrastānī, Muḥammad b. ʿAbd al-Karīm, *Struggling with the Philosopher: A Refutation of Avicenna's Metaphysics*. A New Arabic Edition and English Translation of al-Shahrastānī's *Kitāb al-Muṣāraʿa*, by Wilferd Madelung and Toby Mayer (2001).

3. Jaʿfar b. Manṣūr al-Yaman, *The Master and the Disciple: An Early Islamic Spiritual Dialogue*. Arabic Edition and English Translation of Jaʿfar b. Manṣūr al-Yaman's *Kitāb al-ʿĀlim wa'l-ghulām*, by James W. Morris (2001).

4. Idrīs ʿImād al-Dīn, *The Fatimids and their Successors in Yaman: The History of an Islamic Community*. Arabic Edition and English Summary of Idrīs ʿImād al-Dīn's *ʿUyūn al-akhbār*, vol. 7, by Ayman Fu'ād Sayyid, in collaboration with Paul E. Walker and Maurice A. Pomerantz (2002).

5. Naṣīr al-Dīn Ṭūsī, *Paradise of Submission: A Medieval Treatise on Ismaili Thought*. A New Persian Edition and English Translation of Naṣīr al-Dīn Ṭūsī's *Rawḍa-yi taslīm*, by S. J. Badakhchani (2005).

6. al-Qāḍī al-Nuʿmān, *Founding the Fatimid State: The Rise of an Early Islamic Empire*. An Annotated English Translation of al-Qāḍī al-Nuʿmān's *Iftitāḥ al-Daʿwa*, by Hamid Haji (2006).

Volume 1 of

Idrīs ʿImād al-Dīn's

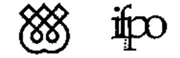
ʿUYŪN AL-AKHBĀR

Arabic edition by
Ahmad Chleilat

Revised by
Ma'moun al-Sagherji

The Institute of Ismaili Studies, London
In association with the

Insitut français du Proche-Orient
Amman - Beyrouth - Damas




ʿUYŪN AL-AKHBĀR